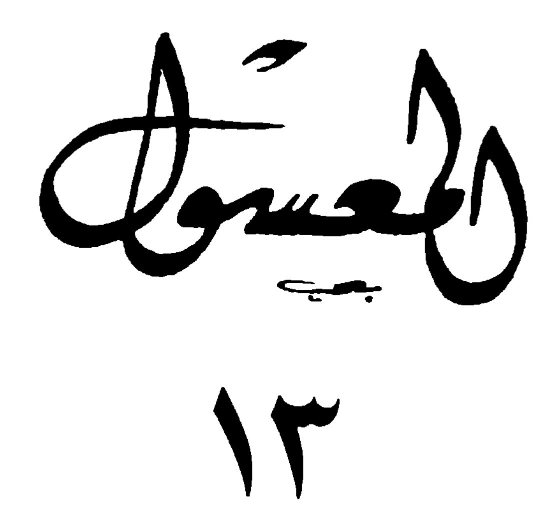


محمد المختار السوسي



المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله وصحبه

من تمام

الفصل الثاني

من

القسم الرابع

في الاخذين من الزاوية الالغية الطريقة الصوفية عن الشيخ الالغي

وفي هذا الجزء بالاجمال

المعدريون

التيزنيتيون

الاكلوئيون

وفي الجزء بالتفصيل من الذين اسست عليهم التراجم :

المعدريون

العلامة سيدي محمد بن مسعود المعدري

العلامة سيدي احمد بن مسعود المعدري

الفقيه الكبير سيدي ابرهيم كزور المعدري

التيزنيتيون

القاضي سيدي محمد بن احمد أوعامو التيزنيتي

نائب القاضي سيدى ابو بكر التيزنيتي

العدل سيدى محمد السماهر التيزنيتي

الفقيه الصوفي الخامل سيدى الطيب بن احمد الطاحونى التيزنيتي

الاكلوئيون

العلامة سيدي عثمان بن احمد الايكراري الاكلويى

الصوفي العظيم سيدي محمد بن عبد الرحمن الايكراري الاكلويى

الاستاذ الفلكى سيدى الحسن بن عبد الرحمن الايكراري الاكلويى

الاديب الصوفي سيدى الطاهر السماهرى الاكلويى

محمد بن مسعود المعدرى

ثم البونعماني

نحو : ١٢٨٢هـ = ١٨ ـ ٣ ـ ١٣٣٠ هـ

نسبه

محمد بن مسعود بن محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن عبدالله بن محمد ـ فتحا ابن ابى القاسم بن يعزى بن محمد ـ فتحا ـ بن يعزى (وهو المشهور بالطالب يعزى) بن ابى بكر بن ياسين بن عبدالرحمن بن موسى بن جنيد بن هارون ابن محمد بن احمد بن محمد ـ فتحا ـ بن يوسف ، بن عبد الله بن كندوز (وهو الجد الجامع لبنى سملالة) بن عبد الرحمن بن محمد ـ فتحا ـ بن احمد ابن الحسين بن على بن اسماعيل ابن مولاى ابرهيم بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب

هكذا ذكر الاستاذ مسعود والد مترجمنا الاعلى نسب اسرته ، نقل لنا عن خطه ذاهبا الى أن جعفر بن عبد الله الموجود فى بعض المشجرات انما هو ابو جعفر كنية ابرهيم قتيل البصرة ، وذلك مايقوله بعضهم • وقيل ان السملاليين من أبناء الحسن المثلث وقيل ادارسة

أسرة آل مسعود الشريفة العالمة الورعة ، من اعظم الاسر التى عرف لها التاريخ السوسى ما عرف لها من مجد سامق، حتى ليفترع هامة السماء • ومن همة عزوف حتى لتصدف عن شربة الماء ان كان فيها ما يمس بمروءتها ودينها وتسمى (آل الطالب يعزى) وأصلها الاصيل من سملالة ، ثم انتقل اجدادها الى قرية (ايت الطالب يعزى) من (تاجاجْت) بمجاط ، ثم الى (تيمْجّاض) بأيت برايبم • فهناك ولد سيدى مسعود الذى تفرعت عنه هذه الشجرة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء • هذا ماكنا نسمعه قبل • والان هاك بعض مايتعلق بالطالب يعزى ، ومحمد بن محمد ـ فتحا ـ والد سيدى مسعود • كما وجدناه بخط بعض المعتنين من رجالات الاسرة ، قال فى هذا الاخير :

(هو الفقير الصالح محمد الملقب بـ (أوالطالب) بن محمد ـ فتحا ـ يعرف عندهم بصاحب الحيلات ، لما له من الثبات والرزانة والتؤدة في أموره كلها وكان هذا الرجل كريما متدينا غيورا على دينه ، ذا مروءة وشهامة واقـدام في ساحة الوغى لايفارقه الحياء والوقار وطلاقة الوجه ، وينشد واصفه :

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت بشدة الباس منه رقة الغـزل

يسعى في مصالح قومه ويجلب لهم الخير ، ويدرأ عنهم مكايد الدهر ويذود عن حوضهم

وأما اخلاقه فهي اخلاق الرجال المحنكين الذين يانفون من كل مايكسـب لهم هضم الجانب • ويوقعهم في زاوية الضيم والهوان • يرون المـوت فـي سبيل العز وفي استقلال ءارائهم مجدا موثلا • وفخرا مؤبدا أبى الله الا أن تكون نفسه أبية عصامية • لاتخنع لاحد • ولاتخضع الا في سبيل الحـق الذي جعله اللهفوق كل شيء • اذ تلك الروح المطهرة ماخلقها الله للمـذلـة والتقليد • وانما خلقها للعز والاستبداد

واما أحواله فهي احوال المخلصين السالكين سبيل الخير والـرشاد ، العاملين لدنياهم وأخراهم

اولئك ءابائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا ياجرير المجامـع

والحاصل لاتسل عما ترويه السنة القوم عن هذا الرجل • مـن دماثـة الاخلاق ولين العريكة وكثرة العبادة • واكرام الضيف ، والخير•ومعاملة قومه بالمروءة والانسانية ومواساة المنكوب والتحبب لاهل الله • ومحبـة أهل البيت وتعظيمهم • ومخالطة أهل العلم والعمل ، والامربالمعروف والنهى عن المنكر • فعلى هذا المنوال ينسج هذا الرجل الى ان قضى نحبه ولقي ربـه رحمه الله سنة ١٢٦٤هـ توفي بـ (تامانارت) ودفن بها في مقبرة الشـيـخ سيدي محمد بن ابرهيم التامانارتي رضي الله عنه • وسبب وفاته هناك أنه ساقته اليها الاقدار لغرض من الاغراض ، فنزل عند صديقه وأخيه في الله الفقيه العالمالشهير سيدي ابرهيم بنيحيا التامانارتي صاحب الاحكامالشرعية المرسومة فيرسوم أيت همان خصوصا (تيمجاض) فأصابه مرض وتوفي وقبره مشهور هناك وكان رحمهالله يحفظ من القرءان خمسة (يسبح لله ما في السماوات وما في الارض) لاغير ، ويقرأ الدليل • ويدوم على الصـلاة والسلام على محمد صلىالله عليه وسلم فلما توفي بكته العيون • وحزنت عليه القلوب • وعم رزؤه كل منعرف مقدرته وترك في ألسنة الناس مايلهج بمحاسنه ومآثره • كما ترك صيتا رنانا وذكرا جميلا وشهرة عظيمة ، لما له في قلوب الناس من التمكن وءاثار الخير ومئاثره لاتحصى ولاتستقصى • ولو

أردنا أن نضع تأليفا خاصا في ترجمته ، لفعلنا • ولكن شهرته تغنينا عنذلك

وإذا الكريم مضى وولى عمره   كفل الثناء له بعمر ثان

وكان صاحب الترجمة في أول نشأته تزوج بامرأة اسمها بكة بنت يحيا بن أحمد الهمثانية الدهوزية بـ(تيمجاض) ولد معها أحمد فقط والله أعلم واحمد هذا رجل خير صالح ذاكر تقي • منعباد الله الصالحين ، كماأخبرني بذلك غير واحد • ولم أقف على وقت وفاته • فخلف بعد وفاته ولديه السيد مبارك والسيد عبدالله أما السيد مبارك فقد حذا حذو والده واسلافه في الخيارة والصلاح والعبادة ، لاسيما في ءاخر عمره • اشتغل فيه بشيء كثير من الذكر توفي سنة ١٣٣٨ هـ فخلف ولده أحمد ، وهو رجل كريم المائدة طيب الاخلاق • جعله الله من خلفاء اسلافه الصالحين • وهو في قيد الحياة الان ١٣٥١هـ وأما الفقير عبدالله • أخو السيد مبارك بن احمد المذكور ، فانه رجل خير صالح عابد جدا توفي بتيدلي باذبوهوش ١٣٤٠ هـ

واصل اسلاف محمد بن محمد المذكور (تيزي اونبد) بين سملالة وادا وبعقيل ، انتقل صبيا الى (تاجاجات) بـ (مجاط) الجد الاكبر الولي الصالح سيدي يعزى المشهور بالطالب حين أرسله سيدي احمد بن موسى اليها (وقبر الطالب يعزى في (زاكور) بـ (تاكنسا) في حدود قبيلة (ايت رخا) ثم انتقل ابن ابن سيدي يعزى المذكور وهو أبوالقاسم وبعض أخوانه من(تاجاجات) الى (أيت همان) بـ (تيمجاض) انتهى ما وجدناه

ثم اننا لم نستحضر الان شيئا في الميدان العلمي عن أحد هؤلاء الجدود المتقدمين مما يستحق الذكر ، ويلفت انظار الباحثين • غير ان الثمرة لتدل على زكاء الشجرة دلالة النور الوضاح على البدر الكامل في ليلة الصحو لكن يوجد فيأبناء اعمام الشيخ مسعود بعض علم كما سنراه في أبنائه كثيرا فجاءت كل الحواشي بما يجيء به القلب في الوسط كالشهدة التي تجد مذاق أطرافها مثلمذاق أوساطها

١) المدني بن محمد بن الحسين البرايمي

أخذ عن محمد بن مسعود ، وله مدارك لاباس بها • لاأعرفه • ويذكر أنه يتعالى كثيرا الى المعالي • والى معارف اكبر من متناوله • ولايزال حيا الى الان ١٣٥٧هـ ويقال أن له نحو ٥٦ سنة (ثم قيل لي الان ١٣٨٠هـ انه متوفي)

٢ ـ عمر بن الحسين بن مبارك ابن الطالب يعزى الداهوزي التيمجاطي الاصل :

عالم جيد رباني اخذ عن ابن عمه الشيخ سيدي مسعود وغيره ثم زاول

المشارطة ففيما شارط فيه زاوية (أكلو) الوكاكية ومسجد (العوينة) ويزاول فض النوازل كثيرا الى أن أسن ، فاقبل على شانه وكانت له شهرة كبيرة بين علماء (ازاغار) بل هو من الرعيل الاول بين أقرانه علماً وفهماً وسمعة وعزوفا ، ويتوفى عن نحو ٧٥ سنة قال فيه المورخ الرفاكى

(ومنهم سيدى عمر نداهوز تلميذ شيخنا سيدى مسعود الطالبى وسيدى محمد بن العربى الادوزى ، كان رحمه الله رجلا بكاء شديد الخوف مسكينا لايتكلم الا فيما يعنيه • وتزوج بعوينة بنى بلال • وأصله من تيمجاض بهمانة توفى رحمه الله عام ١٣٤٣هـ يوم عيد الاضحى)

ولم أقف أنا على شيء من ءاثاره • وكفى الدهوزى مفخرة ان كان شيخ محمد بن‌مسعود فى الفرائض • وسترى مكاتبة بينهما

هذان من استحضرهم الان من حاشية الاسرة المسعودية المباركة • ولنصمد الى المقصود من ذكر ما لافراد ءال مسعود الافذاذ • مقدمين الوالد فالاولاد

٣ ـ سيدى مسعود الطالبى هو اول من نعرفه ، نبغ من هذه الاسرة • فرفع لها راية المعارف وغرس فيها من المجد العلمى مالايزال الى الان يوتى أكله غضاً طريا •

مبتدأ حياته

لم نعرف الان كيف كانت نشأته فى الكتاب • كما لانعرف من أساتذته القرءانيين شيئا • وكل ماعندنا من هذا الطور أنه متقن لحفظ القرءان غاية الاتقان • وكأننى اخبرت بأن له اتقان حروف غير حرف نافع • وقد استحوذ عليه ذلك حتى كان مهتما ان يمضى عمره فى تعليم كتاب الله • وعزم على فتح تلك الصحيفة يوم ألقى مراسيه فى (مدرسة سيدى مزال بن هرون) من أول يوم • غير ان استاذه العربى الادوزى رشحه الى دراسة العلوم يوم ودعه الى (مدرسة سيدى مزال) فكان ترشيحا مباركا ادى فى مرتبته للامة من الارشاد والاخلاق وأعمال السنة مالم يكن يؤديه ولوزخر مازخر بالدراسة القرءانية الجافة التى لايشتغل اساتذتها بغير حفظ القرءان

ثم ذكر لى ولده شيخنا سيدى احمد أن والده تلقى القرءان فى قريته بـ (تيمجاض) وفى قرية (الخنابيب) عند استاذ القراءات اذذاك سيدى محمد الخنبوبى وهو فقيه جليل ومن أكابر القراء أخذ عنه كثيرون القراءات السبع فى أواسط القرن الماضى توفى نحو ١٢٨٠ هـ

متلقاه للعلوم

أراد الله بهذه الامة خيرا حين أمال صفحة عنق أمثال سيدى مسعود المعدرى الى أن يرتوى من مناهل المعارف ثم يهتم بنشرها • فان مثله فى همته واكبابه قليلون بين علماء سوس • وسترى من أعماله فى هذا الميدان ماترى

لم نعرف عنه أنه تجاوز حضرة شيخ الجماعة العربى الادوزى ، فانه وحده من ملا وطبه • ثم اوكأ عليه بكل محافظة صاحبه طول عمره • ولم يتجاوزه الى غيره • الا أنه أخذ قليلا عن الشيخ سيدى احمد بن محمد التيمكيدشتى • كما ستراه فى اجازة ابنه العلامة محمد للفقيه ابى زيدالعوفى ولم يكن عندنا ايضا من أخباره فى هذا الطور مايمكن انذكره فيتحلى بهصدر هذا العنوان

في مدرسة سيدي مزال بن هرون أولا

بعد ان استتم الدراسة من المدرسة (الادوزية) وقف له شيخه العربى حتى شارط فى (مدرسة سيدى مزال) بهشتوكة • وسمعت ان أهلها هم الذين تطلبوا من سيدى العربى استاذا لمدرستهم • فعين لهم صاحب الترجمة • فذهب هذا على نية ان يدرس فيها القرءان • فاذا باستاذه أرسل معه تلاميذ مبتدئين من عنده • ليدرس معهم المتون الابتدائية • فكان ذلك سبب اقبال الشيخ سيدى مسعود على تدريس العلوم والاكباب عليها اكبابا غريبا بهمة اقتبست من همة استاذه الادوزى • فبسبب هذا طارت له الشهرة • وسارت باقباله على التعليم • وصبره عليهالركبان • فكان ذلك مايجعل بعضالقبائل تتمنى مثله لمدارسهم لتعمر • وعمارة المدارس بالعلوم اذذاك من صدور مفاخر القبائل بعضها على بعض • فتتنافس فيهاً (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) وكانت اقامته فىهذه المدرسة التى بدت فيها باكورة اعماله فى السنوات التى تقدمت سنة ١٢٨٠هـ ولا أدرى عددها

في المدرسة البونعمانية

كان بنونعمان من أهل (يعزّى و ِهدَى) البكريين • وكانت زاويتهم هناك لها شهرة بين القرن السابع والثامن حتى بلغ صيتها مسامع مؤرخ ذلك العصر عبد الرحمن بن خلدون • فجرى ذكرها فى موضع من تاريخه الطويل وسماها (زوايا بنى نعمان) ثم لم نعلم ماصنع الدهر بتلك الزوايا بعد ذلك ولم نجد مايدل عليها الا قبابا مشيدة لكثيرين من رجالاتها مجهولين عندنا

لم يبق الا اسماؤهم ببقاء قبابهم الكثيرة هناك ولعل ماوجده القرن الماضى من صبابة من الاهتمام بالعلم وبالقراءات انحدر من تلك الزوايا وأن اغفل ذكرها التاريخ

كان الاستاذ أحمد أضارضور مرة أو مرتين قبل أن يسافر الى فاس لتتميم دراسته مشارطا فى المدرسة (البونعمانية) كما كان مر بها ايضا قبله الاستاذ أحمد أوجمل الامزالى المشهور • وبعدهما الاستاذ مبارك ايحيصر المعدرى والاستاذ محمد بن حسين الاكلويى الجد لايت حسين • والاستاذ محمد الماسى ثم التاكنسى • ثم خطر لهذا مفارقة المدرسة لسبب دعاه الى ذلك • فتشبثت به القبيلة فقال لها لاعمر لمدرستكم من سيدى مسعود الهمانى الذى تعرفونه فكان ذلك سبب اتصالهم بالاستاذ الذى نحسبه اذذاك فارق المدرسة (المزالية) فالتقوا معه فى قرية (ادمبارك) المشهورة هنالك فى (تاكنسا) فدعوا معه الدعاء المعتاد ان يكون كاعلان لتمام الوفاق • فكان اسم القرية فالاحسنا فكان بالمدرسة (البونعمانية) مباركا كما كانت به مباركة ـ وكان ذلك ـ كما وجد بخطه ـ فى مفتتح رجب ١٢٧٨ هـ (وسترى أنه كتب أيضا فى تاريخ ذلك سنة ١٢٧٩هـ والغالب أنه الغى الكسر)

لم يكن كل الاساتذة المتقدمين قبل الاستاذ مسعود قائمين فى المدرسة (البونعمانية) حق القيام بل كانوا متفاوتين فى أعمالهم الدراسية • كما كانوا متفاوتين فى مداركهم بل كان بعضهم يشتغل فيها بتعليم القراءات كما كان بعض الاساتذة المقرئين يشارطون فيها أحيانا • فكانت البونعمانية بهم بين جزر ومد • وبين ازمنة تلحظ فيها عين السعادة وتغمض • حتى أتاها من الاستاذ مسعود من أتاها • فاستحالت الدلو غربا بيد عبقرى لايفرى سواه فريه (١)

كيف دراسة الاستاذ لطلبته

كان عجبا يستحق كل الالتفات من سيدى مسعود ذلك الاكباب العجيب الذى يحكيه عنه تلامذته متفقين • فقد وافق معاصره الذى فى طبقة اشياخه سيدى سعيدا الشريف فى تنظيم الدراسة فى الفنون بالمتون • فقسم المتون كلها الى دروس • وعين لكل متن القدر الذى يدرس فيه ولابد • فكانت الالفية وما اليها • وخليل وما اليه • وكل مايدرس اذذاك من فنون النحو والفقه •

١) الغرب بفتح فسكون الدلو الكبير جدا وقوله لايفرى سواه فريه (والفرى كغنى) اى لايقدر ان يقوم مقامه أو أن يفعل مثل فعله وذلك مقتبس من حديث معروف عند أهله •

والبيان والاصول • وما يتبعها من الفرائض والحساب والتصريف وعلم المصطلح والحديث والتفسير منظمة تنظيما على أيام الاسبوع الخمسة • فمن صباح السبت الى عصر الاربعاء • لاتفتر الدراسة • وقد ضرب الاستاذ لتلاميذه من جده وحرصه على النظام مثلا شرودا (١) فكان مع اشتغاله بادارة شؤونه العامة كالفلاحة وما اليها فى بلدة (المعدر) وفى (تيمجاض) لايمكن ان يخرق النظام ولا أن يتخلف عن الحضور صباح السبت • فكان مابين عصر الاربعاء الى صباح السبت هو الذى خصصه لما لابد له أن يشرف عليه من ضرورياته • فكثيرا ما يخرج من المدرسة اثر انقضاء الدرس بعد صلاة عصر الاربعاء الى (المعدر) أوالى (تيمجاض) أو الى ما وراءهما مما تدعوه اليه الحاجة الملحة • ولكن لاتكادشمس السبت تشرق حتى يستوى على منصة التدريس • ولايكاد يتخلف عن هذا النظام الا اذا عراه ما لايمكن أن يسلم منه بشر

وكانت معلوماته بادىء ذى بدء غير مستبحرة بل لايزال يسوده فى كثير من الفنون التى يزاولها التوسط فى المدارك • غير أنه بكثرة الدراسة تمكن فى ناصية غالب الفنون • فكان البيان والاصول ـ وهما الفنان اللذان لايقبل طلبة البادية عليهما غالبا ـ مما يدرسه احيانا لنجباء طلبته ، فقد كان مرة الاستاذ احمد أضارضور الاكرارى فى المدرسة البونعمانية لنازلة يزاول فضها فى تلك القبيلة • فطلع على السطح • فاستدار به الطلبة • وقد أتوه بشرح (المنهج) لمحمد بن على اليعقوبى السوسى • فصاروا يوردون عليه من مسائل استشكلت فى درس الاستاذ سيدى مسعود • فبينها لهم ثم قال لهم : انه يجب على من أراد تفهم أصول المذهب ان يكثر من سرد المسائل المبنية عليها • ومقصودنا من الحكاية ان نعلم ان (المنهج) مما يدرسه الاستاذ سيدى مسعود • والكتاب ـ كما هو معلوم ـ فى أصول المذهب

تكاثر الطلبة على المدرسة (البونعمانية) وقد جذبهم اليها حسن موقعها بين أشجار الزياتين الملتفة وطيب هوائها وسمعتها المتطايرة فكان الصحراويون والسوسيون اى العرب والعجم متساندين فى الدراسة • فيجتهد الاستاذان يؤدى الى كل بلسانه ما عليه له من الحقوق • فكان ينظم الصفوف من التلاميذ على العادة القديمة فى سوس • من أن هناك متونا ابتدائية فى كل فن • ثم أخرى ثانوية • فلابد من التدرج فيها قبل ان يشتغل بالعليا فعلى هذا انتظمت الصفوف فى (البونعمانية) أيضا • فزخرت المعارف وتفتقت أزهار النجابة • وأوحت القرائح بين المباحث بافكارها القيمة من بعض نبغاء تلاميذه

---

١) قال أبو تمام

لا تعجبوا ضربى له من دونه	مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره	مثلا من المشكاة والنبراس

هذا والاستاذ مجتهد في توسيع ابنية المدرسة • حتى بلغت اضعاف ماكانت عليه يوم دخلها وقد ضاقت حتى لم يمكن ان يسكن مائة وستون الذى وصله عدد الطلبة الا بعد ابنية جديدة • فتكونت من حلقات المدرسة خمسة • كل حلقة لها اسمها الخاص • لانها تبنى متتابعة • فكلما شرع فى حلقة يظن أن ما يخطط فيها من البيوت كاف • فاذابالحال يستدعى اكثر منذلك • فأصبحت (البونعمانية) اكبر من كل مدارس سوس اتساعا وكثرة بيوت • كما كانت احفلها احباسا • والحقيقة أنها ماتفوقت عليها الا باجتهاد استاذ الذى لميكن يدركه احد اخيرا بعد وفاة اقرانه فى الهمم وأقران أشياخه كالشريف الكثيرى • وكالحسن التيمكيدشتى ومحمد بن على اليعقوبى الايلالنى المعاصر لال (تيمكيدشت) وامثالهم حتى اصبحت (البونعمانية) بعد افتتاح هذا القرن • لايماثلها الا (الادوزية) تحت نظر الاستاذ محمد بن العربى الذى كان خلف ماكلف عن والده • على ان سيدى مسعودا قد فاقه بجمعه الهمة على التعليم • على حين أن ابن العربى لكثرة دواعى مجده مسابق فى كل ميدان طلاع من كل ثنية • فحينا يسافر الى (الحمراء) وحينا ينزل على فض قضية من النوازل فى أملاك من يحكمونه • وأما سيدى مسعود • فهوذلك المسكين الفقير المتبتل • المشتمل بشملة الذى قسم اوقاته بين الدراسة وبين مشارفة شؤونه لاغير • وقد اعرض عن المجد فى المحافل وعن فض النوازل • الا أن كان يلقى الحق من فيه ـ بلا كتابة ـ فى مسألة ان سئل عنها بسرعة • ثم يذهب لطيته

كذلك ادى سيدى مسعود الحق الذى للعلم وطالبيه ، فاستحق أن ينوه به فى ذلك الميدان تنويها خالدا • تدرك به الاحفاد • مقدار اهتمام الاجداد

إجازات الاستاذ من أساتذته

وقفت على ان هناك اجازات للمترجم من الحسن بن الطيفور ، والحسن التيمكيدشتى • والعربى الادوزى • وهاك ما تيسر منها

الاولى

أذنا لحامله الفقيه النبيه العلامة النزيه سيدى مسعود المعدرى فى جميع ماأذنت فيه السنة المطهرة حركات وسكنات • واذنا له فى التعليم والارشاد واصلاح ذاتالبين ووعظ المسلمين ودعائهم الى القيام بواجب أمور الديانات • سدده الله وأصلح عمله • وجعل نيته صالحة باتباع رضوان الله ءامين • وبه برسم الاذن تنشيطا له وتاييدا لحاله لقصد وجه الله ومشاركته فى الخير بتاريخ أوائل ربيع الاول عام ١٢٩٤هـ (الحسن بناحمد

وفقه الله)

وتحته طابعه الذى يحتوى على اسمه

الثانية

وبعد فقد التمس الاخ الصالح السيد مسعود بن محمد السملالى ثم الابرايمى الاجازة • أكرمنا الله تعالى واياه بتقواه • ورزقنا واياه رشده وهداه ولست هناك • ولا كنت أهلا أن اجاز • فضلا عن أناجيز

فاركض برجلك مصر اننى رجل مثل المعيدى فاسمع بى ولاترنى

ولكن لظهور حسن ظنه بالله وبعباده أسعفته بعد ان تذاكرنا فى صحيح البخارى رحمه الله تعالى الفاظا غريبة من جهة الاعراب مع صحة الرواية بها فاستفدنا جودة قريحته وصحة حفظه وفطنته وأجزته اجازة عامة بشرطها المعتبر فى سبيلها المقرر • وعليه فى ذلك عهد الله وميثاقه أن يستحضر الجنة (لادرى) عند ارادته أن يقول أو يقرأ • مع ذكر اسناد البخارى هنا خاصة • اختصارا • فقد سمعناه مرارا عن الامام الهمام الشريف الخالدى سيدى محمد بن أحمد الوولتى عن الولى الصالح سيدى محمد بن أحمد التاساكانى الهلالى • عن الولى الصالح العارف بالله سيدى محمد بن أحمد الحضيكى ، عن سيدى أحمد بن محمد السملالى العباسى • عن سيدى احمد بن محمد بن ناصر الدرعى • عن سيدى أحمد بن على القدسى عن سيدى محمد بن أحمد النهروالى • عن والده سيدى احمد بن محمد المكى • عن ابى الفتوح الطاووسى ، عن أبى يوسف الهروى • عن الفرغانى محمد بن شاذبَخْت • عن يحيا بن عمار الختلانى • عنابى عبدالله الفربْرى عن مؤلفه امام المحدثين سيدى محمد بن اسماعيل البخارى • رضى الله عنهم اجمعين • وكتب لثمان خلون من شوال عام ١٢٧٠ ﻫ عبد ربه الحسن بن طيفور • سائلا منه الدعاء والتضرع الىالله تعالى أن يغفر له ماارتكب من الخطر • واتيان الخطلوالخطر بجاه النبى وءاله صلى الله عليه وسلم

الثالثة

حدثنا شيخنا أبو عبدالله محمد العربى بن ابراهيم الادوزى السملالى قال حدثنا شيخنا أبو العباس أحمد بن محمد التيمكيدشتى • قال حدثنا شيخنا أبو عبد محمد بن الحسن الطويلى السملالى • قال حدثنا شيخنا أبو مسعود بن (١) المرزقونى السملالى قال حدثنا شيخنا احمد بن

---

١) بياض بالاصل وهو مسعود بن محمد بن عبد الله المرزكونى

محمد بن ناصر الدرعى قال حدثنا ابرهيم بنحسين الكردى عن والده عن ابى الفتوح الطاووسى عن أبى لقمان الختلانى عن الفرغانى عن الفِربَرى عن الامام البخارى رضى الله عنهم اجمعين اه

همته العلمية

قد يستغرب القارىء من هذا العنوان من جديد • لان ذهنه سيسبق الى اننى لاأعدو ان أعيد بعض ماكنت ذكرته عن سيدى مسعود فى الفصل السابق ولعمرى أن الذهن الذى يسبق الى هذا ، لذهن غائص • أو طائر الى سماوات الفهم من وراء العبارات • غير أننى لما تصورت همة سيدى مسعود من ناحية أخرى غير الدراسة العلمية ، اخترت أن أعلن لها بهذا العنوان ليكون العنوان نفسه • بمثابة فذلكة لكل اطراف همته • ولكل اطراف همته انجذاب الى العلم

ان كثيرين من الذين اعتادوا الاكباب على التدريس ويستفرغون فيه جهودهم نجدهم وراء ذلك لايهتمون بالمطالعة والاستنساخ الا ماكان من سيدى مسعود فانه بقدر ما أكب على التدريس يكب وراء ذلك على استنساخ كل مايعجبه ، ويروق نظره • ثم لو كان الاستنساخ انما هو لكتب الدراسة وكتب الفتاوى لما وجد منى كمؤرخ شكرا جزيلا • ومحمدة طويلة • لكننى وجدت له من وراء استنساخه اثارا قيمة من كتب التاريخ السوسية • وكتب تراجم رجالاتهم الخاصة • وعهدى بكل من فى عصر سيدى مسعود • لايابهون بمثل ذلك • بل يعدون الاشتغال به من الفضول

الحق أقول • لم أجد أمامى منذ توجهت الى ماتوجهت اليه من احياء التاريخ السوسى من نفعنى سلفا بجهوده غير رجلين ، احدهما أبو زيد الجشتيمى الذى نفعنى فى الادبيات • وما اليها • وكثير من تراجم من أدركهم أو حظوا بأن يجرى اسمهم تحت قلمه وثانيهما سيدى مسعود المعدرى الذى نفعنى من الوجهة التى توجه اليها من تاريخ صلحاء سوس فقد كان مولعا بذلك فكلما وجد شيئا من هذا القبيل استنسخه بان يفرقه على تلاميذه فيصبح الكتاب وان كان طويلا مكتوبا كله فى ساعة فما طالعت (كراسة البعقيلى) ولا (بشارة الزائرين) ولا (مؤلف سيدى يبورك بن عبدالله بن يعقوب فى الشيخ سيدى احمد بن موسى) ولا (المؤلف فى مناقب سيدى محمد بن ابرهيم الشيخ) ولا ماكتب فى (حكايات مريم السملالية) الا مما استنسخه كما كنت اطلعت من قديم فى خزانة ءاله على (مجموعة فى وكاك) ومثلها فى (سيدى وساى) وغيرهما من مجاميعه ثم لايقصر جهوده على الاثار السوسية بل يعتنى أيضا بكل مايراه كتابا نادرا • وقد كنت وقفت من قديم فى احد مجاميعه

على (مؤلف) فيه اسماء الصحابة الذين دخلوا المغرب فهذه الهمة التي لاتستحقر من العلم شيئا. فنابه بكل ماتراه من أخبار رجالات التاريخ. هي التي تستحق ان تسمى الهمة العلمية . لان حب الاستفادة ممتزج بها امتزاج الراح بالقراح

اعتناؤه بأضرحة الصالحين

كان سيدى مسعود من جيل غلب عليه التصوف ومحاسبة النفس والاهتمام بالناحية الروحية اهتماما كبيرا . فكانوا يكبرون كل من يعلمون عنه أنه ذو روح من السلف الصالح فكان للمشاهد ولزيارتها ولتأثر خطة أصحابها عندهم من العناية العظمى مايتقربون به الى الله والنفوس اذذاك لا تزال صافية من ادران هذه المدنية الغربية المادية التي تحمل في طياتها الاهتمام العظيم بالشهوة البدنية . حتى لاحظ للارواح فيها . أفلا يكون سيدى مسعود الذى علمنا من اخلاقه انزواء عن غير تلاميذه . الا من الذين جلوا في هذا الميدان . فلذلك كان يتعهد كثيرا من اضرحة (جزولة) فينتابها بالزيارة ، ويشد اليها الرحال ـ رغم الحديث الذى اتفق المسلمون على تركه فكانت السيدة (تعزى) السملالية (والحاج يعزى) السملالى . وسيدى (احمد البعقيلي) وسيدى (احمد بن موسى) وأمثالهم مما يالفهم الاستاذ ويحبب اليه أن تستمتع روحه بمناجاة أرواحهم . ثم أورث ذلك اولاده ولايزال من يرتسم خطاه منهم مواظبا على ذلك الى الان

تقدمه في الطريقة الناصرية

نعلم كما يعلم كل من له المام بالطريقة الناصرية منذ نشاتها انها بنت العلم وأخت العلم . لاتحيا الا بالعلم . ولاتموت الا يوم ينقطع عنها العلم فلا عجب اذن . ان رأينا من الاستاذ سيدى مسعود ما راينا فانه ناصرى الطريقة أشرب حبها. فلذلك كان في عصره كمايكون كل رؤساء هذه الطريقة في عصورهم كاحمد الصوابى . وأحمد العباسي والحضيكي والتاساكاتي . ومحمد بن علي الهوزالى . وابرهيم الظريفي الصوابي ومحمد ـ فتحا ـ بن يحيا الازاريفي وابرهيم بن محمد الولياضي واحمد التيمكيدشتي . وولده الحسن . والعربي الادوزى . وسعيد الشريف الكثيرى . وعشرات أمثالهم من اساطين العلم والارشاد من السوسيين الناصريين علما وطريقة

لم نكن نعرف من كان شيخه في هذه الطريقة . وان كنا نحسب ان شيخيه العربي الادوزى والشيخ احمد التيمكيدشتي لايمكن أن يفلتهما مثل سيدى مسعود . وهما ماهما اذذاك في رياسة هذه الطريقة . غير أننا لم

نتحقق الا أنه أخذ الاذن فى التعليم وارشاد الناس عن الشيخ سيدى الحسن التيمكيدشتي
وهاك ما كتبه له ننقله عن أصله مباشرة • بخط سيدى الحسن وطابعه وهو:

(أذنا لحامله الفقيه النبيه ، العلامة النزيه سيدى مسعود المعدرى فى جميع ما اذنت فيه السنة المطهرة حركات وسكنات • واذنا له فى التعليم والارشاد واصلاح ذات البين ووعظ المسلمين ودعائهم الى القيام بواجب أمور الديانات) (الى ءاخر ماتقدم قريبا)

ثم ان سيدى مسعودا قام فى هذا المنصب خير قيام • فكان حاله اوعظ الناس من مقاله • لانه صموت • قلما يألف ان يحرك لسانه فى المحادثة بين الناس وكان وعظه لذلك تحفه الوجازة من كل ناحية • وكان له أصحاب كثيرون جدا فى (أزغار) يقتدون به ويعتقدون فيه ما يعتقده الحسنوا النيات الطيبو المقاصد فى الصالحين

وكان هو معذلك بسيطا ساذجا فى كل أموره • لايتظاهر بصلاح • ولا يتلفظ بما يتلفظ به من كانوا فى مثل منصبه • الا أنه مجد فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم • خصوصا بين العشاءين فى ليالى الجمعات • وقبل طلوع الشمس فى أصبحتها • يجمع لذلك الناس العامة ، والطلبة • بل يحث تلاميذه على ذلك

وهذه عادة كادت تكون عامة فى المدارس والمساجد السوسية اذذاك وقد كان أستاذنا سيدىعبد الله بنمحمد الالغى يفعلهذا بين العشاءين عشية كل خميس بنا ونحن نأخذ عنه فى المدرسة (الايغشانية) سنوات ١٣٣٠ ه

ومن عادة سيدى مسعود بين العشاءين دائما فى الوقت الذى لا يفارق فيه مصلى المدرسة أن يخرج مع ثلة من الطلبة اللطف الصغير ثم يتناول (دليل الخيرات) فيقرأ ثلثه الى العشاء • والطلبة اثناء ذلك يطالعون فى الناحية الاخرى فى المصلى انصبتهم للغد • وتلك عادته لايتخلف عنها دائما • كماهى عادة كل الطلبة فى المدارس اذيطالعون لدروس الغد جماعات جماعات كل طبقة على حدة ويتناوبون على المطالعة وعلى ما يستصبحون به •

وكان مع ورعه لايتظاهر الا بأنه مكب على ماينافى مايسميه الناس زهدا كما يألفونه من كل من يعتقدون فيهم الصلاح من أمثاله ثم أنه لم يعهد منه مع رفعه للراية الناصرية ـ وكان من دعاتها ـ انبسط لسانه فى غيرها منالطرق فقد كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى جاره جدار الجدار • وهو رافع للراية الدرقاوية الحديثة العهد اذذاك وقد سئل يوما عن هؤلاء الدرقاويين جيرانه فلم يزد على ان قال : انني لااعرف عنهم الا مايرى منهم • فلم يعهد قط منه

من اطلاق اللسان مايعهد من مثل الاستاذ سيدى محمد بن العربى الادوزى وأمثاله من انتقاد هذه الطريقة • ومن الدعاية ضدها بل كانت قرينته هي أول من اخذ عن الشيخ سيدى سعيد ـ كما ذكرناه فى ترجمته فلم يهزه ذلك • ولالفت نظره قط • ولا تحول عما عهد منه من الانزواء والاشتغال بخويصة نفسه كأنه ليس من الرؤساء الطرقيين فى شيء • وقد سئل مرة عن الدرقاويين جيرانه فلم يزد على ان قال للسائل لأدرى من أعمالهم الامايدريه منهم كل احد ثم لم يزل ذلك حاله فى الذين يعتنقون الاحمدية وغيرها • الى ان توفى مع أننا رأينا من أشياخه سيدى العربى الادوزى وسيدى الحسن التيمكيدشتى ونظرائهما مقاومة شديدة للاحمدية باللسان وبالقلم فرضى الله عن الجميع

قيامه على شؤونه

رأى القارىء من بعض ثنايا العبارات المتقدمة ان لهمة الاستاذ من بين وجهاتها تحديقا دائما الى ادارة شؤونه الخاصة • فلم يكن ذلك فارطا من اليراع • بل كان للاستاذ فى القيام بشؤونه وتنمية أمواله اكباب لاينقص عن اكبابه على بث المعارف فقد نشأ مقلا من دار أهله بـ (تيمجاض) بقبيلة (أيت برايبيم) ثم لما كان يشارط صار يقتصد ويؤسس لماليته • فكان ذلك هو الداعي حتى بنى داره بـ (المعدر) لان هناك بعض املاك أهله قبله • فكان يقتني الاملاك فى (تيمجاض) من (ايت برايبيم) وفى (المعدر) وما اليه كـ «ماسة» فاثل كثيرا فى مسقط راسه وفى (بونعمان) وفى (تيكمى الجديد) بـ (ماسة) وكان يؤدى لذلك حقه كما ينبغى فيدافع من تحدثه نفسه بالتعدى عليه • وقد تنازع مدة مع الفقيه سيدى محمد ايحيصر • فقال سيدى عبد العزيز الادوزى لمحمد هذا : اجتهد ودافع عن نفسك • فان هؤلاء الصالحين امثال سيدى مسعود يصعب دفعهم عن شيء يهتمون بتحصيله • وذلك هو حال سيدى مسعود • كما كان يحاول ان ينتزع ممن ظهر له أن عنده له او لاحد ءابائه ملكا تحت يده • فهذا هو السبب حتى تحاكم مرة مع سملالى ـ كما احجو ـ الى الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الالغى ففصل بينهما حاكما لسيدى مسعود على غريمه • وبذلك صحت المودة بين الاستاذين فكان ذلك احد الاسباب فى تأسيس المدرسة (الالغية) بحثه المستمر لابن عبد الله كما يحثه أيضا الاستاذ محمد بن العربى الادوزى على ذلك • فكانت المنفعة العامة والمنفعة الخاصة مزدوجتين فى التعارف بين اساتذة ذلك الجيل • وكذلك كان للشيخ الالغى اتصال كبير بسيدى مسعود تعارفا فى (المعدر) فلما نبه امر الشيخ الالغى صار يطرقه فى داره بـ (المعدر) فى جولاته • وفى المدرسة البونعمانية على عادته فى الاتصال التام مع علماء عصره • وقد ذكر لى انسان ثقة أنه كان مرة مع الشيخ • فمرا بالاستاذ فى المدرسة (البونعمانية) فأمره الشيخ

بالذهاب معه الى مدرسة (سيدى بوعبدلى) فتصاحبا • قال الحاكى فقال لـه الشيخ أثناء الحديث الى متى انت مهتبل باملاك (ماسة) الم يان لك ان تعتنى باستكثار شراء الكتب لاولادك • قال الحاكى ، فلم يزد سيدى مسعود عـلى ان تبسم من غير أن يجيبـه بشىء وحدثنى ءاخر أنه حضر لسيدى مسعـود وهو يقول للشيخ ان الله اعطاك ماانفردت به من العلم ومن الهمة والاقبال التام على منفعة العباد • فلو انقطعت لبث العلم فى احدى المدارس لكان الانتفاع بك أكثر من انتفاع الناس بأمثالنا • فقال له الشيخ ان لكل وجهة خاصة • ووجهتنا نحن الى ان نغرس فى القلوب ماهو لب العلوم من اخلاص العبوديـة لله وحده مع تحصيل مالابد منه مما لايعبد الله الا به

ورأيت بخط الاستاذ فى حاشية كتاب مانصه رأيت فى المنام أن الشيخ سيدى أحمد بن موسى جمع الى ثوبه بعد بسطه • كأنه أراد بذلك الى عطية• ثم بعد ذلك هممت وتفكرت • هل افعل دائما الاتاى • وقلت فى نفسى : كثر ذلك على • أين أجد السكر فى كل يوم • فقمت فرأيت كان الشيخ سيـدى احمد بن موسى قال لى خذ المقراج • أوقال لى ادفعه • والحاصل أنه ذكره لى• وسمعته منه فى المنام

من أمثال هذه المنامات التى يهتم المترجم حتى فيها بالاقتصاديـات • تدرك ما يحوم حوله كلامنا فى هذا الفصل

ومما يتعلق بهذا ان أبنا للقائد الاكلويى كان فى (بونعمان) فكان يعلن شرب الاتاى • فأمره الاستاذ باخفاء ذلك قائلا له • ان أضيافى لايشربونـه ومتى رأوه عندك يظنون اننى قصرت فى حقهم

فى حضرة المولى الحسن السلطان

نزل المولى الحسن حوالى (تزنيت) سنة ١٢٩٩ هـ فأهرع اليه جميـع الطبقات من الناس • فكان الاساتذة يردون عليه مع تلاميذهم • فكأن سيدى مسعود فى مقدمة الواردين فقد قدم تلاميذه وهم جيش جرار • فاصطفوا فى معسكر السلطان معلنين الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم • على عادة الناصريين فى امثال تلك المواقف • فقوبلوا كما يقابل غيرهم • وما كـانـوا ليتطلبوا من السلطان متقبلة • خصوصا من مثل المولى الحسن الذى كان اذذاك بملاطفته يملك القلوب غير أن السلطان يصدر الجميع بالدعوات والصلات معا • ولم اتحقق كثيرا كيف كانت ملاقاته معه • وانما مربى مأذكرته هكذا اجمالا

في مدرسة سيدي مزال ثانيا

في سنة : ١٣٠٩هـ كان شنآن بين (أيت برابيم) فجرى الاستاذ مع كل طلبته وغيرهم في الاصلاح بينهم • حتى التأم الفتق فاذا بفريق غدر • فاجفل الاستاذ من (بونعمان) مستخلفا ولده محمدا • فذهب بخمسة وعشرين تلميذا الى (سيدى مزال) حيث بقي سنة اوفوق ذلك بقليل • ولكن لم يتسلم ابنه المدرسة نهائيا الا في رمضان ١٣١٠ هـ

في مدرسة المعدر

نبغ الاستاذ محمد في مجلس والده سيدي مسعود • كمانبغ من اقرانه كثيرون وكان له عند والده في سويداء قلبه مايكون لابر الابناء من ابر الاباء فبعد أن استتم الدراسة وظهرت مهارته قبل ١٣٠٩هـ رأى الاستاذ من المصلحة ان يقدمه الى الميدان • ليستغل شبيبته ولما كانت المدرسة (البونعمانية) مكتظة اذذاك بالنجباء أراد أن يبقيه بينهم استاذا مستقلا بعد ماكان كخلف له • ليزداد بمحاككتهم • وكلهم من أقرانه الذين لايكبرونه مالم يكن يكبرهم بمعلوماته وتحقيقاته وتدقيقاته• فاستقر هو في مسجد (المعدر) ولم يكن فيه اذذاك الا قراءة القرآن • ولم يعتد فيه درس المعارف الاقليلا • فلم يكد يستقر فيه أواخر سنة ١٣١٠ هـ حتى صار يوسس للطلبة الذين يلتفون حوله من جديد مايكنهم • حتى تكونت مدرسة كبيرة • فلم يمض الا قليل حتى ازدحمت مدرسة (المعدر) أيضا بالتلاميذ • وتتابعت الدروس في الفنون فيها • فكأن للمعدريين في سيدي مسعود اعتقاد كبير • وفي اسمارهم عنه خوارق يتناقلونها بسند صحيح • وقد أقر اعينهم بعمارة مسجدهم بالعلوم • وقد كان للمعدريين اذذاك شأن عجيب في الاهتمام بالدين • حتى ان مصلى مسجدهم على اتساعه لتمتلىء كل صفوفه في العشاء والصبح • بله غيرهما من الصلوات النهارية وكانوا أحب الناس للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم • تتقدم منهم وقت الصلوات الخمس بساعات • وقد ادركنا منهم بعض ذلك فلذلك لايقدر مقدار فرحهم حين وجدوا من سيدي مسعود من كان له مثل شغفهم • فكان امامهم الراتب وخطيب جمعتهم • ومدرس مدرستهم • ومرشد جاهلهم • فأية نعمة مثل هذه يتطلبونها بعد

وثيقة تبين أوقات تنقلاته في المدارس

ظفرت بعد ان كتبت كل ماتقدم على ماكتبه بخط يده • بين فيه أوقات تنقلاته بين مدارس (سيدى مزال) و (المعدر) وهذا نصها :

«وبعد فليعلم الواقف على هذا الرسم انى دخلت مدرسة ولى الله سيدى مزال بن هارون بالشرط عام : ١٢٧٩هـ ثم بعد تمام العام انتقلت منها الى مدرسة ابى (١) النعمان فى بلدة البرايييين عام ١٢٨٠هـ ومكثت فيها ثلاثين سنة • ثم رجعت الى مدرسة السيد مزال نفعنا الله به • وتركت ابنى محمدا فى مدرسة ابى النعمان • ودخل بالشرط فيها • ثم بعد كمال العام فى مدرسة سيدى مزال انتقلت الى مسجد المعدر عام : ١٣١٠هـ ودخل ابنى احمد بن مسعود الطالبى السملالى ثم المعدرى دارا مدرسة القطب سيدى أحمد بن موسى السملالى بتازاروالت بالشرط عام ١٣١٦هـ فى شهر جمادى الثانية • تقبل الله عملنا وعملهم • وجعله سعيا مشكورا مقبولا • وعملا لاينقطع بالموت الى يوم القيامة وأربحنا ورزقنا بركة هذه المساجد•»

هذه هى الوثيقة • وينبغى أن يعتمد عليها لانها مكتوبة أخير عمر الاستاذ ولعل ماكان تقدم لنا مما وجد بخطه • لايخالف بعض هذا

في أيام الحاحيين

حلت سنة : ١٣١٤هـ وسوس تأخذه رجفة شديدة مما يتحدث به الناس من اقبال الحاحيين بزحف عظيم عن اذن الحكومة • وماكانوا يجهلون ان الملاطفة التى يجدونها من المولى الحسن فى سنة ١٢٩٩هـ وفى سنة ١٣٠٣ هـ لايجدونها فى القواد الحاحيين الذين سيجعلون نصب أعينهم فرض المغارم ومصادرة الاموال بحق وبغير حق • وقد عرف السوسيون من هم هولاء من عهد القائد عبد الملك بن بيهى سنوات ١٢١٧هـ ثم عهد ولده القائد الحاج عبلا سنوات ١٢٧٩ هـ

لذلك بادر سيدى مسعود قبل وصول الحاحيين • متطلبا من الرئيس سيدى محمد بن الحسين التازروالتى التحرير من كل الوظائف المخزنية • وكانت له يد على المعدريين • واحسب أنه كتب له مايأتى حين نزل هناك فى (تنوبوزار) ونص ذلك بعد الحمدلة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

«يتعرف منه أن الشريف الابر سيدنا ومولانا محمد بن الحسين بن هاشم الايليغى • وجميع أعيان قبيلة ءال المعدر كلها خاصة وعامة • حرروا شيخنا وقدوتنا العالم العلامة • والدراكة الفهامة • سيدى مسعود بن محمد السملالى الطالبى وأسقطوا عنه الكلف المخزنية • ووظائف القبيلة • وأسدلوا عليه جلابيب التوقير والتعظيم وحملوه على كاهل المبرة والتكريم • لعلمه وتعليمه وورعه • حسبما اقتضاه وصفه بالخصال الحميدة • والسيرة الحسنة • وكتبه

---

١) هكذا بخطه نعمان كما عندنا ابن خلدون والله أعلم أيهما الصواب• على أن أبا نعمان أقرب الى مايجرى على الالسنة (بونعمان)

بوسم التحرير عن اشهاد المذكورين بالسابع من ذى الحجة الحرام عـــام ١٣١٤ھ عبد ربه : احمد بن محمد بن محمد ـ فتحا ـ الخياطى العينى ٠ لطف الله به ءامين ٠ وعبيد ربه احمد بن الحاج على امنه الله٠»

كان هذا التحرير نافعا لسيدى مسعود لانه بمجرد مااستقر الحاحيون بـ (تزنيت) بعد قليل أصدروا له ما ياتى

«كافة قبيلة ءال المعدر وفقكم الله ٠ وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله ٠

وبعد : فان الفقيه العلامة النحرير الفهامة المدرس الاديب الاريب سيدى مسعودا محرر من جميع الكلف المخزنية ٠ والوظائف السلطانية ٠ ومن ترامى عليه بشيء فلا يلومن الا نفسه ٠ والسلام ٠ فى فاتح صفر الخير عام ١٣١٥ھ» وتحت ذلك طابع لم اهتد الى مافيه صراحة

ثم تبع ذلك ما ياتى :

«أخواننا ءال المعدر قاطبة ٠ حفظكم وراعكم (كذا) وسلام الله البر الرحيم عليكم ٠ ورحمة الله تعالى وبركاته ٠ عن خير مولانا نصره الله

وبعد فحامله الفقيه البركة السيد مسعود بن محمد المـلازم مسجدكـم حررناه فى جميع الوظائف المخزنية ٠ ووظائف القبيلة ٠ بحث الا (كذا) يطلب بجل ولابقل منها ٠ فمن دنا اليه يطلبه بها ٠ فالله يسخط عليه دنيأ واخرى وان أوصله الينا شاكيا به يذق وبال امره ٠ ونكال صنعه ٠ وقرنأه فى ذلك لاحظين به وجه الله العظيم ٠ وما هو ديدنه من تعليم العلم ٠ وبه كتب اليكم فى ٢ من صفر عام ١٣١٥ ھ والسلام خليفة القائد سعيد الكلولى الحاج احمد ابن محمد ٠ الله وليهما»

ثم تلا ذلك مایاتی :

«وبعد : فبحول الله وقوته ٠ ووجود سيدنا أيده الله ونصره ٠ أسدلنا على الفقيه العلامة البركة ٠ السيد مسعود بن محمد ابراييم (الابراييمى)ألسملالى الطالبى اردية التوقير والتعظيم والاجلال ٠ وحملناه على كاهل المبرةوالاحترام وأمرنا من سكن بينهم من القبائل فى المحل المذكور وغيره ٠ حيث يرى النزول بتعظيمه وتوقيره وتحريره والقيام بحقوقه ٠ والنظر فيه بعين الرضا بحيث لايسام بمكروه ٠ ولاينهضم له جانب ٠ ولا من انحاش اليه ٠ فلا تخرقعليه عادة ٠ ولاتجرى عليه كلفة بوجوه (كذا) من الوجوه ٠ بل يبقى على عادتهالاولى ويتصل بحاله المعلوم مراعاة لخيرته ومروءته ٠ ولزومه دين الله ٠ والمناصحة لعباده ٠ وتعليم الجاهل منهم ٠ وترشيد الضال منهم ٠ وحتى مـن تمـسك وتشبث بأذياله يأمن ويعظم ٠ فعلى هذا نامر اخوانه وجميع من نزل بلاده على الاطلاق ٠ فلا يعد بتكليف ولايحسب بما تحت يده مـن الماشية وغيرها مـن

التمولات على القاعدة التى يجرى عليها عمل القبائل عند التكاليف • فالله يكثر أمثاله فى الاسلام • والسلام • فى ١٧ من ربيع الاول عام ١٣١٥ هـ وتحته طابع فيه : خديم المقام العالى بالله : سعيد بن احمد الكلولى وفقه الله •»

ثم تلا ذلك ماياتى

«كافة قبيلة أهل المعدر خصوصا وعامة • وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته • عن خير مولانا نصره الله

وبعد فان الفقيه ، العلامة المدرس الفهامة • شيخ الجماعة فى سوس الاقصى ونواحيها • ومن أفضلهم علما وعملا ودينا وصلاحا • ونجاحا فى أمور الدنيا والاخرة وانتم تترامون عليه وتسومونه بما تسام عامتكم • وعليه بوصوله اليكم كفوا أيديكم عليه • وقصروا من اذايته • لئلا تكون سبيلا وسببا لهلاككم • فانه محرر موقر معظم لاجل ملازمته لتدريس العلم • ونشره فى هذا العالم المبارك (كذا) والسلام فى ٨ ذى القعدة الحرام عام ١٣١٥ وتحت ذلك طابع الغالب أنه للحاج أحمد الكلولى رئيس الجيوش الحاحية تحت يد عمه القائد سعيد والطابع لايقرأ غالبه»

ثم يلى ذلك ماياتى

«اخواننا كافة قبيل ءال المعدر • وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله

وبعد : فقد قدمنا لكم الاعلام بتوقير الفقيه الارضى السيد مسعود • وتحريره من جميع الوظائف • فاذا بكم لم تبالوا • وعليه بوصوله اليكم كفوا عنه • ولاتطلبوه بقليل ولابكثير • فانه ان عاد للشكوة (كذا) علينا بكم • فلا تلوموا الا أنفسكم وقد حررناه من جميع الوظائف • والسلام • فى ٩ قعدة الحرام ١٣١٥ هـ»

وتحت ذلك طابع القائد سعيد المتقدم

تلك هى المرسومات التى ظفرنا بها انفسها • فيما يتعلق بسيدى مسعود تحرره من جهنم التى كان الناس اذذاك يتقلون فيها • وقد وصفوه فيها بما يستحقه • وأهل حاحة المخزنيون ـ خصوصا الكلوليين ـ معروفون باحترام العلم وأهله • وقد حرروا غالب العلماء والزوايا اذذاك • وقد تقدم فى ترجمة الجد عبدالله بن سعيد مع ترجمة الاستاذ على بن عبد الله ماكانوا حرروا به أيضا قبيلتنا ءال عبد الله بن سعيد

ثم ان سيدى مسعودا لم يقف عند تحريرهم فقط • بل امدوه باعشار بعض القبائل • احسبها : تاكنسا فحازها • وكذلك كان يصل ءال انفلوس الذين خلفوا الكلوليين فى تزنيت قبل ان يتوفى

وقد كان نزل فى تزنيت على احد تلاميذه الكرماء • فالبسه لبسة حسنة

مرموقة فوجد بركتها عند هولاء • وأما لوكاندخل عليهم بهياته الزرية المعتادة فليسوا بآبهين له • وقد كان مالك امر بتحسين الثياب • كما فى الابيات المشهورة التى أولها

حسن ثيابك ما استطعت فانها زين الرجال بها تعز وتكرم

فى مدرسة سيدي مزال ثالثا

عهدنا بالاستاذ يبدىء ويعيد فى مدرسة (المعدر) التى أسسها وقد رأيت ذكر مسجد المعدر فى تلك التحريرات • ولم يكن مقامه مسفا عند ءال المعدر كما يتراءى فى الذى مضى من التحريرات الاخيرة • وانما يصيبه ذلك ممن يتولى رياستهم ولاشك ان المتولين للرياسة فى مثل تلك الاحوال أهل نهم ووقاحة • لايرتدون الابالشكائم • ولذلك ارتدوا مرغمين بالكلام الرسمى كما قرأت • ويدخل هذه المدرسة فى سنة ١٣١٧هـ كما يظهر

أتم سيدى أحمد ولد الاستاذ دراسته اذذاك وقد شارط حينا فى (ميرغت) وفى المدرسة (التازاروالتية) كما سمعت فأراد والده أن يرشحه للتدريس فى مكانه بـ المعدر كما فعله بصنوه فى (بونعمان) فلذلك أخلى له الموضع • فانتقل هو الى المدرسة (المزالية) فتلقته بكلتا يديها • فألقى فيها جرانه • وهو هو لم يفارق بث العلم ولاخلف وراءه جماعة من الطلبة لابنائه حتى تحلق حوله اخرى يتمشى بها فى المنهاج الذى يألف ان ينهجه دائما لتلاميذه • وأخلاقه اليوم فى المشيب • هى أخلاقه يوم كان غصنه رطبا

أخلاقه ونتف من أخباره الاخرى

كان سيدى مسعود من الوجهة الدراسية على مابيناه اتم بيان فانه لايعرف الفتور • ولايتسرب اليه ملل ولايحوم حوله ضجر حتى كان يضرب به المثل وأما من وجهة تاثيل الاملاك • فانه اخذ بذلك بالاثر (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا • واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا) وبالاثر الاخر (ليس خيركم من ترك دنياه لاخرته •ولا آخرته لدنياه بل من أخذ من هذه وهذه)

كان يعتنى من ذلك بما تنكف به همته عن التطلع الى ميادين النوازل كما يرى من كثيرين من معاصريه كيف أداهم الاقلال حتى نزلوا فجالوا فى تلك الميادين من غير شمم علمى وأما من وجهة دينه وورعه فانه الرجل المخلص الذى يخفى من عمله ومن اخلاصه ومن ورعه ما امكن له الاخفاء وقد رأيت من أحواله ما رأيت مع أن كثيرين يشيرون اليه بالخوارق كما حدث أناس متثبتون أنهم رأوه فى (المعدر) مع أنه فى (بونعمان) وبالعكس وأنه فارق (بونعمان) بعد العصر ثم كان قبل الطفل (١) فى (المعدر) وكان يأنف

١) الطفل كقمر ميل الشمس الى الاصفرار

من ذكر ذلك عنه حتى ان تلميذا من تلاميذه أدرك منه ذلك فلم يكتمه فأمره بالخروج من المدرسة ولو وقع ذلك لغيره لسرب الى من يذكره عنه مايحمله على ان يزيد فى الطين بلة • ومجمل القول فى سيدى مسعود من هذه الناحية أنه ليس بمغتر • وأنه يدرك أن ذلك الخرق للعادة لايزيده عند الله قلامة ظفر بل مثله يخاف أن يكون ذلك استدراجا وتلاعبا من الشيطان الذى يوحى الى أوليائه • ويسرب اليهم الغيب ويخرق بهم العوائد • ويطوى بهم المسافات ومن هنا قدرنا قدر سيدى مسعود الذى رأيناه لايلفت ذلك منه طرفا • ولايشغل منه ولوطرف بال ولا أدل على ذلك من أنه لايتظاهر بصلاح • بل يتظاهر بطمع كما رأيت • مع القائه ظهريا كل بلهنية عيش (١) ورفاهية مطعم أو ملبس • فقد بات عنده يوما بعض أصحابه وهو الشيخ الالغى • فمضى معه من مسجد (المعدر) بعد صلاة العشاء • فجلس معه فى ظلمة ولم يتيسر القنديل • فأتى اليه بخبزة وبزير زيت (٢) ولم تتيسر سكرجة ٣ فصارا يختلفان بأيديهما من منفتح الزير يغمس كل واحد منهما بالتناوب يده بالخبز فى الزيت من الزير • حتى أكلا بلا تصنع ثم كان مع ذلك لايعتنى بالركوب فى مسيره بل كان كثيرا مايمشى راجلا ثم لايبالى وكانت كسوته وسطا ككسوة أهل طبقته من غير أن يعتنى بما يقتضيه منصبه كعالم مدرس كبير القدر • شيخ جماعة كثيرة فى سوس • أو كصالح رئيس فى طريقة معتقد • بل كان يرمى كل ذلك وراءه • لابخلا ولاكزازة • بل انسياحا مع طبيعته الجبلية حتى أمور دنياه كان يزاولها كالعادة • فقد كان عنده راع لغنمه • ففقد منها واحدة ثم اخرى ثم اخرى • والراعى ينكر ان يعلم الى أين مضت • فداعاه الى رؤساء المعدر الذين يجلسون اذذاك عادة أمام المسجد • فلم يسمعوا لدعواه أولا حتى كرر الدعوى فقالوا للراعى ماكان الاستاذ ليظلمك ويتهمك بزور ولابد أن تغرم الشياه الثلاث فقال لهم سيدى مسعود يغرم الاولى بكذا والثانية بكذا والثالثة بكذا فاوت بينها فى الثمن • فأدى الراعى ذلك مرغما • ثم أقر بعد ذلك ان الاستاذ صدق فيما جعله ثمنا لكل واحدة • فقد بعتها بأثمان متفاوتة وفق ماقال الاستاذ • وتعجب من صدقه •

قد اختار الله له • فاقترن بزوجة صالحة أنجبت له أولادا بررة • وهى عائشة بنت صالح من آل اوبيجو البعقيليين • وأمها تعزى بنت عبد العزيز

---

١) بلهنية عيش بضم الباء وفتح اللام وسكون الهاء ثم كسر النون اى رخاؤه
٢) الزير اناء قائم ضيق الفم
٣) اسكرجة بضم السين المشددة وضم الكاف وضم الراء المشددة أيضا والجيم المفتوحة : هى الزلفة (بالتحريك)

الاغرابونية وناهيك بتعزى ذات المناقب المشهورة توفيت ١٢٨٨ هـ فكانت عائشة خير قرينة لمثل سيدى مسعود • وهى صالحة ذات شأن لها قصة مع شيخها سيدى سعيد المعدرى ـ وقد ذكر ذلك فى ترجمة سيدى سعيد فى القسم (الثالث) ـ ثم كانت أحوالها كلها غريبة عجيبة حتى توفيتفى عصر زوجها • فكان الشيخ الالغى لقدرها عارفا ولشأنها مكبرا فأراد أن يخلد مقامها بين الناس فوقف مرة فى مسجد (المعدر) وقد ازدحم بأهل المعدر • وكانوا كلهم معتقدين للسيدة عائشة • فندبهم الى اقامة مشهد عليها اعتناء بها فلم يفترقوا حتى هيأوا كلمااحتاجوا اليه ثم بعد أن ساروا فى ذلك ما شاء الله جاءهم عارض عاقهم عن الاتمام الى أن عاد الشيخ • فندبهم فى فرصة اخرى فأتموها فالشيخ هو الذى اعتنى باشادة الضريح على السيدة كما ترى • وهو ممن يخالف قرينه الشيخ التاموديزتى فى شأن تشييد الاضرحة وتجصيصها • وهو فى ذلك عارف مايصنع وان كان أصحاب الاثر من شيعة التاموديزتى • فرحم الله الجميع

فقد حكى سيدى أحمد بن مسعود أنه كان مرة معالشيخ فى قبة تلك السيدة • فأخذ بيده حجرا أملس يحك به الجص على القبر • وهو يقول يقولون أن الجص يحول بين الانسان الميت وبين أن يسمع غير أن الرجال لايحول مثل ذلك بينهم وبين أى شىء • كأن الشيخ يردبذلك على التاموديزتى فرضى الله عن الجميع • فهذا هو سبب اقامة القبة على السيدة لامايزعمه المورخ الرفاكى كما سنراه قريبا

ومما وجد بخط سيدى مسعود

«وفى الليلة الثامنة بعد صلاة العشاء • من شهر الله ذى القعدة الحرام عام ١٣٠٦هـ توفيت زوجى المرابطة عائشة بنت سيدى صالح بن عبد الله أوبيجو • منأعلى الاسفل البعقيلى • قدس الله روحها فى أعلى الجنة • وأسكنها فى الفردوس • وأعظم الله اجرنا فى موتها • وبارك لنا فيما بقى بعدها • وحشرنا معها فى زمرة النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين • وتركت زوجها الكاتب وأولادها الثلاثة محمدا وشقيقه أحمد وشقيقتهما عائشة بنت مسعود لطف الله بها ءامين

ثم ذكر بعد ذلك عن عائشة بنت الحاج محمد بن عبدالكريم الرسموكية الصالحة مايدل على ان لتلك المتوفاة مقام صدق وشفاعة لمن دخل دارها أو أكل طعامها • أو زار قبرها • ثم ذكر أن أحمد بنأحمد المعدرى رأىالنبى النبى صلى الله عليه وسلم مناما فقال له صدق الفقيرة عائشة الرسموكية فى كل ما تنبئك عنه وأخبر أحمد المذكور أيضا أن سرها بعد موتها •

أعظم من سرها في حياتها انتهى

والمقصود ان يدرك القارىء مكانة هذه السيدة بين رجالات الارواح وانى يدرك من يشتغل بالماديات مثل هذا بل بعده من السفاسف

واذا لم تر الهلال فسلم لاناس رأوه بالابصار

وهذه السيدة هى ام العلامتين محمد واحمد الاتيين ابنى الاستاذ سيدى مسعود • وليست هذه بالوحيدة عند الاستاذ بل كانت له جرارية اخرى أم الاديبين الطاهر وابرهيم وأشقائهما وأخرى غيرهما وكان سيدى مسعود لينا هينا يراعى خواطر أهله فى المباحات • وكان حين تزوج الجرارية يسرب اليها النساء يلاعبنها • ويرقصن أمامها اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم • حين يسرب الجوارى من بنات الانصار لعائشة وهى صبية صغيرة • وذلك مايدل على شفوف أخلاق الاستاذ • وعلى أنه ليس بمتجهم قاسى الطبع كما ينتظر من امثاله •

كان رحمه الله من القناعة فى مكانة سامية • أجلى مظاهرها قناعته بما تيسر من أملاكه ومن اجرة مشارطاته • وكان يدور على قبيلة (أيت برابيم) فيأخذ ما تيسر • ويذر غير ذلك من غير الحاح ولامعاودة ولم يعهد منه أنه الزم احدهم أن يؤدى ماعليه من اجرة المشارطة • مع أنه أمضى هناك نحو ٣٥ سنة • كأنه يرى أن المشارطة مبنية على المكارمة بخلاف مال الانسان الخاص • فان له أن يدافع عنه • (ومن قتل دون ماله فهو شهيد) كما كان أيضا أجلى مظاهر قناعته زهده من مناصب القضاء والفقهاء حواليه يأخذون ما آت فى كل نازلة من وراء ذلك • ولذلك سلم عرضه • وأمن من كل مالايامن منه الفقهاء المحتوشون •

جاء مرة مع ابنيه محمد واحمد من (بونعمان) الى (المعدر) فوصلوا البسيط حوالى (تزنيت) فذكر له أحدهما وقد أقبل الليل ان هذا البسيط مخوف • فقال لهما ناما ملء جفونكما فاننى ما خططت حرفا على أحد فأخاف أن يفتك بى فاتك • وهناك محمد بن أحمد الايديكلي يقول : انما تركت فصل النوازل بين الناس لانام حيث اريد ـ أو كما قال ـ

سافر مع تلميذه الفقيه سيدى الحسين البولوقتى الى موسم سيدى أحمد بن موسى مرة • فجلسا للاكل • فلت الاستاذ سويقا فتناولاه بالخبز فأفلت الضحك من سيدى الحسين تعجبا من مأكولهما فقال له الاستاذ أوليس هذا هو أولى من مآكل قاض متوسع يعنى لايخشى الله فيحتوش ويترفه

وحكى حاك أنه رأى مرة الاستاذ فى قرية (عين ابرهيم بن صالح)

وهو لابس قميص صوف وبردا خلقين • حتى ان أهداب البرد قد تمزقت من أطرافه ورأسه حاسر بلاعمامة وهو أصلع الاشعرا قليلا فوق قفاه • ومعه أتان يركبها • قال هو كذلك مع ان هيبته عظيمة فى العيون

كان لايتكلف فى غير أموره حتى فى مباحثه • ولذلك كان عجبا عند عارفيه اذ رأوا من ولده محمد ما رأوا • فقالوا من أين هذه الشنشنة للولد مع ان الوالد لانعرف منه فيها ولو طرفا ولهذه الحالة تأثير فى غالب من أخذوا عنه • فلم يمهروا فى فن المناظرة الا قليلين فانهم نبغوا من بين كثيرين من نجباء تلاميذهم وكان لايرى لنفسه مقاما ساميا فى الفهم • ويقول: انما نحن مدفوعون الى هذا الميدان حين كان شاغرا من مثل الفقيه سيدى أحمد أضارضور الاكرارى فانه هو الاولى لو تصدر للتعليم ولكن التوفيق من الله • ثم لاأحب من القارىء ان يحمل ماقلته هنا وماقاله الاستاذ عن نفسه على القصور الكثير فكلا وألف كلا • فان الاستاذ والكثيرين من تلاميذه قد نالوا منالا كبيرا • وبينهم متفوقون الى الغاية • وهذا مايقع من كل مدرس أياكان تفوقه • ثم حسب الاستاذ تفوقا أن نبغ من تحت ابطه ابنه محمد فان الشبل لايلده الا الاسد (وطيب الزهر من طيب الاصول)

وفاة الاستاذ

غادرنا سيدى مسعودا فى مدرسة (سيدى مزال بن هارون) وقد صار يؤسس أيضا هناك من الذين يحلقون حوله لحلبة اخرى يجربها فى الميدان العلمى ولكن لم يبطىء • فنشأ ماكان سببا لانقضاء أجله • وذلك أنه كان يضطجع فوق أعواد • فأفلت منها ليلة فتأثر جنبه • أو انكسرت ضلع من أضلاعه فسقط بذلك مريضا فتم الاجل وءان لتلك الشمس المشرقة فى سماء المعارف زمنا طويلا ان تميل بجانبها الى الغروب • ثم يتلقفها الوجوب وذلك يوم الاثنين ٢٢ ـ ٦ ـ ١٣١٩ هـ وولادته فى نحو ١٢٤٠هـ

رسائل منه وإليه

كتب الى الاستاذ الالغى محمد بن عبد الله

السلام والرحمة والبركة على الفقيه البركة • الميمون السكون والحركة سيدى محمد بن عبدالله الالغى • من ذرية الشيخ سيدى عبدالله بن سعيد •
وبعد فلابأس ولله الحمد وقد تيسرت الحاجة فخذها من الحامل واعذرنا فى حقك وحق ماتقوم به للعلم الشريف • فانه لايستحق اليوم الحق الاوفر الا أهل العلم وخصوصا أمثالكم القائمين بنشره نشر الله لكم

اليوم أفضل الجزاء دنيا وأخرى آمين (مسعود بن محمد البريبمى المعدرى)

وكتب الى الاستاذ على بن عبدالله يعزيه فى أخيه

الى من هو الينا ومنا روحا وشبحا سيدى على بن عبدالله الفقيه أخى الفقيه • فعظم الله أجرنا وأجركم فى صنوكم الذى لبى داعيه • بعدما أدى من الحق ماعليه • وأوصى أخى أن لايفارق منهجه • فنعم المنهج ماسلكه • فخيركم من تعلم القرآن وعلمه والمقصود بالقرءان كما ذكره العلماء كل مايفهم به القرءان من العلم وغيره • أنار الله البصيرة • وطيب السريرة • وأسلم على سيدى على بن أحمد • وأعزيه فى الاخ المذكور (مسعود بن محمد التمجاطى المعدرى)

وكتب الى سيدى محمد بن العربى الادوزى

الى ابن شيخنا سيدى محمد بن العلامة الفهامة سيدى العربى • السلام على الفقيه الاجل المرتضى المدرس الفهامة

وبعد فنحمد الله لك على هذه النعمة الجليلة التى هيأها الله لعباده فان المطر ينفع القلوب كما ينفع الارض ثم القصد ان تنظرلى من عندك شيئا من العنبر ان تيسر فاننى توقفت عليه لدواء • ازاح الله عنكم كل العلل • وأبعد عنكم فيما أنتم فى معاناته من التعليم الملل • نعم ادفعه للحامل ان كان راجعا • والا فانظر ثقة يوم السوق يوصله الى • حفظكم الله ووقاكم وأعاد علينا من بركتكم ءامين

مسعود البريبمى لطف الله به •

وكتب الى الفقيه سيدى أحمد بن على التزنيتى

من مسعود بن محمد الطالب • به لقب البرايبمى ثم المعدرى الى الاخ فى الله والاحب من أجله • الفقيه السيد أحمد بن على التزنيتى • السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى جميع من تعلق بكم

وبعد فالمراد منكم الدعاء لنا بالخير هذا فلاترد عقلك للشيطان من الانس من جهة ابنك محمد • وأما أنا فما عدمته عند القراءة ولا عند الصف ولاغيره • وأنبهه على جميع الطلبة • ومثل ذلك افعله بجميع الطلبة • وأدع لابنك بتوفيق الله وسنة نبيه الكريم وأجمعنا معه فى الدعاء لان دعاء الوالدين مستجاب والسلام على من اتبع الهدى

وكتب اليه سيدى محمد المدنى بن أحمد بن الحسين بن على الناصرى التانكرتى الافرانى مانصه

(الفقيه العلامة الصديق سيدى مسعود البرايبمى البونعماني • باهى الله به ونوه به وسلام عليه ولاباس • وسلم على النجباء البررة بنبيك • والبدور المشرقة طلبتك • والله الله فى قرة عين المصطفى فى احياء السنن دفعا للمحن واسداء المنن • وأجمع طلبتك لان يدعوا لى ولاولادى بما ادعو لكم به من العلم والعمل • والاخلاص فى الطاعة من غير علل • ومتى زرت الاخوان بـ (تيزْلْمي) فنحن من جملتهم فقد دعيت لحضرتنا • ليزداد بذلك ودنا • وتقر بملاقاتكم أعيننا ولاتقطع عنا الرسائل اذهى من أعظم الوسائل والسلام)

أوردنا هذه المكاتبات مع سذاجتها • لانها لاتخلو من فوائد تبين ماذكرناه عن صاحبها • لان للآثار نفسا من المؤثر كما لاتخلو من بعض افكاره نحـو العلم ومما يظهر منه اعتناؤه بتنبيه تلاميذه • فلئن لم يكن الاديب يجد بهذه الرسائل نماذج عليا فى الترسل فان للمورخ نظرة اخرى غير نظرته •

والكتاب ليس للادباء وحدهم • وقد ذكرنا هذا مرارا • فليعلم وليعذرنا المطالع الراقى الفكر • الضارب فى الاداب العليا بسهم مصيب

الآخذون عنـه

ان الاخذين عن الاستاذ سيدى مسعود المواظب على التدريس من نحو سنة ١٢٧٥ هـ الى سنة ١٣١٩ هـ اى زهاء ٤٥ سنة يكثرون جدا • وحين كنا لانذكر الا من لهم نجابة عرفوا بها بعد الاخذ • لابد أن لايتيسر لنا الاعشرات ثم لابد أن يغيب عنا ءاخرون ممن هم على شرطنا • ولكننا نأتى بمن اتصلت بنا أسماؤهم ثم نعذر فيما وراء ذلك

١ ـ ابنه محمد المعدرى
٢ ـ ابنه احمد المعدرى
٣ ـ محمد بن على المعدرى
٤ ـ محمد بن مبارك ايحيصْر المعدرى
٥ ـ ابرهيم كْزْور المعدرى
٦ ـ ابرهيم اولْقاسام المعدرى
٧ ـ أحمد بن مبارك الدشائرى المعدرى
٨ ـ محمد بن على الدشائرى المعدرى
٩ ـ الحسين بن بولوقت التزنيتى
١٠ ـ أحمد بن سعيد التزنيتى
١١ ـ على بن ابرهيم التازاروالتى ثم التنانى
١٢ ـ جامع بن محمد التازاروالتى ثم البوزاكارنى

١٣ ـ علي بن عثمان التازاروالتي
١٤ ـ أحمد الخياطي العيني التازاروالتي
١٥ ـ أبوبكر الايكيوازي الاقاوي
١٦ ـ عبد الله بن الحسين الاموكاديري
١٧ ـ عبدالله بن محمد الاموكاديري
١٨ ـ محمد بن عبد الرحمن الاكراري
١٩ ـ ابرهيم بن محمد الاكراري
٢٠ ـ أحمد بن عمر من زاوية (أكلو)
٢١ ـ عثمان الاكراري الاكلويي
٢٢ ـ عمر بن الحسن الدهوزي البراييمي ثم العوَيْني
٢٣ ـ الحسين من ءال بيهي التيزنيتي
٢٤ ـ محمد بن علي بن عبدالله المزواري الرسموكي ثم التناني
٢٥ ـ محمد بن عبدالله التافكاغتي الواعزوني التناني
٢٦ ـ الطاهر السملالي
٢٧ ـ اليزيد البلوشي الساحلي
٢٨ ـ أحمد بن الحسين التاغوسي البراييمي
٢٩ ـ أحمد أوركوك من (اكادير زكاغن) البراييمي
٣٠ ـ أحمد بوسكنسو بلدي المذكور قبله
٣١ ـ محمد بن عبدالله البوشيلي الايكالفني البراييمي
٣٢ ـ محمد بن عبدالله اللحياني الايكالفني البراييمي
٣٣ ـ الحسن بن محمد من (أكادير زكافن)
٣٤ ـ محمد بوعلال التابربقتي البراييمي
٣٥ ـ بلخير التيمجاضي البراييمي
٣٦ ـ مبارك بن همو التيمجاضي البراييمي
٣٧ ـ علي بن بيهي اليعيشي البراييمي
٣٨ ـ بلخير التيَاكي البراييمي
٣٩ ـ الطاهر بن بوجمعة من (اكادير أوفلا) البراييمي
٤٠ ـ عبدالله العيساوي البووالوسي البراييمي
٤١ ـ أحمد بن القائد يحيا البراييمي
٤٢ ـ الحسن بن محمد البونعماني العمري
٤٣ ـ علي بن محمد العمري البونعماني
٤٤ ـ أحمد بن محمد منهم
٤٥ ـ الحسن بن الحسين منهم
٤٦ ـ محمد البراييمي العمري منهم ثم التناني

٤٧ ـ حميد التيمجاضي البرايبمي
٤٨ ـ علي بن مسعود التيمجاضي البرايبمي
٤٩ ـ عبد الله السنطيلي نزيل (بووالوس)
٥٠ ـ محمد بن ابرهيم الاخصاصي التاجري
٥١ ـ عدي المجاطي العلوي
٥٢ ـ محمد البونيتي
٥٣ ـ محمد بن ابرهيم الهرواشي الباعمراني
٥٤ ـ محمد بن اسمعيل الالوزالي البعمراني
٥٥ ـ عبد القادر الوادنوني
٥٦ ـ الحسن الركائيي
٥٧ ـ محمد بن أحمد الركائبي
٥٨ ـ أحمد السنطيلي السكرادي
٥٩ ـ محمد الايدغي
٦٠ ـ ابن الحسن الوجاني الامزوغاري البعقيلي
٦١ ـ عبد الرحمن العوفي
٦٢ ـ محمد الرفاكي المؤرخ
٦٢ ـ محمد بن عبدالرحمن الجراري
٦٤ ـ محمد الماسكيني
٦٥ ـ أحمد الماسكيني
٦٦ ـ علي السباعي الكسيمي
٦٧ ـ الحسن الماسي الاغبالويي
٦٨ ـ محمد بن الحبيب التناني التيفانيميني
٦٩ ـ محمد بن الطيب الاغربيي التناني
٧٠ ـ المدني بن الطيب التازاروالتي
٧١ ـ الحسن التيغمبيي البعقيلي
٧٢ ـ ابرهيم الاكجكالي التازاروالتي
٧٣ ـ أحمد بن محمد الاعرابي الاكلميمي
٧٤ ـ محمد بن أحمد الاعرابي الاكلميمي
٧٥ ـ الطاهر بن أحمد بن ابرهيم السملالي الساحلي
٧٦ ـ محمد بن الحسين البيشواريني الساحلي
٧٧ ـ ابرهيم بن يدير الساحلي
٧٨ ـ عبدالله بن الطيب الاغرابويي الاكماري الناضكوكتي
٧٩ ـ محمد بن علي التازاروالتي ثم البيضاوي
٨٠ ـ ابرهيم أخوه دفين اسفي

٨١ ـ عبد الله أخوهما
٨٢ ـ احمد أخوهم
٨٣ ـ الحسن ئدْباكْر الاكْلويى
٨٤ ـ عبد القادر بن الحسين العبلاوى
٨٥ ـ الطاهر السباعى
٨٦ ـ الحسن نْسكّايْض البعقيلى
٨٧ ـ محمد أوعامّو القاضى التيزنيتى

هؤلاء من وقفنا على اسمائهم من الافواه • ثم ان منهم من له شهرة تامة فى ميادين العلوم تدريسا أو تأليفا أو قضاء • ومنهم من تنكبه السعد فلم يشتهروا وانما استقينا اسماءهم ممن عاصروهم ويشاهدونهم فى المدرسة ويدركون أنهم نجباء • وقد حثثنا من يحدثنا على انلايعدوا لنا الا من يدخل تحت شرطنا • لكن لابد أن يعلم ان بين مداركهم تفاوتا كبيرا وربمايدخل فيهم اناس قليلون يقصرون عن شرطنا ونحن معذورون

وقد كتبنا ترجمة كل من كانوا على شرطنا اودخل فى نطاق من كانوا على شرطنا فى كتابناهذا كما ذكرنا البعض الاخر فىكتاب (منأفواهالرجال) فيما كتبنا عن سيدى ابرهيم بن محمد بن اليزيد • ولذلك لمنعرج عليهمهنا

قول تلميذه المؤرخ الرفاكي فيه

(ومنهم شيخنا سيدى مسعود الطالبى نسبا • المجاطى قبيلة • البرابيمى شرطا المعدرى دارا ومدفنا الناصرى طريقة أخذ رحمه الله عـن سيدى العربى الادوزى وحرفته التدريس فى مدرسة بونعمان أزيد من خمسين عاما (رأيت الحقيقة فيما تقدم فلا تغتر بهذا) كان رحمه الله كثير التورع عن مظان الشبهة راضيا بالدون من المعيشة هاربا من الاحكام بين العامة دؤوبا على الانصبة لزوما لاخراج المطف كل ليلة بين المغرب والعشاء • مع كبار طلبته محرضا أهم على اتباع السنة وصلاة الجماعة والحـزب • واعراب الوقف الاول منه •

ومن أعظم كراماته الاستقامة على الكتاب والسنة • مابدل ولاغير • ولابتر أقام رحمه الله على الجهاد طول عمره فى العلم والعمل حتى نال من ذلـك غية الامل • ومع ذلك يرى أنه غير أهل لتلك المرتبة • وأكثر حاله ينشد

يظنون بى خيرا وما بى منخير ولكننى العبد الظلوم كماتدرى
سترت عيوبى كلها عنعيونهم وألبستنى ـيارب ـ ثوباعلىالستر
فلا تفضحن يوم القيامة أعيبى ولاتخزنى اللهم فىموقف الحشر

وكان لايرفع صوته في المجلس الا بقدر مايسمع جلساؤه في العلم
وكان لايسأل احدا من مال الدنيا • ولايرد على احد ما اعطاه مما لاشبهة فيه
كما هو سبيل السنة وكان ينزل الناس منازلهم ويكرم كريم القوم
ويهين الاراذل لاسيما أصحاب الخصومات فانه يفر منهم ويطردهم
وكان رحمه الله تاركا لما لايعنيه مقبلا على اصلاح شأنه • هاربا من أمور
العامة الا مالابد منه ومع ذلك كان حريصا على مصالح المسلمين مهتما
بارشادهم وحيث أكل الحصن الاسفل ـ من أيت ابراييم ـ لقى (بدراريا)
ـ أى جبليا ـ عمر قميصه بالشعير وجعله على ظهره والشعير يتشتت في
الطريق فقال له ان الشرع لم يجوز ذلك فقال له (اعْـرف أسْـتْخدمْ)
اى بالعرف نتمشى

وكنت عنده عام ١٢٩٨ هـ فقرأت عليه ألفية ابن مالك• لم يفتني في
مجلسه الا نصاب يوم واحد وابن عاشر بالادوزى والسملالية للكسور
وشيئا من الزكاة لخليل • وكن يحرضني على الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم مع الطلبة عشية الاربعاء والخميس فقلت له لم اجئ الا لقراءة العلم
لا للصلاة على النبي • فأسعفني رحمه الله • وكان يقول لي (رزقك الله سر
وولاية جدك سيدي ابرهيم بن محمد وفقه سيدي أحمد بن محمد ـ فتحا ـ
ابن محمد بن عبدالرحمن • وكان هينا لينا يلزم الاذان بنفسه الا أنه
يؤخر الصلوات كلها جدا وذلك دأبه ودأب أولاده الى الآن عام ١٣٥١ هـ
وجل تدريسه في الفقه وعلم الحساب والالفية • ويقول هذا بارود البلدة •
والغير كالبيان والمنطق والاصول لايسألك فيه أحد • ويقرئ خليلا بنصاب
الشريف فيكمله في عامين سائر عمره لايتخلف عن ذلك يذهب يوم
الخميس لداره بـ (المعدر) فيبكر يوم السبت • أويروح يوم الجمعة لايتخلف
فسبحان الذي جعل البركة في تدريسه • ومع ذلك يغلبه النوم وقت الاقراء
ولايخطئ الجادة بنى رحمه الله قبة أزوجته السفينية في المعدر • وفي
الحقيقة انه بناها لنفسه فهو رحمه الله يسر الحسو في ارتغاء (١) لما رأى
الناس لايعظمون الا ذوى القباب وأبناءهم أداء لبعض حقه وحق من انتمى
اليه • فدفن فيها • ويقول رحمه الله لمن اشتكى من زوجته بعدم الصلاة

(تَنَّدْ أُرْ يَنُونْ غْدا رْمَاس أُرْ تَّانُونْ)

معنى ذلك ان التي لم تترب تحت يد امها بالصلاة لاتتربى عليها بعد
ذلك لاتسألون عند الخطبة عن الصلاة • انما تسألون عن خدمة الدنيا حطبا
وطحنا ودق الهرجان ولذلك بليتم توفي رحمه الله عن سن عالية ليلة
الاثنين بعد العشاءين أواخر جمادى الثانية عام ١٣١٩ هـ

---

١) يسر الحسو الخ كناية عن طلب الشيء في تحيل وعدم ظهور

قولة ابن الحبيب فيه

ومنهم الشيخ الكبير الفقيه الشهير سيدى مسعود بن محمد الطالبي المعدرى سكنى . المجاطى أصلا . السملالى قبيلة ونسبا . أخذ رحمه الله عن العلامة العربى الادوزى واشتغل بالتدريس فى مدرسة (بنى نعمان) أزيد من خمسين عاما . كثير الورع عن مظان الشبهات . راضيا بالدون من المعاش دؤوبا على أنصبته وكان يحرض طلبته على التقوى واتباع السنة . والصلاة جماعة . وصوم الايام المرغب فى صومها . وتقليل الاكل والشراب والكلام مداوما على اخراج اللطف الكبير بين العشاءين فى تلك المدرسة . مع دوام الاستقامة . وكان لايرفع صوته بمجلس الدرس الا بقدر اسماع الطلبة . قنوعا لايسأل الناس ولايرد عليهم فتوحاتهم تطييبا لانفسهم . وكان ينزل الناس على قدر منازلهم مقبلا على مايعنيه حريصا على مصالح المسلمين هينا لينا يلزم الاذان بنفسه سفرا وحضرا . يدرس الشيخ خليلا على أنصبة الشريف . لايتخلف سائر عمره عن الدرس . ولايلهيه عنه زيد ولاعمرو . وقد نفع الله به كثيرا من خلقه . وتخرج على يده طلبة لايحصون عددا . توفى رحمه الله ليلة الاثنين من جمادى الثانية . عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف ودفن بـ (المعدر) وبنيت عليه قبة صالحة . ولم أر له الا بيتين من الشعر كتبهما الى بعض تلامذته وهما

سلام كمثل المسك يعبق عنبرا ... على حضرة الخل الشريف ابن أحمد
امام له فضل من العلم والتقى ... وعنسقه أبهى من المسك والورد

هذا ماتيسر كتبه عن شيخ الجماعة سيدى مسعود المعدرى . رحمه الله ونحسب ان القارىء سيعلم مما تقدم من هو سيدى مسعود المعدرى متى جرى ذكره بعد اليوم

أولاده

محمد سياتى مع أولاده
أحمد سياتى مع أولاده
الطاهر
ابرهيم
علـــى

٤ ــ الطاهر بن مسعود ثالث أولاده العلماء من أنجب الشباب البونعمانى . وقد لازم صنوه العلامة محمدا حتى شدا كثيرا . وأحسب ولادته فى نحو ١٣١٠ هـ لاننى رايته سنة ١٣٢٧هـ فى موسم (الغ) شابا فرهدا

تجاوز حدالبلوغ بقليل وكان له من لطف ءال أسرته حظ وافر • فلم يعرف كيف التكبر • وقد رأيته فى ذلك الموسم يسبح نهارا مع طلبة (بونعمان) القادمين فى ركاب الاستاذ محمد بن مسعود فى البير المسماة (انوأومغار) وسط الحقول أمام الزاوية فكأن حب الرياضة المأثور عن أخيه العلامة محمد سرى فى شرايينه أيضا وأخبرنى الفقير سيدى بلعيد الصوابى أنه كان يباسطه كثيرا ان ورد الى (بونعمان) فوجدت بين مقيداته أبيات استحضر منها الحاكى هذا الشطر

(سدى بلعيد سفينة الطريق)

وهو شطر ساذج القى على عواهنه من غير مراعاة القواعد ووقفت له على بطاقة صغيرة بين أوراق • يستدعى بها أحد أقرانه الى الغداء • نصها

(الوحى الوحى • فقد تهيأ الغداء وصرخت الامعاء • فان تاخرت بعد قراءة البطاقة لحظة عين تجد الزلفة لااثر ولاعين) والسلام الطاهر بن مسعود وهى لعمرى رسالة لطيفة • تدل على رقة طبع وخفة روح • وتمكن فى الادب • ولفظة الزلفة ـ محركة الحروف ـ التى ذكرها للقصعة عربية فصيحة وان كنت أحسب أنه لايذكرها على أنها عربية • وانما يذكرها تفكها ولذلك لابد أن تكون له ءاثار • غير أننا لم نتصل منها الان بغير هذه البطاقة التى تسربت من بين أوراق بعض الطلبة البعقيليين • الذين أخذوا من (بونعمان) توفى معتبطا سنة ١٣٢٩هـ ولم نستحضر اليوم ولا الشهر توفى فى (بونعمان) ودفن فى ضريح سيدى عبدالرحمن بوتينرط

٥ ـ ابرهيم بن مسعود كان شقيق المذكور قبله • ولدتهما السنطيلية الجرارية ويوثر عن والدهما أنه لما تزوجها قال أرجو ان تلد عالمين

أخذ عن أخويه الاستاذ محمد والاستاذ أحمد • أو كان أخذه مقصورا على الثاني غير أننى كنت أراه فى المدرسة البونعمانية سنة ١٣٣٢ هـ شاديا متقدما فهما لقنا • قد تكون نجابته مستمدة من قراءة غير قليلة • ثم لم يتجاوز اخاه أبا العباس حتى تمكن وجال فى مجالات المتفوقين فى كل الفنون ثم انتقل الى المدرسة (الادوزية) بعد ١٣٣٦هـ فلازم الاستاذ المحفوظ الادوزى ملازمة الظل • مكبا على التفهم مجاذبا أطراف الابحاث مع الاستاذ حتى كان يعد أنجب نجيب فى المدرسة • وكان يتعالى الى كل علم • مزاولا لكل فن بحاثة عن كل دقيقة • مقتبسا من أستاذه الامعان فى المباحثة المتناهية خصوصا فى المنطق والبيان والاصول فقد انتخل من بين أبحاث استاذه كل حواشي الكتب التى يدرسها لهم وكان فى يد ابرهيم نسخ من كتب أخيه العلامة محمد • فكان يستحضرها فى أوقات البحث فيرجع الاستاذ المحفوظ الى ماتطرر به

تلك الكتب من أفهام العلامة ابن مسعود

وانقل من خطه ما ياتى

قال كاتبه : الضعيف ابرهيم بن مسعود ٠ يمدح شيخه سيدى المحفوظ بن عبدالرحمن الادوزى مستدعيا منه اقراء جمع الجوامع

الجد أفضل حلية الانسان ... وبه يكون تفاوت الاقران
وتحاز كل مكانة عن نيلها ... قصر الكماة وكل ذى سلطان
ماعطى الانسان أفضل منه من ... بعد الفراغ وصحة الايمان
ذو الجد يدرك مشتهاه وغيره ... فيما يريد يصاب بالحرمان
فاركب جوادك دائما ان شئت أن ... ترقى سماء المجد والعرفان
واكشف قناعك فى الذى يبقى ولا ... تمنح زمامك للحقير الفانى
واشغل بضبط العلم نفسك واستدم ... فيه عناء القلب والجثمان
وخذ الدليل امام صوب تنتحى ... فالعاسفون أضل ملغربان (١)
فاذا التقيت بعارف فاستمسكن ... بذيوله واملكه بالاحسان
مثل الشريف المفرد العلم الذى ... يسلى بصحبته عن الاوطان
أستاذنا المحفوظ من بمديحه ... تشدو الحداة باينق الركبان
شمس الهداية يستضاء بنوره ... وبرأيه فى حادث الازمان
ويزيل أغطية العويص فيفتدى ... صبحا يسوق هداية الاذهان
لله دره من امام زاهد ... جمع العلوم وما له من ثان
يكفيك منقبة كمال العلم فى ... زمن تراكم جهله فتان
ياسيدا نطقت أقاويل الورى ... بكماله فى السر والاعلان
انى اريد قراءة من فضلكم ... (جمع الجوامع) فزت بالرضوان

ثم بعد ما جاد الشيخ بالمسؤول كتب الى مانصه

أذكى مسك أم ملاح غوان ... أم وصل حب هجره أفنانى
أم ذات اللحظات من ريم النقا ... اما بدا لملاحظى أردانى
ان ردت ودا منه بت مطامعى ... والصب لاينقاد للسلوان
أو ردت منه ان يميل لوجهتى ... اعتاض منها منبت الحوذان (٢)
أم خير غالية أتاك اريجها ... أم فوح ند أم غناء قيان
أم طبنى هاروت بابل فاغتدى ... قلبى به خبل دعا هذيانى
أم ذى قواف لايدانى فخرها ... فى الحسن نظم الدر والعقيان
نعم انها هى بيد أن كمالها ... بالكنه يقصر عنه كل بيان

---

١) من الغربان ومثل هذا لغة صحيحة

٢) الحوذان نبات

لم لا ومعرفة الفنون بأسرهـا — حصرت لمنشئها العظيم الشان
مافضل ابرهيم ناظمها سوى — نور على نور من الرحمان
فهامـة دراكـة عـلامـة — قناص شراد العلا ميـقـان
بذ اللدات على حداثة سنه — علما فليس لما حواه مدان
جلى بميدان العلوم وفات فـي — حوز المآثر جلـة الاعيان
لاغرو فالتبريز فـي أسلافـه — أصل وما لهم به من ثان
لهم المعلى فى القداح شريـعـة — وحقيـقة فـي غـايـة الاتقان
ومريد حصر كمالهـم بمقالـه — يحيا كرائده بحذق جنان
أولاهم المولى عنايته التـي — دامت وحاطهم من الحدثـان
وأنالنا مـن حبه القدر الـذي — ما كاد يخطر قط فى حسبان

فكذلك قضى ابرهيم حقبة غير قليلة فـي استتمام دراسته حتى كـان أصوليا منطقيا بيانيا • فقيها متمكناً نوازلياً بأهرا • أديباً بأرعاً • فلكثرة ممازجة محبته بقلب أستاذه • زوجه احدى كرائمه • ثم ودعه بكل تـجلـة واحترم • وكنت رأيت قصائد دارت بينهما غير ماتقدم • فآسف الان حين لم أتمكن من بعضها • لاحلى به جيد ترجمته • فان اراد الحظ ان يتمم عليـه نعمته • فسييسر لنا ما سنلحقه كتصديق لما وصفناه به

كان هادئا ساكن الطائر ككل المسعوديين غير أنـه ليس بمطرق الرأس بل كان في الميدان مهاجما مدافعا • كما كنت رأيته سنة ١٣٣٢ ﻫ ولا أراه الاباقيا كذلك بل تزيده بيئة (أدوز) المتنافية لبيئة (بونعمان) من الشجاعة الادبية ماتزيده

استقبل الحياة بأمل فسيح • فالتفتت اليه كل العيون • راجية أنيرأب ماكان انشعب منذ وفاة أخيه محمد العلامة • غير ان الدهر خؤون • والحمام لامثاله بالمرصاد فلم ينشب ان اعتبط أيضا • فانطفأت جذوته المشتعلة • وذلك فى صفر ١٣٤٠ ﻫ فأرمض كل الافئدة بالاسى المندلع فى الاضـلاع عليه ومثله من تذوب الافئدة على الرزء به

قولة إبن الحبيب فيه

قال بعد ذكره لاخويه سيدى محمد وسيدى احمد

(ومنهم أخوهما سيدى ابرهيم بن مسعود كانت لهذا السيد قريحة حادة • وهمة عالية فى العلوم • لولا اخترام المنية • همته تناطح النجوم • وكرمه يشامخ الغيوم • وكان يتبجج بطلب المعالى قيل للربيع أتعبـت نفسك • فقال راحتها أريد • وقدأجمع حكماء العرب والعجم أنه لم يدرك نعيم بنعيم قط • وما يدرك النعيم الا بالبؤس قال الصاحب :

وقائلة لم عرتك الهمو م ورأيك ممتثل فى الامم
فقلت دعينى على حالتى فان الهموم بقدر الهمم

قرأ على أخيه سيدى محمد وكذلك العلامة سيدى المحفوظ الادوزى توفى فى (المعدر) ودفن عند والده وصنوه الاستاذ محمد فى مشهدهما

٦ ـ علي بن مسعود

لازم أخاه أبا العباس كثيرا فكانت له معارف حسنة ٠ وكنت أراه فى المدرسة (البونعمانية) سنة ١٣٣٢ ﻫ وقد لزم صنوه ابرهيم فى المتون الابتدائية ٠ ثم فرق بيننا الدهر ولم أعد أسمع به ٠ حتى ذكر لى أنه كان أيضا حينا فى المدرسة (الادوزية) ثم لما توفى ابرهيم صنوه خلفه على زوجه بنت الاستاذ المحفوظ

ثم اننى سألت عنه الاديب الحسن البونعمانى رجل ءال مسعود فذكر لى عنه أن له مشاركة وان له ذوقا حسنا فى الشعر يستحضر منه مقطعات فائقة كما أنه ذو أريحية أدبية غير أنه أعرض عن معلوماته ٠ وفى سنة ١٣٥٧ ﻫ الماضية نحو أوائل رجب بلغتنا وفاته رحمه الله ٠ والحقيقة أننى لم أدرك كيف مداركه كما هى وهو أصغر أبناء سيدى مسعود

فهؤلاء الذكور الخمسة من أنجبهم الشيخ سيدى مسعود ٠ وكانت له بنات اخرى ٠ صاهر بنتين منهن الاستاذ عبدالرحمن العوفى ثم توفيتا معا ٠ كما صاهر بأخريات ءاخرين

ثم بعد أن استوفينا الكلام على هؤلاء من رجالات الاسرة المسعودية ٠ نرجع الى ذكر المقصود أولا بهذه الترجمة وهو العلامة محمد بن مسعود

محمد بن مسعود

هذا العلامة الكبير أفضل عالم سوسى خاض أمواج العلوم منذ أجيال٠ وأكبر مكب على مختلف الفنون بفكر ثاقب وذهن نفاذ وقد واتاه سعد السعود حتى كان له من كل مجد ماكان به فذا فريدا من بين علماء سوس فى عهده فهو فقيه متمكن وأصولى بارع وبيانى ماهر وحيسوبى فائق ٠ ومؤرخ محصل وأديب متفنن ٠ وشاعر لسن ٠ ونقادة مقدام ٠ وعالم عامل ٠ وصوفى ورع ٠ ثم هو وراء ذلك كله ذو شخصية مؤثرة فى قلب كل من يمر ازاءها ٠

قد يحسب بعض القراء هذه الاوصاف التى وصفناه بها فى عداد ماكان يعهده من الوصافين الذين ينثرون الاوصاف ذات اليمين وذات الشمال ٠ من

غير أن يراعوا الحقائق • فدفعا لهذا الحسبان ناتي للقارىء بترجمته كمانعرفها له • حتى لايخرج القارىء منها الا مقتنعا بأن هذه الاوصاف جعلت حذاءه بيد من يعرف كيف يقول ويراعى لسان حال الحقائق التى تسمع بأصواتها كل أحد علما منه بأن التاريخ كفيل بكفكفة الاوصاف المهلهلة المجرورة الاذيال حتى ينصع الموصوف كماهو

سنة ولادته

حدثني رجال من أقرانه كالحسن بن محمد العمرى البونعماني • والشريف ابرهيم بن محمد التازاروالتي أن الاستاذ ولد حوالى ١٢٨٢هـ ولابد أن يكون والده سيدى مسعود قيد ذلك لولوعه بالقلم في أمثال هذه المواقف غيرأننا لم نجد من يجلو لنا الخبر الصادق • وربما نجد ذلك فنلحقه • وولد في (تيمجاض) بأيت براييم (ثم علمت أن المكان الذى قيد فيه والده ولادته قد عراه محو • أخبرني بذلك أخوه شيخنا أبو العباس • ولعل المترجم نفسه هو الذى محاه تورعا منه)

متلقاه للقرآن

أخذ القرءان عن استاذ يسمى الحاج محمد السرسيفي دفين (المعدر) وكان في المعدر ماشاء الله • وهو فقيه صوفي أخذ عن العربي الادوزى العلوم والقرءان عن والده محمد ـ فتحا ـ ندعدى أمضى عمره في تعليم كتاب الله الى ان توفي ١٣٠٩ هـ عن نحو ٦٠ سنة كما أخذه أيضا عن الاستاذ الحسن التافضنى البونعماني • هكذا أخبرني رفيق له ويأثره عنه • وقال ان الاخير أخذ عنه في مدرسة زاوية (أكلو)

أساتذته في العلوم

لم يكن الاستاذ محمد بن مسعود بذلك الجامد القنوع في باب التعليم ولابذلك المافون الذى يقول ان والدى عالم لا أتخطاه الى غيره اما تعصبا لوالده واما لما يقوله أصحاب البركة ـ لأصحاب العلوم ـ من أبناء بعض المدارس المتصوفة الذين يقولون ان علمنا بركة لاأخذ • بل كان نهما متطلعا سالكا كل مسلك طارقا لكل باب قاطفا لكل ثمرة شاما لكل زهرة فبذلك أمكن له من المشاركة التامة ومن الفكرة الناضجة ما لايوجد عند كثيرين في سوس ممن نشأوا في مثل منبته • فقبعوا في حجور ءابائهم فحرموا بركة المعاصرين لابائهم واليك أساتذته

الاول ـ والده مسعود هو أول أساتذته وعليه تعويله • وبدروسه ترقى فكره • وتفتحت قريحته • وتحت ابطه خاض كل الفنون • وجنى من كل الافنان • وجرى فى كل ميدان • فحاز الخصل (١) والاكفاء من لداته ينظرون وكان بمنزلة الحدقة من عين والده • يلحفه حبا جما • ويرى له مالعله تفرسه من مستقبله • فكان يحافظ على راحته • حتى اذا نام فى مجلس الدرس ـ وكثيرا مايكون كذلك ـ ويصير جيرانه من الطلبة ينبهونه بغمزه ينهاهم الاستاذ • ويقول لهم دعوه • فان مايقسم له لايفوته • وكان رحمه الله نؤمة طبيعة جبل عليها طوال عمره

ويوثر أن الاستاذ أخبر بعض أهل سره أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم مناما فأراه مايكون لولده هذا من مكانة فنحن وان لم نكن من المنامات فى شيء غير أننا أيضا لسنا من الذين يردون ما للارواح • خصوصا الارواح الصافية وتلك أحوال لايعقلها الا العالمون والرؤيا تسر ولاتغر كما قاله الامام مالك بن انس

فبمثل هذه الحكاية ندرك مكانة الاستاذ المترجم فى قلب والده الذى هو أكبر أشياخه منة عليه فى تعليمه وتربيته وترشيحه للمعالى ثم كانت هناك ناحية أخرى كونت المترجم تحت نظر والده فى هذا الطور وهى اندفاعه وراء الالعاب والرياضة • كالملاعبة بالكرة فى ملعب هناك ازاء (المدرسة) مشهور • والغالب فى تلك المدرسة اذذاك أن تكون ملاعب الكرة ازاءها يرتاض بها الطلبة فى أوقات العطل خصوصا عشايا الخميسات وهذا شيء شاركنا فيه فى مدارس (ايغشان) و (بونعمان) و (تانكرت) • وقد اشتهر حب الكرة عن المترجم ولاريب أن المرح مفتاح الفكر السليم • ونواة للاريحية التى تنكشف عن الذوق الادبى العالى • وهذا بعينه ماجرى لابن مسعود فكان لهذه الناحية فى حياته العلمية الادبية تاثير كبير حتى السباحة يألفها الطلبة اذذاك • وياطالما سبحنا فى المسابح فى مدارس (ايغشان) و (بونعمان) و (تانكرت) فحيا الله تلك الايام الحلوة التى قضيناها فى غفلة الدهر وفى غرة العمر

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكأنها وكأنهم احلام

أخذ عن والده العربية بفنونها لغة ونحوا وتصريفا • ولم نعلم له فى هذه أستاذا سواه • ثم استتم هو بنفسه بمدارسة كتب اللغة • حتى أدرك منيته وقد رأيت له توقيفات على نسخة من القاموس تدل على أنه يتتبع الكتاب من أوله الى اخره دراسة خاصة واستحضاره للمفردات اللغوية مما يدل على ذلك التمكن الذى لم يدركه فيه أحد من السوسيين الذين

---

١) الخصل كفلس مايحوزه السابق فى حلبة الميدان

عاصروه ماعدا الاستاذ أحمد الجشتيمي والشاعر الافراني وءاخرين في محيطهما كالالغيين وأما الادب الذى له مسيس خاص بفنون العربية لكونه كنتيجة لها فانه انما درسه وحده فقد اندفع فيه اجابة لشهوته المتفتحة لالتهام كل فن من الفنون أياكان ولكونه لم ياخذه دراسة يتراءى للناظر الحاذق أحيانا قليلة من بعض نواحي قوافيه نقصان ما ولعل هذا النقصان ناشىء من عدم اهتمام كبير بالادب عصرا طويلا ٠ اكثر مما هو ناشىء عن عدم أخذه عن أستاذ أو لعل النقص جاء منهما معا وقد نشرنا في (الرحلة الاولى) من كتاب (خلال جزولة) أوليات من أدبياته

كما أخذ عن والده الفقه بفروعه فاستحضر فيه استحضارا غريبا ٠ حتى كان في محاوراته مع الاستاذ المحفوظ الادوزى ومع الاستاذاحمد بن محمد الفقيه الماسي يطفح عليهما بالنصوص وكذلك مع كثيرين من أقرانه بل وقفت على حكم في نازلة عرضه عليه العلامة أبو فارس الذى يعد في سن والده ٠ فيرضى منه بمايمليه فهمه ٠ وهذه مكانة لايزاحمه أحد فيها من بين معاصريه

الثاني أحمد بن ابرهيم الاكرارى

هذا العلامة المنطقي الحيسوبي من أساتذة ابن مسعود كان يختلف اليه مع رفيقه الفقيه سيدى ابرهيم كزور المعدرى ياخذان عنه المنطق ٠ ويستعيران منه كتبه ٠ يذهبان اليه فيأيام العواشر ٠ اما الى داره في (أكرار) واما في مدرسة (تازاروالت) ٠ وقد كتب اليه ابن مسعود رسالةلطيفةمذكورة في غير هذا المحل ٠ وأحمد هذا من الاسرة الاكرارية ألتى ستراها قريبا بين يديك ان انتظرت قليلا

وقد وقفت على اجازة المترجم ابن مسعود بخطه ٠ ونصها

(بعد البسملة ٠ والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم يقول العبد الفقير الى سيده ومولاه العالم بسره ونجواه أحمد بن ابرهيم بن محمد التوماناري كاتب هذه الاجازة ٠ لطف الله به في الدارين

أجاز لي سيدى وسندى وشيخي الامام والقدوة الهمام ٠ والدنا المذكور في جميع مقرواته ومسموعاته ٠ واجزت كما أجازني لحامله الفقيه الانجب الذكي الالمعي المنتخب سيدى محمد بنمسعود الطالبي السملالي في جميع المقروءات والمسموعات وأذنتله أن يروى عني كل ذلك كما أخذته عن والدى رحمه الله عن شيخه المجتهد حافظ المغرب سيدى الطيب بن كيران عن الشيخ جسوس عن التاودى عن أبي حفص الفاسي عن سيدى محمد

ميارةعن ابن عاشر • عن المنجور • عن القصار عن سيدى رضوان عن سقين
عن ابن غازى • عن القورى • عن أبى موسى الجانانى عن أبى عمران عن شيخه
عبد العزيز القروى عن شيخه أبى الوليد راشد عن ابى موسى المومنانى عن
أبى محمد بن عتاب • عن أبيه أبى عبدالله • عن أبى عبدالله بن عائد • عن
أبى محمد بن أبى زيد • عن أبى بكر اللباد • عن يحيا بن عمر عن سحنون عن
ابن القاسم عن مالك عن نافع عن ابن عمر • عن النبى صلى الله عليه وسلم •
وأجزت له أيضا أن يروى عنى ماذكر بسند ءاخر • وهو أن والدنا المذكور
أخذ عن حافظ المغرب والمشرق سيدى محمد بن عبدالسلام التامكروتى عن
شيخه سيدى يوسف الناصرى عن سيدى حسين الشرحبيلى عن قطب
العارفين • وغوث المهتدين سيدى احمد بن ناصر نفعنا الله ببركته ءامين •
عن سيدى محمد المصمودى عن السراج عن ابن هرون سيدى على عن عالم
الدنيا والدين محمد بن أحمد بن غازى • عن القورى • عن أبى موسى الجانانى
عن أبى عمران • عن شيخه عبدالعزيز القروى • عن شيخه أبى الوليد راشد
عن ابى موسى المومنانى عن أبى محمد بن عتاب • عن أبيه أبى عبدالله • عن
أبى عبدالله بن عائذ عن ابى محمد ابن أبى زيد • عن ابى بكر اللباد • عن
يحيا بن عمر عن سحنون عن ابن القاسم عن مالك عن نافع عن ابن عمر • عن
النبى صلى الله عليه وسلم •

انتهت سلسلة الانوار نسأل الله تعالى ان ينفعنا بهم فى الدين ودار
القرار غفر الله لنا ولهم ولجميع المومنين والمومنات الاحياء منهم والاموات
بجاه المستمد للكل بأنوار الهداية فى الارض والسماوات سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم • وعلى ءاله وأصحابه • على يد كاتبه فى السابع والعشرين
من شعبان عام ١٣١٤ هـ عبدربه أحمد بن ابرهيم بن محمد التومانارى
ثم الاكرارى • وفقه الله

الثالث : الحسن بن أحمد بن ابرهيم السملالى الساحلى

من أساتذته أيضا انقطع اليه حقبة • ياخذ عنه المنطق لان هذا
اتقن هذا الفن فى الحواضر اذ كان من المتخرجين من (فاس) وأحسبه أخذ
عنه أيضا البيان • أو أخذه عمن ذكر قبله • وتجد الحسن هذا عند ذكرنا
للاسرة السملالية الساحلية التى ينتمى اليها فيما تقدم من هذا (الفصل نفسه)

الرابع محمد بن أحمد بن حسين الاكلولى المسكن • والمنشا التيمكيدشتى
الكرسيفى الاصل • من أساتذته أيضا • كان يختلف اليه فيأخذ عنه بعض
المعقولات وغيرها •

(وتوجد ترجمته بين أهله الكَرسيفيين فى هذا (الفصل نفسه)

كتب الاستاذ ابن مسعود تحت اجازة ابن ابرهيم المتقدمة قريبا • وقد أرخت بسنة ١٣١٤ هـ

(الحمد لله وفى هذه المدة فى التاريخ المذكور أيضا اجازنى الفقيه النحوى الولى الصالح المتبرك به • أبو عبدالله سيدى محمد بن أحمد بن حسين التيمكيدشتى ثم الجلوى (الاكَلويى) وتلفظ بالاجازة وقال مامعناه اجزتكم فى كل ما وافق ظاهر الشرع • وقد اجازه هو شيخ الشيوخ الامام العارف بالله سيدى احمد بن محمد التيمكَيدشتى رضى الله عن الجميع • ونفعنا بهم امين كما أخبرنى بذلك • قاله محمد بن مسعود الطالبى • لطف الله به)

الخامس عمر الدهوزي البرا ييمي نزيل (العوينة)

من أساتذة ابن مسعود أيضا أخذ عنه علم الفرائض وقد تقدم ما نعرفه عنه عند افتتاح كلامنا فى سيدى مسعود • لانه ابن عمه

السادس : إبراهيم بيرعمان – ذي الجَمَال –

التيغانمينى الساحلى العلامة الكبير من أساتذة ابن مسعود أيضا • أخذ عنه الحساب والفرائض وكان فيهما اماما • قال الرفأكى فى ترجمة هذا العلامة

(ومنهم شيخنا أبو سالم سيدى ابرهيم أبوالجمال(١) بيرعمان بتيغانيمين كان آية فى علم الحساب • يقصده الطلبة من كل ناحية فى العواشر • فيتواضع لهم وله حسن الخلق • قرأ فى (أدوز) • وفيه ملا حقيبته • قرأت عليه السلم فقط فى رمضان عام ١٣٠٣ هـ فى مسجد (لمست) توفى رحمه الله : ١٣٢٠هـ) وزاد ابن الحبيب أنه ممن أخذوا عن الحبيب السكَرادى • وأنه حسن الخط نساخ •

أقول لم أستحضر الان من ترجمة هذا الاستاذ الكبير ما يقتضيه مقامه العالى الذى لوح اليه هذان المؤرخان

السابع : محمد بن العربي الادوزي

من أساتذة الاستاذ ابن مسعود الكبار • وقد وفد الى (ادوز) فأخذ عنه

١) ترجمة بيرعمان بذى الجمال أفضل من أبى الجمال لان اللفظة تدل على أنه صاحب الجمال

قليلا وسنقف على اجازة ابن مسعود الاتية للعوفى وهناك مراسلة ذكر ابن مسعود فيها من بين ءاثار الاستاذ الادوزى ذكرت فى ترجمته فى (القسم الثالث) المتقدم • وقد رثاه ابن مسعود رثاء حارا باكيا يوم توفى • وقد ذكرنا ذلك فى ترجمة الاستاذ • وقد قال ابن مسعود هذه القطعة حين فارق (أدوز):

لله أيام تقضت فى (أدوز) … فيها اللبيب بكل معجزة يفوز
ما شئت من أدب ومن علم ومن … فكر لكل فهوم أبحاث يحوز
ياجنة الدنيا الضرورة الجأت … للبين عنك ولم يكن مما يجوز

وقال أيضا فى ذلك

سقيا ورعيا لمنزل كأن به … أزهار روض حباها القطر مدرار
تزهو وتبسم تحيى من محاسنها … قلبا عليه لكل الهم اصدار
أنهاره صافيات من سلاستها … تذكر ودا صفا ما به أكدار
وتذكر الحب دمع عاشق بعدت … به وقد جرعته الصاب أقدار
والزهر تسقط والرياح تكتب فى … غديره ماله تخجل اسطار
والقطر ينقط والاغصان مائلة … تعانقت كغوان هن أقمار
تحمل ورق حمام وهى قارئة … بسجعها ورقا حفته أنهار
تذكر الصب وهى صادحات ضحى … مرابعا هى للوصال اسرار
لكن تسلى بناد ذى ندى جمعت … له الهواطل ءاصال وابكار
ذى فتية جمعوا لطيب اخلاقهم … مكارما ما لها فى الناس انكار
أعيان فضل وعلات لدى نسب … وحسب أصلهم غر وأبرار(١)
من فرع عبد الاله نجل يعقوب من … دامت له بثناء الفضل أعطار
ولايزل رحله المحط للفضلا … عليه روح تحيات وأنوار

الثامن الحاج ياسين الواسخيني

ذكر لى أنه ممن أجازوا الاستاذ ابن مسعود • وقد ذكرنا فى ترجمته أن تلميذه هذا خاطبه بقصيدة منها

واذ كان قلب الذكر ياسين فالذى … تسمى به قلب الانام بذا القطر
فان وفاق الاسم فيه لطيفة … بها وافق السمى فى محكم الذكر

ولم أقف الى الان على تمام القصيدة كما لم اقف على اجازته له

التاسع ـ الحاج أحمد الجشتيمى التملى العلامة الجهبذ من المجيزين الاستاذ ونص الاجازة

١) أولاد علات بفتح العين وتشديد اللام من أبوهم واحد وامهاتهم شتى • وعكسه أولاد أخياف

سلام كريم فائق المسك في النشر ... على من غدا في العصر من زينة القطر
أخينا أبي عبد الاله الفقيه نجـــ ... ـــل سيدنا مسعود الاوحد الصدر
وبعد ، فقد كانت سيادتك ابتغت ... من العبد ما يبغى من العلما الكبر
اجزتكم في العلم والعبد كان عن ... منازل أهل العلم منخفض القـدر
ولكن نوى اسعافكم بجميل ظنـ ... ـكم فأبى اسعافه سابق الـقدر
الى يومنا هذا فقال أجزتكم ... بما كان مرويا عـن الوالد البر
وعن غيره من كل شيخ لنا رضا ... اجازة اطلاق لرغباك فـي الخير
وأوصيك يامولاي مع ذاك بالتقى ... لرب الورى في حالي السر والجهر
وفضل ثبات والتحرز من هـوى ... لنفس يغيب العقل في سورة الخمر
وان تتوقى شرط شيء مـن الدنا ... على حكم أو فتوى ولو كنت ذا فقر
فذاك مـن كتمان منزل ربنا (١) ... ولايختفى الا عن الفاقد الحجر (٢)
وتبذل جهدا في العظات لمن ترا ... ه مال عن النهج القويم الى البور
وتدعو للعبد الضعيف برحـمـة ... من الملك الاعـلى وبالغفر للـوزر
نسأل اله العرش ابلاغنا مـعـا ... منانا بخير الخلق مع ءالـه الطهر
صلاة وتسليم عليه وءالـه ... وصحبه في الناس كالانجم الزهر

قال هذا وكتبه العبد الجاني أحمد بن عبد الرحمن التملي لطف الله به

ونص الابيات التي استجازه بها بعد نثر لم نقف عليه

واذ فاتنا أخذ الدراية عنكم ... ففي بسط ما ذكرته بعض غنيـة
وان لم اكن أهلا لذاك ففضلـكـم ... يغطي على جهلي ويجزل منيتي
بقيتم لاهل العلم والناس كلهـم ... كهوفا لها ينحون في كل بـغـيـة

ومما خاطبه به المترجم أيضا في رسالة

سلام كمثل المسك شيب بتسنيم ... على شيخنا التملي من فم جشتيـم
سلام يغار الورد من نفحاته ... يزف بــه لدار خلد وتـنـعـيـم
سلام كماازدانت بصوب مرابع الـ ... ـوصال يزورها المشوق بتعتيم (٣)
سلام به تحيا ربوع احبـة ... ربيع الورى غياثهم اهل تفخـيـم

وقد وقفت على بطاقة كتبها المذكور الى ابن مسعود تبين ان الاتصال بينهما دائم نصها :

---

١) يعني بالمنزل القراءة
٢) الحجر بالكسر العقل
٣) يقصد وقت العتمة (بالتحريك) اى الظلام

حفظ الله سيادة اخينا في الله الفقيه البركة سيدي محمد ابن الفقيه البركة سيدي مسعود الابرابيمي • وسلام الله ورحمته وبركته عليه • وعلى سائر من اعتزى اليه • وبعد فاشركنا أخانا في دعائك • نسأل الله تعالى لنا ولكم التوفيق لما يرضاه • واللطف فيما قضاه • هذا وان مأنسب الى من الحكم على علي لاشك في أنه زور علي • والعياذ بالله • فأشهد علي بذلك • وما ذكرت من الاسانيد • متى تفرغت له ياتيك ان شاء الله والاذكار اخترت لك مايتلى في الصباح والمساء • ممافي (الحصن الحصين) وغيره • واذنت لك فيه فليكن من أورادك واعذرني أخي • فانني في شغل شاغل • نسأل الله تعالى أن يكفينا واياكم هموم الدنيا والاخرة • ويحسن عاقبتنا وعاقبتكم ويحشرنا معكم في زمرة أهل حبه ءامين وسلام عليكم من العبد الجاني أحمد بن عبد الرحمن التملي لطف الله به ءامين

أتيت بهذه البطاقة ليظهر للقارىء أن الاستاذ ابن مسعود لم يكتف بتلك الاجازة الجافة • وأنه متعال الى مايتعالى اليه امثاله من الاسأنيد • وسترى اثر ولوعه بذلك في اجازته الاتية للفقيه العوفي

العاشر عبد المعطى السباعي العلامة الجهبذ • من المجيزين لابن مسعود وقد لاقاه في موسم (تازاروالت) فاستجازه بهذه الابيات

ان دهتك صواعق الجهل فالجأ	لامام هداتنا (عبد معطى)
واغترف من بحاره قطرات	يغن قطر نداه عن فيض معط
أستجيزكم ولست بأهل	ولادني عبيده القرم يعطى (١)

فكتب له الاجازة • وسياتي نصها في الاجازة الكبرى لابن مسعود التي كتبها للفقيه العوفي • وقد أدخلها هناك • فاخترنا أن يراها القارىء في ضمن ذلك

وعبد المعطى هذا : علامة جليل القدر • أخذ عن كثيرين من بينهم الشريف الكثيري • وقد استوعب ترجمته كما هي ولده صاحبنا الاستاذ محمد الصغير في مولف خاص • في جزء وسط (٢) وقد بنى المدرسة في مواطن السباعيين يدرس فيها فكان من أكبر من تخرج به شيخنا عبدالله ولده • ولم استحضر الان سنة وفاته

(ويذكر مع ولده شيخنا عبدالله في القسم الثالث)
ومن شعر عبد المعطى ماخاطب به المترجم

---

١) القرم بفتح فسكون السيد
٢) توجد نسخة منه في الخزانة العامة بالرباط

قسما بالبدور من كل حبر   برقاه مـن الجهالة يبرى
بل قسما بكل بحر خضم ١   راحـه تنهمى بـدر وتبر
بل بحلم الحليم مـن كل طـود   لاتحل اللاوا له كـل صبر
لابن مسعود الفتى نال اسمى   مكرمـات أخبارهـا دون خبر

الحادى عشر محمد الضوء السباعى العلامة الكبير من الذين أجازوا الاستاذ وكان يسكن حينذاك فى أيت بعمران • ولانعلم عنه شيئا • الا أنه هرب أمام الحكومة فسكن فى أيت بوعمران ماشاء الله • ولهذكر هناك الىالان • وسترى فى اجازة ابن مسعود للعوفى الاتية بعض اجازته وبعض اساتذته

الثانى عشر : وقفنا علىاجازة انسان يسمى محمد بنمحمد الجزولى • اجازبهاابن مسعود • لم نعرفه الان • نص اجازته

الحمد لله الذى رفع الذين أوتوا العلم درجات • وأذاقهم حلاوة التحقيق التى حصر فيها المحققون اللذات وآتاهم من الحكمة خيرا كثيرا فهم باذنه سابقون بالخيرات والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من أسند عـنـه العلماء والرواة المويد بان أوتى السبع المثانى والقرآن العظيم والمعجزات وعلى آله الطيبين الذين طهرهم الله تطهيرا • وأصحابه المشمرين عـن ساق الجد فى اتباع شريعته وتبليغ سنته تشميرا

وبعد فلما كان أحق ماصرف اليه اللبيب عنان الاعتناء • وآكد ما انفق فيه الاريب يواقيت الاوقات بالصدق والرغباء التحلى بحقائق العـلـوم واحراز قصب السبق فى ميادين دقائق الفهوم وكان ممن أولـع بالعلـم واستطلاع بدوره واستكشاف أنواره وأحكام أبوابه وفصوله والتضلـع بفروعه وأصوله وافادة مكنون درره والانفاق عـلى الضعفاء امثال مـن جواهر بحوره وأرواء الظماء منعيون عيونه واغناء المستضعفين من أفنان رياض فنونه • علمامنه بأن العلم نعم المقتنى والمقتفى وأنه الكنز الذى لاينفد بالانفاق • وليس وراءه مايصطفى الفقيه الاجل العلامة الامثل المتـفـنن المشارك مع حسن الاجادة • المعتكف على الافادة والاستفادة أبو عبدالله سيدى محمد ابنالفقيه البركة العلامة • الدراكة شيخ الجماعة سيدىمسعود الطالبى الملازم لمدرسة (بنى نعمان) من قبيلة أيت براييم لبث العلم ونشره وازالـة سهكة (٢) الجهل ببذل طيبه ونشره • حتىنال منه الحظ الاوفر • ونيل منه النصيب الاكبر وكان الاعتناء بالاجازة من شان ذوى الهمم العلية لما فيها

---

١) كـــذا

٢) سهكة الجهل بضم السين وسكون الهاء اى عاره وذله والسهكة فى فى الاصل تطلق على صدا الحديد وعلى الريح الكريهة من أى شىء •

من الاسناد الذى هو من خصائص هذه الامة المحمدية فلم يـزل أهل العلم والفضل يعتنون بها • ويرون طلبها من الخصال المرضية ويتقربون الى الله بها • قال محمد بن حاتم أكرم الله هذه الامة وشرفها وفضلها بالاسناد وليس لاحد من الامم كلها قديمها وحديثها وكان الفقيه المذكور من خاصة أحبائنا وممن يوثرنا بصفاء المودة • وتكرر منه طلب الاجازة منى • وأنا والله أحق أن أجاز وممن الزمهم القصور والتقصير الاعجاز ولكن اجبته لذلك مساعدة لصلاح نيته وصفاء طويته • وعلما بأن لكل امرىء مانوى • وأن كل قلب يجازى بما حوى فقلت مستعينا لسم الله الرحمن الرحيم سبحانــك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم • قد أجزت الاخ فى الله الفقيه المذكور فى كل ماتصح له عنى روايته أوتنسب الى درايته • مـن منقــول ومعقول • وفروع وأصول اجازة تامة شاملة مطلقة عامة بشرطها المعتبر• وقيدها المقرر موصيا نفسى واياه بتقوى الله العظيم كما أوصانا مولانا الحكيم بقوله : (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله) وطالبا منه أن لاينسانى من صالح دعواته والله أسأل أن يصلح من جميعنا القول والعمل وينيلنا والمسلمين غاية الامل وعلى الله سبحانه الاعتماد واليه جل وعلا الاستناد فهو يهدى السبيل • وحسبنا الله ونعم الوكيــل وكتبه العبد الضعيف الذليل الحقير • المفتقر الى رحمة مولاه الغنى القدير محمد بن محمد الجزولى المالكى التجانى كان الله لـه ولجميـع المسلمين والحمد لله رب العالمين •

الثالث عشر الحاج محمد البارغي البعمرانى

الفقيه الصالح المشهور • كان يختلف الى الشيخ سيـدى مسعود ومشربهما واحد • فبذلك يتصل به ابنه المترجم • فيأخذ عنه فوائد كثيرة • يعده بها من جملة أشياخه • كما ذكره لى من كان يخالط المترجم • وسترى ذلك وبعض اجازاته له فى الاجازة العوفية

أخذ الحاج محمد عن الشيخ سيدى أحمد التيمكيدشتى وعن ولده سيدى الحسن وعن الادوزيين • وكان من الكارعين فى نطفة الشيخ • ومن المتقلدين بمعارفه وقد لازم حينا ولده سيدى الحسن ثم أخذ بالرواية عن محمد الضوء السباعى الماضى • ثم كان من كبار المرشدين الائمة المقتدى بهم الموقوف عند اشارتهم وكان جبلا راسخا فى أخلاقه لاتهزه العواصف • ولايؤثر فيه مؤثر • وله مقام كبير عند البعمرانيين • وجلهم من أصحابه لانه متصدر لتلقين الناصرية وكان بعيدا كل البعد عن الدعوى • وعن التظاهر بمظاهر الخاصة من العلماء ورؤساء الطرق وعادته أن يختلف الى الكبار فى عصره فيفيد ويستـفيـد

كابن شيخه سيدى الحسن التيمكيدشتي وكالاستاذ ابن العربي الادوزى وكوالده سيدى العربي وكسيدى مسعود البونعماني وأحيانا يقدمالطائفة الناصرية الى جهة حاحة يرشد الناس ويعظهم ويهديهم الى سواء السبيل كما هي عادة العلماء الناصريين ومقدميهم منذ قرون وكان يمر اذذاك بالاستاذ سيدىعبدالله الركراكى المزارى الكسيمي . فيأخذ عنه هذامعلومات كما ذكره اه بعض تلاميذه ثم حكى أنه رأى منه روحانيات وكشوفات . يكون مثله في استقامته أحق بها وأهلها من رؤية الرسول مناما . كما تواتر عنه ذلك . ولكنه لايغتر . فلا يبالى بذلك . وحكى لى بعضهم أنهوافقه مرة في (سوق الخميس) بايت بوبكر في أيت بعمران . فصلى بالناس الظهر ثم التفت اليهم يثنى على استكانتهم وراءه في الصلاة فلا حركة ولاتنحنح يريد بذلك أن يحثهم على لزوم ذلك غير أنه لسكون طائره يعظ بالمطف وكانت كسوته كسوة أهل السنة كما كانت كل أحواله . وبالجملة أنه من أفاضل وقته نسكا وتباعدا من الدعوى . وعلمه كما يظهر لى حسن وانما اطراقه هو الذى لم يظهر بسببه له عمل بارز بين معاصريه . فلم يكن يتداخل في النوازل والافتاء . ولا كان يشارط فيدرس بل كل عمله في الارشاد . وكان في كل ربيع أول . يقدم طائفة تلك الجهة الى (تيمكيدشت) الى أن توفى ثم خلفه في ذلك ولده الحاج محمد الى الان ١٣٥٧ هـ يمر دائما بالغ بوفده .

وولده هذا له أيضا طرف من المعارف أخذها من (أدوز) فذكر عنه حال حسن . ورثه عن والده . وقد حج سنة ١٣٥٦هـ (ثم توفى بعد ذلك) وأسرتهم علوية النسبة كما ذكره ابنالعربي الادوزى والباراغيون يوجدون في أيت بعمران . وفي كدميوة في حوز مراكش . ووجد بخط المذكور أن الذين بالحوز من أحفاد محمد الباراغي العلامة دفين (تانكرت) بافران ويعيش أواسط القرن التاسع بعد ٩٥٨ هـ

وقد وقفت على مقيدات نقلها الاستاذ ابن مسعود عن سيدى محمدأباراغ يظهر منها اعتناؤه الكثير بالمقيدات . من بينها مانقله عنه في رسالة منه اليه:

(ومما اخبرك به ياسيدى أن بعض اصحابنا من تلامذة الشيخ التيمكيدشتي أخبرنى أن بردا عظيما وقع في جبال هشتوكة . وزنت قطعة منه فوجد فيها اربعة أرطال بعد ماذاب منها ماشاء الله وقد هدم كثيرا من الديار . وأفسد الفدادين بحيث لايمكن الانتفاع بها الا بعد ثلاث سنين وقد قلع الاشجار من أصولها وأحدث أودية عظيمة جدا . فنسأله تعلى اللطف لنا ولجميع المسلمين

وأخبر أيضا ان ذلك البرد اختلط مع ريح عاصفة واتفق أن رجلا

طلع لسطح داره • فرفعه وطرحه فى نحو ميل ميتا ووجد رأسه • أو قال عنقه دخل فى صدره • نسأل الله السلامة والعافية • والسلام

قال الرفاكى فى الحاج محمد الباراغى

(ومنهم الفقيه الربانى الواعظ الصمدانى من له راية الارشاد • وخطابة فى كل ناد • أفنى عمره فى نصح العباد • بصميم الجد والاجتهاد سيدى محمد ـفتحاـ بن ابرهيم اباراغ البعمرانى بلدا • السملالى نسبا• الناصرى طريقة • قرأ فى (تيمكيدشت) وبان فيه سرهم • وقد لزم زيارتها فى كل عام عام • وكذلك ابنه سيدى محمد لازم زيارتها اكثر من اربعين عاما فهو مقدم الزائرين فى كل سنة قال بعض المرابطين لسيدى الحسن بن أحمد : ان علم اباراغ كعسل فى جلد كلب • فقال سيدى الحسن استغفرالله فعلمه عسل فى ماعون طيب أرج • وكفاه رحمه الله منقبة • اذ شهد له القطب والمنقبة التى لامنقبة فوقها كماقال الشعرانى هى الاستقامة • فهى ديدنه ووكره الى ان توفى ٢٢ ـ ٣ ـ ١٣٣٢ ﻫ وبنيت عليه قبة حافلة • وقد عين رحمه الله سملالة ـ أى الشرفاء السملاليين ـ فى أيت بعمران • كما وجدته بخط سيدنا سيدى محمد بن العربى الادوزى • قال منهم أهل (بوكرفا) من ذرية الشيخ سيدى ابرهيم بن عبدالله صاحب القبة ببوكرفا وذريته كانوا بـ (أيت يعزى) و (ادموساكنا) و (تيليوين) و «بيفورنا» الخ ماذكره

وابرهيم بن عبدالله المذكور لم نعرف الان تاريخه • وعليه مشهدازاءه مدرسة ويقام عليه موسم الى الان • والمشهور فى تلك الجهة ابرهيم بن ابرهيم ذكره فى الطبقات والوفيات قال عنه فى (الطبقات)

(ابرهيم بن ابرهيم البعمرانى النازل بابى كرفة • كان رضى الله عنه رجلا صالحا خيرا • فاضلا دينا من أصحاب الشيخ الولى الكبير ابى محمد عبد الله بن سعيد بن عبد النعيم الحاحى وتوفى رحمه الله سنة خمس وثلاثين وألف) وقال فى (الوفيات)

(المرابط سيدى ابرهيم بن ابرهيم البعمرانى النازل بابى كرفة • من أصحاب سيدى عبدالله بن سعيد بن عبد النعيم الداودى • اخبرنى ولده سيدى عبد الله فى كتابه الى انه توفى ليلة الثلاثاء الموفى عشرين من ربيع الثانى عام خمسة وثلاثين وألف)

أتينا بالترجمتين ليرى القارىء كيف يترك صاحب (الطبقات) بعض فوائد مما ينقله عن (الوفيات) وعلى مشهد ابرهيم موسم سنوى كبير يقام الى الان ولضريحه سمعة كبيرة

أما ولده عبد الله بن ابرهيم المذكور فلم أقف له على ذكر • ويذكر في الالسنة أنه عالم صالح مذكور في عصره • وتكون وفاته في اخريات الحادي عشر بعد أواسطه • ولعل ذلك بعد ١٠٧٤ هـ لاننا لم نر من صاحب الوفيات اعتناء بجمع الوفيات وبمكاتبات الجهات الا بعد ذلك • والله اعلم ولابد ان يكون من تلك الاسرة الشريفة من أبناء ابرهيم بن عبدالله علماء ولكن لم نستحضر منها الانشيئا وقد قيل لى ان الضحاكي القارىء المشهور منهم ثم ثبت عندى ذلك حقيقة • وقد ذكر الضحاكي في ترجمة تلميذه جامع البعمراني في (هذا الفصل)

(ثم أننا وقفنا على عالم من بوكرفا يغلب على ظننا أنه من أولاد ابرهيم بن عبدالله • يسمى عبدالله •

قال فيه الرفاكي

(ومنهم حفيدنا المشارك السيد عبدالله بن ابرهيم بن محمد بن بكريم البوكرفاوى • ربيته فتعلم مني وخدمني فلم أر منه غشا • فهو أمين حق أمين فلما قضى نهمته بعد مالازمني ازيد من عشرين سنة • ودعته مرضيا عنه • وشارط في مدرسة (بني مسعود) بالاخصاص ثم انتقل الى مدرسة (أيت يعزى) ببوكرفا • فاستقر بها الى ان توفي في ١٣ ـ ٣ ـ ١٣٣٨ هـ رحمه الله ولمازاد عندى ابن اسمه أحمد كتب الى قطعة هذا نصها

أمولاى يا من علمه أنقذ الورى	من الجهل لازلت الهلال المنورا
هنيئا لك النجم الذى نجم سعده	بدا فغدا للدين طودا مقررا
فبارك فيه الله نجلا قد ارتوى	بمجد وفاز بالعلوم مظفرا
وبارك في أخواله الشم أنهم	خيار الورى ومثله لن يدمرا
جياد المدى منى العفاة وأقطاب ال	ـمفاخر منعاداهم صار مدخرا(1)
على سيدى شمس المكارم والعلا	تحية عبد كان ملكا بلا شرا

وله غير ذلك

انتهى قول المؤرخ الذى نعلم منه ان هذا الانسان اديب كما ترى وياليتنا وجدنا آثاره

هؤلاء الثلاثة عشر من الاساتذة هم الذين عرفناهم من مشيخة الاستاذ ابن مسعود • ومثله في همته • لو كان في الحواضر لكانت له مآت من الاساتذة حيث تنفق أسواق المعارف ويتسع الميدان لذوى الهمم السباقة كهمة الاستاذ محمد بن مسعود لكنه في البادية الضيقة يكاد يهمل وان أدرك ما لم يدركه أقرانه • واعتنى بالرواية في حين أن معاصريه نسيها غالبهم

---
١) كذا البيت في الاصل

تصدره في المدرسة [البونعمانية]

في سنة ١٣٠٩ هـ أقلع والده عن تلك المدرسة . وألقى مراسيه في (سيدي مزال) ثم في (المعدر) تاركا الميدان لولده . وقد غادر هناك من نجباء التلاميذ من يذر من أجلهم الاستاذ الجديد النوم الذي كان يتسلط دائما على جنبه مرغما ولايدفع الانسان الى السهر . ولا الى الامعان في الاستعداد الا اللدات الذين لابد ان يكون بينهم من لايكون سؤاله أثناء الدرس الا تعنتا وهذا ماكان . فان ابن مسعود لميكد يتصدر هنالك حتى توجه بكل ما أوتيه لاستحضار الدرس فيطفح بالابحاث . حتى أرغم لداته على ان يكونوا أمامه تلاميذ عن جدارة ثم لهم الفخر بذلك . فوقع لابن مسعودمثل ماوقع لابن العربي الادوزي يوم خلف له والده مدرسة عامرة فيها مائتان فقد مثل كل واحد منهما دورا عجيبا . وضربا معا من جدهما وادمانهما في ذلك الدور مثلا عاليا يوقظ الوسنان وينشط الكسلان وان كان مابينهما غيرسواء . فابن العربي المولود سنة ١٢٤٩ هـ يكون له سنة (١٢٨٦هـ)ثمان وثلاثون سنة . قضى اكثر من عشرين منها بين يدي دراسة والده فلايكون يوم يتصدى لادارة الدراسة العامة في المدرسة الا قارحا منجذا (١) بخلاف ابن مسعود المولود نحو ١٢٨٣ هـ فانه لايكون فيمثل ذلك المقام سنة ١٣٠٩ هـ غير ان السنين في مثل ابن مسعود لاينبغي ان تعد . فانه يقطع في شهر . مايقطعهغيره فيسنة . بهمته الدائمة فيالتقدم . وقداخبرني الاستاذ الحسن بنمبارك البعقيلي المعدري أنه رأى في حاشية بعض كتب الاستاذ التي كان يأخذ بها طررا عجيبة منبنات فكره وأحسبه ذكر لي (المحلي) قال وذلك مكتوب قبل ١٣١١هـ فهذا مما يدل كل الدلالة على أنه يوم تقدم الى الميدان لميكن الامتمكنا بارعا ماهرا لايوخذ على غرة . وما ذكرنا ماذكرناه من مماحكة الاقران الا لانذلك أمر معتاد أن يكون ولابد لمثله في مثل تلك البيئة التي انتقلت اليه فيها الادارة العامة في ساعة . من يد أبيه الى يده . فلابد أنيكون هناك نجباء لايرضخون لفهمه الا مرغمين . ثم يتحولون بسرعة ثناء عظيما على الاستاذ الجديد .

عصر دراسته الذهبي

لم يكن الاستاذ قط ملقيا وراءه ظهريا الدراسة كل الالقاء في كل اطوار حياته الاتية . غير أن ذلك منقسم الى طورين متباينين الطور الاول من يوم

١) القارح اى مكتملا قادرا وكثيرا مايستعمل فيذوات الحافر ومنجذ مجرب ناضج

تولى ادارة الدراسة الى نحو ١٣١٦هـ والطور الثاني من ذلك العهد الى أن توفي سنة ١٣٣٠ هـ فلكونه في الطور الثاني مأخوذا بفكرة صوفية روحية غلابة كانت تتخلل دراسته السائرة بعض أيام تشغر من الدراسة بسياحات صوفية • يندفع اليها بلاشعور • وقد غلب بما استولى عليه من سكرة الخمرة الروحية ثم لم يهدأ ويلزم الدراسة ثانيا بنظام الا بعد ان اتصل بشيخه الصوفي الاخير الذي كان يحثه على ذلك وبهذا الطور الثاني يتجلى كماهو للقارىء بعد حين • وأما الطور الاول • فهوعهد متماسك الحلقات في التدريس والافتاء والقضاء • وتحرير المسائل • وقد سادت فيه أمواج زاخرة حصلت كلها للعلم فقط • لم يتجاوزه الى غيره

حقا ان مابين ١٣٠٩ هـ وبين ١٣١٦ هـ هو العصر الذهبي من حياة ابن مسعود الدراسية فقد امتدت أمامه جواء الافهام الفسيحة • وخامرته سورة المعارف التي أخذت عليه لبه • فظهر بمظهر عالم كبير يزاحم معاصريه من العلماء باكتاف عريضة • دراسة وافتاء وقضاء فبينما يوالي في محفله بالمدرسة دروسا حافلة اوسع من عهد والده • بما اهتم به هو من كل الفنون فجعلها يومية لازمة كالبيان والاصول والمنطق واللغة والادب والحديث والتفسير بينما هو يتابع ذلك كله لتلاميذه الكثيرين اذا به يجاذب في النوازل كبار العلماء • فيرد على ذاك ويؤيد هذا ويؤلف ضد زيد ويفتي تأييدا لعمرو • حتى ان عبارته اذذاك عبارة فقيه اندفع بقوة فهمه • فيستحلي في رده امثال هذه العبارات صدر رد له على بعض المفتين

(أما بعد ، فقد قرأت ردك الذي استفرغت فيه جهدك فرأيتك ابعدت النجعة • وانأيت عن الاصل فرعه كانك لم تكن من ترتيب المقدمات على ذكر • ولم يجر ذلك قط منك على فكر حتى شرقت وقد غربت القضية وأتهمت بادلتك وقد انجدت المسألة الى الناحية النجدية (١) الخ)

مجاذبته الاستاذ المحفوظ الادوزي

كان الاستاذ المحفوظ مشارطا في مدرسة (سيدي بوعبدلي) وهي قريبة من المدرسة (البونعمانية) بنحو فرسخ وكان من لدات ابن مسعود سنا وعلما • وفهما وذكاء • وتطلعا الى الاخذ بنواصي المعارف فالتقى ليث بليث – ولاالتقاء بشر باسده الذي ساوره تلك المساورة التي سجلها في قصيدته الرائية فقد تجاوروا هناك في ميعة شبابهما وفي فجر حياتهما العلمية • وقد وقع الاقبال الكبير على كليهما • فلم ينشبا ان جريا معا في ميدان النوازل

١) أتهم قصد تهامة وأنجد توجه الى نجد وهما اقليمان من جزيرة العرب

فتخلصا الى مجاذبة النصوص فى النوازل التى يعتورانهما فيطفح كل واحد منهماعلى قرنه بسيل من الادلة حتى اشتهر مابينهما خصوصا فى مسألة فقهية (لم استحضر موضوعها) فقد تجاذبا فيها بالايدى وتراشقا فيها بالادلة • حتى أكثرا جدا • فصادف سيدى مسعود الاستاذ ابن العربى فقال له ماهذه المجاذبة بين ابنى وبين سيدى المحفوظ • فقال له ابن العربى دع الشابين يتلازان ماطاب لهما ذلك • ويظهر كل واحد منهما مقدار ذكائه • وحدة تعلقه والا فالمسألة منصوصة لاتحتاج الى كل هذا ونأسف نحن حين لم نقع على موضوع هذه المجاذبة • ولاعلى ماكتباه معا فى ذلك • ولعل الباحثين يقعون على ذلك فيفضلون به على التاريخ ان كانت هذه المجاذبة حقا كما يجرى على السنة المفتين الذين يعتمدون على الحجج والبراهين (ثم علمت أنها عند الادوزيين)

مجاذبته للاستاذ أحمد بن محمد الفقيه الالياسي الماسي

ليس بعجيب أن يبرز ابن مسعود الى الاستاذ المحفوظ الذى كان لدته سنا • واقتصارا على المآخذ فى سوس بل العجيب أنه برز الى مقام يكون فيه أهلالان يسأله علامة ماسة الذى اخذ من الحمراء • عن مسألة اخرى بل مسائل منبينها الرهن المشهور فى البيوعات • وقد وقفت على نفس السؤال وماكتبه الاستاذ جوابا وقد أدرجنا ذلك فى (المجموعة الفقهية) وذلك من أنفس ما رأيناه للاستاذ فى الفقهيات • المزوج بغيرها استطرادا • وهذا هو الذى سماه (سلوة الاسى فى جواب الماسى) (وقد ترجمنا هذا الاستاذ واسرته فى القسم الخامس)

ابن مسعود قاض كبير

فى هذا الطور العلمى الذهبى فى حياة ابن مسعود العلمية جال فى مجالات فسيحة فى القضاء بين الناس بطريقة التحكيم وكان يأخذ ماكان معتادا أن يأخذه أمثاله • فكانت منزلة والده قبله وسمعته مما أمال اليه كثيرين • علما منهم بانه مظنة عدم التعسف فى قضاياهم • وانه لايفع فيما يقع فيه أقرانه • لان تربية والده تمنعه من ذلك • وكان والده نفسه يرضاه لهذا المركز علما بأنه لايقول الا الحق فلئن كان هو لم ينزل الى هذا الميدان فلم يكن بجاهل أنه ميدان شريف ان سلكت فيه الطريقة المثلى • ولايمكن لكل العلماء أن يتفصوا منه والا لضاع الشرع وفسدت الامور • وتولاها الجهال وكل مندرس أول شرح التاودى على (التحفة) لايخفى عنه ذلك • وانما الناس يتفاوتون بالاستعداد النفسى لهذا الميدان فحين كانت نفسية سيدى مسعود

لايمكن معها الجرى حول هذا • فانه غير مانع ولده بعد أن عرف نزاهته ان ينزل اليه • وأن يجارى فيه العلماء • وهاك بطاقة تدل على رضا سيدىمسعود لولده بمزاولة فض النوازل

(من مسعود بن محمد لطف الله به • وبالمكتوب اليه ابنى محمد ملازم مدرسة (بونعمان) فى الوقت أصلحه الله وأعانه على طاعته وحفظه وبارك فيه • السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى جميع من تعلق بكم

وبعد فالدعاءلنا بالخير وأوصيكم ونفسى بتقوى الله العظيم واتباع الحق • وملازمة الصلوات الخمس فى الصف فى أوقاتها أعاننا الله واياكم على طاعته هذا فحامل الحروف الطالب سيدى مسعود بن على الاكراعـى (لعل) أعلم انى رفعت نازلته مع خصمه احمد بن محمد التزنيتـى الى يـدك لتفصلها ان شاء الله بالحق • والزم الصلح بينهم والمشاورة والتأنى والتثبت حتىيظهر لك الحق • وفى الحديث من تأنى أصاب أو كاد • ومن تعـجـل أخطأ أوكاد وفى الحديث قاضيان فى النار وقاض فى الجنة جعلنا الله واياكم من أهل الجنة بالنبى وآله والبخارى ورجاله • واقرأ السلام منى على جميع الطلبة • وابنى أحمد • وقل له أن يوصلنى اختكم ونـودعها للـه لتقرأ ان شاء الله فى أدوز)

لاريب أنك لاتستنتم الرسالة حتى تعرف النفسية التى يحب سيدى مسعود ان ينزل بها ولده الى ميدان فض النوازل وذلك كاف فى النزاهـة التى نعرفها من الاسرة المسعودية • ثم تدرك وراء ذلك اهتمام سيدى مسعود حتى بتعليم بناته فانه سخا بها فيرسلها الى (أدوز) فى دار الاستاذ محمد ابن العربى الذى اعتنى كذلك ببناته يعلمهن • وكانت اذذاك والدة مولف هذا الكتاب تتعلم وقد ذكرنا ذلك فى ترجمتها فى (القسم الثانى)

ثم أن منصب القضاء لم يزل ابن مسعود يجول فيه حتـى كان منه مـا ستراه

يعتني بالمطالعة والتأليف

فى هذا الطور العلمى الذهبى فى حياة ابن مسعود أكب أيضا على التهام الكتب علىاختلاف فنونها • والقلم بيناصبعيه • فاذذاك طالع (ازهارالرياض) واختصره واذذاك أيضا طالع (رحلة العينى) واختصرها • كما انه فى هذا الطور على ماأحسب ألف مولفات كحاشية (أيسر المسالك) ونـظـم رسالة الدردير واتمام نظم الكرسيفى لمختصر (المدخل) وغير ذلـك وكانـت الخزانة الادوزية وخزانة الحاج الحسين الافرانى مفتوحتين أمامه • كما

كانت كل الخزائن القريبة منه . كالخزانة السملالية التى لم تنهب فى الساحل بعد . وكانت قيمة وكالخزانة الاكرارية تحت يد أستاذه أحمد بن ابرهيم الذى لم يكن يضن بها عنه كما كان يضن بها عن ءاخرين وقد وقفنافى رسالة من ابن مسعود اليه . تدل على اعارته له مايريد من الكتب . وكذلك فى هذا الطور صدرت عنه مولفات ادبية .

إعصار روحي في أفق حياته

وقفت على مراسلة بين المترجم ووالده نصها

(من محمد بن مسعود الطالبى ثم البرابيمى . كان الله له ءامين الى الشيخ الوالد . أطال الله بقاءه فى سلامة وافية . دينا ودنيا واخرى . وسلام عليه وتوابعه وأسأل سيدى صالح الدعاء ثم ان المولى مباركا ورد علينا صبيحة يوم الخميس الرابع عشر فى رمضان وذكر أنه قصد الى الشيخ فى تبن للبهائم تفد عندهم فى (تيمجاض) فأرسلت الى الشيخ على يده قالبامن السكر وقدرة فخار فيها من السمن والعسل نحو ٣ قبضات (١) هدية للشيخ رضى الله تعلى عنه . وكافأه وأدى عنا حقوقه وحقوق أهل الحقوق أجمعين بجاهالنبى صلى الله عليه وسلم وأرسلت على يده لسيدنا أيضا جزءين من متن البخارى . لم نجد هنا فى التابوت من النصف الاول فى البخارى الا ذينك الجزءين . والا جزءا من نسخة المدرسة هو الاول . وما منعنا من ارسال ذلك جملة فيما مضى الا فقد صاحب بهيمة يوصل الجميع . وأما طلبة المدرسة فلاأظنهم يقدرون على توصيل الجميع على أيديهمبدون دواب . أو لاتطيب أنفسهم بتحمل التعب فى ذلك وفى ذلك كله مالايخفى عنسيدنا فليعذرنا سيدى فى تاخير الارسال فنحن أهل الكسل والضعف والزلات القلبية والجسمانية . ثم أشكو الى الله تعلى ثم اليكم ماأجده فى قلبى منالقسوة والتكاسل عن الطاعات وعن المسارعة اليها . وكثرة الخواطر الدنيوية . فبينما أنا أقول لاباس عندى . اذا الطبع يجذبنى الى الكسل . وكثرة غفلة القلب وخوضه فيما لاينفع . ولعل ذلك هو سبب التكاسل عن الطاعة . فليبعث لى سيدنا برسالة يبين فيها دواء لهذا ثم أتضرع الى الله . ثماليكم فى أنتذكرنا بصالح الدعاء لعل الله تعلى يدفع عنا شر ذلك ويلزمنا الصراط الاسقم ـ كذا اخذا من العبارة الاحمدية المنتقدة عند النبهاني وغيره بمخالفتها للعربية الفصحى كما خالوه وان كانت لفظة الاسقم صحيحة بالمعنى الشلحى الذى معناه المستقيم ـ وأما خبر البلدة فليسأل سيدى المولى

---

١) مقصوده بالقبضات مقدار اناء يكال به اذذاك يسمى (تاونتيمت) فأطلق على كل واحد قبضة وهو دون (ليترو)

مباركا المذكور عنه (يعنى بالبلدة تمجاض) وأمائنا فما سألت قط عن ذلك ٠ فان كان هذا عيبا ٠ فأنا لاأكتمه عن الشيخ من نفسى وسبب ذلك أنى وجدت بعض راحة القلب وسلامته من كراهة الجيران عندهم فى ذلك ٠ حتى انه لو أمكننى أن أنهى الطلبة الواردين على كسيدى ٠٠٠٠٠ (١)
وغيره ان يتحدثوا بين يدى بمثل ذلك لنهيتهم وماأخترت سكنى حوالى المدرسة الا للعزلة عن الضيوف وعدم التحدث معهم ٠ اذ لاياتون بخير ٠ ولكن قضاء الله خير ان شاء الله تعلى ونسأله تعلى ان يتولانا فى كل حال ٠ ويلطف بنا فى طلب المآل آمين والسلام ٠ فى ١٤ رمضان المعظم سنة١٣١٦هـ (عن عجل ٠ محمد أمنه الله)

الجواب

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أفضل ما حييتنا به أيها الابن محمد حفظكم الله ورزقكم رشده وهداه ٠ وأعلى مقاماتكم فوق المقامات بالنبى وآله والشيخ البخارى ورجاله ٠ وأوصيكم ونفسى بما أوصى به الله فى كتابه بقول الله تعلى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم (الاية) ونعلمك بأنه وصلنى ماذكرته بمقلوبه (لانه كتب الجواب على ظهر الرسالة) عن السمن والسكر ٠ تقبل الله منكم ٠ وجعل سعيكم سعيا مشكورا مقبولا ٠ بالنبىوآله فخذ بيد الحامل ثلاثة اجزاء من القسطلانى وجزءين من نسخة سيدى البخارى للمدرسة ٠ وجزءا من التسولى للسيد الحسن (٢) الاعرابى ٠ تركه هنا الابن احمد ٠ وأما ماذكرته من غفلة القلب ٠ فعليك بكتاب (التنوير فى اسقاط التدبير) لابن عطاء الله فقد رأيت عند الفقيه سيدى عبد الرحمن العوفى جزءا صغيرا من نسخته ٠ وقال ٠ وجدتها فى أوراق أخوالى سى مسعود الذى يقرأ هناك ٠ واشكر الله الذى رزقك وألهمك رشده وتقواه ٠ قال الله: (لئن شكرتم لازيدنكم) الاية واشكر الله على رؤية الطلبة والفقراء وتاليف القلوب على محبة الله وأما ماذكرته من الاضياف ٠ فالسنة أن تتكلم معهم بمايليق ٠ قال تعلى (ياأيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم ٠ لايضركم من ضل اذا اهتديتم) وسلم الامر لله ومن كلام زروق :

(سلم لسلمى وسر حيث سارت) الخ

ولابد ان شاء الله أن تاتى بنفسك أو أخوك أحمد ببنتى عائشة الى دارنا هنا قبل العيد أو بعده ولا تستهزىء ـ أى لاتتأخر ـ ولو عليك ألف عذر والسلام)

---

١) قطع من الرسالة
٢) هذا هو سيدى الحسن الركائبى المترجم فى هذا الفصل

من هذه المراسلة نعلم الوقت الذى تتبدل فيه أحوال الفقيه العلامة المدرس المستفرغ جهوده فى الابحاث والنوازل ومجاذبة أقرانه الى أوصاف أخرى سيكون بها الناسك المتبتل الورع المتقشف الصوفى الملح على نفسه بكل مايامر به الصوفية ليستوى على المكانة العليا فى التصوف • فان ابن مسعود هو ذلك الذى لايقنع فى مقامات التصوف الا بالمقام الاعلى الذى يتذبذب دونه كل مقام •

ملاقاته بماء العينين

بالعيس عج ياشاكى العينين	للشيخ قطب الوقت ما العينين
واخلع فديتك ثوبغفلة مامضى	ترد العلوم الزهر من عينين
عين الشريعة والحقيقة ويك هل	تخفى شموسضحى لذى عينين؟
يارب عبدك قد الم ببابه	مستشفعا فى رفع كل الحين
ومقدما عطر الثناء هدية	بدلا عن الفانى الحقير العين

بهذه القطعة تقدم الاستاذ ابن مسعود الى الشيخ ماء العينين وهو نازل مع أصحابه الكثيرين بين الفاف الزياتين بين يدى المدرسة (البونعمانية) فى احدى ممراته الى الحمراء حين كان الوزير أحمد بن موسى يفرش له وجنتيه تواضعا • فما بالك بمن دونه • فنال الشيخ منزلة سامية كان دائما فيها منذ كان مثل امام المولى عبد الرحمن فابنه محمد • فحفيده الحسن • فابن حفيده اليوم عبدالعزيز • وكانت مولفات الشيخ مطبوعة مشهورة • وفيهاعلم جم وكلام صوفى عظيم القدر وأسرار منشورة فهذا ماحدا الاستاذ ابن مسعود حتى طلب الانخراط فى طريقته • وأن يجعله امامه فى التصوف • وكان ابن مسعود اكثر من مطالعة كتب الفن • فعلم أن التصوف الاصطلاحى الذى يكون محوره هو التربية لايكون ماخوذا الا عن شيخ حى من الاشياخ المربين بالتربية الاصطلاحية المشهورة عند القوم • فعزم على ان يضع نفسه أمام هذا الشيخ • لانه مظنة هذه المرتبة العليا التى يقر الصوفيون أنفسهم أنها لاتكون الا للنادر منهم •

واظب الاستاذ على مالقنه اياه الشيخ ماء العينين ماشاء الله • ولكن قسوة قلبه التى يأمل أن تزول • وتلك النفحة الربانية التى يذكر أنهاتحصل للمريد أمام شيخه • فتطير بأجنحتها الى الفناء فى الله حتى تتخلص عبوديته وتنماع شخصيته لم ير ابن مسعود لهذه الملاقاة فى دفع تلك القساوة • ولا فى جلب هذه النفحة اثرا • وقديما يعلم ابن مسعود حكاية الذى يتطلب الشيخ المربى • ويقول : والله لاأجعل شيخى الا لمن تحيط بى همته • وتزج بى فى عين المقصود • فكان يتردد على مشايخ عصره • ولايجد مايتطلبه حتى

اتصل بالشيخ احمد بن موسى • فاذا به يقع على طلبته • كما ان ابن مسعود كان يعرف أيضا قولة الشرقي التادلي

(أَللّه مَنْكُولْ سِدِي بن سدى َغرْ لَحْل كَيْودِي)

قال انسان كان اذذاك ممن يمازح الاستاذ ابن مسعود حاكيا لم أر من بركة الشيخ ماء العينين الا خفة شهوة الطعام والكفاية بأقل مايكون من الطعام • قال فكان هذا هو السبب حتى فترت همته من جهة الشيخ ماءالعينين فصار يجيل ثانيا عينه فى الافق •

مع الحاج بلخير البُوشْتي

أثناء هذه اللهفة التى تركها ورد ماء العينين فى قلب الاستاذ ابن مسعود • صادف أن التقى بالحاج بلخير البوشتى البعقيلى • وهو من المقدمين فى الطريقة الناصرية • ولكن أحواله الظاهرة • مقتبسة من أحوال الطريقة الدرقاوية تقشفا • وعقد مجالس للذكر فى كل وقت • وكانت له حال غريبة تؤثر فى الانسان بادىء ذى بدء • ولسان قوال جوال فى جواء المذاكرات العليا • ويحكى عنه فى ذلك غرائب • فقد كان أميا لايقرأ ولايكتب • غيرأنه اذا شرع فى تفسير حديث أو آية بلسان الصوفية ياتى بأذواق مستحلاة فى الافهام • فبهذا خلب الاستاذ ابن مسعود فى أول يوم فوجد من الاستاذ قبولا وانقيادا وشهوة ملحة • فيها لهف شديد الى تلك الشربة • فناوله كأسا مشمولة مترعة من الاحوال البادهة • والاقوال المعسولة فقال الاستاذهذه ضالتى التى أنشدها لانه لم يألف قط مثل ذلك لامن أبيه الذى كان لازم طريقته الناصرية ماشاء الله الهادئة الساكنة • كما لم يرح رائحة ذلك من الشيخ ماء العينين الجبل الراسخ • فانزج بذلك ابن مسعود فيما انزج فيه كما يقع للنحلة ان أبصرت خابية عسل • فلم يكن الحاج بلخير ذا سياسية فى أمره يستعين بها على ملاك ما انتدب اليه فكان ينقطع أحيانا الى المدرسة (البونعمانية) وحينا يقدم الاستاذ ككل من اقتدى به وهم كثيرون انخرطوا فى طريقته • وقاموا بين يديه صفوفا كما يقف المريدون المخلصون أمام الاشياخ الكاملين

يحكى الذين كانوا بين هؤلاء اذذاك أنهم فى أثناء مجالس الذكر • تعتريهم جميعا أحوال قاهرة • فبمجرد مايحدق الشيخ فى أحدهم لايحس بنفسه حتى يقفز كالديك ان أصابته نواة خذف • ومرة جاء الحاج بلخير الى المدرسة • فاعتكف فيها فيخدمه الاستاذ خدمة العبد وفى أوقات المذاكرة يتلو الاستاذ من الكتاب • فياتى الشيخ من تفسير مايتلوه بالعجب مع أنه أمى وكان فى أحواله كلها متقشفا غاية التقشف • ضاربا على وتر مخالفة النفس

والهوى فى كل شىء تاليا عبارات الاشياخ الصوفيين فى كل حديث يحفظ منها كثيرا • وكان عابدا متجهدا متجهما وقورا •

أدى هذا الحال الجديد بالاستاذ حتى تضاءلت دراسته وبردت همته العلمية • وقد أعرض عن كل أحد الا ماكان من الحاج بلخير فكان والده وأصحابه من العلماء الكبار ينهونه لينكف عن تلك الحالة ويراجع ما كان منه مألوفا من التفانى فى دراسة العلم • ولكنهم فى الحقيقة يظلمون الانسان • لان الداعى الذى تكون من استعداده للتصوف لايدعه مستريحا • حتى يقع على ماينقع غلته • ومعروف عند الصوفية من شروطهم عدم الاصاخة لاى انسان يلحاهم عما هم فيه • بل يستحلون اللوم فى ذلك • الم يقل ابن الفارض

أعد ذكر من أهوى ولو بملام فان أحاديث الحبيب مدامى

وأخيرا تشدد سيدى مسعود فى معذلة ولده • فلم يجد هذا بدا من مفارقة المدرسة • فنزل بأولاده فى دارهم بـ (تيمجاض) ثم أقبل مع شيخه ومن تبعهما من الطلبة سائحين فى الجبال من اداواتيت • فجاء سيدى مسعود الى المدرسة يلقى فيها الدروس • ولعل ذلك فى سنة ١٣١٨ هـ ثم لم يطل الزمان فمرض سيدى مسعود فتوفى وقد استقر ابن مسعود ثانيا بالمدرسة فاذذاك اجتمع علماء من تلاميذ سيدى مسعود وغيرهم ازاء قبة (سيدى بوعبدلى) وقد قام موسمه وهم الحاج محمد الباراغى البوعمرانى وسيدى محمد بوعلال وسيدى عمر الدهوزى وسيدى بلخير التوياكى وسيدى بلخير التيمجاضى وسيدى الحسين البولوقتى التزنيتى • وسيدى محمد أبو النية فتذاكروا فيما بينهم • وتداولوا هذه المصيبة ألتى وقع فيها الاستاذ حين يتلاعب به أمى يتقدم الى الصلاة أمامه ـ ولم يكن للحاج بلخير اكبار فى القلوب ـ وقد أداه الى ترك الدراسة فى غالب أوقاته • فأجمعوا على أن يصارحوا الاستاذ اللوم كلهم عن لسان واحد • قال الحاكى فكان ذلك مما حمل الاستاذ على أن يستفيق استفاقة ما • ثم تتابعت أمور من الحاج بلخير كشفت عن بعض الخبايا منها أنه يشير الى أنه المهدى المنتظر • وقد يقول لاحد أصحابه انك اذن ستكون قائد القبيلة الفلانية • قال الحاكى فقال الاستاذ أهذا هو الذى نتطلبه من هذا الرجل ؟ ثم انه شاهد منه أيضا مايدل على أنه يلامس من ينتقض بلمسه الوضوء • بل رأى منه مايدل على التأثر بالملامسة فعرف منه أنه يتهاون فى طهارة الحدث • فلم يجد بدا من قطع حباله عنه • وكان ذلك سنة ١٣٢٠هـ بعدما صاحبه نحو ثلاث سنوات أو أكثر بقليل ثم لم يكد يعلن أنه نفض من الحاج بلخير يده حتى انفض كل الناس حول الحاج بلخير وما كانوا متبعين فى الحقيقة الا الاستاذ •

ان الحاج بلخير يقول عارفوه ليس له شيخ صوفى تربى على يده • وانما كانت له مجاهدات نشأت له بها هذه الاحوال • ولو كان سالما من مثل تلك الدعاوى الاخرى لقبل فى صفوف مشايخ عصره • فان منهم من لايفوقونه الا بمعرفة ماياتون وما يذرون أى كانوا صوفية بالسياسة اكثر منهم صوفية بالاستنهاض الى الله غير أنه افتضح بما يدعيه من أنه المهدى المنتظر • وهى دعوى يفتضح صاحبها بسرعة • ثم انه ـ وهو مما يستدعى العجب ـ ممن أجمع الصوفية والعلماء من كل نواحى سوس بأنه ليس هناك وقد قال الاستاذ ابن العربى الادوزى ان من قتل الحاج بلخير أضمن له الجنة فقال له انسان أولست أنت ياسيدى طامعا فى الجنة • فلماذا لاتقتله بيدك ليصح لك ضمانها • وهو الذى سعى به القائد النفلوسى حتى اعتقله • وقد ذهب اليه مرة الشيخ الالغى • فمر به فى داره عن قصد • فقال له أخرج الينا الوضوء • فتوضأ الشيخ ثم ركب بعدما تأبى من الدخول • فقال للحاج بلخير بالله عليك ماذا أعددت للناس الذين قمت تدعوهم اليك • كشيخ يعرف الناس بربهم • فقال له وماذا أعددت لهم أنت ؟ غير أننى واياك ندعوالناس معا الى جهنم فبادره الشيخ انا نعوذ بالله من جهنم • فلتكن كذلك أنت وحدك • ثم بادر الحاج بلخير • فأخذ بركاب السريجة على البغلة • وبخرطوم اللجام • فصار يرى ذلك للشيخ • ويقول له أهكذا يكون الصوفية الزهاد؟ فلم يرد الشيخ المطاولة معه • فتركه وهمز بغلته • ولم يكن الشيخ يلاج أحدا

هكذا أو مثل هذا يحكى الحاضر ماجرى بينهما • والحق الذى نقوله نحن : أن الرجل ليس هناك من أجل مايتفق عليه كل من كان له تابعا • الا أن أحواله البادهة تخلب الناس بسرعة فيتبعونه • ثم لايلبثون أن ينفضوا ثانيا من حوليه • فبعضهم يحكى أنه كان يأمرهم باكل الخبز بالقطران مخالفة للنفس وقد شككت فى هذا استبعادا • حتى صححه لى من له اطلاع • وبعضهم يحكى أنه لايزداد قلبه بمصاحبته معه الا قساوة ومجمل حاله أنه مجتهد من : ١٣١٠ هـ الى أن توفى نحو ١٣٥١ هـ فلا يفتر عن تلقين الاوراد غير أنه لايتم له شىء • وقد تتكون له طائفة منهم • يسيح بها فسرعان ماينفضون • حتى لايكون حوله أحد • وكان يسيح فى (مجاط) وفى (ولتيتة) وفى (ازاغار) وفى (حاحة) • وفى كل هذه له أتباع • يكثرون ثم يقلون • وها هو ذا اليوم قد توفى • فأين ذكره • وأين أعماله • وأين واحد من عارفيه أوأتباعه يشهد له

سقنا هذا كله لنعرف بمن اغتر ابن مسعود ثم ان ذلك كله يظهر من سوء بخت الحاج بلخير والا فقد علمنا كذابين انتشر لهم صيت كبير • وأتباع وزوايا وكرامات • فاذن لايلوم الا حظه فقط • ولايعرف عنه القارىء الا أن

الحظ لم يساعده • ولايبنين عدم صدقه على عدم تاثيره • فان ذلك غير مصيب بدليل مانراه من ءاثار الكذابين •

أقول قولي هذا حاكيا لاغير • وأما أنا فلم أصاحبه • لاحكم له أو عليه فانه رجل من المسلمين رحمه الله ورحمنا جميعا • فلست ممن يولعون بالحط من الناس • حتى ينال مني الحاج بلخير رحمه الله قسطه • وقد لقيته مرة في (حاحة) وقد رجعت من (الغ) الى (الحمراء) في احدى زياراتي للوالدة ومعه أناس غالبهم شبان ولهم سبح كالدرقاوين • وهو على بغل ببرذعةووجهه متجهم على هيأة العباد • ولباسه غليظ • وعليه قميص صوف • والرجل هو على كل حال عابد متقشف •

هذا هو الحاج بلخير الذي خلده اتصاله بالاستاذ ابن مسعود • ثمتخلص من حبالته بحسن نيته • وما مثل ابن مسعود من يخيب • فانه يقري الضيف ويحمل الكل • ويعين على نوائب الزمان (وسيرى القارىء في ترجمة الحاج بلخير في (القسم الخامس) أزيد مما هنا)

مـــع الشيخ الالغي

كان ابن مسعود بلاريب يعرف الدرقاويين من صغره • فان أمه منهم ومن محبيهم • ودارهم في (المعدر) جارتهم جدارا بجدار • ولاأحسب أنتباعده عن أهل هذه الطريقة حتى لايظن طلبته في أيديهم الا ناشيء عن هذه المقاربة فان في بعض ظواهر هذه الطريقة مالايقبله العلماء ولايمـكـن أن يحنوا أمامها هامهم • فيقولون ان الظواهر عناوين البواطن • فيكون ذلك أدعى الى ابتعادهم منها ومن أهلها خصوصا ممن كانوا نشأوا تحت ظلال الطريقـة الناصرية السهلة • المستوى ظاهرها وباطنها • فلاترى فيها أمتا ولاتحس من أحوالها التي تنبني عليها مايشار اليه كبدعة • ينبغي أن لاتقبل • ولذلك لانستبعد من ابن مسعود الناشيء تحت ظلالها أعراضه عنها وعن أصحابها• رغم أنه يتصل بهم في الطرقات • ومن بينهم من له به اتصال شخصي • فقد حدثني محدث أن الاستاذ كان يلاقي مرات الشيخ الحسن التاموديزتي منها مرة في بسيط (بوسنصار) فمشيا راجلين ماشاء الله • فكـان ممـا جرى حديثهما حوله شيخ التربية فقال ابن مسعود كيف يوجد ؟ وكيف يعرف فقال له التاموديزتي المقالة الشرقية

(أَالْلَّه مَنْكُولْ سِدِي بن سِدِي غِرْ لَحْل كَيُودِي)

اى والله لااقول سيدى ابنسيدى الا لمن حل قيودي

ثم وقفت على بطاقة صغيرة بخط الشيخ التاموديزتي كتبها الى الاستاذ

المترجم وقد مر به في المدرسة ، نصها

(من الحسن بن مبارك التاموديزتى • كان الله له • الى الاخ سيدى محمد ابن مسعود من (بونعمان) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وأعانك فيما كنت فيه •

وبعد فقد مررنا بكم وأرسلنا الاخ سيدى أحمد بن ابرهيم من (الكريمة) واوصيناه أن وجدكم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لايقيمكم عنه • ولم ندخل نحن لئلا تروننا فتشتغلوا عنه • فاعذرونا واعذروه حين أقامكم واستعذر اليكم انه ان لم يفعل مررنا ولم نركم • لماذكرنا لكم من تعويل ذلك الفقير الاينترى علينا ولايحسن تخلفنا عنه • ونوصى أخاناأن لاينسانا بصالح الدعاء • والسلام)

ليس المقصود من ذكر البطاقة الا ان نعلم كيف يتصل ابن‌مسعود بمثل الشيخ التاموديزتى الدرقاوى • ويجد القارىء ان شاء الله في ترجمته في (القسم الخامس) مقالة صغيرة كتبها الاستاذ ابن مسعود فيه حين توفى •

أفلت الاستاذ ابن مسعود من يد الحاج بلخير ولم يكد • ولانشك فى أنه يعتريه خجل حيث اغتر حتى وقع في يدمثله بعد ما خالف كل أودائه وغامر ببر والده فيأخريات أيامه • ولايدرى الا الله مقدار مايعتريه من الاسف • ولو لم يكن صادقا فى تطلبه لما عند الصوفية حق الصدق • ولو لم يكن ذا عطش شديد الى شربة مما عندهم • لكفت هذه الصدمة فى نفضيده من كل من يتظاهرون بالتصوف • فيصبح فقيها قحا • ولكن الانسان مسوق الى ماقدر له •

شاع بين الفقراء من أصحاب الشيخ الالغى أن الشيخ قال نحن الذين طلبنا سيدى محمد بن مسعود من الله • لاننا رأيناه شديد الرغبة فى أن يتحلى بحلية العارفين • ولكنه لم يهتد الى الباب • فان كان ما قالوه كان حقا مقول الشيخ • فانها دعوة سرعان ماوقع استجابتها فى الحين • وانما توقفت فى ذلك لاننى لم أسمع المقالة من ثقة • وانما أسمعها متداولة • والله أعلم •

زال ما كان ربما حال بين ابن مسعود وبين الدرقاويين من الاحوال الظاهرة • وقد رأيناه أنس بأغرب منها عند الحاج بلخير • مع مايراه من بين أحوال الصوفية من كتبهم من قديم • فخطر له بعد أن أفلت من يد الحاج بلخير أن يضع يده أخيرا فى يد الشيخ الالغى • فربما يجد من عنده ما يعوزه من عند والده ومن عند ماء العينين • ومن عند الحاج بلخير • ففاوض في ذلك جار دارهم الفقير سيدى محمد ابن الشيخ سيدى سعيد • فقال له : ان

قدم الشيخ سيدى الحاج على ثانيا الى (المعدر) فاننى أحب ملاقاته وقد كأن سبقه أخوه الاستاذ شيخنا سيدى احمد ابن مسعود فأخذ عن الشيخ • فكان ذلك مما حداه الى أن يتلوه •

قال لى ثقة بينما نحن فى قرية (اكادير ايزدار) فى (أيت برايبم) مع الاستاذ اذا بهيللة فقير درقاوى • فاطللنا فرأينا الشيخ مع سيدى محمد بن سعيد • وذلك أنه بمجرد ماذكر هذا للشيخ أن الاستاذ يحب ملاقاته • قال له نحن نذهب اليه الان • على عادة الشيخ دائما فى الاسراع الى كل خير بحزم عرف به • قال الحاكى فخرج الاستاذ والشيخ من القرية بعدما غادرناها راجلين متساندين يتذكران حتى وصلا (العوينة) فكان ذلك اليوم أول عهده بالطريقة الالغية • ثم أعلن ذلك الى كل أصحابه وتلاميذه فدخلوا فيها أفواجا أفواجا حتى كادت هذه الطريقة على يده تغمر كل الناس فى (أزاغار) وهو من هو عند الناس فبه يقتدون • وكل من اتخذه اماما • فانهم يتخذونه اماما بل أعلى من امام •

رسوخه في الطريقة الالغية

كانت سنة ١٣٢١ هـ أولى سنواته فى الطريقة الالغية وقد وجد أمامه من المتجردين الراسخين فى التصوف • المتصفين بأحوال كان ألاستاذ يطالع أخبارها فى (الرسالة القشيرية) وفى (الاحياء) (وعوارف المعارف) و (المباحث الاصلية) و (الحكم العطائية) و (الرائية ألشريشية) وكتب الشعرانى فبهره ما رأى • فلم يلبث أن أخذ الكاس فشربها الى ثمالتها • ثم فغر فاه مدهوشا بأعلى صوته يدعو الناس الى شرابه فجعل هجيراه التغنى بمحاسن الطريقة الالغية مع أن المعهود من الصوفى الكتمان لسره

سقونى وقالوا لاتغن ولو سقوا جبال ثبير ما سقونى لغنت

كان للشيخ الالغى سياسة عجيبة فى تربية مريديه • أعجب بها المفكرون من مريديه أنفسهم • ومن العلماء الاجنبيين عنه الذين يحملون ذلك منه على المهارة لاغير • وقد قال ابن مسعود عجبا للشيخ • فانه يداخل الانسان بادىء ذى بدء من باب حاله الذى يألفه ويعرفه • ثم لايزال به وهو يجذبه جذبا خفيفا لايشعر به شيئا فشيئا حتى يزجه فيما يريده به من بحر التصوف ومثل هذا تراه فيما ذكره المؤرخ الرفاكى فى ترجمته للشيخ الالغى (كما مر فى ترجمته فى (القسم الاول) فعلى هذه الوتيرة سار الشيخ بالاستاذ ابن مسعود فبينما يرفع مقامه دائما كعالم كبير منعلماء الاسلام • اذا به يرشفه رشفات صوفية تمازجه شيئا فشيئا حتى كان صوفيا ماهرا كبير القدر من اجلاء ماصطلح الصوفية أنيسموهم العارفين واول

ما استفاده الاستاذ من مصاحبة الشيخ الالغى انه يجد عنده باللسان العلمى المطبوع أذواقا صوفية عالية بهرته • ثم لم يزل يرى منه الجديد فى كل وقت فيستمر فى التفانى فى أتباعه • حتى كان مـن أرقى مريديه ذوقا • ومـن أعلاهم شأنا • ومن أزخرهم علم تصوف غير مصنوع بيـد ولامستمد مـن المطالعات وهذا كله تجده فى القصائد التى كان يمدحه بها منذ ١٣٢١هـ الى أن توفى شيخه ١٣٢٨ هـ وقد ذكرنا كل تلك الاقوال فى ترجمة الشيخ كما ذكرنا بعض ذلك فى جزء خاص• سميناه (الترياق المداوى) وقد طبع•

كذلك استحال ذلك الاستاذ الذى يعرفه الناس فقيها بحاثا مدرسا مفتيا قاضيا مرموقا الى صوفى بجبة صوفية رقيقة لطيفة عليه سبحة كذلك لطيفة وبذلك يتصدر فى مجلس درسه التى نشطت فيه الدراسة منذ استقر حاله واطمأنت نفسه بما وجده من طلبته عند الشيخ الالغى • فلم يكن يتصل بأحد من الفقهاء الذين لايعرفونه ولا يعرفهم فى حالته الجديدة(١).
وقد انتفع الاستاذ بالشيخ الالغى من أجل طيران سمعته • فان الشيخ لكثرة سياحاته طارت سمعته فى كل جهة من الجنوب • فلم يكد الاستاذ يتصل به حتى طار له معه ذكر طيب له ارج يفغم كل أنف كما أن الشيخ أيضا لم يحظ من قلوب ءاخريـن باكبار لشخصيته كشيخ كبير مرب حتى كـان الاستاذ فى عداد أتباعه • وقد قال صحراوى فى (درعة) ينتمى للعلم نحن لانعرف الشيخ سيدى الحاج على لكننا نعرف سيدى محمد بن مسعود • فلم يكن ليحنى هامته الا لامام كبير من العارفين الافذاذ •

أول ماصنعه الاستاذ بعد أن خالطت أذواق الطريقة الصوفية قلبه • ومازجته بشاشتها أن صفى نفسه من كل التبعات المحققة أو المظنونة او المتوهمة • ذاقبل على رد كل ما كان توصل به من الناس حيـن يفض لهم نوازلهم تورعا منه • كما يصنعه أهل الورع • وقد سبقه الى ذلك الشيخ اَتاموديزتى فقد صنع ذلك حين بايع شيخه سعيدا المعدرى على التوبة • وقد رأيت من بين اجازة الحاج احمد الجشتيمى هذا البيت

وأن تتوقى شرط شيء من الدنا على الحكم أو فتوى ولو كنت ذا فقر

فطريقة هؤلاء الورعين سلك الاستاذ حتى عزم على اعتاق كل عبيده • كما سترى ذلك فيما سنورده من رسائل شيخه اليه

ثم بعد ذلك كان يخرق (العادة) فى الاسواق• وقد صنع ذلك مرة باذن شيخه فى موسم (تازاروالت) فصادف الحاج الحسين الافرانى وجها لوجه فى بعض أزقة السوق بين الحوانيت والاستاذ يمد يده ويقول الامن صدقة • فقال له الحاج الحسين منكتا • ان السؤال وطلب الدنيا من اسهل الاشياء عند

---

١) ورد عليه الفقيه اكيك ـ البرعد ـ فقال لخادمه ودعه بلطف وقل له انه الآن على حالة أخرى وذلك بعد ما كان يزوره كما يذكر فى ترجمته.

النفس • والاصعب هو العطاء • ومقصود الصوفية بهذا دواء الكبر فىالانسان وهم الذين يقولون لايذوق طريقتنا الا من له نفس كنست بها المزابل • ولهذا لايأمر المشايخ بذلك الا من يعلمون منه أنه متكبر هذا ما يقصدونه نذكره ثم لا علينا وراء ذلك ونحن كمؤرخين نحكى الواقع فقط وما يقال

حقا استحال الاستاذ الى ورع غريب مدعم باخلاص يسره • ولذلك لا يطلع عليه منه الا من يداخلونه وكان من أستر الناس لحاله فلايكاد يظهر منه لاجنبى شيء • وكان امام شيخه الالغى مأموما له أتم الاقتداء • فلم يكن يخطو خطوة الا باذنه فى كل شيء حتى فى البناء بداره أو بيع حبوب أو اعتاق رقبة • ولاباس أن نورد الرسائل التى كتبها اليه شيخه جوابا عن سؤاله أحيانا • وأحيانا يكتب اليه استنهاضا• وهى التى أمكن أن تبقى لنا • وأما كل ما يكتبه الاستاذ الى شيخه من الرسائل • فلم نقفمنها على شيء ولو واحدة • والغالب أن ذلك كله أتت عليه النار بين ملءأكياس من الرسائل احرقت اثر موته بيد احدى نسائه بحجة حفظها من أن نطأها نحن الصبية اذذاك وفيها أسماء الله فضاع غالب ماكان يرسل الى الشيخ من علماء وقته ومن كبار تلاميذه • فلذلك لم يبق الا شعر الاستاذ يدل على ماكان يعتقده فى شيخه • والا رسائل شيخه اليه • فقد حفظت حتى اتصلنا بها •

بعض رسائل شيخه إليه

الاولى

(عليكم أفضل مامنكم علينا من السلام والرحمة والبركة • أيها الاخ الصالح • والخل الناصح أبو عبدالله ابن مسعود • الذى هو بكل خير عند الله ان شاء الله موعود يعم جميع احوالكم المرضية وتفوح بنفحاته ساحاتكم الوردية وتتروح روحانيتكم بريحانته العنبرية • وتفوح بشذا نشر أرواحها المسكية ولترحل همة الفقير عن الحقير • فكل ماسوى الله حقير • وقد قال الامام الششترى

ومهما ترى كل المراتب تجتلى   عليك فحل عنها فعن مثلهاحلنا
وقل ليس لى فىغير ذاتكمطلب   فلاصورة تجلى ولا طرفة تجنى

وفائدة العقل أن يعقلك ويمنعك عن الضلال عن مولاك • انظر الى سيدنا ابرهيم فهو الذى منعه عن الضلال فصار يرقيه من الادنى الى الاعلى (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى • فلما أفل قال لاأحب الآفلين • فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى • فلما أفل قال لئن لميهدنى

ربى لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقومى انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) وكذلك الفقير العاقل يعقله عقله عن الوقوف مع علمه الذى لابد منه لان العمل لابد له من العلم فهو بمثابة الكوكب وكذلك لايقف مع عمله ولايتكـل عليه ٠ لان المقصود الاخلاص لوجه الله وليس العمل لغرض حتى تعتمد عليه ٠ وكذلك لايقف مع الاخلاص الذى يظن أنه أكبر العبادات لانه مادام يرى اخلاصه ٠ فقد رأى لعامه خلاصة لانه خير أعماله ٠ فقد جعلها عدة ٠ وقد تعلق بها قلبه ٠ فلما أفلت وصارت هباء بكونها يعدها دون الله نعلى ارتحل عنها وقال لجميع من تعلق بذلك من الاحباب ياقوم انى برىء من جميع من اسمه تعلقت به قلوبكم ٠ انى وجهت وجهى الذى هوقلبى وروحى وظاهرى وحركاتى وسكناتى للذى فطر السموات (الارواح) والارض (الاشباح) ٠ وما أنا من المشركين الشرك الخفى الذى هو منهى عنه عندكم ياقوم ٠ وهذا على سبيل الاشارة فى الاية ٠ على المعنى الذى تحتاج اليه أنت الان ٠ وفيها مآرب أخرى التى لاتنقضى ولكل مقام مقال والسلام ٠

واذا كنت تنسخ الكتاب الذى ذكرته٠ فمل للجهة اليسرى ٠ متكئا على شىء لئلا يضرك ظهرك اذا كنت قاعدا مستويا ٠ فان ذلك يعينك ٠ وقد رأيت سيدى أحمد بن ابرهيم السملالى رحمه الله كثير الكتابة وكان يتـكـىء أبدا عند الكتابة ولا يمل ٠ وقـد ظهر ذلك فالله يداويك ظاهرا وباطنا ٠ والمقصود من كتابته تفهم معناه ٠ حتى كأنك قرأته ٠ وعمروا أوقاتكم بذكر الله كما أمر ٠ ولاتأل جهدا فى جانب الله ٠ فالله يقويكم عليه ٠ وقل لاهلك تداوم على خدمة الصلاة على النبى صلى الله عليهوسلم التى هى فى وردالرجال تجعل فيه عبدك ورسولك النبى الامى ٠ ولابد ان شاء الله ٠ فلاتخرج من لسانها سرا وجهرا الا وقت الكلام الذى احتاجت اليه غاية ٠ من غير عدد كل وقت لم تنم فيه ٠ وقد وصيتها قبل على خدمة الاسم ـ يعنى الله بالمد ـ والان وصيتها على خدمة هذه الصلاة النبوية ٠ لعل الله أن يفتح عليها فيها ان شاء الله ٠ فهى عون لك فى الدين كما كانت والدتك عونا لوالدك ٠ ولاغرو فأنتم أصل السادات فالله يقيكم جميعا والسلام من خديم أهل الله على بن أحمد الالغى أمنه الله ءامين ٠

الثانية :

وهى بخط سيدى سعيد التنانى وقد سبقت المتقدمة كما ستراه

الاخ الصفى ٠ والحب الوفى التقى النقى ذو الـفـهم الظريـف ٠

والنسب الشريف • والحسب المنيف • العلي المرتبة • الصفي المنقبة • أبو عبد الله سيدي محمد بن مسعود البونعماني تدريسا السملالي ثم المعدري السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وبعد فلا باس ولله الحمد على كل حال وقد اشتقنا اليكم غاية الاشتياق ونرتاح بذكركم غاية الارتياح فالله يجعل للقاء سبيلا • ولحسن الاتصال بكم سببا جميلا ءامين • ولتعلم ياسيدي أن الشيخ رضي الله عنه لا باس عنده • وقد قرأ عليكم سلام الله • وأكدني على الكتب الى حضرتكم منذ افترقنا معه في ابتداء شهر الله صفر وأكدني عليك متى أردت بنيانا ما أن تعلمه بذلك • وظهر لي أن مقصوده الامداد بالفقراء • ثم نسيت ذلك وماتنبهت الا هذه الساعة وان شرح الفرغاني على التائية الكبرى لابن الفارض • قد أكد الشيخ على أن تكتبه بيدك لامعك غيرك • فالله يمدكم حسا ومعنى • ويزج بكم في بحر حبه • ويلهمكم رشدكم ويعيذكم من شر نفوسكم ءامين الخ••)

ثم ذكر ماليس بمقصودنا الان • الى أن قال أخيرا (كان الله لناولكم وايدنا وأيدكم تايد من سلك فملك ومن ملك فسلك وجمع بيننا وبينه وحال بيننا وبين غيره حتى لانرى في جميع المظاهر الاحس جماله ءامين في السادس والعشرين من صفر عام ١٣٢٤ هـ كتب اليكم أخوكم ومحبكم على الدوام سعيد بن محمد التناني) انتهى بتقديم وتاخير قليل • لاجل ماحذفناه

الثالثة :

الاخ الناصح • والحب الصالح قرة عيننا ومنبع عيننا لان المدد الرباني كما كان يجيء من فوق يجيء من يمين ومن شمال • وكلتا يديه يمين ولذلك قال أهل الفن الذين ذاقوا ذلك الشراب المريد الصادق يصل مقاما بعد تحققه بشيخه • يستمد فيه من جميع الكائنات • فيصير الكون كله شيخه يستمد منه ويسير الى ربه • لان وحدة الشيخ هي التي سرت له في جميع الاكوان • وذلك هو السر الذي يختص بالاشياخ • فكل من تحقق بوحدة شيخ لابد أن يتحقق بوحدة الكائنات فحينئذ تنجلي له الوحدة الحقيقية التي تاتي بها (١) فيفهم حينئذ معنى كنت كنزا لم أعرف • فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لاعرف • فخلق الخلائق دليل المعرفة لاهل الدليل والبرهان ودليل لاهل الشهود والعيان (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك • وما كان عطاء ربك محظورا) وهكذا حال الكامل صح له أن يقول لكل عين منبع عيني سواء الفوقي والتحتي • ولذلك لايفهم كلامهم الا من تعربد بخمرة كرمهم واذا كان ذلك كذلك فاحرى من رفع

١) كلمة مقطوعة في الطرف

همته عن الاكوان • وطلب ذلك الشراب فكيف لايكون منبع عينك • لانـه كان قبل طلبه وأحرى بعد طلبه ولذلك تجد الاشياخ يشتاقون الـى المريدين أكثر من اشتياق المريدين الى الاشياخ لان الوالدين فـى مقام الارواح • كالوالدين فى مقام الاشباح الاصـل يشتاق الى الفرع • أكثر من اشتياق الفرع الى الاصل • وكذلك الله تبارك وتعلى فيما بينه وبين خلقه وذلك هو وصف الله ولذلك يظهر ذلك فى العارفين بالله الذيـن اتصفوا بوصفه فى قوله(١) (كنته) أكثر من ظهوره فى غيرهم. ولذلك وجب الادب معهم. واتباعهم فى أمرهم ونهيهم • اكثر من غيرهم • لان الوالدين للارواح يأمرون الاولاد بما هو الاصلح لهم فى الدين والدنيا والاخرة ولذلك قال الله عز وجل (ما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) ولايتصور الغش فى جانبهم طبعا وشرعا لان الطبع يحكم عليه الروح ان ظهر وصفه • وهو الحقيقة • والشرع هو الشريعة التى هى أصل الحقيقة وطريقتها فهو نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء • وهذا المعنى سار فى جميع الاشياء • حتى الاشجار لابد أن يجرى ويسرى الماء الذى شربه من أصله الى فرعه • ولايمكن منه الغش • وكذلك انتفاع الاصول بالفروع جار فى كل شىء حتى الاشجار لاتقطع الشجرة من ساقها لاجل فرعها المطلوب بل تحفظ وتعظم وتسقى • وذلك هو بركة الفرع عليها وذلك عين المدد وكذلك الوالدة فكم من بركات عليها من أجل أولادها وكم من أمداد تأتيها حتى اللبن لايكون الا فى الوالدة • وأما التى لم تلد فلايمكن أن يكون فيها فـبـقدر الاستعداد الذى هو الاحتياج الكامل يكون الاستمداد الكامل سواء أهل الحس وأهل المعنى حتى فى العلـوم الظاهرية والباطنية فـبقدر تعلـق المحتاجين اليك تجرى عليك فهم حينئذ منبع عينك بلا ولا فالله يكثر العدد • ويكثر المدد • بجاه النبى وءاله • والبخارى ورجاله • ءامين • وذلك الاخ الصالح • الفقيه البركة • ميمون السكون والحركة • سيدى محمد بن مسعود السملالى المعدرى سلام الله ورحمته وبركاته

وبعد فهذه مذاكرة اشتياق • تقوم مقام التلاق • والسلام • فى أول يوم فى رمضان • عام ١٣٢٧ هـ عبد ربه خديم السادات علـى بـن أحمد الالغى أمنه الله ءامين

الرابعة:

وعليكم أفضل مما عندكم علينا من السلام والتحية والاكرام أيها الحبيب وياقرة عينى • وبعد فما ذكرت من صلاح الامانة • فذلك أليق ان شاءالله

١) يعنى فى الحديث القدسى لا يـزال عبدى يتقرب الى بالنوافـل حتى أحبه فاذا أحببته كنته

وأما ذكر الجهر فى السوق الكبير فهو الذى يقع فيه الانفاق الكثير • وأما مذاكرة ذلك الرجل فالمقصود معرفتك اياه وقد عرفته والحمد لله كما قلت • وقد عرفنا منك أنك لاتقول الا حقا • وأما الالتفات الذى يضر المريد فقد تحققنا منك أنك برىء منه • ولذلك وجدنا أنفسنا نحب ماتحبه أنت • ونكره ماتكره أنت والله مطلع على ذلك ولولا امتزاج الارواح التى تنصدر عن معاصرة الاشباح • لم تكن المحبة واحدة فينا

أخلاى أنتم أحسن الدهر أم أسا فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخل

وانما أخبرتك بخبر الداخل لانك من أهل الداخل فينا • ولاتظن أبدا غير ذلك • والله مطلع على ما هنا لك والسلام

الخامسة :

الاخ الناصح ذو السر الواضح • الذى نسبته منا كنسبة الروح من الجسد لما فيه من المحبة الذاتية التى تقع بها الوراثة بين أهل نسب الارواح أهل الفرض بالفرض وأهل التعصيب بالتعصيب أو بكليهما السيد النبيه • الاغر النزيه محمد ابن الفقيه الصالح ولى الله تعلى سيدى مسعود السملالى سلام الله ورحمته وبركاته

وبعد فقد وجهت سيدى بلعيدا ليقف على النطفية • الى أن تكمل عن قرب وقد أخبرنى أن السائح الذى عند ••••• (١) كان يتحرك • ويتصيد عندكم • واياكم والقرب منه فهو من أهل تلك الحرفة لادنيا ولا أخرى ولاتطمع ان تجذبه لجانب الله فقد كان من المغرقين وأمثاله كثيرون • والفقير يترك أهل الاخلاص فضلا عن أهل الاخواض مشتغلا بنفسه منفقا لفلسه فيما هو الواجب عليه • ممن تلزمه نفقته ولايظهر السخاء بل يظهر السؤال ليهربوا منه ولاينسب له الامساك ولاالاعطاء وقد قال مولانا العربى الفقير لا يغشمه عالم بعلمه • ولا عامل بعمله • ولا عابد بعبادته • ولاينظر الا الى الاخلاص وكل من وجدته لايقدر ان يكون مع أهل الاخلاص فليس منهم وقد رأيته مرة ••• (٢) فبمجرد ملاقاته معي عرفته وتركته • وقس على مثل هذا المعنى • والسلام •

السادسة :

وعليكم السلام أيها الاخ الاصفى والولد الاوفى • الذى ظهرت عليه

---

١) مضروب عليه

٢) مضروب عليه أيضا

سيمى العارفين وبهجة الواصلين • وكان منا بمنزلة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه • من سيد الاولين والاخرين • سيدى محمد بن مسعود • سلام الله ورحمته وبركته •

وبعد فلا باس ولله الحمد • ونوصيكم باليقين فى جانب سيدنا وربنا الذى خلقنا لعبادته بالظواهر والبواطن فى الحركات والسكنات • لتؤدوا جميع الاعانات • واياكم والغفلات فانها أعظم الافات واستحضر عظمة الله عز وجل فى كل شىء شىء فهى الذكر الاكبر فمن حصل على هذا الكنز العظيم فقد قضيت له جميع المآرب فى جميع المشارق والمغارب فهذا الذى وجب الى أن ياتى أمر الله • والسلام من خديم أهل الله على بن احمد الالغى الحصنى أمنه الله ءامين

السابعة :

الاخ الناصح • والولد الصالح • قرة عيننا فى وصلنا وبيننا • الفقيه البركة ميمون السكون والحركة الذى تعلقت همته بأعلى الامانى فمص ثدى معارف الرحمن بفضل الله الذى يوتيه من يشاء سيدى محمد بن مسعود السملالى طينا المعدرى وطنا • الذى فى حضرة الاله قطنا • سلام الله ورحمته وبركاته •

وبعد ، فلا باس ولله الحمد وله الشكر على لقاء هذا الشهر المبارك الذى هو خير الزمان فاغتنموه فاذا طاب الزمان والمكان والاخوان للفقير فقد شرب بخير الاوانى • (أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء) ففى طيه• لا يفهمه الا من كان فى حيه• والسلام على جميع الاخوان • على بن أحمد خديم أهل الله • رابع رمضان ١٣٢٣ هـ (وهو أقدم من السابقات)

الثامنة :

وعليكم أفضل السلام أيها الاخ فى الاخ حقيقة • سيدى محمد بن مسعود السملالى • وبعد فما أحسن تلك المذاكرة التى تذاكرتها • فهكذا حال أهل الصفا • وعليها فقد أمرناك أن تامر للفقراء بما أراك الله تعلى فى كل شىء شىء فنطلب من الله أن يسددك فى كل شىء • وياتى بك على الصواب فى كل شىء • فهو حسبنا ونعم الوكيل • والتريث فى الامور احسن • كما اشرت لذلك فيما هنالك فالله يعينكم على الخيرات والسلام على جميع الاحباب من خديم أهل الله : على بن احمد الالغى • أمنه الله ءامين

التاسعة

وعليكم السلام والرحمة والبركة أيها الاخ الصالح والحب الناصح سيدى محمد بن مسعود السملالى وبعد فقد قرأت كتابك وفهمت خطابك • وهاك جوابك • فأما ماذكرت من الكسل فدواؤه على الحقيقة المعاونة التى هى المقصود فى الصحبة • ولذلك قال تعلى (واصبر نفسك مع الذين الاية) (وتعاونوا) الاية واذلك شرطت الجماعة فى الصلاة وكذلك ذكر الاجتماع وقد شوهد عدم الكسل فى الاجتماع عند أهل البدايات • وعند أهل النهايات • وحتى قرب الدواء فهو الذى تصير اليه الاطباء • والفترة ان اعترت الفقير الصادق • فلابد أن يرجع عنها لصدقه لان الفترة والوقفة تعتريانه • وأما الجوع فهو أصل الطريق • وأما ما استشرت فيهمن العبيد • فمن لميتحقق رقه بتحقق جنسه فى السودان المعلومين للحرب من غير ذمة ولا شبهة فالسلامة فى تركه لان المشاهد اتيان العبيد المسلمين من بلدهم بسبب القتال كحال أهل هذه البلاد فى الفتن بينهم• وهو بعض أسباب تركنا لكسبهم (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر) انتهى المقصود من الرسالة (الى ان قال) والسلام من خديم أهل الله على بن أحمد امنه الله ءامين

العاشرة :

وعلى قرة عيننا ومنبع عيننا • سيدى محمد بن مسعود أفضل مامنه علينا من السلام والتحية والاكرام وبعد فقد انتعشت الارواح • بنشر ما أتى منك من الارواح ولطالما انتظرنا الصبا التى تجىء بالصفاء • وكونوا على ما أنتم عليه من اليقين فى جانب الله تعلى فى كل شىء شىء • فى العبادة والعادة • وما ذكرت من بيع الزرع فأخره ان شاء الله • والبناء لابد من وجود الماء فى الضفيرة • وقد سألت عنها • فقيل لى انه قليل فيها • واتركه حتى هو ان شاء الله الى أن يأمر الله والسلام من خديم أهل الله على بن أحمد الالغى أمنه الله ءامين •

الحادية عشر

السلام والرحمة والبركة • على الاخ الصالح • والحب الناصح • الفقيه البركة ميمون السكون والحركة كاشف الغمة • عن جميع الامة • الذى صح فيه أن يقال

أنا من اهوى ومن اهوى أنا

لما له من وراثة الصديقية سيدى محمد بن مسعود السملالى

وبعد فلا باس ولله الحمد • وقد وصل الكتاب المنبىء عن أخبارالولد محمد فالله يجعلك ابن عطاء الله رضى الله عنه وكرمه • ذلك فضل الله يوتيه من يشاء • ولاشك انك حزت مقامه وأزيد من ذلـك ان شاء اللـه (ذلك فضل الله يوتيه من يشاء) (فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ماعسر على كثير من المتقدمين) (١) فالله يزيدكم الرغبة فى الخيرات ءامين آمين آمين • ومسألة البناء ان ظهر لكم ان تستريحوا منه فى هذا العام • فذلـك هو الادب • فقد تجلى الله بالقبض فى الظاهر • وقد تحقق البسط فى الباطن عند أهل الباطن • وان لم يظهر لكم فأنتم أدرى بشعاب ذلك الامر • والسلام من خديم أهل الله على بن أحمد الالغى •

* * *

لعل هذه الرسائل كافية فى معرفة تربية الشيخ لابن مسعود • فانه بينما يحترمه احتراما زائدا اذا به يرقيه بالمذاكرات • ويقدمه الى الامام وينهاه ويأمره بملاطفة زائدة كما يظهر أيضا منها ماذكره من تمام تسليم الاستاذ كل أموره بين يديه حتى جعل نفسه كما يقول الجيلانى فى المريد الصادق مع شيخه

وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهـو مطاوع

فحقيقة كان كل ذلك • وكان أدب الاستاذ مع شيخه عظيما فى الحضور والغيبة • مستمدا ذلك مما وجده عند كل تلاميذ الشيخ • لانهم جميعا تربوا تحت يده على نسق مافى الرائية الشريشية • حتى نالوا من الاداب الظاهرة والباطنة معه غرائب وعجائب كما يستمد ذلك أيضا مما طالعه من كتب الفن التى تجعل ذلك الادب فى رأس قائمة شروط المريد فلم يكـن يخطر خطرة حتى يستأذنه ولايتلبس بمجاهدة الا عن اذنـه والشيـخ يامره بالتدريج • كما رأيت فى تلك العبارة • ومثل هذه الملاطفة قليلة من الشيخ حتى ان الشيخ نفسه قال لسيدى ابرهيم بن محمد بن اليزيد التازاروالتى : ان سيدى محمد بن مسعود وسيدى ابرهيم ابن صالح انما رافقناهـمـا بملاطفة زائدة واشار براحته كمن يحمل اناء من زجاج ولعمرى ان هذا يظهر من رسائله اليهما • ففيهما نفس لانجده فى غيرهما لان الشيخ يقل منه أن يثنى على مريد من مريديه • لا فى رسالة ولا فى وجهه • بل ذلك منه معدوم الا فى هذين وما ذلك الا لكونه يعرف مـن نفسيتهما أنـهـما لايصلحان الا بذلك • فكان ذلك حقيقة النصح التام لهما فنجحا وكان

١) عبارة من التسهيل الذى يحفظه الشيخ كله او بعضه

منهما ما كان وهذا يصدق ماقال كل عارفي الشيخ انه يربى كل واحد بما يليق به • وبما يمكن به نجاحه وذلك مقام لايهتدى اليه الا من وفق لسياسة كبيرة تستمد من السياسة النبوية التى يسودها هـذا اللـون العجيب الذى يعجز عن مثله السياسيون الدهاة وان أدركوا من المهارة وقد ذكرنا ذلك مسوفى في ترجمة الشيخ كما تقدم • وفي (الترياق المداوى) وفي كتاب (من أفواه الرجال) كما ذكر ذلك المولفون فى أخباره كابن مسعود والطاهر السماهرى والتادلى ومبارك المجاطى

حث الشيخ للاستاذ على الدراسة

كان من عادة الشيخ ان يهتبل دائما بالعلم وأهله • وأن يكون من أكبر المعاونين لمن يتوجهون تلك الوجهة • فذلك من ابرز خصاله ولذلك كان يحرص على أن يرجع الى المدرسة (البونعمانية) اجتهادها فكان لايشغل الاستاذ بالسياحات معه • مع أنه قلما يسامح كل من برز من مريديه مـن السياحة لانه يراها محكا للمريد وميدانا فارغا للفقير لينال فيه مـا ينال • وكل مايصنعه الشيخ مـع الاستاذ أن يكون معـه أياما قلائـل فى (أزاغار) ثم يودعه الى مدرسته • ثم لايحب منه حتى ان يسيح على قبيلة أيت برابيم الا فى العواشر ويكون معه الطلبة فـلا تنقطع الدراسة مـع اتخاذه معاونين ينوبون عنه ان دعته ضرورة الى مغادرة المدرسة • ثم كان الشيخ يسرب اليه كل من يريد منه أن يتعلم • كما كان ينصح الطلبة متى حل بالمدرسة •

حكى لى حاك منهم أن الشيخ مرة أقبل من (أيت جرار) بطائفة المتجردين مع من انضاف اليه من الاخرين • ويكونون نحو ١٥٠ فخرج الاستاذ مع الطلبة وفقراء (أيت برابيم) ويكونون فى جمع حافل يناهز مائتين • فلاقوا الشيخ فى (ايخـف ايغير نبونعمان) قال فثار الغبار الى عنان السماء وذكر الفقراء ذكرهم المنظم المرتل الذى يرسلونه بأعلى أصواتهم • ويطلقونه برنة واحدة • فكان مشهدا مؤثرا جرت فيه الدموع • ورفرفت فيه القلوب ونفحت فيه النفحات يحكى ذلك بجمل مؤثرة مصوغة أحسن الصوغ مثل هذه ثم فى العشى بعد اختتام حزب المساء القرآنى • افتتح أيضا حـزب الغداة حتى تم فسأل الشيخ عن سبب ذلك • فقيل له حرصا على أن يقرأه الجميع لان بعض الطلبة ينام صباحا فمال على الطلبة بلوم لاذع ثـم أمر الاستاذ أن لاتبقى بعد اليوم هذه العادة • وأية فائدة للعلم ان لم يصحبه عمل • ثم صار يحث الطلبة على العلم • وعلى التفنن فيه • قال الحاكى فكانت موعظة استنهضت الهمم وكان لها اثر باق بعده

وأخبرني مخبر ءاخر عن الشيخ أنه قال لــه ان سيدى محمد بن مسعود أرسلت اليه ولدى محمدا ليدرس معه فاذا به يقصر به على بعض الفنون • فقلت له خوضوا كل فــن فالعمر قصير والوقــت ضيــق • والواجب اليوم أن يوخذ من كل فن بسرعة • فلا يمكن أن توجد سعة تنتظم فيها الدراسة كما كان ذلك فى العهد الماضي يقصد الشيخ بذلك بيئته ــوبهذا كله يعلم ان الاستاذ ابن مسعود استرجع نشاطه الدراسى بعض النشاط• وسترى فيما ننشره من بعض رسائله • ما يتعلق بذلك •

مكانة ابن مسعود بين الفقراء

كان الاستاذ لمقامه الكبير فى (ازاغار) قد اقتدى به كثيرون من العلماء أصحاب والده فانخرطوا مثله فى الطريقة (الالغية) ثم لما ظهر مقامــه • وتعتقت راحه أذن له الشيخ ان يزاول أمر كل الفقراء فى أزاغار وهم كثيرون جدا فكان يرد معهم الى الغ فى ركب كبير فى أوقات من السنة •

فقد أخبرني مخبر أنه جاء مرة مع طائفة من العلماء فــى صبارة (١) برد الى (الغ) زائرين • فحين قربوا من الزاوية أمرهم الاستاذ أن يميطوا عنهم الاردية والعمائم وأن يتزيوا بزى الفقراء • وأن ذلــك هو الادب مــع الشيخ • فنالهم برد الغ القارص فذهب واحد منهم جرىء ــ وهــو سيدى ابرهيم بن محمد بن اليزيد التازاروالتى ــ فذكر ذلك للشيخ فاستنكره • فأمرهم أن يلبسوا ما كانوا يلبسونه •

وأما فى الموسم فانه يقدم جيشا جرارا فيه مئات ومئات من الازاغاريين ومن اليهم • فيقول فقراء الاطراف الذين يأتون من (الحوز) ومن (درعة) ومن (رأس الوادى) ومن أنحاء سوس هذه طائفة سيدى محمد بن مسعود • فعلا له بين الفقراء شأن كبير وكان الشيخ نفسه لما بلغه فى فؤاده من المحبة العالية الراسية الراسخة يذكره لمــن لعلهم لايسمعون به مــن أهل الحضر كالمراكشيين فيريهم قصائده • ويطلعهم على كلامه • ولا أدل على ذلك من هذه الرسالة التى كتبها سيدى سعيد التنانى الى الاستاذ • نصها

(الاخ الصفى والاحب الوفى ذو المئاثر السنية والاخلاق البهية الفقيه الاغر الشريف سيدى محمد بن المرحوم بالله سيدى مسعود الطالبى السملالى أصلا المعدرى وطنا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى من بكم واليكم فالله يعم الجميع برحمته ويشملهم بنعمته ءامين •

١) صبارة بفتحتين فراء مفتوحة مشددة شدة البرد ويقابلها : حمارة القيظ أى شدة الحر فى مثل ذلك الضبط

وبعد فلا باس ولله الحمد • وقد عافاني الله مما اصابني من مرض الحمى • والحمد لله وأنا ان شاء الله على نية اللحوق بالفقراء بالقبيلة • وعليه أوصاني الشيخ رضي الله عنه يوم خروجه لمعدر الشرك - يعني المعدر ازاء تامانارت المعد للحرث - وهذه بشارة لك ولمن أحبك • وهي أن الشيخ رضي الله عنه كتب بيده الشريفة في جواب الرباطي أن سلسلة أشياخ طريقتنا نظمها الفقيه سيدي محمد بن مسعود السملالي المعدري ويعرفه بك • حتى قال وبلده بلد شيخنا سيدي سعيد المعدري وداره مع داره متلاصقة • وأسراره مع أسراره متلاحقة • كثر الله مثلكم في الاسلام ءامين اه ماكتب • فخذها بشارة وأي بشارة • وأفرح بها غاية • فالله يؤيدك بروح قدسه في جميع الحركات والسكنات والفعلات والمقالات ءامين وقصدنا بهذا ادخال السرور عليكم • عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (أحب الاعمال الى الله تعلى بعد الفرائض ادخال السرور على المسلم) رواه الطبراني في معجمه الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما • وسلم منا على الشريف سيدي ابرهيم التازاروالتي وعلى جميع الفقراء خاصة وعامة • ببركة الشيخ رضي الله عنه وعنهم أجمعين ءامين •

ونوصيكم يا أحباءنا بجمع الهمم الى الله تعلى • والتعلق بذكره في كل أحيانكم وأحرى مثل هذا الشهر المعظم رمضان • وطهروا بيوت ربكم من كل مالايلائم مولاها • ولايطهرها الا هو أي بسبب ذكره • اذ هو المفتاح الاعظم للدخول على الله وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم • ففي ذكره ذكر حبيبه حقيقة ولافرق الا عند الجهلة فالله يفتح علينا وعليكم جميع الخيرات • ويزج بنا وبكم في كل الحضرات بمنه وكرمه ءامين • وفي الثاني من رمضان عام : ١٣٢٣ هـ سعيد بن محمد التناني كان الله لنا ولكم في كل الامور ووقانا بفضله من كل الشرور بجاهه صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله)

بل هناك رسالة للشيخ نفسه في الموضوع • كتبها اليه من مراكش يقول فيها

(ولقد كنت معنا والله حاضرا في جميع المجالس في حضرة مراكش مع الاخوان بالسر والجهر بذكرك وذكر قصائدك • وقد نسخها الاخوان الخ)

أقول قد رأيت مجموعة قصائده في مراكش عند الحاج العربي برادة الفاسي من أصحاب الشيخ ولاشك أنه من الذين انتسخوها اذذاك • وكما كان الشيخ يعلى شأن الاستاذ في خارج سوس • كان يقدم قصائده لادباء الغ • فيسردونها في ناديهم الادبي عند الاستاذ الاديب علي بن عبدالله •

١) سيدي محمد بن علي التادلي المترجم في هذا الفصل

وهذا يدل على مقدار رفعة الشأن الاستاذ عند شيخه ٠ وأنه مغتبط بـه ٠ وبمثله يحق الاغتباط

ولما كان للاستاذ من الكرم الفياض كان لاسنة كل من يمر به من الفقراء على اختلاف طبقاتهم من سيبه نصيب فتكونت بعلم الاستاذ وورعه وشفوفه ورفعة شأنه وبراعته فى كل علم ٠ ومهارته فى التصوف ٠ وكثرة بذله لكل صادر ووارد محبة أية محبة فى أفئدة كل الفقراء ٠ حتى لاتجد أى فقيرالا راضيا عنه ٠ مع أن فيهم من أهل المجاهدات والصوفية الكبار من كانوا سبقوه أشواطا لو لم يفقهم بمجموع ما تقدم ٠

آثـار قلمه في هذا الطور في التصوف

لم يكن قط قلم الاستاذ هادئا فى جميع أطواره ٠ وذلك عهد علمى وفى به كل الوفاء ٠ حتى انه فى عهد اتصاله بالحاج بلخير كان يؤلـف تاريخـا عاما للسوسيين وغيرهم من المغاربة وذلك فى سنة ١٣١٨ هـ فان كان ذلك منه ٠ وهو مع ذلك السيد الامى ٠ فكيف به وهو مـع شيخه الالغـى العالم بل المهتبل بالمعارف على اختلاف أنواعها ٠ ولذلك رأيت منه تئاليف أخرى كنظمه فى المشيخة للطريقة الالغية ثم شرحه الكبير الذى توسع فيه الاستاذ كل التوسع وكذلك (هز الراية الجعفرية) فى ترجمة شيخه والتصدير والتعجيز للبردة وشرحها الكبيروالصغير ومثلها ل (بانتسعاد) وقد وقفت فى ءاخر فى مبيضة التصدير والتعجيز للبردة على ماياتى بخط الاستاذ

(يقول كاتبه الضعيف كان الله له آمين ان من أجل ما أسدى اللهتعلى الى ٠ وأنعم به على هذا التصدير والتعجيز لبردة الامام البوصيرى رحمهالله التى فى معناها بالمحل الذى لايجهل من شفوف القدر والتمييز لما اشتملت عليه مـن النمط العالى مـن البلاغة والتطريز ٠ فما هـى فـى القصائد الا كالكبريت الاحمر أو عقود الدر والجوهر ٠ وقد اشتهر مالها من الامداد والتنوير ٠ وفك المعضلات وحل كل عسير ٠ وقد جرى علىفيما مضى منبعض الشدائد ما أرجو من فضل الله أن يكون للذنوب أعظم تكفير ٠ وهوأن غالب عيالى مرضوا ٠ فالهمنى الله تعلى بعد أيام أن عمـدت الى معاناة أبياتهـا ٠ وتكليف مجاراتها على الوجه المذكور تطفلا على ذلك الجناب العظيم الذى خدمته سبب لنيل أعلى المنى والسؤال فظهرت مبادىء الفرج بعد الشروع والحمد لله ٠ ففتح الله تعلى من ذلك فى أولها بأبيات ٠ فوقف عليها من غير قصد منى من يجب امتثال اشارته فأكد على فى كمالها فلم يكن بد من طاعته وهو شيخنا الامام العارف بالله الدال على الله ٠ القطب الربانى

والغوث الذاتى الصمدانى سراج الهمة ونبراس كل مدلهمة قدوة السالكين • وامام العارفين البرزخ الجامع بين البحرين ••••(١) والمرآة الكبرى • والمجلى الاتم الاسنى للناظرين مولانا أبو الحسن • سيدى الحاج على بن أحمد الجعفرى ثم الالغى رضى الله عنه ونفعنا بمحبته • وجعلنامن المتحققين بطاعته وخدمته • والاتحاد به ظاهرا وباطنا سرا واعلانا ءامين فكان من بركة نظره • ويمن لحظه وهمته : أن وفقنى الله على عجزى وضعفى لما أشار به الى • ويسر الله تعلى ذلك على وجه أرجو ان يكون عنوانا للقبول والاتصال بحضرة الممدوح به صلى الله عليه وسلم • ونيل كل مامول • وماهى باول نفحة من نفحات الشيخ رضى الله عنه وامداداته فانه والله الكيمياء والاكسير والترياق الجابر لكل كسير وماأحقه بقول القائل

المسلمون بخير مابقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد

وماذا يقول القائل فيمن النظرة فيه خمرة)

هذا ماوجد • انقله من خط الاستاذ من ورقات مشتتة • وقد تلف ما وراء الورقة • ولكن يكفينا الموجود لندرك أن لتنشيط الشيخ للاستاذيدا فيما يبدىء فيه ويعيد • فكان الفترة التى مرت بالاستاذ قد أخلفها الله له بشيخه الالغى • حين التقى به فأقبل على التدريس وعلى التأليف • وقد وقفت على بطاقة صغيرة أرسلها الشيخ الى الاستاذ بعد ما أرسل اليه نسخة من التصدير والتعجيز هذه ، نصها :

(حضرة الاخ الصالح • والحب الناصح • الفقيه البركة • سيدى محمد ابن مسعود • سلام ورحمته وبركاته • وبعد فلا باس ولله الحمد وقد تركت شيئا من البردة فى قوله

(قل للمحاول شاوى فى مدائحه) الخ

وقبله وبعده ، وأحببنا أن تكملها والحامل أعطه لمن يقرئه بالعربية ممن عرفها • فهو غريب • وأهل الزيارة رجعوا فى ثلاثة أيام • كما تذاكرنا بسلامة وعافية • والحمد لله • والسلام من خديم أهل الله على بن أحمد الالغى أمنه الله آمين)

فترة من الاستاذ

عجبا ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم • ولايكاد يسلم منه أحد ويد المرأة متى التقت مع يده • حيكت غرائب • تفرق بين أحبةمتلاحمين

١) كلمة لم أهتد اليها

بالوساوس .

كان للاستاذ ما رأيت من التفانى فى اكبار شيخه كما كان للشيخ ما رأيته أيضا فى الاغتباط بالاستاذ . فكان الامتحان الذى يندد به الصوفية دائما من الاشياخ الى المريدين تسرب فى سنة ١٣٢٦ هـ فكاد به الاستاذ يقطع ما بينه وبين شيخه . وحين لم يكن عادة الشيخ أن يمتحن مريديه . ولم يكن من طبقة اولئك الاشياخ جاءت الاقدار رغم أنفه بما جاءت به من غريبة لايزال غالب الناس الى اليوم يجهلونها فى حياة الاستاذ تحت يد شيخه الالغى .

ملخص ما وقع أن زوج الاستاذ كانت تلقنت الورد من الشيخ . وظهرت منها محبة أكيدة . فأرسلت سيدى بلعيدا الصوابى تطلب من الشيخ أن يأمر زوجها ليزيرها الزاوية فتم ذلك فحلت بالزاوية . فوجدت أمامها فى دار الشيخ ضرات فاتصلت باحداهن ولها بها رحم . فأسرت اليها الضرة أن زوجها الاستاذ ربما عزم على الاقتران ببنت الشيخ من (فلانة) للضرة الاخرى فأقام ذلك الزائرة وأقعدها فزورت فى نفسها مازورت فحملت كل المودة التى فى قلب زوجها للشيخ على التقرب اليه ليقترن ببنته . وقد رأت هى البنت بارعة . فاشتعلت الغيرة . فحيكت الدسيسة . فلم تكد تلتقى بزوجها يوم رجعت حتى قامت فى وجهه تلعن (الغ) وماليه . فحين استفصلها أشارت بأنها كادت تكون هناك فريسة الشهوات . وتقولت قولا عظيما . وافكا وزورا تنهد بها السماوات والارض وقد كان من أبرز اخلاق الاستاذ التى يعرفها منه كل أحد أنه سلس القياد لايكاد يكذب أحدا فيصدق أول قائل فتشخص أمامه شبه ما يحكى أنه لمح بعض مقدماته من الحاج بلخير فثار ثائره سرا . ولم يظهره لاحد . فانكفأ الى المدرسة ساكتا مطرقا . وقد دخل ما سمعه فى قلبه لانه فى دائرة الامكان . والعصمة ليست لاحد . والاستاذ أعرف الناس بأن الشيطان يجرى من ابن ءادم مجرى الدم فعرف ذلك من الاستاذ بعض مخالصيه . ممن يعرف من الاستاذ أنه لايتثبت كثيرا اسلامة طويته . فأرسل هذا البعض الى الشيخ يستحثه فى المجىء عاجلا فأحس الشيخ بشىء جديد فى الافق فاسرع ببغلته الى (بونعمان) فى يوم واحد فدخل على الاستاذ وهو فى بيته فى المدرسة فلاقاه ملاقاة باردة . ثم استفصل الشيخ ذلك الانسان الذى أرسل اليه فافضى اليه بكل شىء . فقال له الشيخ ان هذا كله من غيرة الضرات لا غير . والامر لله . ثم بين له كيف يحاك ذلك حتى كان له تأثير ثم بات هناك الشيخ بالمذاكرة مع كل الطلبة . وقد اجتمعوا مع الاستاذ فى محل كبير بالمدرسة . فغلب عليه حال قوى فالهب الجو بمذاكرة عالية مشتعلة الى ان تنفس الصبح . لم

يذوقوا كلهم مناما والاستاذ ازاءه مطرق فاذذاك قال الشيخ المقالة الصوفية المشهورة (يسهل على الشيخ أن يوصل الف مريد عامى فى ساعة ولايسهل عليه أن يوصل مريدا عالما فى ألف سنة)

ثم بعد الشروق ساق الشيخ الاستاذ مرغما الى (أكلو) وهناك المتجردون سائحين • فركبا معا قال الحاكى فذهب ذلك الادب من الاستاذ • فصار يخاطب الشيخ وجها لوجه كأن لم يكن بمن نعرفه أمس باطراقه أمامه ولم يزالا فى مذاكرة • والشيخ يساهله ويراوده من بعيد من غير أن يذكر له الموضوع أصلا كأنه لم يعلم بوقوع شيء حادث • فباتوا فى (أكلو) وفى الصباح قام هناك مجلس وعظى عظيم ذرفت فيه كل العيون • ووجلت منه كل القلوب حتى زفرت شوقا الى عوالمها وفى وسط ذلك قام انسان كبير السن • من أهل اكلو فقال : ان هؤلاء القوم من يجالسهم لاينتفع بنفسه فى الدنيا بعد • قال سيدى أبوبكر بن عمر أشهد أن كل من هناك بلغ به الحال مابلغ من التأثر وسيلان الدموع • الا ماكان من الاستاذ وحده • فانه جامد كصخرة صماء ازاء الشيخ كأنه مسلسل هناك رغم أنفه • والا فقد كان بوده أن يخرج • ثم ودع الشيخ الفقراء والاستاذ • وأمره أن يلزم الفقراء قليلا وقصده أن ينفعه ذلك لعله يتراجع • ولكنه ماكاد الشيخ يذهب حتى ذهب هو أيضا لحال سبيله • ولم يزل مصمما على ما صمم عليه • وقد وقفت للشيخ على كلمة أرسلها الى الاستاذ اثر هذا الاجتماع بـ (اكلو) يذكره أيضا بمثل مايذكره الفقراء الحاضرون وسترى ذلك فى رسالة ستاتى قريبا

ذهب الاستاذ الى المدرسة • والشيخ الى الزاوية بالغ ويعلم الله ما يتحمل فى قلبه من الشكوك واضطراب القلب ثم بعد حقبة غير كثيرة والاستاذ منكمش عن الفقراء والفقراء يتشككون فى انكماشه ولايدرون السبب لان أخبار هذه الحادثة كلها سرية

نزل الشيخ مع الفقراء كلهم المتجردين فجاء البراييميون أيضا ولم يبق من (أزاغار) كله الا الاستاذ فاندفع اليه أحد مخالصيه يعاتبه • وهو سيدى ابرهيم بن محمد بن اليزيد التازاروالتى ألذى رزقه الله الثبات يوم ذاك ـ وهو الذى كان أرسل الى الشيخ ـ يقول له أتعلم أنك ستفضح نفسك فقد مثلت هذا الدور مع الشيخ ماء العينين ثم الحاج بلخير • أتحسب أن هذا الشيخ الذى أجمع على كونه فذا جميع الناس تجد من يتبعك على الاعراض عنه فلا والله لاتوافقك ولا تجد أحدا يوافقك • فالشمس لا تستتر بالذيول والاوهام • وبالتقولات المأفوكة • قال فلم أزل به ـ وقد استعنت بآخرين ـ حتى سقناه الى (تزنيت) حيث الشيخ مرغماوهو

يرى فلا قاه الشيخ على عادته باكبار زائد واجلال عظيم ثم دارت المجالس فى ذلك النهار . فحصلت نفحات ظهر سرها ـ كما صرح الحاكى عنها ـ فشاهد الاستاذ ماشاهد فى مجلس الذكر . من الحضرة النبوية عيانا فانهد سوره بالكلية . فترامى من جديد فى حجر الشيخ وهو فى غاية الخجل وقد تذكر ماكان يمتحن به من يدعون الصدق التام من المريدين . قال الحاكى . فقال لى : اليوم فزت ورب الكعبة ثم أرسل الى سبحته ومرقعته فراجع زيه . فأقبل المطلعون على القضية . وهم أناس قليلون جدا . يهنئونه بالرجوع وكانوا قبل يرون أن ذلك امتحان من الله لانه كان يدعى فى محبة الشيخ مقاما عظيما يرى أنه انفرد به وحده من بين أمثاله . ثم انزج ثانيا فى الطريقة فعزم على الانقطاع الى الشيخ متجردا . وقد تكدرت عليه داره وكل ما يزاوله . بعدما عاين قرينته كادت تجرفه بوساوسها فصاحب الشيخ فى السياحة الى (حاحة) بعدما خلف من يدرس مزروعاته ثم كتب ءال المدرسة الى الشيخ فرده . وهو يكره أشد الكراهة مفارقة ألفقراء فأمره الشيخ بمراجعة التدريس . فعزم على هجران زوجه . غير أن ءاخرين ألزموه أن يسامحها لوجه الله وأن يعذرها لمكان الغيرة قال الاستأذ فلم أكد أدخل عليها وأصالحها . حتى صارت تحلف بأحرج الايمان أنها انما كذبت وأفكت . ثم قصت القصة على وجهها . يقول الاستاذ فعرانى العجب من ذلك الفم الذى يكذب نفسه بنفسه بكل التأكيدات والايمان ثم أسدل الستار على القضية التى يقل من يعرفها الا المطلعين.ويريدون بذلك أن لايسقط الاستاذ من عيون الفقراء ولو يعلم الناس كلهم ما فى الحكاية على الحقيقة لعدوها منقبة للاستاذ الذى يتثبت . لانه لايصاحب المعصومين وكأنى أرى أن ذلك يجد الاستاذ من بركته مايجد . كما يرى ذلك من ينظر من بعيد وانصف كمنقبة كبرى للاستاذ . فقد توقف حين عراه الشك ولما زال الشك راجع . وليس الا بشرا يتأثر بما يتأثر به البشر . نعم يواخذ حين لم يتثبت

وقد وقفت على رسائل كتبها اليه الشيخ فى هذا الطور كما يظهر نوردها لنرى أن الشيخ ازاء الاستاذ لم يزل كما كان وأنه يراوده بلطف حتى رجع به الى المثل ثم لم يواخذه بمثل مايوأخذ به الانسان أصحابه لو تقولوا عليه مثل ذلك التقول فهذه أيضا منقبة كبرى للشيخ تبين مقدار نصحه ورأفته بمريديه لئلا يزلقوا

أولى الرسائل

(حضرة الوداد ، العريقة العروق فى الفؤاد حتى لو اجتمع أهل

البسيطة بقوتهم فى كل وصف من الاوصاف لايقدرون على قلعها بكل ما أمكن، ولا يحركون فيها مـا سكن ، هكـذا تكون صفات الموالى (لاتبديل لكلمة الله) (صبغة الله ومن احسن من الله صبغة) وقد كان شرع القوم ان لاتتبدل المحبة بتبديل الصفات ولايمكن للشيخ ان يتبدل المريد عنده • ولو عمل ما عمل ولذلك قالوا لايظن المريد أنه ينقص عند شيخه بنقص ظهر منه • فان ذلك سوء أدب منه • بل يتحقق منه أنه يقبله ويحبه • على أى حال كان • لان المريد لايدعى لنفسه الا الضعف والنقصان أبدا فى كل شىء • فكل ماظهر منه مـن الضعف لايبعده عن شيخه بل يقربه منه أبدا على التحقيق • (تحقق بوصفك يمدك بوصفه) وقدسألنا عنكم • وقخبرنا بأنكم تجتمعون على ذكر الله بالدولة لكل خميس فى كل مكان وفرحنا بتعمير الاوقات بخير الاقوات • وهو ذكر الله تعلى • فالله يفرحكم برضاه الاكبر بتوسلنا اليه بجميع أنبيائه وأوليائه وأتقيائه وأصفيائه • وأشكروا الله واحمدوا الله على ذلك (كنتـم خير أمـة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وسر الاجتماع يوثر فى الاسماع • وقد بقى سر اجتماعنا فى سيدى وكاك ثلاثة أيام فى ذاتى • وكن على ما أنت عليه من صميم الوداد • فقد كنت تعدل عندى جميع من كان فـى الفؤاد • والسلام • ٢٩ من ذى القعدة)

ثانيتها

وهى مصرحة بالقضية ولكن فى جلباب الكناية• وقد قطع منها الاستاذ كلمات • ونص ما وجد منها • وما بيـن القوسين هو مـن المقطوع • وقـد اهتدينا اليه

(الاخ الناصح والحب الصالح • سلام الله ورحمته وبركاتـه • وبعد • فلابأس ولله الحمد • وقد قال الله تبارك وتعلى (والذين جاهدوا فينالنهديهم سبلنا) وقد جاهدنا فى حماية جناب الله بكل ما أمكن أن يكون سبب الكيود العظيمة حتى هدانا الله تبارك وتعلى سببها (كذا) وهو الذى لاأكبر فوقه عند أهله • وقد آتانا الله تبارك وتعلى من عالم الغيب الذى يصفى عالم الشهادة وهو خوف (الضرة) فهو سبب المضرة • وكيفية أتيان الله به أننى بيـن اليقظة والمنام • وأنا على الوضوء قبل صلاة الصبح ليلة الاثنين الثانى ••• فخرجت عليك فى مكانك • فوجدتك مريضا غاية منزفا • فأمرضك• فجعلت رأسك فوق ركبتى وأمسح وجهك فقلـت لى أردت أن أمشى معـك لبلدك للتزوج من عندك • فقلت لك : الى أن تصح ان شاءالله • فذلك سهل وقريب فأفقت • واجتمع فى قلبى فى الحين • أن خوف ذلك هو سبب ماهنالك • لان من رأى مايخافه أقرب اليه من حبل الوريد • بسبب تيسره فى كل جهة •

حالا ومقالا • ورأى محبة كاملة لكل جهة وخدمة كاملة لكل جانب • ورأى اخوانا وزمانا ومكانا وعاين بعينه مايخافه • أفينتظر ـ لعله أفلاينتظر ـ وقوعه وكماله وهو قريب • لاورب الكعبة ان لم يكن كامل العقل • لان نقصان عقله هو الذى ياتيه بالناقصات لا بالكمالات • ويوسوسه وأحرى ان استعان بجنسه وقبيله من أهل النقصان بل لو لم يخطر ذلك بباله حتى أخبر جنسه بما رأى ممن يصلح (••••) يقول له ذلك واقع بلا شك ولا ريب • وهذا الامر ان قيل لغير من يخافه يصدقه • لما رأى من بيننا من كمال القابلية فى كل جهة • وهانحن ربنا مطلع علينا بأن ذلك لم يخطر بيننا أصلا والعاقل يعذر أهل نقصان العقل • ان فعل مخوفه ما فعل • لان الانسان طبع على ذلك • وقد وقع لحواء ماوقع • وما رأت الا صورتها فى المرءاة • وأحرى من رأى صورة (الضرة واقفة) حقيقة عنده فى زعمه • مادام الجانبان فى الحياة يخافه • ويختار الفراق القاطع لتلك المادة •••••)

فبهذه الرسالة عرفنا أن الشيخ بين الحقيقة للاستاذ وقد دافع كما ترى عن المتسببة فى ذلك • وجعل ذلك من طبعها • وقد تجلى فى الرسالة الطابع الصوفى الحليم الذى يفك العقدة بلطف • مع أن المقام يستدعى الاستفزاز وثورة العواطف • وذلك عجيب من الشيخ • كيف حل العقدة من غير أن يحمل ذنبها للمتسببة • ثم لم يزل بمريده حتى رجع الى ماكان عليه ان لم يرجع الى أزيد •

وقد ألبس الاستاذ كل الفقراء ـ وهم زهاء مائة ـ قمصان الكتان شكرا لله الذى وفقه الى الرجوع • وقد تاب توبة نصوحا • فكان بعد هذا الحين كأنه أبس أردية الانوار • وقد استحال كله صفاء • فعلا له ماعلا • ويقولون: ان الفتح الكبير وقع له فى هذه الحقبة • بين هذه الفترة وموت شيخه •

ناتى هنا باصطلاحات الصوفية • لاننا الان نترجمهم • والا فلسنا الا فى مرتبة المورخين الذين يقولون الحقائق كماهى من غير غلاف ولامجمجمة وفى (أفواه الرجال) تفاصيل اكثر من هذا

ومما يتعلق بما بين الشيخ الالغى والمترجم أن المترجم أرسل اليه مؤلف (تحفة الرسول) وهو منظوم شرحه • فوافق اتمامه أن زوج الشيخ بنته لابن أخته سيدى موسى • فقال المترجم فى ءاخر ذلك النظم

وبعد تسويدى لذا النظم أتى	املاك شيخنا ابن اخته الفتى
السيد النجيب موسى بابنته	لذا بعثته برسم تحفته

فأجابه الشيخ بقوله

أتحفتنا بتحفة الرسول   أتحفك الله بكل سول
أيا ابن مسعود جزيت خيرا   فيما كتبت ووقيت ضيرا

الاستاذ يبني مدرسة (المعدر) ناويا النقلة اليها

هنالك ازاء مشهد سيدى مسعود مدرسة استدار سورها الخارجي أسسها الاستاذ ونوى أن يعمرها بنفسه • وقد شاور شيخه فى ذلك فوافقه فأرسل اليه سيدى موسى ابن الطيب ابن اخته ليرشحه للاستنابة فى المدرسة (البونعمانية) وقد ذكرنا فى ترجمة هذا رسالة للشيخ تدل على ذلك • ولكن المدرسة لم يتيسر تمامها فلم يقدر للاستاذ مراده بها • وقد مر مايدل على ذلك فى ترجمة سيدى موسى بن الطيب من رسالة الشيخ اليه •

الاستاذ بعد وفاة شيخه الالغي

رجعت المياه الى مجاريها بين الاستاذ وشيخه فى سنة ١٣٢٧ﻫ ثم كان موسم كبير عظيم فى (الغ) حضره الاستاذ فيمن حضره • ويقدم من الازاغاريين جما غفيرا • يسد سواده الافق • وقد شاهدناهم طائفة يوم الموسم ونحن صغار • فكانت من الطوائف الكبار ولعلها أكبر من كل طائفة • وكانت عادة الشيخ أن يأمر من حضروا من العلماء • ليجيبوا عن الرسائل التى ترد اليه من المريدين الذين يتخلفون عن الموسم فيكون سيدى سعيد التنانى هو رئيس الكتابة • لانه الكاتب الرسمى للشيخ • فيكون الاستاذ ابن مسعود وأمثاله يجيبون عن الرسائل • وقد اتصلنا برسائل عديدة من بنات قلم الاستاذ عن شيخه ثم كانت سنة ١٣٢٨ ﻫ فساح الشيخ سياحة كبرى الى مراكش • ولم يكن ينسى تلميذه الاستاذ من رسائله • وقد رأينا بعضها ولم يكد يرجع الشيخ حتى سقط مريضا • وقد كان ولده محمد دفعه الاستاذ يربيه ويعلمه ثم كتب الشيخ وصيته المشهورة فأرسلها الى الاستاذ • فبادر هذا الى الغ • فعاد شيخه • فرجع وهو يظن أن الشيخ يتعافى • وقد كان قبل ذلك بمجرد وصول الوصية اليه أمر ولد الشيخ أن يذهب الى والده ليمرضه • لانه كبير أولاده • وقد دفع له كتانا • فقال له سرا ان قضى على الشيخ فكفنوه فى هذا • فانه من أحل الحلال • فكان ذلك من أكفان الشيخ ثم بلغه خبر الوفاة فطلع الى (الغ) فى وفد فعزوا فيه ثم لما وصل الموسم اجتمع الفقراء كلهم • وأجمعوا على تقديم ولد الشيخ • كما فى الوصية وذلك سنة : ١٣٢٩ ﻫ ثم رفرفت رأية شهرة غريبة للاستاذ فعزم على ان يؤدى للناس ماعليه من الارشاد فرفع علم ذلك رغم مناوأة كبار الفقراء له فى قلوبهم غيرة منهم أن يظهر اثر شيخهم من يشار له • خصوصا حين لم

ينتدب الى ذلك مثل سيدى سعيد التنانى وسيدى أحمد الفقيه الركنى وأمثالهما الذين صحبوا الشيخ منأول يوم وكانوا فى نظر غالب الفقراء أثبت قدما من الاستاذ ابن مسعود • متناسين أن للتضلع فى العلوم مدخلا كبيرا فى ذلك • على أنهم يقولون دائما ذلك فضل الله يوتيه من يشاء •

خرج الاستاذ الى الميدان فصار يربى المريدين ويلقنهم ويستتبعهم فاصطدم وقلوب الفقراء أخوته من الشيخ • قالوا فبسبب ذلك لم يتم أمره فانه لم ينشب ان سقط مريضا فى أول سنة ١٣٣٠ هـ قبل أن ينتشر امره فى غير ازاغار مع أنه قائم بالجد • وقد استخلف على المدرسة من يدرس • والحقيقة أنه منذ توفى شيخه فترت الدراسة وألهته الطريقة عن أداء حق المدرسةالتى شارط فيها • واعله يرى أنفى النائب عنه كفاية • وأنذلك يسلم به من أن يوخذ بجريرة المدرسة • والرجل من الورع فى مكانة • وينبغى أن تحمل أفعاله أحسن المحامل •

ومن ءاثار الاستاذ فى هذا الطور هذه الرسالة التى كتبها الى بعض أصحابه (أخونا فى الله تعلى الشريف الاصيل • الحسيب النسيب • سيدى ومولاى (بياض بالاصل) كان الله لنا ولكم وسلام عليكم ورحمته تعلى وبركاته • تعم أحوالكم • وقد وصلنى كتابك تذكر فيه السياحة الى بلد (كسيمة) فاستخر الله تعلى بدعاء الاستخارة المعروف فى حديث البخارى فان لمتحفظه الان • فقل بعد صلاة ركعتين (استخير الله) مائة مرة فما انشرح له الصدر فافعله • فدم عليه فى جميع أمورك • والاولى والافضل والاكد والاحسن والاجمل هو دعاء السنة الذى فى البخارى فاكتبه فى قرطاس • واجعله فى جيبك • واقرأه بعد صلاة ركعتين فى كل أمر تتردد فىفعله من المباحات دون المحرمات والمكروهات • وأما الواجبات • فألخير فى فعلها • وكذا المندوبات التى لم تعرض فيها شبهة الترجيم بين آحادها • وأما الورد فقد أذنا لك فى تلقينه وجمع الناس على الذكر والمذاكرة • واقصد بذلك وجه الله تعلى • وعلامته ان لاتطلب منهم الدنيا • وما كان رزقك فسياتيك بلا شك فى ذلك • ولابد ولابد من ترك الغيبة وكثرة المزاح والقيل والقال • والخوض فى أخبار الدنيا وغير ذلك ممايشتت القلب • ولابد من اجتناب من يضرك حاله • ويكفيك من لقنتهم الذكر بل يكفيك الله • ولا بد من تعظيم جميع أهل النسبة خصوصا فقراء الشيخ الالغى رضى الله عنه • خصوصا أهل بيته • خصوصا خليفته رضوان الله عنه وعنهم أجمعين فلاتذكر أحدا منهم الا بخير بل أحسن اليهم متى لقيتهم وعظمهم جدا لله • واعتزل عن مجالسة غالبهم • لئلا تقع معهم فيما هو شأن النفوس اذ لاتقدر على الادب معهم فى كلوقت • وذلك ظاهر لايخفى • ولا تغفل عن بعث شىء من الاحسان

متى أمكنك الى خليفة الشيخ ونسوته الاخر ولو يسيرا كبلغة او صابون أوشمع فاخدم باب الله بما أمكنك منذلك واسأل عماعرض من أحكام الدين أهل العلم المشهورين بالعلم والاتقان • وقليل ماهم وحرض من لقنتهم الذكر على الجهر بـ لااله الا الله وذكره بالقلب باستحضار وحدانية الله كل حين • ومن زال عن قلبه شهود الاغيار • وغلب عليه ذكر الوحدانية • فلقنه ذكر الاسم المفرد (الله) بكيفيته المعروفة من أشباع المد • وحصر النفس فى المد الى غاية الطاقة والوقف عـلى الهاء بالسكون وتشخيص الحروف المرسومة فى قلب الذكر كل وقت • واستحضار عظمة الله تعـلى وهيبته حينئذ • واستشعار تجليها فى كلشيء • فبذلك ان شاء الله يرجى انفتاح الباب • وكشف الحجاب • ومشاهدة رب الارباب • بعد تصحيحالتوبة عن الحرام • وسفاسف الاخلاق وعلمهم من الصمت والـوقـار والحياء • ولزوم الرحمة لعباد الله والسخاء وغيرذلـك من جميل الاخـلاق والزم ذلك فى نفسك • واذكر المـوت والاخرة والقبر والنار ويـوم الحساب • أعاننا الله واياك وادع معنا • والسلام

الاستاذ يلتحق بالرفيق الاعلى

خرج من المدرسـة (البونعمانية) فـى نحو خمسة عشر مـن الفقراء المنقطعين اليه فقال لمن استنابه اننا سنسيح الى (الحمراء) ان شاء ألله وأوصى الطلبة • فساح الى (الساحل) ثم عراه مرض فى داره بـ (المعدر)حتى أصاب تمييزه خلل فخرج ليلا من غير أن يعقل متوجها الى (أنـونـعـدو) فقصبة (أوغـروس) وقد تلاحق به أصحابه منزعجين • وفى الصباح جاء أخوه سيدى أحمد وأبو زيد العوفى فرجعا به • فلم يلبث أن لفظ نفسه فى الخميس ١٨ من ربيع الاول ١٣٣٠ ﻫ فانطوت تلك الحياة المتموجة بالافكار والابحاث والتصوف • كأن لم تغن بالامس فدفن فى مشهد والده ووالدته فى قبتهما بـ (المعدر) فأجرى المصاب به آماقا • وأرمض الاسى برزئه قلوبا • فكان يومه أحد الايام المشهودة فى (ازاغار) بكاء وزفرات وحزنا عظيما •

بعض نظرات على حياة الاستاذ

الان وقد أتينا بكل مانعلمه منحياة الاستاذ ينبغى لنا ان نلقى عليها نظرات سريعة قبل أن نلقى على حياته نظرة وداع

ان أول مايلفت نظر القارىء لما سطرناه فى حياة الاستاذ أنه غيررجل عادى • وأنه غريب الاطوار • فليس بالفقيه الصرف • ولا بالصوفى المتماوت بلكان آخذا من أوصاف الفقهاء والصوفية أطرافا فهناك أحيانا نقد نافذ

يستثير كوامن المسائل فترى مايمر به غيره مسلما يقتليه هو بأنظاره • فهذه الناحية • وانلم يقرأ القارىء مايدل عليها فيما تقدم لاننا نستثقل أن ناتي بالمسائل العلمية الجافة في كتاب مثل هذا فان المطلع على حياته ليظهر له ذلك جليا • وان أجال بصره في طرر كتبه • فانه يعجب حق العجب من هذه الثورة التي تستولي على الاستاذ ازاء كل ما سلمه غيره •

هذا ماتراه في جهة • وفي جهة أخرى ترى استسلاما صوفيا طويلا تظن معه أنه متغلغل في أعماق قلبه • ولكن سرعان ما يهزه هاز • ممايتراءى له منه مخالفة الصراط المستقيم • حتى تراه منتفضا انتفاضة العصفور بلله القطر • وبهذا يفسر مايصدر منه ازاء أشياخه الصوفيين • فلولا أنه لاقى من حضرةالشيخ الالغي حبالة انتشب فيها فلايمكن أن يتملص منها بسرعة لما كان نصيبه منه الا ماكان نصيبه من الشيخ ماء العينين وغيره ثم له مع هذين الوصفين أدب بارع في ألفاظه ودقة معانيه فلو صاحبته الاريحية التي هي ملاك الادب • لما كان يناضله أديب ءاخر • ولكنه كذلك خلق • ولا تبديل لخلق الله •

وهاك رسالة كتبها الى الفقيه سيدى عمر الدهوزى فيها ما يتصف به الاستاذ الصوفي ، نصها

(شيخنا الفقيه الاعز الارضى • النزيه البر المرتضى• مولانا أبو حفص سيدى عمر بن الحسين الطالبى ، بـ (العوينة) امام جامع (تزنيت) المحروسة كان الله لنا ولكم • وسلام على سيادتكم العلية بالله • ورحمته تعلى وبركاته وقد منعنا الوقت وعوارض الاحوال ، مما يقتضي الاتصال والانفصال من الورود عليكم بعدما انفصلت عنكم في ذلك اليوم • وقضاء الله خير انشاءالله وقد فهمت من حال سيدى أن غرضه من مذاكرتنا أن يتبين ويستكشف حال هذا العبد ، وما تحصل له من صحبة الفقراء وهل تم لديه ما يغتبط باكتسابه ؟ فليعلم سيدنا أن الضعيف لا يستتر عنك من حاله شيئا مما يحتاج اليه • ويعول في ذلك عليه لأنه راجع الى التوحيد الخاص ، وهو شهود وحدة الوجود التي هي مشرب الصوفية المعبر عنهم في العرف بالاولياء ، وغيرهم من أهل التعبدات ومجرد الكرامات ؛ يسمى بالعرف بالصالحين • فيعلم سيدنا أن لهذا الضعيف من فضل الله من ذلك ذوقا بحيث وصل فيه الى مقام المشاهدة ، وهو انه يتجلى الحق لعبده في كل شيء شيء فيشاهده بنور بصيرة القلب فتارة يشاهده هو الظاهر في الاكوان. وتارة يشاهده هو الباطن فيها بحيث يرى نفسه فضلا عن غيره أن ظاهره خلق وباطنه حق كما قلنا في بعض المقطعات :

أرى ظاهرى عبـدا تسربل خشية وشوقـا واطراقـا بوصف عبودة
وحيث لمحت باطنى لا أشك أنـ ـه عين حـق فاكشفوا لى حـيرتى

وهذه الحيرة هى المشار اليها بقول بعضهم

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

وتارة يرد التجلى على هذا العبد ببعض الاسماء الالهية ، وببعض الصفات العلية كالكلام ، فيجـد فى باطنه ذوقـا أن الموجودات بأسرها كلمات الحق • وهـذا ذوق لم أر من ذكره الا صاحب (الانسان الكامل) • وتارة يرد التجلى لهذا العبد الضعيف ، بالنور النبوى فيشاهـده علما لكـل موجود بحيث يدرك بباطنه ذوقا أن نوره صلى الله عليه وسلم ظهر اليه فى كل شىء ، وأنه عين كل شىء • ولعل ما ذكرناه هو حاصل ما عندنا من ذلك من فضل اللـه • ومـا وراءه من المعانى والاحوال ، كالشوق والحب والتوكل ، ونبذ الاكوان وراء ظهريـا فهو أمر يختلف وروده باختـلاف الاحوال والاسباب والتوجيهات فادع الله تعالى سيدى لاخيكم ومجل سيادتكم بالتأييد والحفظ الالهى والاخذ باليد ظاهرا وباطنا فى الدنيا والآخرة • ولا بأس بقطع هذه أو قطع أسمى ونحوه منها حذرا من افشاء ما يجب كتمه كان اللـه لنا ولكم فى الدارين آمـين ونؤكد سيدنا فى الاكثار من قراءة (دلائل الخيرات) والاسم المفرد (اللـّـه) ولو ألفـا منه بكرة وعشيا وذلك أقل شىء منه • وان أمكن سرده (٤٠٠٠) فى كل يوم فحسن ولا تنسونا سيدى فى الدعاء والسلام

محمد بن مسعود كان الله له آمين

والابيات التى منها البيتان المتقدمان هذه تمامها

أرى ظاهـرى عبدا تسربل خشية وشوقـا واطراقـا بوسم عبـودة
وحيث لمحت باطنى لا أشـك أنـ ـه عين حق فاكشفوا لى حـيرتى
فهل ثم أمر يجمع المتقابليـ ن أو غير ذا مما انطوى فى القضية
وهـل سره أن التجلى وارد بمقـدار الاستعداد والقابليـة
فان كان ذا فلم تخصص بالبطـو ن طورا وتارة يعم بلمحـة
أروم اطراح غـيره فى توجهـى اليه فالفى الغير عينا بنظرة
ألا فقهوا الفقـير فى حالـه ففـى تفقهه فى حالـه نفـى غرة

* * *

وشاهد كمال الناس وانس نقائصا لهم بمحاسن بهم قد تجلت
فهم لـك مـرآة ووصفك تجتـلى بكل فغب عن ذكـر حال القطيعة
فذاك من الجفـا يغبر طلعة الصـ ـفاء قـذى فى شرب صفو المحبة
ومن ثم حسن الظن بالله والعبا د كان على المأثور من خـير خصلة

وهذا الذى قررته فى هذه الابيات هو ما فهمته من قولهم فى المذاكرة :
(لا يشهد النقص الا الناقص) ثم رأيته للامام الشعرانى فى أول الميزان فراجعه وقد سمعت بعض الاخوان من الفقراء يقرر فيه ما ذكرنا.
انتهت الرسالة ، وهاك أيضا مقالة له نقلت من قلمه

(مما فتح الله به على كاتبه الضعيف

اذا استمد القلب من أنوار مجالس ذكر الله فانه يحب البقاء فيها • ولايملها لانها رياض مقتطعة من الجنة التى لايسأم من نعيمها أهلها • بل ربما لايحس بشيء من المؤذية والاسقام • اذا غلب عليه وصف الروح التى لاتعرض لها أعراض الالام • (ان لك أن لاتجوع فيها ولاتعرى • وانك لاتظما فيها ولا تضحى) فمن أهمه أمر بطنه وظهره • فذلك لعدم استيلاء المعانى على سره ولو غلبت عليه • ما أبقت له مهما يلتفت اليه (وجودك ذنب لايقاس به ذنب)

ذلك هو الذى يتراءى من حياة الاستاذ فجاءت أمثال هذا الحكم منه توضحه • وتفسره تفسيرا مقبولا فانما هو التقلقل الذى يسود نفوس الطامحين • فان الطامح لايزال يتعالى الى رتبة بعد رتبة حتى يستولى عليها ثم يتناساها فيدوسها تحت أقدامه متطلبا لاخرى أعلى منها ولايزال كذلك فى كل عمره • فويل لكل طموح سادت عليه هذه الخليقة • فان أول ماتناله منه الشدة الفادحة جسمه الذى لايزال فى نصب مستمر ثم لايبالى به ربه أبد الابدين • وقاتل الله ابن الحسين اذ قال

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام

طمح ابن مسعود أن يكون من النجباء بين تلاميذ والده • فكان له ماأراد ثم طمح أن يكون أنجب نجيب فى أقرانه بسوس فأكثر من الاساتذة واتصل بكل من أمكن له • فأخذ علوما • واتصل باجازات • فكان له ماأراد ثم طمح الى أن يكون أستاذا مدرسا كبيرا • وعلامة قاضيا • ومفتيا بارعا • فكان له ماأراد ثم لما ملك فى ذلك كله الناصية وبهر بمعقوله ومنقوله وبرع فى فتواه وتآليفه زهد فى ذلك أيضا فطمح الى أن ينال الشهرة الروحية فأقبل ينشدها عند أربابها من الصوفية • فأفنى فى ذلك ماله وجاهه • وكل أدوات علمه التى اشتهر بها • كالافتاء والقضاء والاكباب على التدريس • وألح فى الطلب • حتى وجد طلبته عند شيخه الالغى أخيرا • بعدما كاد يخيب • ولكن حظه لايزال آخذا بيده • ثم لم يكفه أن يستأثر بما حصل عليه • فطمح الى أن يكون له مارآه من مجد كبير حول شيخه • فى رتبة المشيخة فاندفع اليها • وكان أحق بها وأهلها • ومثله من يزين تلك المرتبة • ويحفظ ناموسها غير أن أجله خانه أخيرا فانقطع حبل حياته • وهو فى أعين

أتباعه فريد وقته • وامام عصره • لايرون معه ثانيا

كذلك مضت حياة ابن مسعود المتقلقلة وهي كلها حياة مفعمة بما تفعم به حياة كل رجل فذ مخلص لما يعمله • ولولا أنه رجل عظيم • قائم بجلائل الاعمال لما وجدنا من ورائه سمعة خالدة • وآثارا وفرة • وأفكارا حية وتآليف تنادي أنها صدرت عن بحر علم خضم •

سمعت الشيخ سيدي ابرهيم بن صالح يقول كنا نسمع من قديم ان علماء سوس أربعة اثنان مسنان • واثنان شابان • فأما المسنان فالحاج أحمد الجشتيمي • وابن العربي الادوزي وأما الشابان • فابن مسعود والمحفوظ الادوزي

وقال فيه شيخه الالغي لو انقطع العلم في سوس ودرست أطلاله لقدر سيدي محمد بن مسعود أن يحييه وحده • وهي مقالة جديرة بالقبول ويصدقها الواقع •

ان في أثناء تاريخ الاستاذ الذي كان يجمعه مناقشات مع اليفرني فيما يورده في (الصفوة) كما كانت له هناك مناقشات مع آخرين • زيادة على ما يذكر عنه في كل طرر كتبه المفعمة بمناقشاته للمؤلفين والشارحين والمحشين ولايستعظم أحدا أمام الحق كما رأيت له مثل ذلك فيما كتبه حول كتاب (أزهار الرياض) الذي اختصره

ومحصل القول في ابن مسعود أنه داهية علم • فلو قدر له أن يمضي كل حياته في الميدان العلمي خاصة • وأن لايشتغل بغير المعارف • لكان له شأن آخر غير مانرى له • ولهذا نفسه لم يتخرج به من يساوون منزلته في المعارف

بعض آثار أدبية وغيرها بقلم الاستاذ

لعل ماذكرناه في تراجم غير هذه كترجمة شيخه الالغي وشيخه ابن العربي الادوزي من أدبيات الاستاذ المنتخلة مايكفينا عن الاشتغال بذلك ثانيا • وكذلك تقدم شيء آخر فيما قاله في غيرهما من بين التراجم • وذلك لب ماقاله • ولم نتصل بكثير من أدبياته الاخرى لندرك منها مدارك أخرى غير ماعندنا • ولذلك سنكتفي بعرض أدبيات قليلة وقفنا عليها لم تدخل قبل اليوم في مؤلف • ثم نكتفي بذلك في موضوع الادبيات •

من ذلك قوله

للجهل آفة وللعلم رتبة ... وللغي أهل والضلال فنون
ومن يدعي لفرط حمق ونخوة ... شفوفا على الورى فذاك جنون

وقال يخاطب من اسمه علي من تلاميذه

وماحسن منك التواني أباحسن   فأنت بريعانالشباب عليوسن
هجرت مجالس العلوم تكاسلا   وذلك من أمثالكم ليس بالحسن
أقمت على طـول الليالي وهل ترى
من الماء في طول المقام سوى الاسن ؟

وقـــال

كم جاهل يسعى لامر هلاكـه   ويحسبه المرقاة للفضل والمجد
وما علم المغرور أن الامور في   عواقبها المرآة للشؤم والسعد
فلا تامنن الدهر ان كان باسما   اليك فان السم فيذلك الشهد
وحاذر صداقة الحقود فليس في   مداراته يوما سبيل الى القصد
وهبك رأيت الخير مــنــه وقلما   يحاول غير الشرفي الصدروالورد

وقال

سالم ـ فديتــك ـ مـن هجر   لابد يغلــب من صبر
لابــد يــغــلــب عاشــق   ان الجــفــا أدهى أمر

وقال :

لام العذار بعارضـيــك موتر   كــالقوس والجفنان كالسهمين
عجبا على ضعف الفتور تسابقا   للروح كالبرقــيــن مكتنفيــن

وقال

عجبا أرتجي الدنــو فلما   أن دنا صار غايــة فــي البعاد
صار أقرب منهمنكان في الغيـ   ـب ، وذا قربشخصه فيازدياد

وقال

وما الخل الوفي بذا الــزمــان   سوى مثل السراب لدى العيان
يريك وميض سن في ابتسام   لعمرك انه سيف يمانــي
يقلبه وحيــث يرى انخداعــا   اليه دهاك من غير التواني

وكتب الى بعض تلاميذه ، وقد تخلف عن درس (جمع الجوامع) ولاأعرف المخاطب الان ـ ولعله الحسن الاكراري الموقت ـ

أيا حسنا من لميكن حسنابهاشـ   تغال ببحث أنديات جــوامــع
تفوتك أبحاث حسان تطرزت   بالقائها دروس (جمع الجوامع)
تضيع آنــاء النهار وليله   بغيبــة مغتاب ونــوك مجامــع

ألا ساء مابه اشتغلت وساء ما | يضمك من تلك المغانى المجامع
أيجمل منك أن تكون ابن عالم | ومن ذهنك الثقوب أجمع جامع
وترغب عن مسائل العلم والمبأ | حث الغر عن منضود درالمسامع
وقدجد فى العلوم أقرانك الالى | لهوا عن هوى زيدوعمرو وجامع

وقال فى مجلس

لله مجلس أنس راق منظره | جليسه حسن أحمد مختار
بمنزل أرج طابت مسرته | والشرب فيه كرام العرق أخيار

ووجدت بخط بعض الطلبة الالغيين هذه القطعة نسبها اليه ناقلا عن خط أبى بكر الايكوازى من تلامذة سيدى مسعود • وذكر أنها من مبادئه • وهلهلتها وبعض مافيها يدل على ذلك دلالة واضحة •

المجد مثل زهرة الورد | لابد من جهد لذى مجد
فالمجد لايدركه غير من | عانى فنون الكد والجهد
كالزهر ليس يجتنيه سوى | من مس بالشوك من الورد
كل له الى العلا نظرة | ينظمها مقلد العقد
لكنه شتان ما بين من | يصدر عنها صافى الورد
وبين من تكسرت دونه | مرقاته فخر للخد
هيهات أن يمجد غير الذى | بارز بالهندى ذا حد
مغامرا مستبسلا بطلا | عزمته منه كما السرد
حتى ينال كل ما يبتغى | رغم الانوف عن ذرى المجد
من لم يكن فى عمره عالما | ممجدا مقبل الايدى
فانه أولى به أن يرى | بين صفائح ثرى اللحد

فهذه القطعة ترينا مدى طموح الاستاذ ابن مسعود فى صغره • ولولاالتفريط لكان كل مايقول مجموعا لايفلت منه شىء • فيعين الباحث اليوم

على أن هذا القدر يكفينا من أدبياته • نقول ذلك لاننا لانجد غيره • فاتخذنا ذلك عذرا •

أما آثاره الاخرى فمنها رسالة له كتبها الى تلاميذه فى المدرسة (البونعمانية) يوم غادرهم فى المرة الاخيرة الى سياحته التى نواها ثم عاقه فيها أجله وهى وصية حسنة فيها نظرات استقر عليها أخيرا نحو مايراه نافعا من كيفية الدراسة نصها

اخواننا طلبة المدرسة (البونعمانية) كان الله لنا ولهم وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته •

هذا ونؤكد عليكم فى لزوم صلاة الجماعة خلف الامام وحضورقراءة الحزب الراتب ، والمجلس -يعني مجلس الذكر المعتاد اذذاك كل عشية هناك- بحضور قلب تام فى الصلاة وغيرها من الاذكار والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه • كما فى الحديث • وحضور الدروس • خصوصا البخارى المحاذى به قراءة المختصر • ودرس المختصر • والمجموع للامير • والحكم • ولايعبدالله الا بالعلم • وأى خير عدمه من قرأ فروع باب من أبواب المذهب • وأتبعه بباب من أبواب البخارى المشتمل على الكلام المنور فيستفيد فقه الابواب • ومدارك المسائل من نصوص كلام النبى صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه وتابعيهم باحسان • واذا ساعد التوفيق وراجع المتعلم ماانجر اليه الكلام فى الاستنباط من قواعد الاصول فى أبوابها وتدرج بذلك الى استحضارها فى محالها من الفروع • كانت النعمة أكبر ومن صعب عليه بعض الابواب من (جمع الجوامع) و (التسهيل) أو (التلخيص) فلا باس أن يقرأه وحده على أخينا سيدى ابرهيم البعقيلى (١) ويطالع بقية مااحتاج اليه من الكتاب بنفسه • ودرس المسائل فى اللوح أرسخ لها فى الذهن • وأنت ياسيدى أحمد بن محمد التنانى لاتغفل عما أمرناكم به من الخروج مع من أراد الخير لنفسه ليلة الخميس • وليلة الجمعة • للذكر فى مساجد القرى • خصوصا فى(انتر) ومذاكرة الناس والنساء فى التوحيد وأبواب الطهارة والصلاة • والمحتاج اليه فى باب الحيض والنفاس ولاتحتاجون الى ذلك فى ليلة رواح الفقراء الى المدرسة بل اذكروا معهم وليتذاكر معهم سيدى ابرهيم البودرارى بين العشاءين فى الرسائل - يعنى رسائل مولاى العربى - والحكم فذلك كله نفع لكم • وزيادة فى الظاهر والباطن • والخير كله فى الاتباع والادب • وأنت ياسيدى فلان - يحيا العبلاوى - وفلان - سعيد التزنيتي - وفلان - محمد بن يدير الساحلى (٢) - وقد اتلفتم جزءا من اعماركم بالافائدة • كما يمنعكم من حضور الالواح - يعنى الانصبة - تنفعون أنفسكم والمسلمين ان قدر لكم تحصيل • وفى الحديث الدنيا ملعونة ملعون من فيها الا ذكر الله وما والاه • وعالما ومتعلما • فأى فائدة فيمن كانت أوقاته ملعونة بنص النبى صلى الله عليه وسلم • واجتهدوا فى كتابة المجموع - ودرسه فى اللوح كله • ومن حصله كتابة ودرسا وتحصيلا لم يحتج الا الى تصفة قلبه بصحبة الذاكرين اعاننا الله واياكم • ويلطف بنا آمين)

---

١) هو المسمى البودرارى أى الجبلى

٢) هذا البيان من بعض الحاضرين اذذاك وقد كانوا سموا فى الاصل فحذف الاسماء من نقل لنا الرسالة

ان اجالة التامل فى هذه الرسالة ثم مقابلة ما فيها من كيفية تفهم المسائل مع ماساد اذذاك على عنصر المدرسين من علماء البوادى والحـواضر معا • وما كانوا يرونه المثل الاعلى فى دراسة الفقه • ليدل على أن الاستاذ ابن مسعود قد فاز وحده من بينهم بفكرة عالية • فكم أستاذ من (القرويين) ومن (ابن يوسف) يجهل اذذاك ان أخذ الفقه من الكلام النبوى المنور أفضل ومن ذايجول فى ذهنه منهم أن يمرن تلاميذه على تنزيل الفروع على مآخذها بقواعد أصولية • اللهم ان ذلك غير معروف كثيرا اذذاك بل لم يطرق ذهن أحدهم • الا أن كانت فكرة فردية لم يخرج صاحبها العمل بها الى الوجـود ولا أراد تعميمها •

ثم ان اعتبرنا مع ذلك أن يهتم الاستاذ بتنوير قلوب تلاميذه بالاستقامة والرقائق • وقصد منفعة الناس كلهم عامة وخاصة وتقرى القرى لتعليم النساء فضلا عن الرجال • مايحتاج اليه كل مسلم ومسلمة من التوحيد ومبادىء علوم الديانة • والوعظ العام • ان اعتبر كل ذلك مع ماتقدم يوجد أن ابن مسعود فذ فريد بين علماء ذلك العصر • وبين صوفيته • فقد أخذ عن شيخه الالغى الاهتمام بتعليم الناس كلهم فى القرى فأضافه الى الاهتمام بترقية شؤون الدراسة المتلاميذ فى اختيار أقرب الطرق • فبهذه الظاهرة الـتـى استولت على الاستاذ ابن مسعود • فكانت لحياته ختام مسك نعلم كيـف عقليته العلمية والصوفية • وكيف نوى أن يجعل كل حياته نفعا للامة • فكان له أجر نيته • وانما لكل امرىء ما نوى •

ومن آثاره رسالة اخرى كتبها أيضا الى تلاميذه • ينهاهم عن الاسترسال فميا يعتاده أمثالهم من الطلبة فى نزهتهم نصها

(أصحابنا الكرام مصابيح الظلام بعد التحية والسلام فنسألكم صالح الدعاء • باخلاص النية والاهتمام جمعنا الله واياكم بدار السلام ورزقنا حسن الختام • وأعيذكم بالله أن تكونوا من الاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فأحسنوا الطويات وتعلقوا باخلاص النيات • ولا تقابلوا نعم الله بكفرها بعدم عرفان قدرها بل اشكروها بالوقوف عند امر السنة ونهيها فاجتنبوا لذلـك ما عـوده الشيطان فى مثل تلك المسالك واستمعوا نصيحة ناصـح مرشد • فخير الامور فعل المقتصد :

ياصحابا وجوههم بسنا العلـ	ـم بها يهتدى بليل غسيم (١)
نزهة المنتمين المعلم شعر	ونشيد يزرى بلطف النسيم
وحوار من المعارف يلهى	عن جمال الفتى الوضىء الوسيم
وسواها ضرب من النوك والتعـ	ـشير شين لقدر علم جسيم(٢)
فتحلوا بحلية الفضل والهجـ	ـر اهجروا فالبذاءشر قسيم(٣)
فعليكم تحية تزدرى بالـــز	هر فى الروض أو بثغر بسيم

اذا تمهد هذا فعزيمة عليكم أن لاتركنوا الى سفاسف الاخلاق • فان ذلك شين بكم على الاطلاق • وما عدا ماذكرناه فانما هو توغل فى المآثم • لايليق بمتعلم ولا عالم • وانما هو وصف الحمير • من أدمان النهيق والتعشير (٤) كما قلنا فى بعض المقطعات قبل هذا مما فات :

اعمرك ما التنزه غير لهو	يجر الى المكاره والمعاصى
سيجزى اللاعبون بزجر قول	بما اجترحوا فيوخذ بالنواصى

هدانا الله واياكم الى سبيل الرشاد • ونبا بنا عن اللجاج والعناد • بمنه وكرمه ومن لجأ منكم الى شىء من ذلك فانه معتوب عليه • ومن تردى فى المهاوى فقد شان نفسه • وشان من تعلق به • ونسى رمسه • فمن وقف على امتثال ماذكرناه فالله تعلى ياخذ بيده فى الدارين آمين ومن أبى ولج فى الغواية • ولم ينفك عن العماية • وكلنا أمره الى البارى ونعم الوكيل• فلايخفى عليه حقير ولا جليل • والله تعلى يوفقنا أجمعين الى سلوك سبيل رضوانه العميم بالنبى وآله • عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم • امين • وكتب تنبيها وارشادا بتاريخ أواسط شعبان سنة ١٣١٢ هـ محمد بن مسعود الطالبى • كان الله له وليا • وبه حفيا)

أقول ان هذه الرسالة كان فى مبدأ تولى الاستاذ لامر المدرسة

ومن آثاره أيضا هذه الرسالة التى كتبها الى سيدى ابرهيم كَزور الساحلى :

---

١) غسيم مظلم

٢) عشر الحمير تعشيرا نهق عشرا

٣) الكلام الهجر بضم فسكون القبيح

٤) يعنى تاحزابت وهى التغنى بالقرءان ذلك التغنى القبيح المستنكر الذى يقاومه علماء سوس دائما

«أخونا فى الله تعلى الاعز الفقيه النزيه الارضى محب أهل الله أبو اسحاق سيدى ابرهيم بن محمد المعدرى السطحى كان الله لنا ولكم. وسلام عليكم وتوابعه ونسألكم صالح الدعاء .

هذا وحامله طلب منى أن أكتب اليك والى من ثمة من اخواننا الفقراء اعلاما لهم بأن العيد انما هو يوم الاربعاء . وأنه لايكفى فى ثبوته يوم الثلاثاء ماكتب به الفقيه سيدى الحاج الحسين فترددت فى الكتب . ثم ظهر لى أن أعلمك فان رأيت أن تعلمهم ليعيدوا الاضحية قبل فواتها . فافعل والا فأنت أعلم بحال الناس . سلمنا الله واياكم من كل فتنة آمين . وبيان كون ما كتب به الفقيه المذكور غيركاف فى الثبوت أنه ذكر أنه بلغه خبر اليقين أو الخبر اليقين أن شهود التواتر شهدوا عند قضاة ثلاثاء (جسيمة) بذلك ولم يذكر هو أن من أخبره بذلك عدل . وكون الخبر يقينا . أى يفيد اليقين لايستلزم ذلك لاحتمال أنه اخبار من يثق هوبه وان كان فى الشرع غير عدل . وقد تقرر أن الاحكام الشرعية لاتثبت بلفظ فيه اجمال وابهام واحتمال وهذا كله واضح . وهذه فائدة نصب من يتعقب الاحكام لئلا تبنى على التساهل والله أعلم»

ومن آثاره الكبرى اجازته للفقيه أبى زيد العوفى . وهى ذات فوائد جمة نصها :

«ان أحسن الحديث مما تنوفس فيه فى القديم والحديث ذكر الله تعلى الذى من استند الله علا ووصل . ومن انقطع عنه نزل وانفصل أحمده حمد معترف بآلائه مستزيد لنعمائه . وأصلى وأسلم على سيدنا محمد قطب دائرة الوجود وعروس مملكة السيادة والجود . وعلى ءاله وأصحابه أئمة الاهتداء القاصمين بنشر العلم ظهور أهل الاهواء والاعتداء .

هذا وان الاخ فى الله والاحب من أجله صاحبنا الفقيه الانجب أبازيد عبدالرحمن بن محمد العوفى الانصارى . اجتهد حتى حصل على طرف صالح من العلوم المتداولة . فطلب منا الاجازة على سنة سلف الامة وخلفها . وكأنه ظننى فى تلك المعركة من رجالها المقاتلة . ولم يعلم أنى لست الا من النظارة الذين لادفاع لهم فضلا عن شن الغارة ولعمرى ان العارف بالحال المعذور (كذا ولعله غير معذور) اذا ادعى أن هذا كاللعب والغرور لولا مايجمع من الامل ماتفرق . من قوله صلى الله عليه وسلم (ردوا السائل ولو بظلف محرق) لاسيما من كان بين أشباه الناس فى بادية لاترى عينك فيها الا النسناس والمستحق لاسم الفاضل منهم مثنى أو مفرد . والمتحلون بالفضائل فيها كالشامة البيضاء فى جلد الثور الاسود . ولما كان لحسن ظنه أجبته . وبمرغوبه

أسعفته تشبها بالكرام متمثلا بقول بعض الاعلام

أجزتك لا أني لما رمته أهـل ولكن ما تبغيه محتمل سهـل
فكيف أراني أهل ذاك وقداتي على المواتان البطالة والجـهـل
وما العلم الاالبحر طاب مذاقه ومالي عل في الورود ولا نهل
فأسأل ربي العفـو عنا فانـه لمايرتجيه الخلق من فضلهأهل

ومتمثلا بقولنا مع تغيير يسير فينحو هـذا الغرض خطابـا لبعض أصحابنا في أمر عرض

أجزنا وللبيب في القصدأسعفنا وما كان ذا تطاولا لا ولا منـا
أثابكم ربي بخلد جنانـه بفردوسه الاعلى وجازاكم عنا
وجمعنا والاهل والصحب في جوا
ر صفوة خلق الله في المقصد الاسنى
عليه صلاة الله مارنحـت صبا جوانح صب ما له عيشة تهنا

فأقول أجزت الصاحب المذكور ، جعل الله لنا وله ذلك من العمل المقبول والسعي المشكور اجازة عامة مطلقة بكل مايصح لي وعني روايته ثـم ان صحبة الراوية عن مثلي من كل مقروء ومروى ومصحح ومؤلـف (كـذا العبارة فيما نقل منه وان كان اطلاقاسم التأليف عليه مجازا) لاأريد منـه جزاء ولاشكورا الا المحبة في الله • وأن لايغفل عنـي داء طالحـا موفورا • بالشرط المعتبر • عند أئمة الاثر • كأن يتقي الله في سره ونجواه • وأنيقتفي سنة النبي الاواه صلى الله تعلى عليه وعلى ءاله وسلم • وأن يلتزم لاادري فيما لايدري • فقد أدبنا الله تعلى بخطاب منلايتطرق اليه اتباع الخطأ والوهم بقوله (ولاتقف ماليس لك به علم) وذلك بعدما تذاكرنا معه في جملة من التأليف المتداولة كالخلاصة للامام ابن مالك • ومختصر الشيخ خليل • وغيره من مؤلفات المذهب في الفروع والقواعد • كالمنهج المنتخب • الى قواعد المذهب • للامام الزقاق • وغير ذلك وذاكرنا معه جل تلخيص المفتاح في فن البيان • ورسالة الشيخ الدردير فيه • والسمرقندية فيه أيضا ونحو المصنف في الاصول من متن ابن السبكي في الاصول مع شرحـه للمحلي وبعض الحواشي عليه وشراحه وشرح الامام السنوسي على مختصره فـي المنطق • وبعض شروح متن الاخضري في المنطق وغير ذلك مـن الفنون • كالحديث والسير ومعظم الفية المصطلح العراقي بتقرير صغير للمؤلف عليها • وشرح شيخ الاسلام زكرياء في بعض المواضع • وغير ذلك • والله يتقبل منا ومنه • ويخلص الاعمال بمنه ءامين • وقد اجزته في ذلك كله بحق ما أخذت عن شيوخ عدة • أسمي من أمكن منهم من المشتهرين ولم تكـن

للعبد الضعيف رحلة يتسع فيها له المجال في الاخذ عن أكابر الرجال
ولكن نشير الى بعض ما تحصل لنا من ذلك على سبيل الاختصار فنقول

أخذت عن جماعة أحقهم بالتقديم وأولاهم بمزيد التعظيم الفقيه الناصح • التقي الصالح • شيخنا الوالد أبو الفرج مسعود بن محمد الطالبى السملالى أطال الله بقاءه وأدام في معالى المجد والسؤدد ارتقاءه • وهو أخذ عن جماعة أجلهم من طريق الدراية • شيخ الاسلام الامام العلامة المشارك النحوى المتواضع الصالح الربانى أبو المعالى العربى بن ابراهيم الادوزى شارح الخلاصة وغيرها • وهو عن جماعة أجلهم من طريق الدراية شيخ الشيوخ ومن له فـي قدم العرفان الثبات والرسوخ • سيدنا ومـولانا أبـو العباس الميمونى التيمكيدشتى أفاض الله علينا من مدده النورانى وسره الحقانى وهو عن جماعة منهم من ذكر سنده في فهرسة العلامة المحدث الصوفى ابى الحسن علي بن سليمان الدمناتى رحمه الله نص كلامه

(وممن اجازنى اجازة عامة بما تداولته الائمة منظوما ومنثورا • ولغة وأصولا وحديثا وتفسيرا • وغيره • فروعا ونحوا وبيانا وغيره • ومنطقاوغيره الامام الجلى الدراية • الولى الراوية • الذى نفع الله به البلاد السوسية أبـو العباس سيدى أحمدالسوسى الاقصوى (كذا) (يعنى نسبته الى الاقصى)الايكنانى نسب لكانسان واد بسوس التيمكيدشتى رضى الله تعـلى عنا كل مـوحد • وبأسانيده أيضا اتصل الى فهارس كثيرة كالعياشية والهلالية الجامعة لكل الفنون المتداولة • ولنقتصر على سند له بالبخارى • فانه رضى الله عنا كل موحد يرويه عاليا عن الهمام سيدى محمد بن يحيا السوسى الاوجى • بفتحتيـن بشد جيم عن زاوية سوس الاقصى وخاتمة محققيه الشيخ سيدى محمـد الحضيكى عن الشيخين العلامتين • أبوى العباس سيدى أحمد الصوابى وأحمد العباسى • عن الشيخين الصالحين أبوى العباس سيدى أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعى • واحمد الهشتوكى • عن امام دار الهجرة سيدى ابرهيم ابن حسين الكردى الكورانى • عن الشيخ المعمر عبدالله الاموازى • عن محمد ابن أحمد النهروانى عن والده عن ابى الفتوح المشاوسى عن المعمر بابا يوسف الهروى باليانع زيادة المشهور سيمد سال أى المعمر ثلاثمائة سنة • عن محمد بن شاد بخت الفارسى الفرغانى عن الشيخ احد الابدال بسمرقند • أبى لقمان يحيا بن عمار بن مقبل بن شاهان الختـلانـى المعمر ثلاثا وأربعين سنة ومائة • عن محمد بن يوسف الفربرى عن مؤلفه • فهؤلاء خمسة عشر فتكون الوسائط بثلاثياته ثمانية عشر فقد علا عـلى الاول بعشر درجات قال العالم محدث سوس الحافظ سيدى الشيخ عبدالرحمـن التاغارغارتي عن سوق سنده بعشرين واسطة معجبا به لايعلم أعلى منه

بالمغرب والمشرق حسبما وصله ٠ مع أن شيخي المذكور وشيخه بعده بلدياه قال وسبب علوه ٠ أن عمدة رجال بسنده عمروا أزيد من مائة وأربعين سنة ٠ قلت وقد سمعت أن بابا يوسف عمر ثلاثمائة وأن الفلاني قال قال شيخ مشايخنا الشيخ عبد الخالق بن علي المزجاجي في (نزهة رياض الاجازة) صح أن قطب الدين النهرواني روى الصحيح عن أبي الفتوح بلا واسطة أبيه وان طريقة أبي الفتوح لم تبلغ ابن حجر ولا السيوطي لانهما مصريان ٠ وهو من رجال الثمانمائة بـ (أفرقوه) (مدينة بخراسان العجم) وكان موصوفا بالصلاح وأن أبا الفتوح المذكور قد سمع صحيح البخاري عن محمد بن محمد بن شاذبخت الفرغاني بلا واسطة بابا يوسف الهروي ٠ وهذه الطريقة لم تصل الحرمين الا بأشياخ أشياخ مشايخنا كالشيخ المعمر عبدالله بن سعيد الاموازي نزيل المدينة المنورة ٠ فيسقط اثنان من خمسة عشر ٠ فتكون بيني وبين المؤلف اثنا عشر والوسائط به بثلاثياته ستة عشر فعلا على ثاني الشيخ التاودي باثني عشر وهو مع أولهما كفرسي رهان ٠ وعلى سند التاغارغارتي بأربع فهذا أعلى ماعندنا بالمغرب ٠ فاسا ٠ وسوسا ٠ فماوالاهما مع أن كل رجل بسنده من بدئه بختمه أمة واحدة ٠ رضى الله كنا كل موحد

تنبيه :

سبق ان الحضيكي يروى عن العالمين أبي العباس أحمد بن محمد بن ناصر ٠ وأحمد الهشتوكي قال باجازتهما عامة باسانيدهما فابن ناصر عن أبي سالم العياشي ٠ والهشتوكي عن الشيخ ميارة الفاسي كرواية ابي سالم عنه ٠ عن الشيخ عبد الواحد ابن عاشر عن سقين ٠ عن ابن غازي ويروى أيضا بالاجازة العامة الحضيكي عن خاتمة المحققين ابي العباس احمد ابن عبد العزيز الهلالي وأسانيده في كل الفنون معلومة لكل من ذكر رضى الله تعلى عنا كل موحد

وسياتي للشيخ ابي العباس التيمكيدشتي سند آخر هو أشهر من هذا ٠ ولعل ذلك لكونه من طريق الدراية ٠

وأخذت أيضا بطريق الاجازة العامة عن العلامة فارس ميدان التحقيق وحامل لواء التفنن والتدقيق من أحيا ببنات فكره الوقاد الرسم الدارس من غرر المباحث التي طارت بها عنقاء مغرب في غالب المدارس بعدما كانت منها مناهل سوس ببدورها الاهلة آهلة ٠ ولبات الافاضل به بحلى الفضائل والفواضل حالية غير عاطلة ٠

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وناهيك بمن صار أمة وحده • فضيلة ليس لها من جاحد • وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد أبى عبدالله محمد بن العربى اليعقوبى ثم الادوزى جازاه الله بأفضل مابه من أحيا الدين عن نشر العلم والقيام به جوزى • وقد أخذ عن جماعة أجلهم من طريق الدراية والده الشيخ الاعظم وقد ذكر أنه أخذ بالاجازة عن شيوخ ءاخرين • لم أسأله عن تعيينهماستحياء ونذكر نص اجازته تيمنا بشريف لفظه قال

(الحمد لله وحدة وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله وصحبه اجزنا بحول الله وقوته الفقيه الذكى سيدى محمد بن مسعود بن محمد الابراييمى السملالى بما اجازنى به أشياخى رحمهم الله وأذنا له فى نشر كل فن علمه الله تعلى من تفسير وحديث وفقه • وغير ذلك من الاصول والفروع بشرط تحرى الصواب والتثبت لدى البحث والجواب • واتخاذ جنة لاادرى لدى الاشتباه • ورعاية أقدار المتعلمين ارشادا ونصحا • والصبر معهم وان لم ير لامارة الانصاح صبحا طلبا لرضى الله تعلى • مع ذلك الرعيل الكريم القبيل وأوصيه بتقوى الله الكريم والملجأ اليه فى الصغير والعظيم • والاستمداد من سيد الاولين والاخرين عليه أفضل الصلاة والسلام والتأدب مع ذلك الجناب المكين • والدعاء الاشياخ • كهف الربانية والارتساخ فانهم آباؤنا الكرماء رضوان الله تعلى عليهم • واسأله صالح الدعاء •)

فى أول ربيع الثانى سنة ١٣١١ هـ محمد بن العربى الادوزى لطف الله به آمين اهـ من خط بلفظه •

وممن اجازنى كذلك العالم العامل • والصوفى الكامل • شيخنا الفقيه الربانى أبو عبدالله محمد -بفتح الميم- بن ابرهيم اباراغ (بفتح همزة ففتح موحدة • فراء مفتوحة ءاخره غين معجمة ساكنة) البعمرانى • أنا لنا الله واياه فى الدارين كل الامانى • وهو أخذ عن جماعة اجلهم من ذكره فى اجازته لى وقد كتبت بين يديه من خطه مانصه :

(فائدة ومن رحلة شيخ أشياخ شيوخنا ابى العباس سيدى أحمدبن محمد بن ناصر رضى الله عنهما مانصه ومن التقينا معه بالمدينة خطيب الحرم اسماعيل قرأت عليه حديث انما الاعمال بالنيات • فاجازنى • ونص اجازته

أحمد الله سبحانه • ونسأله ان يصلى ويسلم على نبيه • واشرف خلقه مولانا محمد وءاله وصحبه وأتباعه وأحبابه أخذت قراءة القرآن والحديث عن العارف بالله تعلى الشيخ على الشمولى عن الشيخ الحلبى صاحب السيرة

عن القاضي شمهروش عن النبي صلى الله عليه وسلم • وقد أجزت الشيخ العارف بالله تعلى الشيخ سيدى أحمد بن محمد بن ناصر أن يروى بهذاالسند الشريف العالى المنيف • حديث سيد المرسلين وحبيب رب العالمين • ككتاب البخارى وغيره من الكتب • وقد قرأ على حديث انما الاعمال بالنيات نفع الله تعلى به المسلمين • وجعلنى واياه فى بركة سيد المرسلين ءامين)

وقد كتبت بعده مانصه

(قال الفقيه سيدى محمد أباراغ المذكور وبينى وبين الشيخ ابن ناصر رضى الله عنه فى بعض الاسانيد ثلاث وسائط شيخنا الاكبر أبو العباس التيمكيدشتى • وشيخه سيدى محمد بن الحسن الطويلى التوغزيفتى وشيخه سيدى مسعود المرزكونى • رضى الله عنهم ونفعنا بهم فى الدارين)

وقد اجازنى سيدى محمد أباراغ المذكور بسائر مروياته عن مشايخه بالسند المذكور • وجميع مقروانه وجميع ماتيسر لنا قراءته واقراؤه من العلوم الشرعية والالات وغيرها • فالله تعلى يحسن النية • وينفعنا بذلك وينفع بنا فى الدارين ءامين

وما ذكره من الوسائط بينه وبين ابن ناصر مثله فى سند شيخنا الوالد بزيادة شيخ الجماعة سيدى العربى الادوزى المقدم ذكره وقد حضر الشيخ الوالد أيضا بعض دروس الامام أبى العباس التيمكيدشتى وأظنه قال : فى صحيح البخارى نحو شهر ويذكر أنه لملمات الامام أبو العباس التيمكيدشتى تأسف اذ لم يتلمذ له • فرآه فى المنام قائلا له أنت من أولادى أوقال من تلاميذى ولله الحمد على ذلك

وقد كتب الفقيه سيدى محمد أباراغ عقب ماذكرنا مانصه

(صح منى الاذن المذكور كما ذكر العلامة البركة سيدى محمد بن مسعود • فالله يتوجه ويحميه ويعاونه محمد بن ابرهيم بن محمد بن سعيد أباراغ أمن الله الجميع بمنه ولطف بجميع المومنين ءامين وقد أجازنى شيخنا وحمانا القطب الربانى أبو على سيدنا الحسن ابن شيخنا الكبير • المربى الشهير القطب ابى العباس سيدى أحمد بن محمد التيمكيدشتى بجمع ما أخذت عنه وعن غيره من أشياخى نفعنا الله بالجميع • بخط يده المباركة • وختم الاجازة بقوله • وقد رضينا عنه رضاء تاما الى لقاء الله والكمال على الله والسلام)

الحسن بن احمد الميمونى بتيمكدشت أمنه الله أتمه محمد أباراغ أمنه الله به آمين اه من خطه ببعض تصرف

وقيدت أيضا فى مسوداتى مانصه

(الحمد لله حدثنى شيخى الفقيه السيد التونسى بن بيه الدكالى العونى نسبة للعونات بلد معروف بدكالة رضى الله عنه ونفعنا به وباهثاله بواسطة أحد عن سيدى محمد بن عبد الرحمن الفاسى رضى اللهعنه عن السيد شمهروش الجنى رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه الصلاة سبع مرات فدية • ولفظها

(اللهم صل على سيدنا محمد النبى الكامل • وعلىءاله واصحابه • صلاة كاملة لانهاية لها • كما لانهاية لكمالك وعد كماله) وقال لى رضى الله عنه هذا حقنا من الرواية عنه صلى الله عليه وسلم وقد أذنت للحب فى الله الاود من أجله الفقيه السيد محمد أباراغ فى استعمالها كما أذن لى فى ذلك فالله يوفقنا لصالح القول والعمل • ويلهمنا اتباع السلف الصالح • ويجازيهم عنا أفضل الجزاء كتبه خديم أهل الله المستور على خسيس اعماله بفضل الله العفو اللطيف المفضال محمد الضوء بن محمد الضوء السباعى • عفا اللهعنه وعن اخوانه فى الله • والمومنين جميعا بمنه وكرمه أمين • أهـ من خطه نفعنا الله به

وقد أذن لى والحمد لله راويه عنه الفقيه الربانى سيدى محمد أباراغ المذكور فى روايتها والاذن لمن رغب من أهل الخيرات يرويها عنا رغبةفى الخير وتبركا بالسند المذكور الذى لم تر أعلى منه فى هذا الزمان • فلله الحمد)

وكتب بعده مانصه

(صح منى الاذن المذكور للعلامة النجيب الاعز الحبيب ابى عبد الله سيدى محمد ابن العالم العلامة الصالح المستغرق أوقاته فى خدمة سيده ومولاه سيدى مسعود الطالبى اذنا تاما نفعنا الله والمسلمين بذلك • كتبه فى ١٣ ربيع النبوى عام ١٣١٠ هـ محمد أباراغ أمنه الله)

قلت وقد أجازنى أيضا الفقيه الصوفى الخاشع الاورع سيدى محمد الضوء السباعى المذكور • فى ١٥ صفر عام ١٣١١ هـ وذكر لى ان من أشياخه سيدى التونسى بن بيه الدكالى العونى وأن شيخه المذكور أخذ عن العلامة سيدى الطيب بن كيران الفاسى وسيدى حمدون بن الحاج • والزروالى من طبقتهما

وبعض اجازته (اجزت الفقيه اللبيب • الظريف الاديب سيدى محمد فيما أجازه أبوه العلامة البركة الفقيه الورع • العالم الزاهد • بركة وقته • ومدرس ما اندرس من علوم الدين • حبنا وبركتنا سيدى مسعود بن محمد

وفقنا الله واياهم ومن شاكلهم من مدرسى علوم الشريعة المحمدية الخ ٠٠)

ومن استجزته فأجازنى الشريف الحسيب العالم الفاضل الحاج الابر أبو عبدالله المعطى بن أحمد الشريف السباعى ٠ تقبل الله منا ومنه كل المساعى لقيته بموسم القطب سيدى أحمد بن موسى نفعنا الله به ٠ فكتبت بين يدى استدعاءى مامن جملته مانصه

ان دهتك صواعق الجهل فالجأ لامام هداتنا ابن معط
واغترف من بحاره قطرات يغن قطر نداه عن فيض معط
أستجيزكم ولست بأهل ولادنى عبيده القرم يعطى

فلما قرأه فرح ودعا لى بالخير ولله الحمد وهذا نص اجازته

(الحمد لله رافع أقدار العلماء ذوى علو السند والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من حمد ويحمد ٠ وءاله وصحبه ومن منهم استمد

هذا وانه التمس بحكمحسن الظن الفتى الفاضل الذكى النبيهالفقيه الزكى أبو عبدالله سيدى محمد بنمسعود الشريف الحسنى أن أجيزه فيما لدى من البضاعة المزجاة ٠ من مروياتى فى الظاهر من تفسير وحديث وفقه ونحو ومن الطريقة الشاذلية الناصرية ٠ فأسعفته وان لم أكن أهلا لماظن فاقول

(قد أجزت الاخ فيه فى جميع ماذكر اجازة عامة مطلقة بشرطها المعروف الملحوظ ٠ وعليه بتقوى الله تعلى ٠ وان يقصد بذلك وجه الله تعلى وأن يجعل الموت نصب عينيه ٠ وأعين من أشياخى سندا ينتهى الى الشيخ التاودى فقد أخذت رواية لماذكر عن الشيخ أبى سالم سيدى أبى سدرة ٠ اليحياوى ٠ عن الشيخ أبى العباس أحمد كنكور عن الشيخ أبى أحمد ابن الشيخ محمد التاودى ٠ عن الشيخ الكامل الشيخ محمد التاودى بن سودة ٠ وأجيزه فى جميع أحزاب القطب الشاذلى كلها الكبير والوسط والصغير فى سفينة النجاة ووظيفة الشيخ أحمد زروق ٠ وفى الصلاة المشيشية ٠ وفى حافظة أبى زكرياء يحيا النووى الى غير ذلك منجميع مابلغنى أشياخى الكرام ٠ وأسأله ان لاينسانى من صالح دعواته ٠ فى جميع أوقاته ٠ وأسأل الله تعلى أن يوفق المذكور لما يحبه ويرضاه وأن يعينه على خدمة العلم الشريف ٠ وأوءكده أن يصرف همته فى ذلك مخلصا جعلنا الله جميعا من المخلصين بجاه سيدى الاولين والاخرين ٠ وكتب أواسط صفر الخير ٠ عام ١٣١١ ﻫ أفقر الورى عبده عبد المعطى بن احمد الشريف أصلح الله حاله وجمل مآله آمين) اﻫ من خطه

وقد كتب الاجازة على عجلة وتاهب للرحيل للسفر • وقد لقننى الذكر على الطريقة الشاذلية الناصرية • واستفدت منه بعض المسائل العلمية • فالله يجازيه عنا • وقوله عن الشيخ ابى احمد بن الشيخ محمد التاودى كذا بخطه هو سهو والصواب عن الشيخ ابى العباس أحمد الخ وقوله ابو سدرة (١) أخبرنى بعض من له خبرة ببعض أحوال الشيخ المذكور أن سبب تلقيبه بذلك أنه كان يجلس تحت سدرة ببلده حين مجيئه من فاس وقت افتائه للناس • فلقبه العامة بابى السدرة • والله أعلم

هذا ماتيسر فى الحال • مع شغل البال ولنا من الاسانيد ما نتصل به من كبار شيوخ سوس بغير من تقدم • ولم يتيسر سوقه الان • وأما ماجرت العادة بسوقه من المسلسلات • كالحديث المسلسل بالاولية وغيره • فلم يتفق لنا أخذ شيء من ذلك على الخصوص الا المصافحة • فقد صافحنا الشيخ الوالد بسند يتصل بغيره لم استحضره الان وقد قال العلامة ابو الحسن على الدمناتى فى فهرسته بعد سوق سند له بقراءة الفاتحة بمد مالك من طريق القاضى شمهروش الجنى • رضى الله عنه ما نصه

(وأرويه بأعلى سند فى الدنيا بالاجازة العامة عن ابى العباس السوسى القدوة شيخنا الشيخ أحمد التيمكيدشتى • عن الاوجى عن الحضيكى • عن الصوابى • عن أبى العباس بن ناصر • عن شمهروش • فهذه ستوسائط وأخبرنى من أثق به أنه حضر بفاس يوما نادى فيه الشيخ التاودى محشى البخارى أنه مات الشيخ شمهروش بهذا اليوم فأخرجوا لنصلى عليه • فخرجوا لمكان هناك فتقدم اماما • فصلوا من غير أن يروا غيره شيئا • وكان مخبرى أحد من صلى معهم بلا رؤية شيء • وأخبرنى من رأى رسائله الى السيد الحسين الشرحبيلى أحد تلاميذ ابن ناصر • فلا محالة اذن ان الشيخ التاودى لايغفل الاسناد عنه • فتكون الوسائط بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة • اذ عمدتى الفهامة الشيخ أحمد الدكالى الفرجى أخذ عن السيد أحمد بن التاودى • عن والده عن شمهروش • عنه صلى الله عليه وسلم سماعا للكل • وياله سندا عاليا • فلانشك أنه تمكن الرواية به لسائر كتب الاسلام • اذ شمهروش المذكور لايعجز أن يروى عن أئمة الاسلام وهو مسلم كما هو دأب اهل الجن بقراءتهم على الانس • فانهم يقرأون على الانس وقل من يراهم منهم فلعله لذلك لم يكن مشهورا اهـ

ولايخلو من تساهل من اقتصر على الرواية بما ذكره اخرا • وانماالذى يصلح لذلك على العموم ما قدمناه من سند شمهروش فى اجازة أبى عبد الله

---

١) هذا علامة من هوارة بسوس كان رفيق الحاجمبارك بن المصلوت الكبير

أباراغ • والله الموفق والمعين • والهادى الى سواء الصراط المستقيم •

ولنختم هذا المجموع الذى هو لايسمن ولايغنى من جوع ولكن فيه الدخول لمن تسامت همته الى الدخول بانشاد ما أنشده الشيخ ابرهيم الميمونى للعلامة العياشى عند توديعه وهو

وحيث اتجهتم صادفتكم عناية ويرعاكم الرحمن فى كل مشهد

وما أنشده عند التوديع أيضا شيخه القاضى الامام الاعدل سيدى محمد ابن سودة الفاسى وهو

كلاك الله حيث قصدت وجها وحاطك فى المبيت وفى المقيل

ولايخفى عن اللبيب استخراج سند ما أراد وصل السند به من الكتب العلمية فى الفقه وغيره • مما قدمنا ذكره • من فهارس الائمة التى تتصل أسانيدنا بهم والحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله كتبه (١) عن عجل شديد • وضيق بال • ومزاحمة أشغال • بتاريخ أواخر ذى الحجة الحرام من شهور عام ١٣١٢ هـ الضعيف الحقير محمد بن مسعود السملالى الطالبى كان الله له وليا وبه حفيا • بالنبى وآله والبخارى ورجاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اثيرا • والحمد لله رب العالمين)

ومن آثاره أيضا ما نصه

وعليكم السلام ورحمته تعلى وبركاته • أما بعد أما ما ذكرته من العجز عن الامامة • فقد تكلمنا عليه فى الرسالة التى مع هذه بما حاصله ان المرء فقيه نفسه بعد الفقه • فان علمت من نفسك عدم توفر شروط الامامة فيه فأنت أبصر وأما مانقلته عن التتائى فلا بأس عليك منه نعم عليك اعتقاد أنك لم تكن فى رتبة الكمال أبدا • هذا مع وجوب الشكر عليك لما تحصل عندك من الكمال لتجمع بين الشكر والخوف • والحذر من رؤية الاعمال • والعجب والاعجاب بها • وأما اعتقاد بطلان صلاتك وصلاة من صلى بك • أو الشك فى ذلك مع تحصيلك فى الظاهر للفرائض فمن باب الوسوسة حفظنا الله تعلى واياكم من كل شر ءامين وأما التنبيه فيما يتعلق بالعلم والقراءة فى فنونه • فلا بأس بحمد الله بقرائك • فاشكرالله تعلى وأعرف قدر نعمة الله تعلى عليك فى دينك وعلمك وحالك فكم طالب جد وما أدرك عشر ما أدركت فى قليل • وكم ممن أدركه لم يوفق للعمل

١) ليعلم فى التاريخ ان ءال مسعود تعودوا كتابة هذه الجملة فى مختتم رسائلهم ومحرراتهم (كتبه عن عجل شديد)

ببعضه وانظر مبحث الشكر من الاحياء للغزالى • وأوائل رسائل ابن عباد • وغير ذلك • والشكر هو الصراط المستقيم الذى قعد عليه اللعين ليصد عنه العباد • كما اشير اليه فى قوله تعلى (لاقعدن لهم صراطك المستقيم) ذكره ابن عباد فى الرسائل • وفقنا الله واياكم لما يحبه ويرضاه ءامين)

ومن آثاره الادبية هذه الرسالة الى شيخه أحمد بن ابرهيم الاكرارى:

(مقام الاستاذ الذى له من الكبد الافلاذ • والى علمه الفياض المعاذ صاحب الفكر المنطقى الذى لايفوته قنص • والمتطلع الى ماغيره عنه نكص سيدى أحمد بن ابرهيم • فعليك أفضل تحية • واليك ما فاضت به السجية

ما المجد الا مجد من فاق الورى	حتى تهادى فوقهم وتبخترا
أعلته همته الثريا صاعدا	وسواه من أقرانه فوق الثرى
فتهدلت من فوقهم أغصانــــه	يرعون منه غصن علم مثمرا
ماذاك غيرك يأبا العباس مــن	انداربحث كانليثا فىالشرى[1]
من لم يرد منماء علمك لميزل	عنه الصداء وان تحسى ابحرا
ما أنت الا مزنة هطلت فمــن	هطلت عليه بالمباحــث اثمرا
أبقاك من أرقاك مـجـدا عاليا	أطللت منه كالهلال ان أبـدرا
وعليك خير تحية فواحــة	تنسيك حين تشممنها العنبرا

أما بعد فقد أخبرت آنك وارد البلد • فواصل الرحم فبادرت بهذه التحية لعلها تجدك فى تلك الناحية • فتأخذ الكتاب المستعار وجـازى الله المعير بالخير ونفع المعار • وان كان عندك شرح لايساغوجى فأرسله مع الحامل • وعند العواشر المقبلة يكون منى ومن صاحبى (٢) وصل معك شامل وادع لنا ياسيدى بالمغفرة والتوفيق وسلوك أقوم طريق

وكتب لبعض أترابه الذين ينازعهم فى ميادين الشرعيات ـ وقد تقدم بعضه ـ

أما بعد فقد قرأت ردك الذى استفرغت فيه جهدك فرأيتك أبعدت النجعة (٣) وأنأيت عن الاصل فرعه • فانك لم تكن من ترتيب المقدمات على ذكر • ولم يجر ذلك قط منك على فكر • حتى شرقت وقد غربت القضية • وأتهمت بأدلتك وقد أنجدت المسالة فى الناحية النجدية

---

١) الشرى بالفتح محل معروف بالاسود عند العرب

٢) سمعت أنه كان ياخذ عنه مع الفقيه ابرهيم كزوز المعدرى ثم الساحلى وربما كان هو المقصود هنا

٣) الانتجاع طلب الكلا ومواقع المطر وابعاد النجعة كناية عن الغلو فى طلب الشيء حتى يفوته

أيها المنكح الثريا سهيلا   عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا مـا استقلـت   وسهيل اذا استقل يمان (١)

وكتب فى أثناء جواب فى نحو ذلك

لقد أمعنت البصر فيما كتبت • وجمعته من الادلة ورتبت • فظهر لى أنك أعرضت عن المحز (٢) وتنكبت السهل الافيح الى الامعز (٣) وأنك انما اتيت فى كل ما ذكرت بجهام (٤) من السحب • تقممتها (٥) مما لديك من الكتب فلم تضع الهناء مواضع النقب (٦) فذهب العمل هباء منثورا • ومن سلـك الخبار فلا بد أن يكون عثورا (٧)

وكتب الى من يستدعيه من طلبة المدرسة من أترابه • وذلك فى مبادئه

كتبت اليك والطجين مهيأ   وخبز الحوارى حوله يـتـلالا
وقدفائت النعمى وطاب وريفها   فياسعد من فى فيئها يتفيأ(٨)

وكتب فى ذلك الطور الى رفيق له

ياشقيقا للروح فى خلقه مـا   يخجل الزهر فىرياض الشقيق
اكنس البيت وافرش الفرش لازلـ   ـت حفيا برا بكـل صديـق

وقال بديهة لجليسه

اسقـنـى مـاء قراحـا   زادك اللـه صلاحـا
وسقى قلبك من صر   ف شراب الـحـب راحـا

وقال أيضا بديهة لمن يباحثه وسط هجير

---

١) البيتان لعمر بن ابى ربيعة حين تزوج سهيل بن عبدالرحمن محبوبته الثريا

٢) المحز المقطع   حز الشيء قطعه

٣) الامعز   المكان الصلب الذى فيه احجار

٤) الجهام بالفتح من السحب   مالامطر فيه

٥) القمامة بالضم كناسة المحل   أيها كنسته فيه   يعنى انه انما جمع أدلة خالية من المقصود   وما الطف لفظة (تقممت) هنا

٦) الهناء (بالكسر) القطران   والنقب   مانقب من جلد البعير بالدبر

٧) الخبار بالفتح   مالان من الارض واسترخى   وأصل ذلك مـن المثل من تجنب الخبار أمن العثار

٨) الفيىء   الظل عشية   والتفيوء الاستظلال به   وربما قصد التوريـة باسم اللحم فى لسان الشلحة تفكها   لان تيفيى هو اللحم

الوقت وقت استراحة فخذ لنفسك راحة
فالفكر فيه كلال فنم تنله نجاحه

ومن ءاثاره هذه المقامة

أخبر الحارث بن همام قال خرجت في بعض الاسفار في صحبة فتية من الاخيار ٠ كأن وجوههم الاسفار (١) تتبلج من بشاشتهم سواطع الانوار وتتعطر من أخلاقهم ارجاء تلك القفار ٠ مافيهم الا صادق ود ٠ حافظ عهد ٠ كريم عرق حليف اخاء وصدق ٠ لابس تقى ومبرة ٠ جالب لكل طرفة ومسرة (٢) كاف في المهمات ثقة في الملمات (٣) يزين جليسه وياتيه ٠ ويبره ولايلاغيه (٤) ان صمت فطود وقار وسكون ٠ وان تكلم فمفيض ءاداب وفنون :

من صحاب ينسى الغريب بلقيا هم عزيز الاوطان والاوطار
بحوار الذ من رشفة الرا ح ووصل الخرائد الابكار

فجلنا في بعض الايام في ميدان الشعر ٠ وتبارينا في المساهمة بقداح الفكر (٥) في مطارحات تنبيء عن صفاء الطويات ٠ وخلوص السرائر والنيات فجرى بنا الحديث الذى هو شجون (٦) الى استمطار أنواء (٧) القرائح ٠ بأنواع مداعبات تسلي المحزون وتنهى عن محاسن ليلي توبة المجنون (٨) وتثير من الصبابة مالايخل بأدب ٠ ولايقدح في ديانة ولايفضى الى عطب واندفع كل منا يعمل جهده ٠ ويبرز من لباب ماعنده (٩) في معرض غزل

---

١) اسفار الصبح انتشار ضوئه
٢) الطرفة من كل شيء مايستحن ويفرح به لندوره كالفاكهة في أول ابانها
٣) الملمات الحوادث النازلة بالانسان
٤) من اللغو اى الكلام الذى لافائدة فيه
٥) المساهمة هو مايسميه عامة العرب عندنا اليوم بضرب العود وكان العرب يعمد كل واحد منهم الى قدح بكسر فسكون (سهم بلاريش) من كنانته فيلقيه ثم ان استخرج احدها يعرف لمن هو وجمع القدح قداح بالكسر
٦) الشجون الطرق في الشعاب ج شجن بالفتح فالسكون يقولون الحديث شجون او ذو شجون أى فنون
٧) الانواء ج نوء النجوم يكون المطر معها ان أراد الله
٨) توبة بن الحمير من العشاق المشهورين ومحبوبته هي ليلى الاخيلية المشهورة بالشعر
٩) لباب الشيء ولبه بضم اللام فيها والخالص منه الصافي

رقيق . يسبك ابريزه في كل معنى رشيق . فقال أحد الحاضرين ليجز كل واحد منكم ما ألقيه الساعة . فقلنا سمعا وطاعة . فأنشد البيت الاول فأجازه من يليه . وهكذا الى تمام الدور والانتهاء الى الصدر . وهذاما تحصل من ذلك الانشاد . البديع المستجاد

الاول

سلبتك جالبة الحتوف بسنا كبارقة السيوف

الثانى

ما كنت تحسب فى الهوى خطبا (١) تدور به الصروف

الثالث

يقتاد منك على الرزا نة قلب محترز أنوف (٢)

الرابع

ويذل عزة باذخ متمنع شكس عيوف (٣)

الخامس :

حتى غدا بك فى الحبا لة جوءذر ثانى العطوف (٤)

السادس

لأنت أنت طحا بلبـ ـك فى الجوى داء مخوف (٥)

السابع

فاحتل على رد الحيا ة بمزهر دانى القطوف (٦)

الثامن

يفتر عن برد به للصب تبترد الرضوف (٧)

(ثم وقف الدور من الرفقاء لحادث عن من الزمن وكيف تفلتهم صروف الحوادث وهي لم يفلت منها من ومن . ومن قدر له في الازل ان يكون

---

١) خطب الدهر حادثه

٢) الانوف صاحب الانفة اى الكبرياء

٣) الباذخ العالى والشكس الصلب الارادة الصعب الخلق . والعيوف الذى يترفع بعظمة عما لايريده

٤) الحبالة شبكة الصياد والجؤذر ولد البقر الوحشى والعطوف جمع عطف بمعنى الجانب

٥) طحا بقلبه الشيء ذهب والجوى شدة الوجد من حزن أو عشق

٦) القطوف ج قطف بالكسر عنقود العنب ساعة يقطف أو مصدر لقطف يقطف

٧) الرضوف ج رضف كعمرو الحجارة المحماة

قصيرا • فلن يجد من ذلك ملتحدا • وان يرىله نصيرا) (١)

ومن ءاثاره التصدير والتعجيز لبانت سعاد • مطلعها

(بانت سعاد فقلبى اليوم متبول) مؤجج بأوار الحب مخبـول (٢)

طاحت به من صبابات طـوائحها متيم اثرها لم يفد مكـبـول (٣)

ومنها

(هيفاء مقبلة عجـزاء مدبرة) فى حضنها البرء للمفؤود مبذول٤

مربوعة القد لم تشن ملاحتها (لايشتكـى قصر منها ولا طـول)

(تجلو عوارضذىظلم اذاابتسمت) فى رشفه للظما رى وتعسيل (٥)

يئيل منه عليل الهجر منتعشا (كانـه منهل بالراح معلـول ٦)

ومنها

(أكرم بها خلة لو انها صدقـت) فى ودهالم يكنفىالهجر تسويل٧

ما ضرها لوسخت بوعدها ووفت (موعودها او لو انالنصح مقبول)

(لكنها خلة قد سيط من دمهـا) طبع الصدود فما يفيد تاميل (٨)

---

١) ملتحدا اى مهربا ومآلا ثم ينبغى ان يعلم ان مانقلناه عنخط هذا الاديب ينتهى عند قوله يفتر عن برد به ···الخ البيت فلم يتمم المقامة ولذلك فانماتمت به وهو ثم وقف الدور الخ هو من قلم المولف

٢) تبله ذهب بعقله وأوار النار بضم الهمزة حرها وخبله الحزن جننه

٣) طاح هلك أو أشرف على الهلاك والمتيم المشغوف بالحب والمكبول: من قيد بالكبل

٤) الهيفاء الرقيقة الخاصرة والعجزاء الكبيرة العجيزة والحضن ما بين الابط الى الكشح أو الصدر والعضدان وما بينهما والمقصود ان فى معانقتها برء من كان مفؤودا أى سقيم الفؤاد بالجوى والبذل العطـاب كان بعض الظرفاء السوسيين يقول ان التزوج بمن هذه صفتها هو الزواج السنى لان رسول الله أقر هذا الوصف والسنة أقواله وافعاله وتقريراته

٥) العوارض ج عارض السن الذى فى عرض الفم وذو ظلـم وصف للثغر وعسلت الشراب جعلت فيه عسلا والظلم بفتح فسكون الريق

٦) يئيل يرجع ويرد وأنهلت انسانا سقيته نهلا وهو الشراب اولا وعللته سقيته عللا وهو الشراب ثانيا

٧) الخلة بالضم المودة وسولك فلان كذا زينه لك

٨) ساطه بكذا : مزجه به والتاميل الرجاء

لكل غيداء غنج لايزايله (فجع وولعواخلاف وتبديل) (١)
(فما تدوم على حال تكـون بها) جنت من الحسن والمجنون مشغول
فى كـل يوم تراهـا فى تلـونها (كما تلون فى ألوانها الـغـول)
(فلا تمسك بالعهد الذى عقـدت وكل عقد لذات الخدر محلول(٢)
كيف الوثوق بعهد لابقاء لـــه (الا كما يمسك الماء الغرابيـل)
(فلا يغرنك ما منت وما وعدت) أحبل كل اسيل الخد موصول ؟
فانـما ذاك احـلام مضللـة (ان الامانى والاحلام تضليل)(٣)

الى ان قال يذكر الناقة

(تسعى الوشاة جنابيها وقولهم) شماتة ومريغ البغى مخذول (٤)
قد أرجفوا بى وقالوا لى جميعهـم (انك يا ابن أبى سلمى لمقتـول)
(وقال كل خـليـل كنـت ءامله) اليك عنى فما لـدى تاميل
مالى بايواء مطلول الرسـول يـد (لا الهينك انى عنكمشغول) (٥)
(فقلت خلوا سبيلى لا أبالـكـم) لعل للعسر يسرا فيه تعجيل
لايدفع الجزع المحتـوم مـن قدر (فكل ما قدر الرحمن مفـعـول)

الى أن قال

(أنبئت أن رسول الله اوعدنى) وحلمه لازاخر الامواج مسدول(٦)
فلا يكدره جرم ولا جنـف (فالعفو عندرسول الله مامول ٧)
(فقد أتيت رسول الله معتـذرا) مما نمت بهت عدا مراذيـل (٨)

---

١) الغيداء المتثنية لينا والغنج بالضم تمنع المحبوب على محبه واظهار الكبرياء له وفجع الانسان اذا فقد مايكرم عليه وولع فلان بفلان استخف به وذهب بعقله

٢) وقد ما قيل (وكل نقى اخد ليس له عهد)

٣) ارايت مقدرة الاديب ابنمسعود كيف التحم على يده القديم والحديث التحاما لاتميز معه

٤) المريغ للشىء مريده وطالبه

٥) طل دم فلان لم يوخذ بثاره والمقصود أن النبى صلى الله عليه وسلم أهدر دم ابن أبى سلمى (٦) سدل الذيل مده والجملة حالية

٧) الجرم بالضم الذنب والجنف محركا الميل

٨) البهت بضمتين جمع بهوت كصبور المباهت والبهت أن يلصق بالانسان زورا ما لم يفعله تمويها وكذبا ونمى الخبر افشاه والمراذيل ج مرذول أى الخسيس من الناس

وعندى العذر وضاحــا يسددنــى (والعذر عند رسول الله مقبول)
(مهلا هداك الذى أعطاك نافلةالقر آن) ما معها لمصقع قيــل (١)
فيها من الحق نور تستنير به الا حلاك (فيها مواعيظ وتفصيل)(٢)
(لاتاخذنى بأقــوال الوشاة ولــم) تكن اتاخذنى والصفـح مـبـذول
حاشا أرى منك ما قالوا وانى لم (أذنب وان كثرت فى الاقاويـل)
(لقد أقــوم مقاما لو يقــوم بــه) ثبت عراه من الهيبات تهويل (٣)
أمثــل مرتــعدا مستسلما وأنــا (أرى وأسمع ما او يسمع الفيل)
(لظل يرعد الا ان يكــون لــه) من رأفة المصطفى أنس وتسهيل
وأفيت عــن رغــب لكى يوفر لى (من الرسول باذن الله تنويل٤)
(انى وضعت يمينى لا أنازعــه) فى يد مــن بره فــوز وتوسيل
ضاقت بنفسى رحاب فانطرحت بها (فى كف ذى نقم من قيله القيل)
(لذاك أهيب عندى اذ أكلـمـه) والقلب بالرعب والهيبات مخبول
وقد أحاطـت بألبابى هــواجسها (وقيل انك منسوب ومسؤول)٥
(منخادر من ليوث الاسد مسكنه) فيه الكماة رعاديد أبابيــل (٦)
والرعب منــه اذا صكت زوائره (ببطن شمر غيل دونه غيل) (٧)
الى ءاخرها

وغالبها محكم النسج • ملتحم السدى بالمحمة • حتى لايتفطن لذلكالا من كان يحفظ الاصل قبل • وه فى البردة مثل ذلك • وكذلك الهمزية • غير أن هذا لم يتم • ولم نرد أن نطول بذكر نماذج منها

---

١) المصقع بكسر الميم البليغ
٢) الاحلاك الظلم جمع حلك
٣) الثبت الرجل ذو الثبات المرابط الجأش والمقصود بذلك مقام النبى صلى الله عليه وسلم
٤) التنويل العطاء
٥) هواجس النفس مايختلج فيها
٦) الخادر الكائن فى الخدر والمقصود به هنا غيل الاسد والكماة ج كمى الشجاع والرعاديد ج رعديد بكسر فسكون الجبان والابابيل ج ابول بكسر الهمزة وفتح الباء المشددة الجماعات وقيل لامفرد له
٧) الرعب الفزع والزئير صوت الاسد وزوائره أصواته والصك: الضرب بشدة والمقصـود هنا طروق أصوات الاسد المسامـع فكأنهـا تضربها بشدة وشمر بفتح الميم المشددة كالماضى محل فى بلاد العرب والغيل محل الاسد والرعب مبتدأ وخبره غيل بعده غيل

فوائد من مقيداته

اتصلت بكناشة من كنانيشه فظفرت منها بفوائد جمة يقيدها هناك • مما يقع عليه أثناء مطالعاته لمختلف الكتب • أو مما يقع عليه من أفواه الرجال • وقد رأيت هناك مقيدات نقلها عن عبد العزيز الرسموكي من شرحه على الخزرجية • ومما أعجبني منها مايتعلق بلفظة (غاية) ونص ماقيده في ذلك:

الغاية لغة النهاية وهل أصل الفها واو او ياء خلاف وهل وزنها فعلة ككية بفتح فسكون قلبت الياء الفا كراهية التضعيف هو للفراء قال في التسهيل وهو أسهل الوجوه أو وزنها فاعلة أصلها غايية حذفت عين الكلمة استثقالا المكسورة اولاهما وهو للكسائي أو فعلة محركة • فعكسوا القياس • فاعلوا العين بقلبها الفا • وصححوا اللام • وهو للخليل • أو فعلة بضم العين أو فعلة بكسرها فاعلت العين وصححوا اللام • كالذي قبلهما • أو أصله غياة كحياة ونواة فقلبت لامه الى موضع عينه أقوال ستة نقلها أبوحيان في شرح التسهيل • ومثلها في ذلك ءاية ونحوهما

وهناك أمثال هذه الفوائد المختلفة في الفنون خصوصا الصوفية والطبية والفقهية • ولكوننا في كتاب أدبي كان الاولى بنا الفوائد الادبية مما هناك مماقيده من منشدات الرجال • فمن ذلك ما نصه

(حكى بعض أصحابنا من أهل القطر المسمى بالقبلة (بالقاف المعقودة) أن امرأة من قبيلة من قبائل ذلك القطر نزل عليها ضيف • فلم تعبأ به • ولم تحتفل به بالاكرام • وكان شاعرا مجيدا ولم تعرفه • ثم ان بعض جيرانها عرفها اياه فاعتذرت اليه غاية فقامت باكرامه أشد قيام • فلما رأى ذلك وأنها خافت من شر هجوه انشد

نزيلك فأمني أبدا اذاه ... نزيلك غير مرهوب المصال

ضعيف لايخاف البطش منه ... عفيف لايسب على النوال

قراه اذا ألم بارض قوم ... مفاكهة اللبيب من الرجال

وحكى لنا أيضا ان بعض العلماء من ذلك القطر • وهو عبد الله بالنصب بن سيدي محمود من قبيلة اداو الحاج وهي قبيلة كبيرة مشهورة هنالك • نزل على ناس مختفيا لم يعرفوه • فأضافوه بالمذق • فلما أصبح الصباح كتب على ورقة هذين البيتين

قراكم الضيف وهنا يا أبا الحسن ... بالمذق في الودق فعل ليس بالحسن

وليست السنة الغراء تامركم ... بجعل ماء الاضا للضيف في اللبن

وحكي أيضا أن حرثانيا ورد على الفقيه الاديب العالم سيدى محمد ابن الشيخ الكبير المشهور سيديا بن الهيبة التندغى (نسبة الى تندغ قبيلة مشهورة من زوايا القبلة) وذلك الحرثانى حداد ويسمى (نحن) يزعم انه شريف فبعد حين ظهر لهم من حاله واخلاقه كذبه فروود الاديب المذكور على أن يهجوه ويعطى بعيرا أو أى حاجة أخرى يريدها فقبل ذلك فهجاه بهذه الابيات :

ما هز عطفى كمى يوم هيجاء بين الاوانى كذى النونين والحاء
فرد يقوم مقام الجمع وهو لذا يدعى بمضمر جمع بين اسماء
تخال لقمته العظمى براحته كراكر الابل او جماجم الشاء
يسطو بأسلحة للاكل أربعة يد وفم وبلعوم وأمعاء
ما بين طلعتها فيها وغيبتها فى فيه الا كلمح الطرف من راء
فتنهوى مثل دلو خان ماتحها أشطانها فترامت بين ارجاء
فبان ان الذى يحويه من شرف قد صح لكنه بالهاء لا الفاء

ولهذا الشاعر من قصيدة مطلعها

أيا معشر الاخوان دعوة نادب الى الحق ، والمعروف ليس بكاذب

وقوله

وما أفسد الالواح والهم والتقى كبيض التراقى مشرقات المشانب
مراض العيون النجل حنو شفاهها رقاق الثنايا حالكات الذوائب

ومنها :

ولاتنتجوا البغضاء بالمزح بينكم بل استنتجوا بالدين ود الاغارب

وأنشدنا المذكور ويظنه لبعض الصحراويين

ماكنت مذ كنت الاطوع خلانى ليست مفاغنة الاخوان من شأنى
يجني الحبيب فاستحلى جنايته لكى يدل على حسنى واحسانى
يجنى على وأحنو دائما أبدا لاشىء أحسن من حان على جان

حكي بعض أصحابنا من أهل (تندغ) من زوايا القبلة أن امرأة نزل عليها ضيف • وله نعلان من النعال التى يستقبحها أهل ذلك القطر فطحنت نعليه • وصبت على ماخرج من طحنها ماء سكرودهنا • فقدمت له ذلك فأكله وهى أخذت النعلين بلا شعور منه • فلما سألهما عنهما بعد الاكل قالت له ماهما الافم (تعنى فم وهم يقلبون الثاء فاء) فلما اكثر عليها جاءته بنعلين حسنتين فاعطتهما اياه • وقالت له ان نعليك تغديت بهما • فأنشد سيدى

محمد ابن الشيخ سيديا ابن الهيبة فى ذلك يقول

ضيــف مراة شوت نعليــه فهيأتهما قرى لديــه
واذ تغدى الضيف قالت لما سألها انهــمــا لفمــا

ولنكتف بهذا القدر فان هذا وحده كاف فى الاريحية الادبية التــى تستولى على ابن مسعود حتى يهتبل بأمثال هذه النوادر ٠

الآخذون عنه :

١ـ أحمد بن مسعود أخوه
٢ ـ الطاهر بن مسعود أخوه
٣ ـ ابرهيم بن مسعود أخوه
٤ ـ محمد بن محمد المعدرى الغريق
٥ ـ الحسين ندعباد المعدرى
٦ ـ أحمد بن فارس الخنبوى المعدرى
٧ ـ محمد بن أحمد أوعامو القاضى التزنيتى
٨ ـ أبوبكر معاونه التزنيتى
٩ ـ موسى بن ابرهيم الاغرابويى التزنيتى
١٠ ـ الحسن بن عثمان المعتبط شابا الاغرابويى التزنيتى
١١ ـ الطيب الطحانى التزنيتى
١٢ ـ سعيد المزى التزنيتى
١٣ ـ الحسن بن عبد الرحمن الاثرارى
١٤ ـ محمد بن عبد الرحمن أخوه
١٥ ـ الطاهر السماهرى البعمرانى نزيل اكلو
١٦ ـ الطاهــر الساحلى
١٧ ـ أحمد بن محمد ابن عمه
١٨ ـ محمد بن محمد أخو هذا
١٩ ـ محمد بن عبد الله الايكالفنى الابراييمى
٢٠ ـ أحمد بن الحسين الاوتغوسى الابراييمى
٢١ ـ أحمد بن صالح من قصبة البودراريين بايت براييم
٢٢ ـ الحسن بن محمد العمرى البونعمانى
٢٣ ـ أحمد بن على ابن عمه
٢٤ ـ بلخير التيمجاضى البراييمى
٢٥ ـ المدنى بن محمد بن الحسين التيمجاضى

٢٦ ـ محمد بن علي التّبرباقتي
٢٧ ـ أحمد بن عبد الرحمن من أيت سيدي داود
٢٨ ـ أحمد أبو الوقت التزنيتي ثم الزعيري
٢٩ ـ عبد الرحمن العوفي البعقيلي
٣٠ ـ ابرهيم بن أحمد البودراري التيوارگاني البعقيلي
٣١ ـ علي بن الطاهر الرسموكي
٣٢ ـ الطاهر الانزيبي الرسموكي
٣٣ ـ محمد بن حسين الجراري ثم العتابي
٣٤ ـ الطيب البعقيلي
٣٥ ـ الحسين بن ابرهيم بن صالح الجراري التالعينتي
٣٦ ـ محمد بن السائح الجراري التالعينتي
٣٧ ـ عبد السلام الجراري
٣٨ ـ علي بن أحمد بن الحسين البراييمي
٣٩ ـ المدني التيمجاضي
٤٠ ـ محمد ابن الشيخ الالغي الدرقاوي
٤١ ـ الطاهر البعريري الهواري
٤٢ ـ محمد بن عبد الرحمن السكتاني
٤٣ ـ محمد بن محمد الحضيكي الاديب
٤٤ ـ محمد بن عبدالله الزيكي ثم السويري
٤٥ ـ محمد بن الحسين الزيكي
٤٦ ـ الحسن الزيكي
٤٧ ـ أحمد بن محمد التناني
٤٨ ـ أحمد بن مبارك التناني
٤٩ ـ محمد بن عبدالله التيشكجيبي التناني
٥٠ ـ أحمد بن محمد بلديه
٥١ ـ عبد القادر الوادنوني
٥٢ ـ الحسن الركيبي
٥٣ ـ محمد الوالي بن البهالي الركيبي نزيل مراكش
٥٤ ـ جامع بن محمد التازارواتي ثم البوزاكارني
٥٥ ـ ابرهيم الاوزالي
٥٦ ـ موسى بن الطيب الالغي قليلا
٥٧ ـ عبد الوهاب بن الطاهر الرسموكي
٥٨ ـ الطيب بن محمد المشهور بأمْرْوي الاكَرضي الاغيرْملتولني
٥٩ ـ الحسن بن الفقيه الذي خاطبه بالعينية المتقدمة

٦٠ ـ عبد الله بن محمد الايموگاديرى التامانارتى
٦١ ـ حميد التيمجاضى
٦٢ ـ على بن مسعود التيمجاضى
٦٣ ـ بلقاسم الرخاوى فقيه أباينو
٦٤ ـ أحمد العوينى
٦٥ ـ سيدى الطيب البودرارى البعقيلى

هؤلاء من عرفناهم أو ذكرهم لهم من يعلن أنه واقف عند شرطنا فى أمثالهم من التفوق أو التوسط فى المعلومات • وهؤلاء لايقلون كثيرا عمن أخذوا عن الاستاذ • خصوصا من أعراب الصحراء الذين يدركون عنده وعند أبيه عشرات • فلابد أن يكون فيهم من يكونون وفق شرطنا • ولكننا نعتذر بجهلهم الان • وهو عذر واضح مقبول • وقد أخذ عنه بعض من أخذوا عن والده • فكررنا ذكرهم • وغالب هؤلاء ذكرناهم فى أحد أجزاء من (أفواه الرجال) مما كتبناه عن رجالات ازاغار

مؤلفاته

١ ـ نظم رسالة الدردير
٢ ـ شرح بعضه
٣ ـ نظم رجال البخارى • لم يتم
٤ ـ نظم رسالة العضد
٥ ـ حاشية لايسر المسالك على الالفية • لعلها لم تتم
٦ ـ رسالة فى أما بعد
٧ ـ منظومة فى العروض
٨ ـ شرحها لم يتم
٩ ـ شرح صغير على لامية العجم
١٠ ـ مثله على (بانت سعاد) لعله لم يتم
١١ ـ التصدير والتعجيز لها
١٢ ـ تعليقه عليه
١٣ ـ مختصر أزهار الرياض لعله تم ـ ثم ضاع ـ
١٤ ـ مختصر رحلة العينى الاكرارى • لم يتم
١٥ ـ نظم الفروق للقرافى لم يتم
١٦ ـ مولف فى الحساب
١٧ ـ شرح على رسالة ابن زيدون الهزلية
١٨ ـ التصدير والتعجيز • للبردة

١٩ ـ شرحها
٢٠ ـ شرح آخر صغير عليها
٢١ ـ التصدير والتعجيز لقصيدة سكن الفواد
٢٢ ـ اتمام نظم مختصر المدخل لعمر الكرسيفي
٢٣ ـ مؤلف في الشيخ سعيد المعدرى أدخلناه فـي ترجمة هـذا الشيخ في (الفصل الاول) من (القسم الثالث)
٢٤ ـ اتحاف أهل الوداد بما المطريقة الالغية من أسنى الاسناد
٢٥ ـ شرحه • وسماه (المنهل الصافى) لم يتم
٢٦ ـ هز الراية الجعفرية في ترجمة شيخه الالغي وادخلناها فـي كتاب (الترياق المداوى)
٢٧ ـ مجموعة أمداح في شيخه المذكور • ذكرنا غالبها في ترجمة الشيخ في (القسم الاول)
٢٨ ـ شرح سنية ابن بادس لم يتم
٢٩ ـ تعليقه على بنانى على السلم • يجمع منها طرره عليه • لم تتم
٣٠ ـ شرح على نظم الفصيح • لابن المرحل لم يكمل
٣١ ـ نظم العشماوية لم يتم
٣٢ ـ تعليقات على المحلي وحواشيه • في طرر نسخته لم تجمع
٣٣ ـ سلوة الاسى • في مسألة فقهية
٣٤ ـ مولف في الفقه بالشلحة • كأنه مترجم أقرب المسالك
٣٥ ـ مولف في الاذان واقامة الصلاة
٣٦ ـ كناش كالفهرس • ذكر فيه من أخذ عنهم رواية ودراية
٣٧ ـ السوانح في أفكار صوفية
٣٨ ـ الاوابد من الافواه • يقيد فيها مايعجبه من الاحاديث في كناش على حدة
٣٩ ـ ديوان شعر يذكر ولم نره
٤٠ ـ فتاو كثيرة • متفرقة • وفيها ماهو مولف على حدة
٤١ ـ اجازة العوفى • هي التى ذكرناها ءانفا
٤٢ ـ تاريخ عام للمغرب رجالاته كتب في حرف العين كثيرا منه
٤٣ ـ الاسعاذ والهداية • منظوم فقهى لم يتم
٤٤ ـ نظم تحفة المرسول

هذه قائمة مولفات الاستاذ التى ذكرها له المطلعون • وقد تكلمنا عليها في مكان ءاخر في غير هذا الكتاب • وهذه الكثرة من التآليف بنت نشاطه المستمر في الكتابة • ولعل هناك مـؤلفات اخرى لم نعرفها • ولـم أعلـم لسوسي قبله مثل هذه الكثرة من التآليف مع تفننها الا أن غالبها لم يتم

قولة الرفاكي فيه

قال بعد ذكره لوالده

(ومنهم ولده • الذى تعلق به خلده • وكثر فى مرضاته جلده • حتى زها به بلد غيره وبلده • وهو الفاضل النجيب • الاديب الاريب • يافعمذكور وهمام مشهور أبو عبدالله سيدى محمد بن مسعود الدرقاوى طريقة بعد الناصرية المطروقة ترك بها التدريس وتسمى لاجلها الدردبيس • -كتب عليه المولف بخطه اى الشيخ- فخرج هائما وفى البلاد حائما • فلحقه الهاذم وللين غصنه قاصم فصاح به أجله تصحبه خشيته من الله ووجله • وحين هتف بهالحال يقول لسميره من الرجال ان اقراء الفقه ضلال • وبلوغ المنى به من المحال • فهجر ذويه • وعادى من يناوله ويناويه • كسر سلمه الذى منه ارتقى • وبه صفا معقوده المنتقى • بدا للعلم منه قمر • وأينع لمجالسه منه ثمر • فغبر فى وجهه • واختار الجولان على منهجه • وقدرمى بالوسواس • واختل منه نظام القسطاس تجرد وعلى العلماء انتقد • وكان سيدى محمد اكيك يقول (محمد بن مسعود يهلك عن قريب) فقلت له قال ينتقد على جميع الشراح • والمنتقد لايسلم سلم تسلم فكان الامر كما قال • ومع ذلك فقد أخذ المدرسة وتركها ويجول • فاذا كان وقت الشرط خرجاليه بنفسه وفقرائه فينزل على الناس بالكلف حتى يجمع الشرط ثم يجول • والناس انما شارطوه على تعليم العلم ولم يشارطوه على أن يلقن الاوراد • فضيع مااسترعى • فعاش فى الحرام • وقد عاب فى (لطائف المنن) على شيخ يدور بجماعته وقال له ان جميع أعمالك كل يوم لاتفى بثمن الطعام الذى تأكله بالمحاباة يوم القيامة (انتهى بلفظه)

هبه ترك بعض الطلبة يعلم فى مكانه • وقد نصوا فى باب الوكالة من (خليل) أن فاعل ذلك أكل حراما • اذ الناس لم يشارطوه على أنيترك لهم نائبا • فقد أخطأ رحمه الله فى هذه المسألة • وله رحمه الله نظم رائق • ونفس شائق • قال فى الامام ابن ناصر • وقتما كان لورده ناصر • ولميكن بالاعراض عنه حاسر

ملاذى اذا ما خاننى كل ناصر	وغوثى أبو عبد الاله ابنناصر
امام الهدىقطب السيادة والتقى	وجامع أشتات العلا والمفاخر
وناصر دين الله والسنة التى	هى العروة الوثقى ومفخرفاخر

وقال فى الولى الكبير ذى البركة الشهير سيدى ابرهيم بن يحيا المدفون بـ (امسكين) وهو فى أول القرن السادس مانصه :

أبا سالم (أبا السحاب) وسيلتي … الى الله انت فى خطوب جليلة
أتانا عن الثقاة أن ضريحكم … يغاث به أهل الكروب العظيمة
كذلك يستسقى الغمام به فلا … يخيب مسايل النفوس الكريمة
وأبرئت الزمنى وحل عقالها … ببابك فورا بعد اعواز حيلة
ومهدى الموحدين كان يسالكم … دعاءكم وحاله فوق شهرة
وهذا ضعيف عاجز عن وصوله … لبابكم بغير كد وكلفة
اذاك أناب حسن قصد ونية … تبلغه من فضلكم كل منية
من اللطف والتوفيق واليسر دائما … هنيئا حلالا طيبا دون شبهة
وعلما كثيرا نافعا متقبلا … وصالح أعمال وخالص توبة
وحفظا من المكروه فى كل حالة … وشر أذى الحساد من كل أمة
وخاتمة حسنى ازف باثرها … لروح وريحان بأفضل جنة
وتادية الحقوق عنى عاجلا … وفى اجل فالله أوسع رحمة
كذا والداى مع شيوخى أقاربى … صحابى كذا جميع أهل مودتى
وان كنت لاأستطيع أهدى تحية … فهاك فتيت المسك منى بمدحتى
وباب رسول الله بابك والذى … آلم به ينال أعظم رغبة
فمن بحره اغترفت أنت وكل من … تشرف من سر الاله بغرفة
عليه وءاله الكرام وصحبه … صلاة بها الصبا تهب بنفحة

وكتب الى فى جواب أبيات مانصه

بعثت لى حصة خطت على مهل … خط ابن مقلة فرع المجد والكرم
براحة هى للاعداء صاعقة … أما العفاة فتنسيهم يدى هرم

ثم حاول مثل ذلك أيضا فقال

جزاك الله أفضل ما يجازى … به مولى يقوم بحق عبد
ولازالت لك الالطاف تهدى … لطائف تزدرى بنسيم نجد

أخذ الامهات عن أبيه • وأخذ البيان والمعانى عن خالى احمد بن ابرهيم الاكرارى وأخذ المنطق عن سيدى الحسن بن أحمد السملالى قرأ عليه مختصر السنوسى ثم أكب على الاقراء حتى مهر • وانسجم علمه فهمر • فليته دام على التعليم • اذ هو لمثله الصراط المستقيم ولكن كل ميسر لما خلق له • فلا بد من أن يحتمله (الانسان على نفسه بصيرة) والمرء فقيه نفسه فيما لها دبره • توفى رحمه الله فى ليلة (١٧ ــ ٣ ــ ١٣٣٠ هـ) فدفن بقبة أبيه وأمه • فهو جوهرة اولاد سيدى مسعود رحم الله الجميع)

وقد تقدم انه توفى فى ١٨ لافى ١٧ كما قيده أهله من شهر ربيع الاول • فينبغى أن يتنبه الى بعض وفيات من تاريخ الرفاكى فانها غير

مضبوطة وهو معذور • لانه لايطيل البحث فى مثل ذلك

وأما ماذكره عن الاستاذ فقد انتقده من جهتين احداهما كثرة مباحثاته مع مولفى الكتب فى أفهامهم فهى لعمرى أجل محاسن الاستاذ وذلك من مفاخره :

اذا محاسنى التى أدل بها كانت مساوى فقل كيف اعتذر

وأما قولة اكيك فيه فمن باب (رمتنى بدائها وانسلت) وحال اكيك فى جناب كل أحد متواتر مشهور فلم يسلم منه الا اثنان سيدى محمد ابن على اليعقوبى الايلالنى شارح المنهج شيخه وسيدى الحاج الحسين الافرانى وأما غيرهما فلم يكن يسميهم الا بالفاظ ساقطة حتى أشياخه منهم فلذلك لايبالى بما يقول وقولة المعاصر ان لم ينصف لاتعتبر • فرحمة الله على المترجم وعلى اكيك وعلى الجميع

وثانيهما ماكان يصنعه بالمدرسة اذيسيح وينيب عنه فى التدريس فقد قدمنا أن ذلك من الاستاذ قليل • وأن مايصنعه ينبغى أن يحمل محامل حسنة • لان مثله فى ورعه • لايتخطى كل مايعرف منه تخطى الحق • والعصمة لله على أنه يجب أن يعرف أن الابرايبيين فوضوا له ولابيه قبله فى المدرسة • وقدقال القائد يحيا لابيه انا شارطناك على عمرك ثم جرى الحال كذلك مع ولده الاستاذ وحيث فوضوا له تفويضا • فان انابته عنه من يراه صالحا ليس فيها شىء أصلا لمن تأمل أما كون اللائق بالاستاذ أن يجعل عمره كله فى الدراسة • فهى منية كل أحد • غير ان المرء فقيه نفسه • وكل ميسر لما خلق له (كما قال الرفاكى نفسه) وكفى ذلك عذرا للاستاذ • وبكل ودنا لو تفرغ ابن مسعود للمعارف ليكون منه مايكون وهذه كلمةقلتها لاردا على الرفاكى الشيخ الوقور غير أنها لابد مقولة لاحقيتها • وقد رأيت أن الاستاذ ما فتر فى الدراسة الا حين لاقى الحاج بلخير فلما صاحب الشيخ الالغى صار حلس المدرسة باذنه

قولة علي بن الحبيب فيه

(ومنهم ولده الفقيه العالم النزيه شيخ السنة ومحيى الديانة • أبو عبد الله سيدى محمد بن مسعود • كان هذا السيد من أكابر المشايخ • واشهرهم علما وعملا له فى المعاملات الشأن الذى لايدرك مع شدة الشكيمة فى الامر بالمعروف • والنهى عن المنكر • وقوة الزهد والورع • بدأ منه للعلم قمر وأينع اغصنه منه ثمر وعلى كل حال من مدحه بشىء فكأنما قال للاسد ما أشد شجاعتك وللبحر المحيط ما أوسع ساحتك • طويل الباع • عذب الورد بحر كرم • رقيق الحواشى يحمر وجهه خجلا

نشا في حجر الفضل والنسب وبسق في روض الادب في زمن رقى فيه الجهل • وعلا صهوة العز فيه كل فدم نذل نجم اذا اقتديت به في طرق المعالي اهتديت • وان علوت بظهر فتواه استويت • ولا أقول نهر • فهوبحر يخرج منه اللؤلؤ والمرجان • بدرطالع من أفق كمال والده فسما على (الكيوان[1]) وله شعر ماصدحت به الحمائم ولاتحملت بنشره الكمائم منه قوله في الشيخ ابن ناصر • وقتما لورده ناصر (الخ ماتقدم)

الى أن قال

(أخذ على أبيه وأخذ البيان والمعاني على العلامة سيدى أحمد بن ابرهيم الاكراري • وكذلك قرأ المنطق على سيدى الحسن بن أحمد السملالي وله مؤلفات عديدة منها تأليف مستقل في المنطق • ونظم رسالة الدردير في البيان • وشرحها • ونظم فروق القوافي • ومولف في الفقه • وله تعليقات على (الخزرجية) وله مبحث في (أمابعد) وله تخميس (بردة) المديح وشرحها • وله التصدير والتعجيز ل (بانت سعاد) وشرحها وله (المنهل الصافي) في التاريخ • وله شرح على (رسالة ابن زيدون) وله شرح على (لامية العجم) ومن أراد أن يستوعب ما لصاحب الترجمة من التآليف والقصائد والمباحث • فعليه بـ (طوالع السعود في مناقب ءال مسعود) (٢) لابن أخيه الفاضل الشاعر المورخ أبي على سيدى الحسن بن احمد بن مسعود • وكذلك له نظم على اختصار (المدخل) لسيدى عمر الكرسيفي •

توفي رحمه الله ليلة السابع عشر من ربيع النبوى • عام ثلاثين وثلاثمائة وألف فدفن بقبة أبيه وأمه •)

قولة بعضهم في الاستاذ من قديم

من كتاب كان يجمع من حدود ١٣٤٠ هـ تراجم لبعض أدباء وعلماء سوس • زاعما جامعه أنه يسجع فيه على نمط (قلائد العقيان) للفتح ابن خاقان ولكن الله اختار له فلم يتمش صاحبه فيه كثيرا • وقد كان للاستاذ ابن مسعود ممن جرت فيه قولة • ومحافظة على الآثار السوسية كيفما كانت وحرصا على أن يقيد التاريخ بذلك فقط ـ لا انه مما يتغالى فيه ـ نريد أن نسطر ذلك هنا •

---

١) كذا بخطه ادخل عليه ال

٢) كان جمع له مواده ثم تنازل لكتاب (المعسول) عن كل ذلك ولذلك يعود الفضل كله في الذى توسعنا به في هذه التراجم للاديب البونعماني حفظه الله

(انسان عين المجادة • وعين انسان السيادة • اصل التحقيق والتدقيق المولف بين التصور والتصديق • المزفوفة الى منصاته الفواضل والفضائل المرفرفة على هاماته • دميثات الاخلاق والشمائل • ما اشتهى غاية الا وصلها ولا جملة الا فصلها ولاذروة الا فرعها • ولاشقة الاذرعها ولاصهوة الا امتطاها • ولاطلية الا أعطاها (١) حتى حسرت دون نوره العيون • وحارت في غور بحره في الفنون جائلات الظنون بهر النواظر والعقول حسنا واحسانا • وخلب الالباب تحقيقا واتقانا كأن كل العلوم في مدرك يده • نال ذلك بهمة مبادرة مغتنمة لاتترك مامول يومها لغده نبغ قبل أن يطر شاربه • وطابت قبل أن يحتلم للوراد مشاربه • كأنه أيضا يتعاطى التعلم في نوم كان في أول شبيبته ملازمه ليل نهار لانه مع شهرته بذلك لم يكد يتصدر المتدريس صغيرا حتى أتى بما يحكم على كل عارفيه على تلك الحال بالانبهار • جامع اداب المنافثة • وفارس هيجاء المباحثة • فسل عنه أقرانه وكل من زاحم معه ميدانه يخبروك بعين اليقين • ويملاوا حجرك من انبائه في ذلك بما ينسي لديك كل عقود الجواهر وكنوز الذهب والرقين (٢) ضبط كل العلوم تدريسا وأزاح في فجاج صورها العويصة تخليطا أو تدليسا • ان درس النحو فسيبويه او خليل أو الفقه • فابن الحاجب او خليل • أو البيان • فالقزويني أو السعد • أو اللغة • فالجوهري أو المجد• وأما الادب والتاريخ والتصوف والتفسير والحديث فانه ابن بجدتها ومن ذا الذي يكون في أقرانه أبا عذرتها ان لم يكن هو أبا عذرتها قد وفى رحمه الله للعلوم حقوقها • ونفق باجتهاده سوقها الى ضبط متقن بيديه في تدريسه وفي طرر كتبه يرتفع به الاخذون عنه كما يرتفع به كتاب طرز به • أبدى ذلك قدر فكره وأعلن وأشاد له به من المجد الخالد التاريخ مالم يشده لمن ومن • خرج طبقات كثيرة ملات كل تلك النواحي علوما • كما ألف عشرات من المولفات النفيسة التى انتخل لها منطوقا ومفهوما وكل ما مسته يده من المولفات بالاجادة يعلم وطرازه بحسن فهمه منمنم وهذا اشتهر به كله في صقعه شهرة (قفانبك) بأمرء القيس لايمكن أن تجد من ينفيه عنه بلا ولابليس • ذلك كله مع دين متين • ودر ورع ثمين وخوف من مراقبة ربه عز وجل ودمع عند مناجاته منهل وحب لمولاه خلب قلبه وفل في معارك الطمع غربه • دهم عليه ذلك على غرة • بعد ان كان في جبين القضاء وكل ماعرف به أبلج غرة • وقد كان قبل معروفا بأنه متعال الى أن يستبد بنوازل كل تلك الجهات مستنكف أن يزاحمه من أقرانه من لهم

---

١) اعطاها أماتها

٢) الرقين جمع رقة بكسر ففتح الفضة

مثله اهتمام بتلك الجهة من الاعلام الدهاة فكان معهم فـي نقض وابرام • ودفاع وهجام • فكم حكم حرر وأبرم • وحكم لغيره نقض منه المبرم • وذلك كله لماله من الاطلاع الواسع الذى لايوجد بين أقرانه من هو له عن تلـك المرتبة العليا مدافع وبينما هو من ذلك فى سكرة معملا فى ذلك وحده فكره اذا بداعى الفلاح يدعوه لعلو الهمة ويأمر بالهام ربانى أن يغادر تلك الحالة المدلهمة • فدب اليه استيحاش من الناس اولا • حتى يهم ان يقطع الضيافة لكل أحد على كرمه متأولا • فلم يلبث ان اندمج فى حالته الجديدة • بخطوات واسعة غير متأنية ولا وئيدة • فنسى الاخوان والاولاد • وملا أوقاته بكثرة التهجد والصيام وموالاة الاوراد فانشرح باطنه حين تبلج لـه عين المراد • فعادت أوقاته كلها عين المواسم والاعياد • خامره حب مولاه • فطرح كل ماسواه

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل فما اختاره مضنى به وله عقل

أعرض بنشوة ذلك الشراب • عن جميع المسرات والملذات والاحباب •

تمسك بأذيال الهوى واخلع الحيا وخل سبيل الناسكين وان جلوا

تناول تلك الكاس • وانتظم فى زمرة اولئك الناس بعدما كان تائها فى غلوات الغفلة • معرضا عن تلك القبلة • يجرى الى احراز الشهرة ويسعي ويحوط سرح جاهه ويرعى • شيمة الذين ضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الأنه طالما تعرض بفتاويه للرشا • فيعرض عنها للحديث الوارد فيمن ارتشى • وقد ذهب فى ميادين الافتاء والقضاء كيـف شاء ، يغالـب الاقران بدقة أنظاره • ويشدههم بحدة ابصاره • حتى صار قطبا فى ذلـك المقام • وموردا فيه للخاص والعام مستضاء به فى المدلهمات العلـميـة استضاءة السارين بالبدر التام فانجلى له سيف هنَّده (١) وجلاه السنّ والصقال فاجتلى من مناه مـا يجرى فـى مضماره بين تقريب وارقال (٢) ، فاكتسب الجاه والمال• واشتمل على ألباب معاصريه أى اشتمال • حتى أراده الله لحضرته واصطفاه لخدمتـه واجتباه بمنته • وتفضـل عليـه برحمتـه • فتـدارك ذماءه (٣) وأصحى سماءه وكشف غطاءه ولين وطاءه • وأمـاط باليقظة وسنه • وأناط بالسعادة رسنه • فاستيقظ من ذلك الكرى • وفصم تلـك العرا• وبان عن تلك القرى • وقطع من شهرته القرا (٤) • فزال حجابه •

---

١) هنَّد السيف شحذه وجلاه صقله
٢) التقريب والارقال نوعان من الجرى
٣) الذماء بالفتح بقية الروح
٤) القرى بالفتح أيضا الظهر

وابيض غرابه فتمنى أن يكون فى بحور العارفين من الغارفين واشتهى ان ينخرط فى سلك العارفين فهبت عليه تترى من ذلك الحمى نفحات • وتوالت عليه شطحات • فلما توالت عليه هواتف الحق وملك عليه عواطفه تحرى الحق • واستنشق حينا بعد حين ريا أهل ذاك الحمى وغازلته فترات عيون من هناك من الدمى• اشتاق الى دليل خرّيت (١) يدله•وساق ينهله ويعله • ويفتح له بمصاحبته الباب• ويقيم له الصلاة المطلوبة فى ذلك المحراب • وقد كان عرف من كلام أرباب ذلك الفن أنه لابد من شيخ حى عليه بالوصول الى ماموله يمتن يمده بصارم يشهره فى وجوه القواطع ويسله ويدفع المريد بساعد قوى فى لحظة يوصله فعزم أنه اذا وجده يجعل فى يده زمامه • ويلازم حجره ومقامه ويستدر بخدمته غمامه ويصيره أمامه • ويتخذه فى صلاة العارفين امامه • ليستنير بنوره ويعتصم بسوره• فاشتد أوامه الى طلبته • وعطش كثيرا الى أن يهدىء بلقياه من غلته • فتمادى شغفه • وطال عليه باعوازه لهفه • فالقاه القدر بالشيخ ماء العينين الذى كان تلقاه بكلتا اليدين فتلقن منه ورده • ولازم حينا صدوره من مائه وورده • اكنه قال انه لم يتيسر له منه المراد • وان كان رضى الله عنه صاحب نظرات مشهورة وامداد • فاقبل يدير عينيه ثانيا فى الجو تطلبا لشيخ ءاخر فجاور على تلك النية عند مشهد الشيخ سيدى أحمد بن موسى الذى يفخر فى عهده كل من فاخر • فلما رجع من مجاورته الى بلده • وتوسط بين عشيرته وولده • أتاه القدر الذى ياتى بالشر وبالخير برجل يقال له الحاج أبو الخير ممن يتعاطى طريقة الشيخ ابن ناصر وممن يجلو على زعمه مرايا البصائر فظن صاحب الترجمة أن الدعاء مستجاب وأن غيم عوص منيته منجاب • فانكب على قدميه بكليته وأهدى اليه درتى قلبه ومهجته فلازم حضرته • ملازمة الكأس للحبب • والثغر للشنب • واختص به اختصاص الهام بالعمائم وامتاز به بين معاصريه امتياز الازهار بالكمائم • فقام وقعد فى خدمته • واحرم وطاف عند كعبته • وذاق بوقوفه عند اشارته صابا وشهدا ولاقى دون قضاء أمنياته سهرا وسهدا ساح معه فى قنن الجبال وقاسى معه الصعاب العراض الطوال • وق دل عليه كل أصحابه وأصحاب أبيه • فأخضع له رقبة كل وضيع ونبيه ثم بدا له أن الفتى يهذى وليس بفعال والمرض العضال تدل عليه النحافة وكثرة السعال • والبهرج ربما لايخفى حتى عند الاوغال• فاقلع عن مرساه • وتلا خضره (هذا فراق بينى وبينك) لموساه • فلما

---

١)الخريت بكسر الخاء والراء المشددة ٢الدليل الحاذق الذى يهتدى الى أخرات المفاوز وهى مضايقها وطرقها الخفية

لم ينقع له الاول ولا الثاني غلته· ولاداوى كل منهما علته ولا فجر دمثله· ولا اناله ما أمله كاد يقنط من الوصول · ومن الدنو الى من داره صول لولا أن الله أطلع له بفضله ما أطلع · واسطع له من (الـغ) مـا اسطـع فأشرقت عليه شمس السول وأدنت الى يده صلة الموصول فوافاه الشيخ سيدى الحاج علي الالغي بما يبغى · وسره العلوى · بما ينوى · ووجهه الابهى بما يشهى · ومحياه المتلألىء الاسرة الفائض المسرة · بما كان يتطلبه مرة بعد مرة · فشاهد المرهم الشافي وأتاه في داره ما كان قبل يقطع فـي تطلبه الفيافي

وليس الذى يطَّلب الوبل رائدا كمن جاءه في داره رائـد الوبل

فوضع يده في يده وأدغم مفرده في عدده · فأقبل على درره يحـلى بها لباته · وعلى كاساته المشعشعة يفرغها في لهواته · فصرخ بين الناس على رؤوس الاشهاد انني قد بلغت كل مناى من وصل سعـاد فشرع يبـث دعواه في كل قبائل (أزاغار) حتىأنجد ذكره هناك وغار· فمالت الى الشيخ الالغي من تلك الناحية بسببه الاعناق · وتدفقت الى بحره سيول الرفاق · فكان يفد عليه في ركب كبير من الفقهاء والفقراء ويسوقون اليه مايسوقون من شهرة يدعو لسان حالها الى الغ كل الناس الجفَلى لا النقَرى (١) فتجرد اذ ذاك المترجم بين يدى شيخه التجرد المصطلح عليه بين القوم وكـــان محسوبا عنده من المتجردين وان كان لايزال يلازم دراسة العلم فرد كل تبعة ونادى على ذلك في الاسواق ائلا يبقى من ذلك شيئا أو يدعه ثم عزم على اعتاق عبيده لو اذن له شيخه المذكور لكنه أفسح له في أن ياخذ منهم بالرق من له أصل في الرقية مشهور · ولم يزل تحت تربية شيخـه سنوات · الى أن حان وقت شيخه فمات · فبقى هو على ذلك السنن مؤديا فيه الفرض والسنن عازما على أن يقوم بارشاد العباد في كل البلاد غير أن حينه أدركه في قرب · فقضى رضى الله عنه النحب في عام الثلاثين بعد الثلاثمائة والف · فغادر الناس حيارى وقد ذهب منه خـير الخلف ولـم يبق بعده الا الخلف (٢)

هذه سيرة حياته رضى الله عنه مجملة · ولا يمكن لنا أن نأتى بها هنا مفصلة

واما أدبه فانه أدب فياض له لسان نضناض (٣) وبلاغه كانها جنى

---

١) دعا الناس الجفلى أى دعاهم دعوة عامـة وعكسه الدعـوة النقرى
٢)الخلف الثانى مسكن اللام الطالح الذى يخلف الصالح
٣) لسان نضناض أى كثير الحركة وهذا عبارة عن كثرة القول ·

النحل • وذو جزالة كما ينتظر من شعر كل فحل • وسنورد منه المقارىء ما يلج أذنه فيجده أطيب من غناء معبد والموصلي (١) ويترنم من أوثاره ما يجرد برد النسيان على زرياب الذى سامعه فى الاندلس أو بغداد متعال فضلا عن على شعره له ألوان • صنوان وغير صنوان منه شعر الفقهاء والبلغاء والفقراء الصوفية• ومنه شعر الارجاز التى تؤلف فيها متون العلوم النثرية واما نثره فان له أحيانا سنا رونق نفيس كما لاحظت فى الكأس الخندريس وقد يسجع كالحمام المطوق على الاغصان فيسحر الالباب فى المفوهين فضلا عن الاقران • وله شعر صوفى له روح عليا قاله فى أشياخه الذين يذوقون من مثله روائح الاخرى لا الدنيا • ولنذكر كل ما عندنا الآن من أقواله ولندر المندامى من القراء ماكان روقه من جرياله (٢) الخ ٠٠٠٠٠

ذلك ما كان قيل منذ زمن بعيد فى الاستاذ المترجم رحمه الله• ولايخفى ما فى غالب هذه الكلمات من التكلف • ولكن أتى بذلك ـ كما قيل أولا ـ للتاريخ لا لكونه ذا فائدة أدبية •

* * *

الى هنا انتهى بنا الكلام على ما تيسر لنا ايراده فى ترجمة الاستاذ ابن مسعود وهناك أمور أخرى يجدها القارىء فيما كتبناه حوله فى كتاب (من أفواه الرجال) وفى مقالة طنانة لابن أخيه الاستاذ الشاعر العبقرى الحسن البونعمانى فانها وان كانت مستقانا فى كثير مما أوردناه • غيرأنها لا تزال محتوية على حقائق زيادة على لطف العبارة الذى انفرد به الاديب البونعمانى دوننا • وقد نشرت فى أواسط جمادى الثانية ١٣٥٧ هـ فى جريدة (السعادة) ولم نات بها • خوفا من التطويل الممل • وفى بعض كتب آل ماء العينين ذكر للاستاذ من بين من أخذوا عن ذلك الشيخ الامام الجليل رضى الله عنه رأيته مطبوعا منذ عشرين سنة وأظنه من مؤلفات الشيخ أحمد الشمس •

الثامن ـ أحمد بن محمد بن مسعود

ابن من قبله • ولد يوم السبت ١٤ ـ ٣ ـ ١٣١٥ هـ من خديجة بنت الطاهر بن صالح البجويى • تزوجها الاستاذ ١٣٠٦ هـ •

أخذ القرءان فى (المعدر) عن استاذ هيأه له والده • ثم لازم عمه الاستاذ احمد بن مسعود بعدما خلف صنوه فى المدرسة (البونعمانية) ملازمة تامة

---

١) معبد والموصلى مغنيان على عهد الدولة الاموية ثم العباسية
٢) الجريال بالكسر من أسماء الخمر

وقد أخذ اذ ذاك المبادىء عن الاستاذ احمد من ءال (بولوقت) التزنيتي نزيل (زعير) وبه تدرج في المتون الاولى تحت نظر عمه ثم لما شدا انخرط في مجالس عمه وقد كنت معه اذ ذاك قرينين سنة ١٣٣٢ هـ • فكنت واياه في مستوى واحد سنا وفهما وعقلية • فكنا نتجارى ونقفز• ونشتغل بحذف الحصا في غير أوقات الدراسة كما نتلاعب بالكرة فكانت أخلاقه الدمثة كأنما استمدت من لطف خلقته اللطيفة • فكان كلامه لينا وشمائله طيبة• ومعاملاته سمحة وكان ثاقب الذهن حتى كأنه صائد للافهام من الجو منقبا عن تحقيقات العلماء ليكون منها على بال مع ديانة نشأ فيها ورصانة يخطر في حلتها ثم لما تفرقنا • وقد توجهت الى (تانكرت) جرت بيننا مراسلة أدبية ضاعت آثارها واستحضر أنه ارسل الى يوما ما قطعة أدبية فأجبته بأخرى ميمية في الطويل نسوقها تلذذا بالذكريات لا أنها من البليغات • وهي من بواكر قلمي :

اليك أبا العباس بالحبر أرقم	لاعلمكم بما من الشوق أكتم
ألا يا أبا لعباس انى مغرم	برؤية وجهك الشريف متيم
هو السيد المفضال والماجد الذى	له في فنون العلم طرا تقدم
ولا غرو فهو سيد طاب أصله	ومن طاب أصلا فهو دوما مقدم
به نزدهي على الزمان الذى مضى	ونستطلع الانوار والليل مظلم
تفردتم يا آل مسعود بالعلا	فلو قيل من خير الورى قيل أنتم
فلو انني اسطيع شوقا اليكم	لأدرجت في أوساط ما كنت أرقم

تلك هي القطعة مختصرة يعرف منها كيف كان شببة سوس المبتدئون يتشاعرون ويتطفلون على القوافي ثم كان يرد دائما الى زاوية (الغ) مع عمه • في ركب الفقراء في الموسم الالغي فكان لطفه هو هو •وكان سخيا بما يملك • حسن المخالقة لايجبه أحدا بسوء كأن الشبيبة التي تمزج دائما بالغرارة لم تطف به قط ثم لما شدا في الفنون• وكان يتسلق الى القمة كان عمه يرشحه للتدرب في التدريس خصوصا في صفوف المبتدئين ولم ينشب أن تمكن حتى كان يستخلفه في الدروس العليا كما ظهر منه أيضا ذوق سليم في التصوف فحسن سمته وأعجب به أصحاب والده فيرون منه خليفة والده وكان اذا جال في المذاكرة بين الصوفية يستنهض القلوب ومثل ذلك غريب في مثل سنه وله مقطعات يحدو فيها صنع والده الذى كان مولعا بنظم القواعد وضبط الكلمات • وحصر أقوال في المسألة كما كانت له أيضا مقطعات أدبية وصوفية نستحضر منها الان قوله

اذا كبر الانسان يكبر عقلـه	وأنت كبير الجسم والعقل يصغر
وقد شان من يبغى سمو مقامه	تماديه فى الصبا وجسمه يكبر

وقولـــه

يا سيدا نارت بطلعتـه عـــلى	اظلامها سوس فعـادت تزدهى
أياك أن تنسى العبيد من الدعا	لينال عنـد الهـــه ما يشتهى

وقوله ومن خطه نقلت

اذا مجلس الاناى لم يمض بالذكر	ومـدح النبى من نظيم ومن نثر
ولا ذكرت فيـه الصلاة على النبى	ولا سردت فيه حكاية ذى سر
فان اللعين فيه لاشك حاضر	بأهل الندى فاذكرن تنج من خسر

ولو وقفنا على ما نستمد منه مقيداته لربمـا وجدنا مـا يستحليـه القارىء من أقواله • ولكن نكتفى بما تيسر •

وقد كانت له همة والده فى التقييد • فقد وقفت له على ما يدل على أنه شرع فى مولف فى الشيخ سيدى أحمد بن موسى • وفى ءاخر فى الشيخ الالغى • كما وقفت له على اراجيز لم تحضر عندى الآن •

كان يصاحب كثيرا الفقيه سيدى عبـد القـادر الوادنونـى مـلازم (البونعمانية) فنفعه كثيرا لان هذا كُنَيْف (١) مـلىء علما • كـمـا قال عمر فى ابن مسعود • وله معه أخبار وربما سمعت أن بينهما أدبيات لم أرها • وله رسائل صوفية بعضها الى عمه المذكور • رأيتها لكنهـا لم تحضر عندى الآن • تتضمن أنه متعلق بالروحانيات ويجيبه عمه بما ينشطه فى ذلك الميدان •

اقترن أحمد حوالى ١٣٣٩ هـ بكريمة العلامة سيدى مبارك البعقيلى فكاد يبرز الى الميدان لو لم يسقط مريضا • قبل أن يكفى نهمته العلميـة وقد كان ناويا للرحلة وراء العلم الى الحواضر وانما منعه أنه لا يقدر عـلى مفارقته لعمه فألح عليه مرضه فى (بونعمان) حتى قضى عليه بعدما ظهرت عليه أحوال صوفية روحية تنبىء عنه بالخير وذلك فى ٣ ـ ١٢ ـ ١٣٤١هـ ودفن فى مقبرة (بونعمان) بمشهد (سيدى على بن مسعود)

وقد وقفت على رسالة عزى بها فيه أخونا سيدى محمد كتبها الى

---

١) تصغير كنف وهو خرج الراعى ومن اللطائف أن بعض البلـداء يقرأه بالتذكير فيتمحل تفسيره نعوذ بالله من البلادة ومن الجهل الكثيف

عمه الاستاذ أحمد حفظه الله نصها

(حضرة أخينا فى الله حبيبنا من أجله قرة عيننا وثمرة فؤادنا الفقيه الناسك. صاحب الاخلاق المحمودة. ولى الله سيدى أحمد بن مسعود المعدرى . رعاكم الله وحفظكم . ومن سوء المكاره وقاكم وسلام تام على سيادتكم ورحمة الله وبركاته وعلى جميع من لاذ بكم زج الله الكل فى حضرته آمين .

وبعد : فلا بأس ولله الحمد . فالله يعظم أجركم فى انتقال الفتى المرضى عنه . سيدى أحمد بن محمد من دار الفناء الى دار البقاء كمانسأل الله أن يرحمه ويرضى عنه ويلحقه بالمقربين الابرار . وقد عمنا ما عمكم فيه ولنا ولكم أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ونسأل الله تعلى أن يحفظ ساحتكم من كل سوء وأن لا يريكم فى أشبالكم واخوانكم الا ما يسركم (الى أن قال) ونسألكم الدعاء فى كل وقت . ودمتم بخير وعلى المحبة والسلام . ١٩ محرم الحرام ١٣٤٢ هـ

وكتب بعض أهله حوله ما ياتى

(ففى اليوم ٢٣ ـ ١٢ ـ يوم الثلاثاء ١٣٤١ هـ توفى نجل عمنا الفاضل الخير الذكر الاريحى المشغوف بتحصيل العلوم والمعارف . الفقيه الاديب سيدى أحمد ابن الشيخ سيدى محمد بن مسعود البونعمانى . كان رحمه الله ممن يأخذ العلم بجد واجتهاد مع حسن السيرة مع الناس أجمعين وله أخلاق عجيبة تأخذ بمجامع القلوب لايمكن أن يقع لك به التعارف أو الاجتماع الا وتكون معجبا بأحواله مات رحمه الله والناس متأسفون عليه لما له فى قلوبهم من المحبة . ووطيد الامل لمستقبله لو كان حيا . وله أشعار وكان رحمه الله يكثر فى المطالعة جدا ويذاكر جميع الناس . لاسيما النجباء . وكان يدرس وينوب عن الشيخ كثيرا وقت سفره. وقد أخذ العلم عن عمه الشيخ وأفاده كثيرا تلميذ المسعوديين الفقيه الاديب الشاعر سيدى عبد القادر الوادنونى ثم ذكر بعض ما ذكرناه من الابيات)

ذلك هو سيدى أحمد بن محمد بن مسعود أكبر أولاده .

التاسع : سيدي مسعود ولده الآخر

لابأس به أيضا فى الفنون أخذ أخذا ما عن عمه أبى العباس .وكان لين العريكة لمن لاينه . وهو الذى خلف صنوه عن قرينته فاستحوذ على جميع ما لوالده فخزانته غالبها تحت يده . وهو نبيه لبق . فيه من أوصاف أهله كثير وقد خالطته حتى عرفت قدر مداركه ولا يتجاوز فى

مداركه الوسط وقد كان اليوم استاذا فى احدى المدارس الحديثة ثم صار عدلا حفظه الله ولا يزال حيا الآن ١٣٨٠ ﻫ

وللاستاذ بنات اقترن باحداهن الاستاذ سيدى عيسى بن المحفوظ الادوزى التحقت بربها صيف ١٣٢٦ ﻫ ٠

العاشر : محمد بن مسعود أبن من قبلــه

ولد نجيب يسمي محمدا كان يأخذ عن الاديب اليزيدى ما شاء الله فى المدرسة (الجشتيمية) ثم عن الاستاذ داود الرسموكى فى(تيبيوت) ثم لازمنا ما شاء الله فى (الرميلة) بمراكش٠ ثم انخرط فى(كلية ابن يوسف) فنال منها الشهادة الثانوية وقد كان من نجباء الابناء طلعة فهما لقنا الا أن الدهر المولع باقتطاف الازهار أتى عليه فى شبيبته ٠فتوفى بمرض لازمه قليلا من أجل برد أصابه فى موسم (الغ) وذلك بعد سنة سبعين وثلاثمائة وألف فبكاه كل من عرف نجابته رحمه الله وقد كان يقرض فى أبيات بدائية ٠ فمن ذلك ما خاطبنى به بعدما شدا فى الادب

هنيئـا لمولانا الامـام مقـامـه	فقـد وطئت أكنافه وسنامـه
فأنت امام الجيل دمت فمفخر	عظيم بجيل أنت أنت امامـه
فما أنت الا المـخ بين فقـاره	وغـيرك أعصاب لـه وعظامـه
الا ادع لنا أن نستتم دروسنا	عليك من الله الكريـم سلامه

وقد كنت أجبته ولكن لم يحضر عندى الجواب ٠

حياكم الله آل الاستاذ الكبير وأعلن مجدكم دنيا واخرى٠وقد فعل٠ فقد تعارفت معكم وأعجبت بوالدكم فلم أؤد معشار حقه للعلم والتاريخ وان كتبت عنه وعن أولاده ما كتبت ٠ وما لايزال مفلتا منى هو أكثر وأكثر ولكن يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق ٠

احمد بن مسعود المعدرى

نحـــو ١٢٨٥ هـ = ١٢٦٣ هـ

نسبـــه :

أحمد بن مسعود بن محمد (الى آخر النسب المتقدم)

ثانى اثنين من أولاد سيدى مسعود وان كان الآن فى العدد هـــو الحادى عشر وقد رأيت فى ترجمة أخيه الاستاذ الكبير سيدى محمد وفـــى ترجمة والده سيدى مسعود ما رأيت مما يـدل عـلى أن هـذه الشجرة المسعودية الزكية الطيبة كثيرة الثمار وريفة الظلال فمن يتخلـل تراجم أهلها يكون كمن يتخلل روضا أريضا تتدفق أنهـاره وتعبق خمائلـه وتتهادى حوره وولدانه ومـا بعد العيان من بيان • فانك بعد أن قـرأت تراجم الاستاذ سيدى محمد ووالد الاسرة سيدى مسعود ستجد هـــذا

وأتاه الحظ من نواح شتى فى حياته • فقد علا شأنه • وشمخ مجده• وتلقى رايات أسرته فى العلوم والتصوف بهمة عظيمة وعزيمة قويـة فسار بها الى الامام • بما له من يد حسنة فى الفنـون وذوق عـال فـى التصوف ومقام كبير فى الارشاد ولسان قوال فى الوعظ • ربما يكون النفع به أعظم وأجل باعتبارات من صنوه المتقدم لاستقرار حاله • وثبات قدمه ومن ثبت نبت فلم يعتره من التقلقل الذى ذكرناه عن صنوه ما يتنقل به من مقام الى مقام بسرعة قبل أن يؤدى فيه ما ينتظر ممن كان فى ذلك المقام •

ان شيخنا الشيخ الاكبر سيدى أحمد بن مسعود كان له فى عهده فى (أزاغار) شأن عظيم وسمعة كبيرة طنانة • فقد زخر تلاميذه بالمعارف فى كل سبيل • وملا مريدوه ثنايا كل طريق • مع هروبه هروبا كثيرا من كل مظهر أياكان • حتى مظهر العلم • ومظهر التصوف • ولكن يابى المسك الا أنيفوح فيشم وزهر الورد البليل الاان يسرى بنفحاته النسيم العليل فيتضوع به الجو • فكلما تغلغل فى الاطراق • وأمعن فى الفرار من الناس تـزايـدت القلوب تعطشا اليه والعيون تشوقا الى طلعته والذى يكثر فى أحوالـه العلمية والصوفية والشخصية التأمل يرى أن له من بين الميادين ميدانا انفرد به عن والده وعن صنوه محمد والازهار شتى ألوانا • وان كانـت تسقى بماء واحد •

مآخذه

أما القرءان فقد أخذه عمن أخذ صنوه محمد • وهو الحاج محمد بن محمد السرسيفي المذكور في ترجمة صنوه • وأما المعارف فلم نعرف أنه تجاوز والده وصنوه • وأكثر أخذه عن والده وكان يظهر منه أنه دون أخيه في السباحة بين الفنون بادىء ذى بدء غير أنه بكثرة ممارسته ابان تدريسه تقدم فيها كثيرا • حتى انه ليتقن بعض الفنون اتقانا يلفت الانظار

في المدرسة (التازاروالتية)

هذه أول ميدان لتدريسه • فقد طلبه الرئيس سيدى محمد بن الحسين التازاروالتى من سيدى مسعود ليسرد حديث البخارى فى رمضان بتلك المدرسة • وذلك اثر انتقال سيدى مسعود من (بونعمان) الى (المعدر) حكى لى حاك عن الاستاذ أنه كان اذذاك غير متمرن على الحديث بعد • ولم يكن التفت اليه قط قبل ذلك • فكان ذلك هو السبب حتى كان منه جانب لهذا الفن يحكى الاخ أحمد ذلك عن الاستاذ سمعه منه ثم انه عانى هناك دراسة فنون أخرى • ولعله لم يمكث هناك الا شهورا وقد تقدم فى ترجمة والده أن مشارطته فى هذه المدرسة كانت سنة ١٣١٦ هـ

في المدرسة (الميرغيتية)

هذه المدرسة تشرفت أيضا بالاستاذ وأحسب أن ذلك كان حوالى ١٣١٧ هـ فقد دفعها اليه والده ليتدرب فى علم الاجتماع • ولايعرف الانسان هذا العلم حق المعرفة الا بالمخالطة • وليتدرب أيضا فى التدريس • ولاأفتح للقلوب • ولاأكثر تفجيرا للقرائح من مذاكرة الطلبة فى الدروس وأبوه نفسه قد رأى أنه ماترقت مداركه الا من ذلك أفلا يدفع كل أولاده اليه متى ءانس من أى واحد منهم نجابة • ثم انه لم يعد هناك سنة فيما ذكر لى • ثم راجع صنوه فى (بونعمان) نحو سنة ١٣١٨ هـ

في المدرسة (المعدرية)

رأى القارىء ما رأى من ترجمة سيدى مسعود من أنه اعتاد أن يمهد لاولاده ميدانا من ميادين الشرف • ثم يخلى لهم الحلبة يقدمهم اليها • ومامیدان الشرف فى نظره الا ميدان التدريس • وخوض المعارف وحده هو الذى يصمد به طالب الشرف الحقيقى الى طلبته فيوافقها كاليد للفم ـ كما يقوله زهير فى معلقته ـ

تكونت المدرسة (المعدرية) بجهود سيدى مسعود فظهرت فيها طبقات من الطلبة نحو الثلاثين فيما ذكر لى • ففادرهم سيدى مسعود بين يدى ولده ثم قال له دونك والسعى الحثيث • فهذا كل كنزى ان كان احنى الاباء يفتحون كنوزهم التى يباهون بجمعها مدة الاعمار الى ابر الابناء

تصدر الاستاذ هناك فأبدأ وأعاد فى الدراسة • سالكا سبيل والده وقد اختار نهجه فى الاكباب على الفقه وما اليه دون نهج صنوه فى (بونعمان) الذى يعتنى فيه أيضا بغير الفقه وما اليه لان الفقه (معمل) لبارود البلد الذى يحتاج اليه فى الدفاع والهجوم • كما هو وفق عبارة سيدى مسعود المأثورة عنه فالنحو وقليل من اللغة والفقه والفرائض والحساب والقاء نظرات سريعة على ماسوى ذلك من الفنون • هى التى يقبل عليها كل التلاميذ أياكانوا • ويجعلونها مدى أخذهم لعلهم يعيشون وراءها • وأماماكان الاستاذ محمد بن مسعود يخوض بحوره المتدفقة ويتوقل قممه الشماء فلم يكن يقبل عليه من التلاميذ رغم اجتهاد أمثال محمد بن مسعود الا القليلون • والغالب متأثر ببيئة سوس ولايطالب البدوى الابما تقتضيه بداوته • وتظهر به بسرعة مكانته ثم يعد ماوراء ذلك من الفضول حتى ان دفعه اليه أستاذه فانه لايزاوله بشهوة متفتحة ولا بنشاط مستمر • وهذه الحقيقة الظاهرة الناصعة هى السبب الحق فى عدم نجابة كثيرين من تلاميذ سيدى محمد بن مسعود فى كل مايزاوله اهم الا قليلا لان همته التى بين جنبيه قلما يجول مثلهابين جنوبهم • وللقابلية تاثير فى النبوغ دائما • وكان هذا هو الذى دفع بصنوه سيدى أحمد المترجم حتى لايعلم منه فى الفنون الاخرى التى أخذها بلاريب عن أخيه مجالات واسعة • كما يوثر عن أخيه حين كان لايتعاطى ذلك الا مع نجباء قليلين • ويظهر هذا الذى قلناه فى تعيير من يعتنون بمثل الادب من جاهلى الادب • فكم لمز الالغيون بكونهم لايعرفون الا ألفاظ اللغة • وكم لمز سيدى الطاهر الافرانى بانه نظام • وقيل مثل ذلك فى سيدى الحاج احمد الجشتيمى بل كثيرا مايلمز أصحاب القراءات السبع أصحاب العلوم بأنهم أصحاب الاصفار كأنهم يقصدون تعييرهم بمعرفة علم الحساب •

يتصل بالشيخ الالغي

كانت الطريقة الناصرية هى الطريقة الوحيدة المشهورة فى الجنوب وفيها ظواهر وبواطن تأيدت كلها بالسنة فلم يكن لكل مايتخذ منها كشرط فى الطريقة ظاهرة بدعية • ذلك مع اهتمامها بالعلم اهتماما كبيرا • ولذلك تجد كل القائمين بالعلوم فى سوس منذ قرنين من الثانى عشر

والثالث عشر من أساطينها ثم خطرت الدرقاوية فكانت أولا تلاقى بكل انكار لما لبعض ظواهرها من غير ماذكرناها عن سابقتها • فاجتهد سيدى سعيد المعدرى حتى أمكن له أن ينخرط فيها بسببه علماء ذكرناهم فى ترجمته • ثم لم يكن ذلك لافتا للانظار كثيرا لان الشيخ سيدى سعيد أمى ولكن حين برز الشيخ الالغى العالم الذى يقدر قدر العلماء كما يقدر العلماء قدره • وقد ظهر بمظهر ءاخر أوضح من سابقه فكان ينشرالتوحيد وما يحتاج اليه من العلوم فى الناس بكل وسيلة بالتآليف والوعظ والتعليم فى القرى قرية قرية فيجعل للعامة من كل من يلاقيهم غالب أوقاته فى التعليم فحين بدأ ذلك على يده من الطريقة الدرقاوية تبدل موقف المنصفين ازاءها لانهم يعلمون ان غالب الناصريين المتأخرين لم يكن فيهم هذا الاهتبال بتعليم العلماء التوحيد لكل العامة باية حيلة فى المساجد وفى الاسواق وفى المجالس الخاصة الا نادرا وجل ماكانوا يعملونه بث الاذكار والوعظ وأما العلوم فللتلاميذ فى المدارس فقط فلذلك صار العلماء ينخرطون فى هذه الطريقة الجديدة متأثرين بشخصية رئيسها الالغى تاثرا كبيرا ثم لايكاد أحدهم يخالط مايجال من الاذواق فى تلك الطريقة حتى يحس بأن ذلك غير معتاد مثله فى غيرها • فيظن أن ماكان يذكر فى كتب القوم • لايوجد حقيقة فى اليوم الا فى هذه الطريقة الجديدة وبأيدى أهلها • فينزجون بانفسهم معلنين لاصحابهم حقيقة ماوقعوا عليه

أتيت بهذه النظرة التاريخية ليدرك القارىء مافى هذا الوقت الذى يترك فيه أمثال المترجم سيدى احمد بن مسعود طريقة والده • فيعانق غيرها وقد كان الشيخ الالغى يرد كثيرا على (المعدر) لان هناك زاوية شيخه سيدى سعيد • ولم يكن يغب زيارتها • ويتصدر بمجالس وعظه فى مسجد (المعدر) حيث المترجم فكثر بذلك اتصاله بالاستاذ المترجم وقد اعتاد الشيخ أن يعلو منبر مسجد (المعدر) ليعظ الناس والمسجد حافل بعد صلاة الجمعة • فيرى الاستاذ مايبهره • ولم يزل ذلك متكررا حتى اندفع • فكان هوالسابق للطريقة (الالغية) قبل صنوه سيدى محمد • وكان أخذه عن الشيخ سنة ١٣٢٠ هـ أو فى أواخر التى قبلها •

لازم الاستاذ المترجم شيخه الالغى ملازمة أدب يزوره أحيانا فأحيانا مثل صنوه • وهما فى خدمة الشيخ كفرسى رهان فى خدمة الشيخ والادب معه واعانته فيما انتدب اليه من ارشاد الناس فينتهجان نهجه ويحطبان فى حبله • ويدلان عليه كل من ءانسا منه اصاخة لمقالتهما • فكان لهما كل الناس تبعا فى (أزاغار) وقد بنى كل واحد منهما زاوية فى داره وينفق من صميم ماله على الفقراء • وعهدى بسيدى سعيد التنانى يوازن بينهما يوما

في بعض مجالسه بكل الاريحية التى يرسل فيها أحاديثه على عواهنه كلما طاب وقته • فقال ان الفرق بين الاستاذين ان سيدى محمدا يبذل بلا حساب وكل سخاء بادىء بدء ولكنه بعد حين لايسلم من وخز فى نفسه • وان كان يتغلب دائما على امثال هذه الخواطر اخيرا بخلاف سيدى أحمد فانه يلاقى مثل ذلك قبل أن يبذل ثم يرتاح ارتياحا كبيرا بعد ذلك • ولا يطوف به أى ندم بعد الانفاق ولأحصى ماسمعته يفضل سيدى أحمد على صنوه فى السهولة وطيب النفس بالكرم وبصفاء السريرة • حتى انه لينطلق أمام سيدى أحمد بكل مايريده من مباسطاته على عادته • ثم لايقع ذلك من جليسه الا موقعا حسنا بخلاف سيدى محمد فانه مرهف الاحساس سريع النظرة يتسرع الى الاشمئزاز بأدنى شيء

حكى سيدى سعيد أنه كان مرة فى (مراكش) فوجد هناك شيخا عليه اقبال كبير قال : فسألت أحد من رأيتهم يحترمونه ويجلونه الى الغاية ماهو مقام سيدنا الشيخ ؟ فقال انه لذو مقام عظيم وذو سر عظيم • وذوحال عظيم • لانه ذو خوان عظيم • قال سيدى سعيد • فكنت مرة مع سيدىمحمد وسيدى أحمد ابنى مسعود وسيدى احمد الفقيه الركنى وأمثالهم من أكابر العلماء المشار اليهم بين الفقراء بالتقدم ونحن جالسون فى بيت نجيب عن رسائل الى الشيخ فى أحد مواسم ألغ • فتجارينا فى مباسطة • فقلت لهم: الم تعلموا أننى أتيتكم هذه المرة بقانون المشيخة العظمى فى الطريقة • ثم حكيت لهم حكاية الشيخ المراكشى ثم أردفت ذلك بقولى أما أنت ياسيدى محمد بن مسعود فشيخ منذ اليوم لمالك من مطامير الزرع وأما أنت ياسيدى أحمد فينقصك خصب عام ءاخر فقط • فاذا بك شيخ عظيم • وأما سعيد -يعنى نفسه- الفقير المدقع فيكفيه أن يلتقط من فتات موائدكم • فأين منه المشيخة ؟ قال اننى احكى ذلك بمداعبة • فاذا بسيدى محمد ينقبض وقد ساءه ماسمع ظنا منه أننى قصدت بذلك النقصان لمكانته وأنه ليس بذى حال أصلا • بخلاف سيدى أحمد فانه فهمالقصة على وجهها • ولميخرجها عن جوها فبمثل هذا يفضل سيدى سعيد دائما الاستاذ المترجم علىصنوه من ناحية سعة الصدر وطيب النفس بعد البذل •

لكن ان كان ذلك نظرة سيدى سعيد الخاصة • فان الناس ليرون دائما المترجم وراء صنوه لمكان السن والمكانة العلمية والسمعة اذذاك • وأما شيخهما فانه ينزلهما معا من نفسه ومن معاملته لهما فى مقاميهما • فقد كان يعنى بكليهما ويكاتبهما معا • غير ان ماكان من خلق سيدى محمد الذىأشرنا اليه هو الذى حمل الشيخ حتى اعتنى به كل اعتناء ليجبر حاله فكثرت بذلك الرسائل اليه • كما دعا الى ذلك أيضا كونه رئيسا لاسرتهم اذذاك •

والاستاذ المترجم مرؤوس

وقد وقفت على رسالة صغيرة كتبها الشيخ الى المترجم وهى بيضةالديك عندنا منه اليه نصها

(الحبيب الاريب الاديب النسيب • الولد الصالح والاخ الناصح الفقيه البركة • ميمون السكون والحركة • الذى علت همته الاكوان • طالبة للشهود والعيان وكان معنا كذات واحدة فى مقام المحبة الذاتية الصرفة • سيدى أحمد بن مسعود المعدرى السملالى سلام الله ورحمته وبركاته • وبعد فلاباس والله الحمد ونوصيكم باليقين فى جانب الله تعلى فى كل حال من الاحوال الى أن ياتيكم اليقين • وسلم منا على جميع الاحباب • ووكدهم على هذا المعنى والسلام

من خديم أهل الله على بن أحمد الالغى أمنه الله آمين)

وحين حصلت تلك الفترة لصنوه توقف المترجم فيمن كانوا توقفوا ينتظرون فيئة الاستاذ • ثم كان أول من تنبه لماكان • فأعان ءاخرين فى رد صنوه حتى انقشعت الغشاوة عن بصره • فاستحق بذلك شكرا جزيلا من كل المطلعين اذذاك على حل تلك المعضلة

ولما مر للاستاذ فى المجاهدات الكثيرة علا شأنه • وظهرت عليه لوائح مايسميه الصوفية بالفتح • فى عهد شيخه • فبذلك استحق ان يكون من بين الماذونين فى وصية شيخه اذنا صريحا فى ارشاد الناس وتربية الفقراء • فى حين أن صنوه سيدى محمدا انما قال له الشيخ كن رجلا رجلا • وهى عبارة موجهة لاتفهم بادىء ذى بدء

ويؤول الفقراء ماقيل لهما بما ظهر بعد ذلك من قصر عمر سيدى محمد وبطول عمر المترجم حتى ظهر منه ماظهر • وقد كان الشيخ ربما أوعز اليه بفعل شىء لايوعز بمثله الى أخيه سيدى محمد

توفى الشيخ الالغى ثم الاستاذ محمد بن مسعود فانفتح للمترجم بابان كبيران على مصراعيهما • أحدهما باب الدراسة الكبرى فى مرتبة صنوه وفى مقامه • وثانيهما باب الارشاد وتلقين الورد للمريدين • فصح له كلا المقامين • وهو يرجو وراء ذلك من الله مظهرا

في المدرسة (البونعمانية)

أقبر عميد المدرسة أوائل ١٣٣٠ ه وقد قام بالمدرسة الفقيه سيدى ابرهيم البودرارى الذى استنابه الاستاذ يوم خرج من المدرسة • فقام

الابراييميون وقعدوا لشغور مدرستهم من ءال مسعود وهم الذين كانوا نباريسها أكثر من نصف قرن • فوفد منهم وفد كبير الى المترجم وهو في المدرسة (المعدرية) ثابت القدم • وهو عند المعدريين بمنزلة الجلدة بين العين والانف • فلم يزل الابراييميون به حتى فازوا به • فأهدوه ثانيا الى مدرستهم (البونعمانية) فالقى فيها العصا بعد أربعة أشهر من وفاة الاستاذ • فاستقر استقرارا مكينا وفي المدرسة اذذاك تلاميذ الاستاذ الراحل • بينهم ثلة لها نجابة كبرى بما كانت رضعته من الاستاذ الذى بكته بعد وفاته بدموع حارة • وكانوا يخالون ان صنوه القادم اليهم لايطيق اجالة القداح مثله • اذ بهم امام عبقرى ءاخر • لايقصر فريه في غالب الفنون عن فرى سلفه فتمشى في كل الفنون تمشيا محمودا • حتى البيان والاصول فقد أعطاهما حقهما • لكن لبعض أفراد قليلين • فعهدى به يدرس لابنه (التلخيص)وأمثاله من الفنون في العلوم العليا

ألقى هناك الاستاذ جرانه فاستقل بكل ماكان معهودا من سلفه ان يقوم به من تدريس وضيافة وارشاد • فيصدر الطلبة والفقراء عنه راضين (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك • وماكان عطاء ربك محظورا)

كنت أنا والحمد لله ممن رابطوا اذذاك في (بونعمان) بعدما أخذت المبادىء في المدرسة (الايغشانية) فناخذ عنه النحو في (الالفية) واللغة في (المقامات) والفقه في (الرسالة) اذ نحن في الصفوف الثانوية على حين أن من فوقنا يزاولون الدروس العليا • وكان للاستاذ أخلاق انفرد بها • من صمت طويل وايجاز في الدرس ومزاولة لكل تلميذ بما يليق به فكان يأمرني أنا بمطالعة شرح للامية العجم صغير فأبيت عن أمره في بويت في مدخل (أحشوش) ـمسكن الاستاذـ فيراقبني لاثابر على ذلك • فكانه كوشف بانني خلقت للادب • قبل أن أخلق لاى شيء ءاخر وكان كثيرا مايتخولنا بالموعظة ويحثنا على الاجتهاد • وهو يعاني منا شبابا مرحا • وطفولة مشبوبة • وخفة ونشاطا • كالغزلة المقمرة وقد يتكلم معنا فلايشعر أحدنا حتى يفلت زمام نفسه من يده • فيتفجر ضحكا • ثم لايشعر الاستاذ أيضا حتى ينجر مرغما الى الضحك • لانه كما كان سريع الدمعة • كان سريع الضحكة • لايكاد يمسك ضحكه ان هبت عليه منه زوبعة • وكان كثيرا مايتولى الاذان بنفسه خصوصا الصبح والعشاء • وكان مرة يعاتب الاخ أحمد • وابن أخيه احمد بن محمد• ومعهما والده محمد • فقال للاحمدين انما العيب كل العيب فيكما ان تأخرتما عن مقامات والديكما الشيخين الكبيرين • وأما هذا ـمشيرا الى ابنه محمدـ فانما هو ابن المؤذن للعشاء احيانا •

كان اذذاك كثيرا مايوجد في بعض قباب مقبرة (بونعمان) نائما •

خصوصا فى الانهر الحارة بعد انقضاء الدروس • وقد ورث عن والده محبة الزيارة للاضرحة وأن ياوى اليها بمناسبة وبلا مناسبة • فاذا كان فى (المعدر) فكثيرا ماتجده فى ضريح سيدى عبدالله بن سعيد المعدرى - صاحب القبة المجهول التاريخ - وكان يحب العزلة جدا • وأن يمشى وحده • اشتهر بكل ذلك • ومن أنس بربه وراقبه انسه الله واستوحش من الخلق •

مكثت عنده أقل من سنة أو اكثر منها - لاضبط - تسربت الى من بركته نسمات اشكر الله عليها وكان حفظه الله رفيقا شفيقا متفجرا بالحنان على كل من يأوى اليه • صوفيا كبيرا عالما جيدا ذا فهم ثاقب • وان كان من لايعاشره من العلماء لايعرف فى هذه الناحية قدره لانه سلم لهم فى نوازلهم وفى فتاويهم وقلما يدركون منزلة الرجل الا فى ذلك حتى الادب فقد رأينا له آثارا فيه منها قطعة توجد فى ترجمة سيدى احمد الفقيه الركنى • وأما تصدره للفقراء • وما تتلقاه منه قلوبهم فذلك بعيد عن الفقهاء

ثم ان يعجب الانسان من ترجمة الاستاذ التى ذكرناها • فان ماسيراه أعجب • فقد عض بالنواجذ على ان يبتعد عن غير الميدانين اللذين يشغلهما ميدان التدريس • وميدان الارشاد • فقد تموج من حين ظهوره فى (بونعمان) سوس بحركات مختلفة متلونة أنفجت (١) كل ذى كن • واستخرجت كل من يألف العزلة من عزلته الا ماكان منه • ومن قليلين ممن كانوا على شاكلته

فى وسط ١٣٣٠ هـ كان ماكان من أمر الهيبة فى (تزنيت) فلم يبق أستاذ ولا صالح • ولا ذو مركز الا وانتظم فى الماثلين بين يديه • بنيات ومقاصد • الا ماكان من أمثال المترجم القليلين فانهم قد انتبذوا من بعيد • يطلبون من الله صلاح الاحوال فقد جمع طلبة المدرسة (البونعمانية) ما اشتروا به كيس سكر ليقدموا به الى الهيبة فوقف أمامهم فقال لهم ان كان قصدكم أن تتجندوا فى الجند مع الامير فلستم بالطلبة فانتم اذن من الجند وان كان قصدكم ان يعطيكم الهيبة شيئا تقيمون بـه حفلة • فأقيموها بهذا الذى جمعتموه اليوم • فكان ذلك مما ثبط هممهم • فنجوا مما وقع فيه سواهم ثم تتايعت (٢) الزوابع • فكان (ازاغار) بين جزرومد • بين الجبليين والحكومة وأمثال أوعابو والحاج عابد يخبون ويضعون كل فى الوجهة التى تطيب له فكان الاستاذ المترجم فى كل ذلك ملازما لظله ودرسه • مواظبا على أداء خمسه معينا بالدعاء متملصا من أتباع مالم يعرفه ولم يألفه فسلم عرضه وماله ودينه فقد انقطع عن الجبليين وأمرهم فلا يتوجه بوجهه لتلك الجهة الا

١) انفج فلان الارنب اذا استثاره من كنه
٢) التتايع بالياء فى الشر وبالباء فى الخير

ان زار زاوية شيخه • وعن (تزنيت) وفيها ابن دحان • ثم الحاج عبد الرحمن الحاحي • ثم الكتنافي ثم الرحماني الاخير • ثم رجالات الحماية • فلم يكن يرى فيها قط اختيارا للسلامة من كل جهة • ولنفضه اليد من كل ماينتفع به مثله لومثل هنالك • فكان يمر الى (المعدر) تحت سورها ذاهبا وءائبا • وهو غير ملتفت • وذلك وان كانت المصلحة الشخصية تدعو اليه • الكن الداعي الاكبر هو ماجبل عليه من الانقباض عن كل أحد فلم يكن يلتقي الامع تلاميذه ومريديه • وقد انتفع به في هذه الفترة ماآت من الازاغاريين تنبهت به قلوبهم من الغفلات • وثبتت به أقدامهم في الطاعة لله أحسن ثبات • حتى نال عند أصحابه مقاما ليس فوقه مقام • وهو في كل ذلك لادعوى تونس منه ولامطمع يقاد ببرته (١) الى موقف صغار وموطن ظنة • وقد كان أصحابه يدعونه بالشيخ • ولكنه لم يغتر بذلك •

كانت املاك له في (تالعينت) وصل ثمنها نحو ٦٠٠٠ ريال حسنية وذلك عند مثله اذذاك مال عظيم • لايجتمع الا بالاقتصاد سنين كثيرة متتابعة وحين كان لهذا العدد قدر عظيم كان احب مال اليه • ثم ترامى عليه فيها من لايخاف الله من الرؤساء هناك • فاحتال عليه حتى توصل برسومه • ثم لم يؤد اليه ماكان دفعه في تلك الاملاك • من الثمن • فصبر واحتسب وفهم عن الله • ولم يكن ليغضب منه اوطرق باب الحكومة • ولكنه يتبع الناقة زمامها خوف ان يجول حوله مار بما يكدر عليه نطفة قلبه • وقرارة نفسه • ونقاوة عرضه •

وكما أنه يظهر بهذا المظهر العالي بين العامة • تراه بين الخاصة منفقا أحيانا نفقة من لايخاف فقرا • فقد اجتمع مرة اخوانه من الفقراء يتذاكرون حول اشادة مشهد لشيخهم الالغي • فقام بمائة ريال حسنية موكأة في خرقة فصبها بينهم ومثل هذه العطية في سوس بمنزلة عشرين الفا في غير سوس • لمكان سوس من الاقلال الملح

كان دائما يحضر في الموسم الالغي الانادرا لعذر قوي حتى كان هو القيوم عليه في وقت من الاوقات • ناوش نفوس كثيرين من الفقراء ماناوشها من بعض أمور آنسوها أمامهم في الزاوية فاقبل هو غير مدبر • وهو يقول قول أبي بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات • ومن كان يعبدالله فان الله حي لايموت •

---

١) البرة بضم الباء وفتح الراء الحلقة توضع في انف البعير لينقاد بها

موقفه أخيرا

ذلك ما أمضى به الاستاذ كل الفترة الطويلة التى امتدت من سنة١٣٣٠هـ الى سنة ١٣٥٢ هـ اكباب على الدروس • وارشاد للناس • فكما تخرج به كثيرون من الطلبة • تهذب به كثيرون من المريدين • فهو استاذ الطلبة وشيخ للمريدين فى حين واحد

ثم بعد هذه السنة : (٥٢) حين احتلت الجبال • وظهر من ثورة الواغزنى ماظهر • وقد بدأ للحكومة أن تلاحظ ملاحظة خاصة جميع الطرق الصوفية ورجالاتها وأعمالهم • وما هى نية كل واحد • بدأ له الافق مكفهرا • والضباب منسدل الاذيال • لانه لايعرف من شأن هذا العصر مالعله يزيل كل مايتوهمه عن قلبه • فأعرض بالكلية عن كل شيء • حتى لايلتقى بالفقراء الذين يشتاقون اليه كثيرا الاقليلا جدا فمن ذهب الى المدرسة لايجده • لانه يألف أن يملص منها بمجرد مايتم الدروس • فيتسرب الى أناس من مريديه • فيتشرفون به • حتى ان موسم (المولد) المعدرى قد قطعه • مع أنه عادة مسعودية مضت عليها عقود من السنين •

ثم انه انقطع أيضا عن (الغ) سنتى ١٣٥٦ هـ وفى التى بعدها • ثم صار بعدذلك يحضر كل ذلك امعانا فى الانزواء والعزلة • ونفض اليد عما قد يشغله عما هوفيه من راحة اطمئنان مع ربه • وقد أصابته الفة عزلته التى تربى بها حتى أنه ليصعب عليه أن يخرج عنها واوبمقدار • وفى بعض الاحيان لايمكن ان يجد منه زائر مثل العلامة ابن زيدان الذى قصده للزيارة ماينتظره منه • وهو جد معذور • لان الحال يغنى عن السؤال

عوى الذيب فاستأنست للذيب اذ عوى وصوت انسان فكدت أطير

وقد حاول ولده النابغة الحسن أن يكشف عنه بعض ذلك بزحزحة بعض سجوف أمام عينيه • فلاقاه مع بعض رجالات الحماية فى (تزنيت) لسبب خاص ثم جاءت الاقدار بما ثنى ذلك فى السنة نفسها • حين أرسل اليه فى أثناء رمضان هذه السنة ١٣٥٧ هـ فسئل أسئلة قريبة عن الطريقة • وربما يجدى ذلك فيحاول الخروج من عزلته • فالعصر عصر محاككة • لاعزلة

الخير فى العزلة لكنه لابد للناس من الناس

غير أن أمثاله من مشايخ الصوفية الصادقين الكبار • لايستغرب ذلك من طباعهم لان وجهتهم الروحية هى وحدها مظهرهم الوحيد • وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه •

ثم هذا الحال الذى غلب على الاستاذ بين غير أصحابه الاخصاء يغاير تمام المغايرة حاله فى مجالسه الخاصة فما شئت من مباسطة فى وقار وحكايات ولطف واريحية • فسبحان من جعل لمثل الاستاذ المترجم أحوالا مختلفة بحسب اختلاف الجليسين

وأخيرا نقول ان الاستاذ لعله فريد فى حاله الصوفى العجيب المؤثر فله عند مريديه خوارق • وعنه نفثات معسولة • من الاذواق الصوفية • ثم انه لايخلو من نفسات أدبية • واستحضار أبيات نادرة مستملحة • يستشهد بها فى رسائله • كما كانت له مودة راسخة • واكبار واجلال فى كل من مر حوله • وذاق رشفة من شرابه •

الآخذون عنه :

١ ـ محمد ولده
٢ ـ الحسن ولده
٣ ـ البشير ولده
٤ ـ ابرهيم أخوه
٥ ـ على أخوه الاخر
٦ ـ مسعود بن أخيه
٧ ـ أحمد ابن أخيه
٨ ـ المدنى المعدرى وهو عدل بلده الان
٩ ـ المحفوظ أخوه
١٠ ـ أبوبكر التزنيتى نائب القاضى (ويذكر قريبا)
١١ ـ ابرهيم بن حسين بن بوجمعة بن محمد بن ابرهيم النجارى التيفرميتى أصلا الساحلى منشأ ومسكنا • والذى نزل هناك جده محمد بن ابرهيم سنة ١٣٠٧ هـ وقد ذكر فى هذا الفصل
١٢ ـ أحمد بن الحسين البعمرانى ابن الكود • (ذكر فى هذا الفصل)
١٣ ـ أحمد بن عبدالرحمن العوفى (يذكر مع والده فى هذا الفصل)
١٤ ـ الحسن بن عابد الوانكضائى الساحلى فقيه كان يشارط فى مدرسة سيدى بوزيد
١٥ ـ أحمد بن محمد ـ فتحا ـ من أدوار (اكرامن) عدل ببلده
١٦ ـ محمد بن أحمد الملقب الدشور البرايبمى كان كاتبا عند رئيس القبيلة
١٧ ـ أحمد بن الحسين فى (أكرور) ازاء المدرسة من اد ابن الحاج هو عدل ببلده
١٨ ـ عمر بن ابرهيم من (افردا) يشارط الان فى المساجد ويلازم الخمول

١٩ ـ على (نضامن) التياكى يعلم القرءان الان فى المساجد
٢٠ ـ ابرهيم الاوسارى البرابيمى النجيب الى الغاية • توفى نحو ١٣٥٦هـ
٢١ ـ يوسف بن الطاهر السماهرى (يذكر مع أبيه قريبا)
٢٢ ـ على الهرواشى • فقيه نجيب • اعتبط نحو ١٣٥٢ هـ
٢٣ ـ احمد بن محمد التنانى (يذكر فى هذا الفصل)
٢٤ ـ أحمد الايديعيشى • فقيه لاباس به وفقير صوفى • يشارط فى (اكلميم) الى الان (١٣٨٠هـ) ثم كان فى مدرسة ببعمرانة
٢٥ ـ أبوبكر التيمجاضى كان يشارط فى (ايغبولا) توفى نحو ١٣٥٢ هـ
٢٦ ـ محمد بن السائح الجرارى • (ذكر فى هذا الفصل)
٢٧ ـ الحسين بن ابرهيم التالعينتى الجرارى الاديب (ذكر فى هذا الفصل)
٢٨ ـ عبد القادر الوادنونى (ذكر فى هذا الفصل)
٢٩ ـ محمد بن عبدالله الزيكى (يذكر فى هذا الفصل)
٣٠ ـ محمد بن حسين الجرارى ثم العتابى • فقيه حسن تولى العدالة فى أيت عتاب (لايزال حيا ١٣٨٠هـ)
٣١ ـ محمد المختار الالغى مولف الكتاب
٣٢ ـ ابرهيم الاوزالى فقيه حسن يذكر بكل خير ولعله توفى اليوم ١٣٧٩هـ
٣٣ ـ الحسن الساحلى دفين زمور • ومن أهل سيدى أبى الفضائل الاغرابوئى كان رفيقى فى مراكش وفى فاس وفى الرباط الى ان توفى ١٣٤٧ هـ وكان يخدم المترجم ماشاء الله
٣٤ ـ محمد بن ابرهيم كزور (يذكر مع والده قريبا)
٣٥ ـ أحمد بن سعيد السهمى الساحلى المشهور بالناظم • لايزال حيا ١٣٨٠هـ ينفع العباد
٣٦ ـ محمد بن على بشمورين الساحلى (ذكر مع أهله فى هذا القسم)
٣٧ ـ ادريس بن الحسن السملالى الساحلى (من أسرة أحمد السملالى المذكورة فى هذا الفصل)
٣٨ ـ أحمد بن ابرهيم بن محمد • منأسرة أحمد السملالى الساحلى أيضا •
٣٩ ـ احمد الديرى الابرابيمى

٤٠ ـ محمد بن سالم الاخصاصي

هو محمد بن سالم بن الحسن بن محمد ـفتحاـ ابن الطالب على منقرية (ايكاروشن) من فخذ ايت على بالاخصاص واسم أسرته اد الحسن وفيها ومن الحواشى علماء

فمنهم الفقيه ابرهيم بن الحسن • ويلتقى مع هؤلاء فى جدهم الطالب

على فقيه مشهور وتوجد آثار قلمه • وكان حيا الى أوائل القرن الرابع عشر

ومنهم عبدالله بن الحسن بن محمد ـفتحاـ بن الطالب على • فقيه حسن مذكور • وقد جرى فى الميدان السياسى فى عهد القائد بوهيا • فقد كان احد الشيوخ تحت يده • ثم لما انقلبت الكفة بالقائد • كان من أضداده يوم خربت داره وقد توفى نحو ١٣٣٠ ه

ومنهم على بن الحسن بن محمد ـفتحاـ بن الطالب على • فقيه أخذ عـن الاستاذ مسعود المعدرى • ثم صار يشارط ويعلم كتاب الله • وقد اكتسب من استاذه الخشوع • وحب تلاوة القرءان • وقد انتقل الى (الشياظمة) فسكن فى زاوية سيدى حمو بن حميدة فى (أيت باعزى) وكان نزوله هناك نحو ١٣٢٨ ه فهناك نشأ اولاده الذين منهم البشير التاجر المشهور فـى السويرة أخيرا الى ان توفى رحمه الله فى اوائل ١٣٧٨ ه وقد كان له ولد يسمى محمدا كان يأخذعنا ماشاء الله • ثم توفى بعد نجابة نحو ١٣٧٤ ه وولد ءاخر يسمى عمر • هو عميد الاسرة بعد والده وءاخرون لايزالون يتتبعون فى الثانوى فى مدارس مختلفة •

أما على بن الحسن • فقد طال به العمر حتى أصيب بضيقة شديدة لازم بها الارض • فلا يشتغل الا بتلاوة القرءان • وقد حدثنى من حضر عنده يوما يستدعى ولده البشير ليفتح له فى كلمة من القرءان توقف فيها • وقد توفى ١٣٤٧ ه

ومنهم : سالم بن الحسن أخوهما • فقيه حسن • أخذعن الشريف الكثيرى وقد رأيت رسالة صغيرة بخط الشريف هاك نصها

(السلام والرحمة والبركة على الشيخ ابرهيم والشيخ أحمد ابنى محمد الديلمى وبعد فليكن الحامل الفقير الحسن بن محمد ـفتحاـ بـن على الاخصاصى فى أمان الله ورسوله فى بلادكم (هشتوكة) و (ماسة) ولايوخـذ بذنب غيره • قال تعلى (ولاتزر وازرة وزر أخرى) ان ولده السيد سالما يقرأ هنا فى المدرسة • وياتى اليه والده بالزاد والعون على قراءة العلم فزيدوا على الخير زادكم الله • والسلام من سعيد بن أحمد الكثيرى فى مدرسة ذوى محمد لطف الله به)

وتحت ذلك

(قد زدنا على ماذكره سيدى سعيد أعلاه والسلام • ابرهيم)

فابرهيم هذا هو القائد ابرهيم الديلمى المشهور الذى لم يتوف الا فى سنة ١٣٠٨ ه

ثم أن سالما امتد به العمر فى الافتاء وفض النوازل وقد حدث من رأى آثار يده في ذلك أن فقهه حسن ولم يكن بذى هلع فى هـذا الميدان ولا لهفيه شهرة متسعة وقد كان حينا مشارطا فى مدرسة (تاكانت) وفى مساجد أخرى ولد نحو ١٢٤٨ هـ وتوفى عـن خمس وتسعيـن سنة : ١٣٤٢ هـ في يوم الخميس مفتتح صفر • وكان ممتعا بصحته وبحواسه طوال عمره • حتى انه هو الذى أقام الاتاى لاهله ليلة وفاته • وقد كان امام المسجد فخرج ايصلى • فاذا به تداعى • فمالت به زوجه الى بيت • ثم استدعى اولاده فودعهم • ثم صلى عليه الفقيه أحمد بن ابرهيم أبو الكيد • وجميع رجـالات القبيلة فى حفل رهيب • وقد كان كريما معلوما بالضيافة • ثم أداه ذلك حتى رهن بعض أملاكه لكرمه وكان يوثر أحيانا فقد حكى ثقة أنه كان يعلم فى مسجد فى سنة جدباء أنه خالى الوفاض فطبخ خبزة كبيرة على نية أن يذهب بها الاستاذ ليتعشى بها أولاده • فلما مدها له نادى مسكينا متكففا • فاعطاه نصف الخبزة ثم استدعى ءاخرين فأكلوا الباقى ثم ذهـب بهذا الحاكي • فقد رءاه متاثرا • فأراه حفنة من الشعير • فقال له هذا عشاءأولادى ان كان فيه رزقهم • ومنهم محمد بن سالم هذا هو الذى أسسنا عليه ذكر رجالات الاسرة وقد رزقه الله مكانة لاتزال تزداد • وله أخ يسمى الحسن ابن سالم كان يجرى فى ميدان السياسة • فأمضى فى رياسة (أيت على) تحت القائد المدنى ثم دام على ذلك فى عهد الاحتلال الى أن تكدر الماءسنة ١٩٤٥ م فقدم استقالته ولايزال الى الان سنة ١٩٥٩ م حيا

ولد محمد بـن سالم أواخر سنة ١٣٣٠ هـ فأخذ القرءان عن الاستاذ ابرهيم بن الحسن الميرغيتى المتوفى نحو ١٣٥٥ هـ أخذ عنه ختمتين • ثم نقله أهله الى الرباط ١٣٤٥ هـ فختم أخرى على الاستاذ عبدالسلام الاكلاوى • فى مكتب مسجد زنقة (أقاصا) بالرباط • ثم عن الاستاذ الحاج ادريس براد وفى مسجد النخلة فى زنقة (بوقرون) وهناك أتقن حفظ القرءان واذذاك كان يحضر بين العشاءين دروس الشيخ أبى شعيب الدكالى فى المساجد فنفعه ذلك ثم رجع الى سوس فالتحق بالمدرسة (البونعمانية) عند المترجم الشيخ سيدى أحمد بـن مسعود والسبب الذى جره الى (بونعمان) هـو شيوع السمعة الحسنة عنها • حتى فضلها أهله على (فاس) وذلك سنة ١٣٥٠ هـ

قال فتلقانى الاستاذ بالقبول فكأنه توسم فى أمانة فجعلنى فى بيت كان يحول بينه وبين سكنى ءاخرين لانه تحـت مخـزن من مخازن المدرسة فلازمت المدرسة الى سنة ١٣٥٧ هـ فهناك أخذت كل معلوماتى العربية المتداولة وكان الاستاذ فيما يتراءى لى يعاملنى معاملة خاصة فكان يحمل كل كلامى على الصدق حتى انه ان كان يتوقف فى الاوقات

يامر من يسالنى عنها ثم خرجت من المدرسة • على نية ان استتم بفاس فنزلتها بالفعل شهرين • الا أن الاعانة لم تتيسر لى • فرجعت فدخلت مركزا تجاريا فلم يمض إلا قليل حتى قامت الحرب فتأزمت التجارة

أقول انه التحق بمدرسة مولاى يوسف كمعلم فى الدروس لصفوف المترجمين • ثم انتقل الى دار المخزن كاتبا فى القسم الجنائى العرفى حيث بقى الى أن عين عضوا فى المحكمة • وفى عهد الاستقلال عين سنة : ١٩٥٧ م رئيسا للمحكمة الاقليمية فى (الناظور) ثم الىمثل ذلك فى (أكادير) الى ان وقع فيه الزلزال • فماتت زوجه وبعض بنيه • فانتقل لمثل وظيفته فى (الرباط) حيث هو الان ١٣٨٠ هـ

ومما يتعلق به رسالة كتبها اليه أستاذه أحمد بن مسعود نصها

(الاخ الصالح • والحب الناصح الفقيه الذكى اللوذعى • أبو عبدالله سيدى محمد بن سالم الاخصاصى بالرباط ازكى السلام السلام عليكم ومن تعلق بكم • ونوصى حبيبى • وقرة عينى بالانحياش الى الله تعلى • والفناء فيه • فالعمر ميدان السالك وكل نفس من أنفاس العمر • جوهر لاقيمة له • فانتبه ياحبيبى من سنة الغفلات وقد أحببنا من حبيبنا • وسويداء قلبنا أن يجعل نصيبا وافرا من مذاكرة العلم فقلبكم بحمد الله يصلح لذلك • وقد قال الامام الشافعى رضى الله عنه (المجنون من توانى فى العلم حتى فاته أو ضيعه) ولقد صدق رضى الله عنه • فأولى هذا الزمان الذى قرب أن يضمحل أثره فيه • وكل ماسواه من الاشغال كالسراب •

ثم أنه نعلمكم بأننا اشتقنا اليكم غاية الاشتياق اشتياق الوالدة لولدها وليس الخبر كالعيان ولكن كما قيل

ماكل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن

وقد سألنا عن أحوالكم الاخ سيدى الحسين فذكر أن بكم مرضا شديدا • فنسأله تعلى أن يعقبه بالعافية التامة المحتوية على الايمان والاسلام فاعلم أننا لانغفل عنكم فى غالب الاوقات وذلك باستحضاركم عند مواطن الاجابة • كيف لا وقد علمنا من جانبكم صدق المودة والظن الحسن • والادب وما علمنامن جنابكم الاكبر قط أدنى سوء أدب والحمد لله على ذلك • وكيف يغفل الوالد عن ولده القلبى • واحسانكم أعنى الاتاى قد وصلنا ولاتحتاج ياأخى الى ذلك • كثره الله وجعله مقبولا عنده • فنحن معكم فى كل شىء • فالله يجعلك قرة عينه صلى الله عليه وسلم وءاله • ويجعلك منخدام حضرته ءامين ونسأله تعلى ان يجعلك من العارفين بربهم ءامين • ويرحم

الله من قال ءامين   واجعل لك حظا من نظر الكتب الصوفية • وانظر الجليس الصالح   فان لم تجده فعليك بالعزلة   واجعل نصابا من العلم ولو قل • وأسرد من كلام الصوفية ولو سطرا   فالله يحفظك ءامين • واستودعك الله تعلى   كتبه عن عجل شديد غاية   أوائل رمضان   أخوك الضعيف   أحمد بن مسعود   محبكم على الدوام)

ومن ءاثاره ماكتبه الى تلميذه أخينا ـ كما أظن ـ أحمد ـ

(السلام والرحمة والبركة ورضا الله الاكبر على ابن شيخنا سيدى (فلان) • أما بعد   فالتضحية لله ولرسوله   ولايمة المسلمين وعامتهم فيها الدين كله • كما قاله عليه الصلاة والسلام • فيجب على الانسان أن يتنبهوأن يعرف مايراد منه • وان لايغتر بهذه الحياة • وأن يعرف كيف يستفيد من عمره • فانالوقت خصوصا فى هذا العصر قلما يعتبر عند الناس نفيسا • فترهم يمضون أوقاتهم فى اللهو واللعب والغفلة   مع أن العاقل هو الذى يعتبر بغيره • ويقف عندما يأمره به ربه   أوينهاه عنه • خصوصا من كان ابن العارفين أمثالك   فانك على باب الخير المفتوح ان أعنت نفسك   وانلم تعنها تكون بالعكس   فانك ان سلكت مسلك والدك   الحقته فى مقاماته • بدليل قول الله تعلى (والذين ءامنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء) والله تعلى يهديك وينفعك ويهديك بهذه الرسالة فاقرأها وكن عليها ماشيا   والسلام)

وجدت الرسالة منقولة بخط بعض الطلبة عند الاخ أحمد   والغالب أنه هو المقصود بها • وقد كان الاخ المذكور ذكر لى فى حياته رحمه الله • ان عنده أبياتا قالها له الاستاذ نصيحة • ثم فتش عنها فلم يجدها •

ومن آثاره أيضا إلى صنوه سيدي محمد

سيدنا الشيخ الهمام التقى   أبو عبدالله   أزكى السلام على الحضرة العلية • ونسأل سيدنا أن يمن علينا بدعوات   أن ينقذنا الله من مهالك نفوسنا • فاننا غرقنا • فان أمكن وتيسر أن يرسل لنا الشيخ رضى اللهعنه بعض ماله هناك من كتب الفقه كنوازل الشيخ (عليش) المصرى • وبعض شروح الشيخ خليل   كنصف (الزرقانى) أو يستعيره من عند سيدى الطيب البودرارى المملوك لسيدى الحسن الاعرابى ان لم يمنع منذلك• فان الضرورة ألجأت غاية • فوالله لقد ضاقت على الارض بما رحبت   بما كلفت به من أسئلة الناس   ولم يكن عندى مجرد (الدردير) فضلا عن غيره • ولم أكن أهلا لما هنالك ان تيسر جميع الادلة   واولى ان عدمت فوالله لقد خاطرنا

بانفسنا وسلكنا مسلك الهلاك ان لم ينقذنا الله بفضله الجسيم فان تركناهم وماهم عليه ودخلنا الدار كان ذلك ذريعة الى ماهو أشد من قطع المذاكرة • وأداء الصلاة وقتها فالله يصلح أمورنا ويختار • وقد شاورنا سيدنا الحاج علي رضى الله عنه فأشار لى بملازمة مسجدهم • وقد ذكرت له جميع العلل • وقد يخطر لى أن أبيع الامة التى بيدى • وأدفعها فى الحقلة المرهونة فى (ماسة) وأردنا ان نستشير الشيخ فى ذلك الامر • ولم أدر هل هذه الامة مختصة بى • أو مشتركة بينى وبين الورثة وأصلها ماعلمه الشيخ رضى الله عنه • بما أعطاه لنا الشيخ الوالد رضى الله عنه • ورحمه وأسكنه فسيح الجنان منزرع (بونعمان) وما علي لك من ثمن القرض • وقد بعت الزرع حينئذ وتركت أهلي جياعا • فلولا فضل الله وفضلكم وبركة جودكم علينا بدفع القوت ذلك الزمان لهلكنا فانظر هل مافعله الشيخ الوالد من العطية مختص بنا أو يدخل فى ذلك جميع الورثة الان • لمابقى رأس المال • والعادة أن الاباء انما يقصدون بما يدفعونه المحاسبة بين الاخوان لاحقيقة العطية وأنا ان بعتها فى الحالة الراهنة بقيت بلا خادم • ولم يكن عندى ما أشترى به شيئا فى المستقبل • ولابد ممن يخدم فى الدار • فأجب سيدى • واصدع بالحق • ولاتظن بى أننى لا أقبله • ويأخذك الحياء فى ذكره فوالله لقد أحببنا ذلك غاية والسلام

ولنكتف الان بهذه الاثار التى وجدناها •

وفاته

كنت فى (الرباط) عند الاديب سيدى الحسن مع الادباء الرباطيين فى اغتباط • وفى أفراح باجتماع الشمل • وذلك اثر مرجعى من النفى بعدما أذن لى أن أزور الحواضر • فبينما نحن فى بلهنية عيشنا فى جو هذه الاجتماعات • اذا بنعى شيخنا هذا ورد علينا • فقامت قيامتنا ولا حول ولاقوة الا بالله • فكذلك طويت صحيفة شيخ من شيوخ هذا العصر بمرض غيرطويل الم به رحمه الله •

مراثيه

من مراثى الاستاذ ماقاله شاعر جزولة محمد بن عبدالله العثمانى

لوشمت جهد النفوس ياابن مسعود	أحببت عيشك فينا غير مفقود
دارت عليها رحى الالآم من حزن	فما ترى غير مفئود ومكبود
رحماك رحماك فالاحشاء راجفة	ومنهل الصبر لم يكن بمورود
أرحت نفسك من هم ومن نكد	والناس بعدك فى حزن وتسهيد

من كل باك عليك بالمحاجر • أو باك عليـك بمنثور ومنضود
مالت به نشوات الـوجد صادرة عن خفقة القلب لا عن نغمة العود
والجأتـه الى ءاهـات ثاكلـة الام هم يشيب رأس مولود
واجهدته صروف الدهر حين دهت يـوم تغـيـب احمد بـن مسعود
هـذا العـزاء لمـن فيه أقـدمـه للاهل أم للتقى والفضل والجود
أم للمعارف والاخـلاق تحسبهـا زهرا من الروض أونشرا من العود
مكان للقوم لـو كان الخيار لهـم ان يبدلوا الشيخ محرابا باخدود
أو يغسلوه بغير دمـع خشيـتـه أو يجعلوا كفنه غير السجاجيـد
أو يدفنـوه ولـم يسمع نداؤهـم فى الناس ان العزاء بعده مودى
سلوا الاولى حملوه نحو مرقـده ماذا رأوا مـن كرامات وتمجـيد
هل انصتوا لحفيف الحافلين بـه مـن السماء والحـان التحامـيـد
أو ابصروا حفلة البشرى مكـللة مـن التحايا له فى تلكـم البيـد

* * *

كل الجلائل قد تجـلـو حقيقتهـا الا المنية عـزت كل مـجهود (١)
أعيت عقولا واعيت كـل فلسفـة والقول فى الذاهبين غير مـحدود
بيناهم أمم اذا هـم لـقـم تلقى الى حشرات الارض والـدود
ترى الترائب والهامـات ترفعها ريح وتخفضها بـيـن الجـلاميد
يضحكن من عابدى الدنيا يهزهم سمع الاغاريد او ماء العناقيد
عفت يد الدهر من الواحها صورا من مـعـجزات جمال ثـم معبـود
تبارك الله لـو ابقـى بها أحـدا ابقـى عليها سليـمان بـن داود

* * *

ماذا لقيت مـن الايات مـن كرم هناك بعد عنـاء غير معهود
ان كنت مـن طالبى المجـد الاولى جهـدوا
فانـت فـزت بركـن منه مـوطود
لما تبينـت سبل المـجد واضحة جريت فى العلم شوطا غير مجحود
العلم قاعدة رأيـتـها أسسا لمبتغى العـز • او جـد لمجـدود
انى قرأت على ادراجها سورا آياتها هـى فـى ذكر وتخلـيـد
اجدر بمرء مضي يوما وليس لـه ذكر يخلد ان يدعـى بـمنكود
فاذهب كما شئت لاتلوى على احد مـزودا بثناء غـير مـعـدود
بكت عليـك البلاد كـلـها وبكى هذا اليراع عليك يا ابن مسعود
واجدر العالمـيـن بالخلـود فتـى ناحـت عليـه اليراع بالاناشيـد

١) عزت : غلبت ـ وفى القرءان الكريم وعزنى فى الخطاب

قولة علي بن الحبيب فيه

قال بعد ذكر سيدى محمد بن مسعود (ومنهم اخوه الفقيه المربى أبو العباس سيدى أحمد بن مسعود كان هذا السيد من الذاكرين الله كثيرا. ومن التقوى فى غاية • وحقيقة التقوى اجتناب المحرمات • وقال تعلى (ان المتقين فى مقام أمين) • وقد قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه التقوى ترك ماحرم الله • وأداء ما افترض الله وقد سئل رسول الله (ص) عن التقوى فقال كل تقى الا أن أولياء الله هم المتقون • وعنه (ص) أنه قال من سره أن يكون اكرم الناس فليتق الله • وهذا السيد أخذ علىوالده المذكور وتدين بالطريقة الدرقاوية • لزم مدرسة (ابى النعمان) يذكرفيها ربه • ويدرس بها أنصبته• ولا زال معافى محفوفا بعناية الله• وهو فى قيد الحياة الى ان توفاه الله فى ١٣٦٣ هـ

الثاني عشر محمد بن أحمد

ولده الكبير لعله ولد نحو ١٣١٢ هـ لازم والده ولاأراه تجاوزه الى غيره • وقداعتنى به والده اعتناء تاما بالغا النهاية • فقد كنت رأيته وأناهناك سنة ١٣٣٢ هـ يفرده بدروس عليا وحده كالتلخيص وغيره • ويقدمهلتعليم المبتدئين وكان الاستاذ محمد بن السائح الجرارى هـو المعين لـلاستاذ • فيطالع المطلبة • ويملى عليهم التقارير اولا فى الواحهم • على عادة البونعمانيين ثم يدرس بعد ذلك الاستاذ الدراسة المعهودة وكان اذذاك يقدم ولده للقيام أحيانا بهذه العناية • حتى استتم دراسته فزوجه البنت الثانية لـلاستاذ سيدى محمد بن مسعود • وقد ذكر ان اختها عند سيدى عيسى الادوزى ثم سعى له فشارط فى المدرسة (المعدرية) على نية أن يقوم هناك بالدور الذى عليه • غير أن سيدى محمدا لم يمكن له أن يؤدى ماعليه • لاسباب منهابعض مافى نفسيتيه من عدم الارتياح لذلك فخجل شديد جدا يعتريه حتـى لايكاد يبين فى الجواب • حتى ان انسانا قال له مرة ان فلانا يسلم عليك فاعتراه خجل كثير حتى لم يستحضر معه ان يجيبه برد السلام عـلى العادة فسكت متحيرا • ثم قال له (واخا) أى نعم • وكان من ألطف الناس وأسكنهم طائرا • ولكن أبى الله أنتظهر فائدته للوجود بما وضعه فىنفسيته • وليس للانسان ان يغير الجبلة التى ينشأ عليها خلقة

لازم المدرسة (المعدرية) زهاء أربعين سنة الى الان ١٣٧٩هـ يخطب فى الجمع ويصلى بالناس الخمس ولم يرزق ان يدرس دراسة مجدية • وهو الان على حال حسنة حفظه الله • ومع ذلك كله له همة ربانية وتطلع الىالاخبار

الثالث عشر احمد بن محمد

ولد من قبله • من نجباء الابناء وقد خلد ذلك من فجر نبوغه عمه الحسن بقوله

أأحمد يا نجل صنوى لقد	أراك جديرا بكل نبوغ
تلوح عليك لوائحه	فبعد اجتهاد يتم البزوغ
فسر للمعالى واياك ان	تزيغ فليس الفتى من يزيغ
وأفن شبابك فى نيلها	فان شبابك سوف يروغ
ودع عنك كانت جدودى فما	لمثلك نجح بذاك يسوغ
ولى من نبوغك أمنية	تبرهن للناس عما أصوغ

اخذ عن أبيه • وعن جده ابى العباس • ثم التحق بنا بعدما شدا فى (مراكش) فبقى معنا نحوسنة ثم انتقل الى مدرسة (ءال عبد المعطى) السباعيين • فكرع من هناك حتى رجع ريان من منهل شيخنا سيدى عبدالله ابن عبد المعطى علامة الحوز ثم تصدر فى المدرسة (البونعمانية) فملاها بالعلوم الى الان ١٣٧٩ هـ وقد يسره الله لتلك المدرسة فلازمها وعمرها فيألف عنده التلاميذ • وقد تزوج وله اولاد• وهو اليوم علامة الاسرة ومحل بركتها • وينبوع سرها

الرابع عشر البشير بن احمد

أصغر اولاد الاستاذ شيخنا أبى العباس رأيت له مايدل على أنه مسعودى الهمة لولا ضعف بنيته وقد أخذ عن والده حتى حصل تحصيلا كثيرا • وظنه الناس خلفا لوالده • له حظ حسن وعزيمة علمية • وتعال الى القمة • وقد أوى من كنف والده الى ظل ظليل وزهر بليل • وروح وريحان وجنة ونعيم • وكأنى به غدا ان لازم الدراسة ولازم الجد • وخطب المعالى ولبى الواجب عليه يعيد المجادة المسعودية جذعة • وماذلك على الله بعزيز •

كذلك رأيته فى حياة والده فأعجبت به• ثم بعده تأسفت على انه لم يسلس للعلم القياد فلولا ابن أخيه الاستاذ احمد بن محمد المذكور لشغرت المدرسة (البونعمانية) ولكن السعد لايزال يلاحظها فملاها هذا الاستاذ بالطلبة المنيفين على أربعين وفقه الله وكم أتأسف على سيدى البشير المحصل المستحضر حين لم يكن له الظهور الذى كنا ننتظره منه •

الخامس عشر سيدي علي بن احمد

أحد أولاد شيخنا وقد حصل تحصيلا ما على يد والده ثم تصدر لمزاولة الفقراء أصحاب والده بعده فامضى فى ذلك حياته مع ضعف شديد لازم جسده • وكان صوفيا مستنهضا للهمم الى أن توفى فى أواخر ١٣٧٩هـ رحمه الله • ولولوعه بالتصوف اقترح على جمع كتاب فى أخبار الشيخ الوالد فهو السبب فى كتاب (الترياق المداوى)

السادس عشر الحسن بن احمد

جاء ياقوتة الشباب المسعوديين أخيرا كما تاتى النتيجة وراء المقدمات وكان يجب أن ياتى فى طليعتهم • غير اننا اعتدنا منه ان نجعله قبل الانختام مسك لكل فذلكة أدبية • فاقتادتنا ألفتنا أيضا الى ذلك • والزهرة ءاخر ما تنبثق عنه الشجرة • وذيل الطاووس أفضل ماتشتهيه منه العيون • وليلة القدر فى أخريات رمضان

منشـأ لا

ولد سنة ١٣٢٧ هـ كما كتبه بخطه ظنا منه • بين أبوين فاضلين فقد رأيت مارأيت من والده وأما والدته فكانت من فضليات نساء ءال مسعود وكانت ربانية كريمة حصانا رزانا حبب اليها سماع المواعظ بشهوة نادرة • فقد كان للحاج محمد بن عدى الواعظ المشهور من (الغ) مقام سام فى قلبها وفى قلوب أخريات التفقن حولها فكن يقمن له بكسوة صوفية كل سنة • كما أخبرت به •

وعلى من هذه السيدة منة ان أنساها لها • وذلك اننى كنت أواخر ١٣٣١ هـ فى (المعدر) فى دار شيخنا زوجها سيدى أحمد • وقد انحصرت هناك عن الذهاب الى (بونعمان) لانقطاع الطريق اليه لحرب زبون • تدور اذذاك بين المعدريين • وابن دحان فى (تزنيت) فكانت قنابل كثيرة من خيل هذا • تقطع طريق (بوسنصار) وطريق (اكلو) فكنت أتناول هناك طعاما من (أبلاغ) «١» تناولا متكلفا لايكاد يبلغنى من وجبة الى وجبة • فكانت ترسل الى خادما فى وسط كل هاجرة وقد قال القائلون • فتدخلنى الى ممر الدار فتسرب الى

١)يطلق هذا الاسم على الشعير الذى تمضى عليه سنون كثيرة فى المطامير حتى يسود ويفسد ذوقه وهو معيشة اثرياء المعدريين اذذاك بل يلمزون من لاياكل منه بانه معوز فقير وقير لاثروة له

على يد الخادم خبزة من دقيق شعير جديد مع أركان فكنت لتلك النعمة شاكرا • لاأزال أذكرها • وأية نعمة • وأية منة مثل الحيلولة بين المصارين وبين السغب وكنت اذذاك صبيا مدللا فراعتني من حيث لااجد ازائي من يراعيني فكنت اذذاك ارى صبيين ابني خمس سنين يقفزان أمامي وعليهما دراعتان سوداوان وعلى أسرة وجهيهما ماكنت احسبه اذذاك طهارة الصبا • وأنوار الطفولة • ولو كنت أعلم الغيب لادركت ان في محيا أحدهما مع ذلك نورا اماعا مما تكنه خليقته من العبقرية النادرة في الادب العربي • ثم صرت أمر بعد ذلك بـ (المعدر) ذاهبا الى (الغ) وءائبا • فكنت ربما القى أحد الطفلين هناك كما ألقى اطفال المسعوديين الابرار فلم أكن اجد من الحسن المترجم مايميزه اذذاك عن صنوه على اما لكون العبقرية لاتبرز الا في الوقت الذي تبرز فيه الزهرة بعد استكمال الشجرة نموها الطبيعي واما لكوني اذذاك أيضا ساذجا • فحالت السذاجة بيني وبين تبين ماعسى أن يعلو جبين ذلك الطفل الذي خبأته الاقدار لتاتي منه بسوسي يرفع رأس سوس الى أعلى عليين

أخذ القرءان في (المعدر) وفي (بونعمان) وكثيرا ماينقطع عند والده هناك فيأخذ في مسجد قرية (أكرور) ازاء المدرسة • كما كنت أسمعه يحكيه

وقد كانت له اذذاك جولات في ميادين الرياضة في الكرة والفروسية ورمي الاهداف بالرصاص ومخالطة الاريحيين من الشباب القماص الهتاك لكل السجوف • ولكنه لم يطل عهده في ذلك وللنشاط في ذلك الطور جذور في الرجولة التي ياتي بها الطور التالي •

أساتذته في العربية و الادب

١ ـ والده الاستاذ كان أكبر أساتذته • لانه هو الذي أسس لمستقبله ما أسس

٢ ـ مبارك البعقيلي الاستاذ الكبير المشارط في مدرسة (أوخريب) ذكر أديبنا أنه أخذ عنه كثيرا • وقدكان انقطع الى مدرسته ماشاء الله ولكن ذلك لم يطل كثيرا (وقد ذكر مبارك بين أهله في هذا الفصل)

٣ ـ الحاج مسعود الوفقاوي الالغي المدرس الكبير انقطع الاديب الى مدرسته (الايغيلالنية) ماشاء الله • يحضر عنده دروسا كثيرة (ذكر في القسم الثاني)

٤ ـ الاديب داود الرسموكي العلامة الجليل النحوي الفقيه الخطير الشأن انقطع اليه في المدرسة (التيبيوتية) التي كان فيها ازاء (تارودانت) ويذكر

أدبينا عنه حكايات عالية • وتوجد ترجمة داود فى (القسم الخامس) مع أهله ان شاء الله

الاديب في الحواضر

تقلب الاديب فى هذه المدارس فلم تمض هذه التقلبات بين هؤلاء العلماء الكبار والاساتذة المشاهير • والادباء الفارعين من غير أن تترك فيه أثرا كبيرا • خصوصا محاككته بالاستاذ الحسن بن مبارك البعقيلى زوج اخته فقد ذكر الاديب أنه كان كثيرا مايستفز مشاعره الى الادب • كلما سقطت اليه أنباء عن كل الادباء الذين ينبغون اذذاك من جديد • فياتيه بمستطرفات مما يراه منهم أو يسمعه عنهم ولا أحفز للناشئة من تأثير الغيرة فى أفئدتهم ذلك هو ماصرح به الاديب عن مبدا نزعته الادبية • ويسمى من كان ياتيه بأنبائهم وأنه رفيقه الاستاذ الحسن بن مبارك واذا أراد الله شيئا • هيأ أسبابه • ذلك ماكان فى مدرسة (أوخريب) • ثم كان فى (ايغيلالن) وفى (تيبيوت)

لم أكن قط سمعت بوجود هذا الاديب • وقد ذهب عنى عرفانى بذينك الطفلين الوديعين • اللذين كان عهدى بهما فى دراعتين سوداوين بـ (المعدر) الى أن انكشف الغيب عن أحدهما • فبرز على بدره ليلة من ليالى رمضان ١٣٤٨ هـ • فقد حللت مبتدأ هذه السنة بـ (الحمراء) وأنا لا أدرى ما أصنع ثم تهيأ لى من غير ارادة منى ما تهيأ فكان ما كان من السبح فى الدراسات الى أن قطعها هذا النفى الذى نملاه بكتابة هذه الذكريات •

خرجت تلك الليلة بعد صلاة التراويح من مصلى زاوية (الرميلة) الى بيت فى ساحتها • فسلم على وانا مار من المصلى الى بيت انسان لاأعرفه • الا أنه لاقانى بالادب الصوفى المتناهى فقد خلع نعاله • ثم قبل كتفى أو راسى فدخلت معه وأنا غير آبه كثيرا به • لان أمثاله يدخلون على اذذاك فى كل وقت ثم ظللت أسائله فاذا به يفصح لى عن نسبه وأنه من المسعوديين الذين لهم دائما فى فؤادى اجلال واعظام فأمرت بالعشاء المتيسر أن يقدم فأبى الضيف أن يقبل • وقد أعلن بكل صراحة أنه كان تعشى فى مكان آخر قبل قدومه • ثم ملت اليه • وأنا أحسب أننى أكلم صبيا مسعوديا سوسيا • حفزه حافز الصبا ففارق أهله ليندغم فى الحواضر • كأنه عبد آبق • ولما جلت عليه من النصيحة الصريحة التى تتحدر بغير مواربة ولا ملاطفة • قلت له : الى أين اذن أنت متوجه ؟ فانه لاينبغى لك أن تخرج هكذا تدور فى البلاد • وتذر وراءك والديك • وشرف أسرتك • فأنت أنت • اتكون ككل الشذاذ السوسيين الذين تترامى بهم الطرقات • وتتلاعب بهم الغربة فظللت املى عليه بمثل هذا

الكلام • ومخاطبي أمامي ساكن لايحير جوابا • فحملت ذلك على ماكنت ءالفه من السوسيين البدويين متى دهموا الحواضر• فتختبل نفسياتهم لا يدرون ما يقولون ولا مايفعلون

ثم بعد لاى — ولم ينطق ينت شفة ـ استأذنني مخاطبي ان يرجع الىما نزل فيه • فاسعفته ثم خرج • ولم أعد أتذكره فبعد أيام جلست في (القيسارية) عند دكان الاستاذ الاخ العزيز عبد الجليل بن القزيز فقال ان هنا سوسيا أديبا ينشدنا مقطعات لطيفة للسوسيين فأنشدني منها القطعة البائية لابن العربي الادوزي في تفسير (روح المعاني) فملكني العجب • فقلت له : ليت شعري من هذا السوسي ؟ فذكر أنه طالب نزل جديدا في المدرسة (المواسينية) فلم أكن أهتدي الى ان صاحبنا البونعماني هو هو • لانني ماكان عندي في تلك المنزلة اذذاك • وقد استحوذت على غرارة نحوه • فكنت أدفعه عما هو فيهامته مستقر • وفي يوم صادفته هناك أمام الدكان • فاذابصاحبنا هو الذي سلم علي في تلك الليلة • وسرعان ماانكشف عنه السجف • وتجرا قليلا علي في المجاراة فيالادب • ثم لماقمنا من الدكان عرضت عليه أنيصاحبني الى (الرميلة) فاعتذر لي اعتذارا مشوبا بأنفة فسامحته ولم يدر بعد في بالي أنه متأثر بما سمعه مني من ذلك التأنيب ليلة لاقيته • والنفس الابية تحتمل الموت ولا تحتمل مثل ذلك • ثم صرت بعد ذلك اعلم أنه استقر في المدرسة (المواسينية) عند الطلبة الابزيويين الكرام • وقد عرفوا من نفسيته بسرعة • ماكنت أجهله منها • فربطوه بما يربط به الكرام أهل الاريحية الادبية فنزل عندهم نزول الضيف على ءال المهلب شاتيا (١)

ثم بينما كنت أدرس يوما المقامات الحريرية في مسجد (ابن يوسف) اذا ببعض أسئلة عليا أدبية توجه الى من أحد الحاضرين • فخطر في نفسيأن السائل هو دون ذلك المقام • ولم أعرف أنها من فكرة صاحبنا الا بعد حين

تعارف الاديب السوسي الجديد بطبقة مستنيرة بـ (الحمراء) فمازجها على حين أنني لاأزال واياه في كفتين لانني اذذاك لاازال متلبسا بانزواء وبعبارة اصح انني لاازال جاهلا نفسية هذا الاديب السوسي الجديد الانوف فانه سهل الامتزاج • ولكن لمن فتح له صدره • وعرف له مكانته • وصفق لنبوغه • وعترف بمكانته في الادب

---

١) قال الشاعر

نزلت على ءال المهلب شاتيا	غريبا عن الاوطان في زمن المحل
فما زال بي احسانهم وافتقادهم	وبرهم حتى حسبتهم أهلي

جال جولة قصيرة في حواضر المغرب ونزل ماشاء الله في مدينـة (بني ملال) فيتردد الى(البيضاء) وما اليها • فصقلت مرءاته • وانقشعت عنه الغشاوة • فلم يكد ينزل بـ (الحمراء) من جديد حتى لاقيته اثر نزهة الطلبة يوم اقامة الحفلة المعلومة للاساتذة فيالمدرسة (اليوسفية) فلمينتظرالبونعماني في هذه المرة أن أحاول أنا الاتصال به بل أقدم فهتك السجف الرقيق الذى يحول بيني وبينه بيده • فتقابلنا وجها لوجه • فلم يمض الا ثوان • حتـى امتزجت الافكار وتعانقت القلوب وتعانقت قلوب أبناء الخالات (١) فزال كل شيء • ولعل ذلك تم اما في أواخر ١٣٤٨ هـ واما في أوائل التى بعدها ثم صرنا معا في صف واحد يبث الدعاية الادبية العلمية في جهة • وأقوم أنا في الجهة الاخرى بتدعيم الدعاية بالفعل فدخلنا متساندين في طـور ءاخر له ماله في الحياة المراكشية الادبية العامة ولي أنا الدروس الادبية المتابعة ثم رجعت الحياة الى الادبيات التى كانت مؤودة في قلبي بسببه فكان هو في جهة والاستاذ ابرهيم بن أحمد في أخرى يعاونانى كل المعاونة فيالمهمة التى انتدبت اليها فكما ان لـلاستاذ ابرهيم مرجعا كثيرا مـن النجاح العلمي فيما كنا نزاوله اذذاك • كذلك يرجع مثل ذلك في فن الادب لهذا الاديب البونعماني الذى خلق من الادب وللادب • وأنفاسه وشمائلهكلها من الادب والى الادب • بعدما أدبه باريه فاحسن تأديبه • وقد كنت اعرضت عن صوغ القوافي • وبسببه رجعت اليها • فالشكر له اولا وءاخرا •

رحلته في جزولة

كلنا من (سوس) وهناك كثيرون من حملة الفهم والعناية ؟ نبتوا كلهم من(سوس) غير أن هناك حقيقة تاريخية لابد ان نعلنها • وأن نقر بها نحن كل السوسيين الذين اتصلوا بالحواضر تخريجا أوزيارة أو سكنى وهيأننا كلنا لم نكن بعد لنتذكر (سوس) بعدما وجدنا في الحواضر وفيعلمها وافهامها وفي أفكارها وفي مدنيتها ما أسكرنا حتى نسينا أنفسنا ونسينا سوسنا • وأمجاد سوسنا • ورجالات سوسنا • ومن نسي بلده وأصوله وسلفه • فلم ينس الانفسه • وان كان من أهل الشعور وهذه الكلية الجامعة المستغرقة لكل فرد فرد • لايمكن للمنصف أن يستثني منها الا الحسن البونعماني فقط فلئن كان للمانوزى جولات في هذا الميدان • فانها لم تخرج عن محاورات في المجالس وملفقات مكتوبة ملاها بالتنفج • وبما يظهر من التحيز • وامالالتفات الحقيقي لاحياء المجد السوسى العلمي والتاريخي من غير تنفج ولاتحيز فان

---

١) هو ابنأحمد بن عائشة بنت السيدة تعزى الاغرابوئية وأنا ابـن رقية بنت زينة بنت تعزى الاغرابوئية

البونعماني وحده أبو عذره • أقول هذا وأسجله على نفسي بكل انصاف واقرار وأنا (باتمي) كما يقول سادتنا العدول

سيطلع المطلعون غدا على ما أقوم به من الكتابات في هذا المنفى حول هذا الموضوع • وكان يمكن لي لو أردت حجب الحقيقة أن أطرق ماشيا في سبيلي لاغر القارئين • فيدركون غلطا أنني أبو عذر هذه الفكرة • والواضع لاسسها من أول يوم • غير أنني لاأحب ان القى الله كذابا • وأن أمثل دورا يمثله كثيرون من المتنفجين الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا

كنت خلوا من هذه الفكرة المتسعة هكذا فان كان يجول في فكري شيء فلم يعد النقطة الادبية • غير أنني ماكدت أتصل بالبونعماني بعد رجوعه من رحلته (الجزولية) حتى صرت أسمع جديدا أستحليه كل الاستحلاء • فاتمنى لو وجدت وقتا وفراغا للعمل فيه • ثم جاءنا الفراغ اليوم في هذا المنفى مرغمين فعملنا مرغمين

رجع الينا البونعماني • فصار يسرد علينا مما رءاه في ديار الجشتيميين والتمليين وأمثالهم • ويعرض على من مقيداته ما وقفت ازاءه مشدوها • فكان أول يوم سمعت فيه ماهز مني النعرة الجزولية • وكان ذلك في أول سنة ١٣٥١ هـ فكانت جلساتي معه اذذاك دروسا ابتدائية عن تاريخ (جزولة) فلم أكن أدرك قبل ذلك عظمة (جزولة) العلمية • ولا أقدرها حق قدرها حتى اندفعنا الى ذلك • فظهر ماظهر • وما في النية ان يظهر بعد ان شاء الله •

وقد جمع الاديب مواد كثيرة لرحلته ونظم ترتيبها والكن شغلته شواغل عن كتابتها الى الان • ومواده هي بعينها ماسخا لنا بها جزاه الله خيرا فضممناها الى ماأدركناه بجهودنا فمثل بين القاريء مامثل في هذا الكتاب وفي غيره

تلك هي الرحلة الجزولية للشاعر البونعماني كما اشتهر به في كل المغرب • وذلك هو تاثيرها في أحد قرائها • وهل لمثل هذه الرحلة من ثانية في تأثيرها ؟ قولوا • لاتسكتوا •••

توظفه

قضى الاديب ماقضى بعد الرحلة • وهو يحاول أن يجد له مستقرا ثابتا يمكن أن يؤسس فيه لمستقبله • فقد بدأت شهرته تسري من محفل الى محفل ومكانته الادبية في طريق الاعتراف بها • ومثل العلامة ابن زيدان يشيد من ذكره • لما رءاه من أفكاره وقصائده • كما أن القراء الجدد التفتوا اليه منذ نشر قصيدته عن (شوقي) وقد نشرت في سجل تابينه المطبوع • واذكر أنه

كان قال تلك القصيدة فى ليلة كما وجدته فى هذه الكلمة التى كتبتها اذذاك لرئيس مجلس تابينه الشاعر الكبير • الزعيم الاخ علال الفاسى وقد كان هو ومن معه ينتظرون منى قصيدة فى الموضوع • ولكن لم يتيسر لى ذلك فحين تيسرت قصيدة هذا الاديب كتبت معها اليه طالبا نشرها مانصه

(الاخ الاديب شاعر الشباب • وقلبه النابض علال الفاسى تحية عطرة وسلاما ذكيا • واحتراما فائقا

ذيـاك المقـدام (عـلال) يحـوطـه عـز واجـلال
ما النشء للشعب سوى أضلع وقلـبـه النابض عـلال

أما بعد فقد وصلت نفحات الاحتفال الزاهر • وأسمعتم أيها الاخوان من كانت له أذنان • فهكذا يقوم بالواجب من يشعرون أمثالكم فلئن ارتج على أخيكم الذى تزعمونه مفوها • فقد نبغ لكم سوسى ءاخر • فهل أنتم بـه مبتهجون ؟ ولئن أكدى فكر المختار • فقد فاض ينبوع شاعر القطر السوسى الحسن بن أحمد البونعمانى • فقام ببعض مايجب علينا معشر السوسيين نحو شاعر العروب جمعاء لاشاعر المصريين وحدهم فهاكم قصيدة تعرب عن نفسها • وعن نفسية قائلها الذى عهدنا منه قبل ماستعهدونه منه منذ اليوم مما تلمسونه من قصيدته هذه لمسا • فلئن تأخرت عن موعد الاحتفال • فما ذلك الا لانقائلها لم يشتغل بها الا تلك الليلة نفسها فليعتبر من الذيـن صلوا فى الصف الاول ومن المجلين فى ميدان الاجابة من أول يوم •

(ومن أقام على عذر كمن راحا)

* * *

كذلك كنت أول من أعلن للعالم اسم الحسن البونعمانى المفوه • وَنالَه لقب شاعر القطر السوسى ثم لامنة من ذلك • لانها حقيقة تعلن عننفسها

ثم كان لتلك القصيدة أثر كبير فى الاوساط الادبية ثم كان بعدها ماكان ثم أنه كان كلما حاول أن ينفتح أمامه باب لماموله اذا بحرفة الادب تأبى الا أن تسده • بل تحكم سده وكان فى سنوات ٥١ ـ ١٣٥٥ هـ يمكث معنافى (الحمراء) أو ينقطع الى (مكناس) أو يتجول فى الحواضر • ولكنه لايطيل المكث الا فى (الحمراء) حيث كان له مقام كبير ومنزلة مامثلها منزلة •

وفى مفتتح (٥٥) أو بعد ذلك بقليل • ذكر لى أنه عرض عليه وظيفة أستاذ بـ (الرباط) ولكنه ياباه كل الاباء • لان مثل نفسيته الانوف • لاترضى بالصغائر فندبته الى أن يقبل ماتيسر على كل حال لان الدرجات يترقى فيها شيئا فشيئا فتبعنى فاستقر هناك فى صيف تلك السنة ثم تأتى له أن يزور (الحمراء) فى ذى الحجة فصادفنى غائبا عنها • فدخلت يوم خروجه

ثم لم انشب ءاخر ذلك الشهر ان تلقيت صدمة النفي فتلقفني (وادي نفيس) الى (الغ) حيث هذا المنفى السحيق الذى اكتب فيه هذا

أخلاقه

يقولون لى صفها فانت بوصفها   خبير اجل عندى بأوصافها علم

كان الرجل غريبا في أنفته التي ليست من نوع التكبر المذموم • كما كان عجيبا في معاشرته • ولم أر قط منه والله يشهد ما يسوءني مع الملازمة الدائمة • وأنا ما أنا في ضيق أخلاقي أحيانا فكان ألطف الناس بي ان شاهد مني مثل ذلك الحال • فيكون لطفه لثورتي بردا وسلاما • فاذ كنت سرعان ما أثور • فانني أجده ازائي بنكته اللطيفة الحلوة خير أخ يعرف كيف يكبح من جماحي • ويغض من غضبي •

فلئن كان لادانه دائما حضورا وغيبة • فياويل من يمد اليهم لسانه من أضدادهم فانه يلقى من مقوله علقما على من صبه الله ولا خير في وردة لا شوكة ازاءها

تطور بسرعة من البداوة الى الحضارة • فمن يراه يحسب أن لاجداده في حدائق فاس مالابناء سودة ولابناء الفهري • وللصقليين ولاولاد ابن الحاج من مآت سنين • وكما تطور في هيأته وخلقته تطور في دماثة أخلاقه • فقد اجتمعت فيه نسمات الاداب • ونسمات الحضارة • فغادرته من ألطف ماتنظره العين • وتسمعه الاذن فتحلو معه المعاشرة •

كان من أوسع الناس صدرا بين كل الناس بعيدا عن ثورة الغضب ما دام في وسطهم لكنه ازاء من يحس منهم غير الوداد• مرهف ماضي الشفرتين كالكهرباء • فبمجرد لمس زرها ينادى يا سلام ياسلام •

كادت أريحيته الادبية تستبد به حتى اشتهر بها وبفكرتها وباستحضار مايليق ان ينشد فيها من الابيات • فان كان في مجلس خاص من بين من ينهتك بينه وبينهم الستر • تراه يكاد من خفة الروح يطير • ولا أستطيع أن أحصى كم كان ينشد قول الشاعر

في انقباض وحشمة فاذا   صادفت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها   وقلت ما قلت غير محتشم

وينشد

يقول ابن عباس تهنك سترنا   متى كان من ستر فينهتك الستر

فبينما هو ينشد ذلك بلسان مقاله اذا به يمثله بلسان حاله فبهذه السجية كان مقربا الى كل القلوب • فسرعان مايالف ويولف • ثم هو مع ذلك من أحرص الناس على المروءة • وعلى تنكب ماعسى ان يوثر فى جلسائه من فلتات اللسان فكان ازم الناس للسانه • وماظنك بمن يكب على كتاب الاحياء للغزالى أفلا يكون عفيفا تقيا نقيا

كنت أذكره لاستاذنا سيدى المدنى بن الحسنى الرباطى ثم لما رءاه وكان هو أيضا من اكبر الناس اريحية • صادف منه ماكان فى طبقته فبمجرد مالاقانى بعدما رءاه بادرنى بقوله حقا ان البونعمانى لخليق بأن يوصف بما توصف به الطبقة العليا من الادباء الاريحيين المرحين

كان من أكثر الناس اعتناء ببزته • وبكل ما اليه حتى خطه • فانه من ارفع الخطوط • يحتفل له • كما يحتفل لكل مايصدر عنه • ولايريد أن تقع منه العين ما استطاع على مايواخذ به • فكنت كلما رأيت منه ذلك وفكرت فيه أتذكر ماقيل عن عبد المومن الموحدى الذى نشأ بدويا • ثم لما انتشب فى الملوكية والحضارة صار كأنما كان له فيها اجداد

كان صريحا أحيانا الى الغاية • فكثيرا ما أعذله عن ذلك • فأقول له يجب عليك أن لاتكون بمثابة هذا عند كل أحد • فيقول ماذا عسى أن أصنع فهكذا خلقت • وليس لى ولا لغيرى أن أبدل ما لا أحبه منى ثم لم تزل به الحوادث حتى كفكفت من غلوائه • فكان أرعى الناس لكل أحد

كان فى مخاطباته ذا فخمية ياتى بالالفاظ المكهربة للنفوس • غير أنه لاياتى بذلك الا عن اعتقاد لصفاء وداده • لانه اذا ود • ود بكل جوانحه • فيرى لمودوده كل مقام رفيع • وفى رسائله وفى مخاطباته طرف من كل هذا • حتى انه ليوثر فى هذا الخلق فلا أدرى حتى أقع فى مثله • مع محاولتى أن لاأكون هناك • وهذا من سحره • واسحره عندى ءايات بينات ومعجزات خارقات ءامنت بالله وبسحر البونعمانى

سقيا لذلك العهد الذى كنا فيه شبحا واحدا • وروحا متحدة وكان لنا جيب لايتجزأ • ومجلس لايحوم حوله الا مايحوم حول طفافى الكاس البيضاء المترعة بالحميا المعتقة • فلذلك العهد يرجع كل مانراه جميعا فى غابر الحياة من اخاء متين ووداد صاف • ومعاهدة ادبية • احكم السعد أواصرها • وختمت الاريحية أوائلها وأواخرها وجماع اخلاق البونعمانى الاخوية فى جملة : كن له يكن لك •

نفحة من أدبياته

الاديب البونعماني من الشعر الحي المنتقى غالبه ماذكر بعضه هنا مقتنعين بما تيسر • وما مثله من نكون حريصين على تخليد شعره كل الحرص لان ديوانه سيخلده • فكما أنه ليس بنكرة اليوم في حياته • كذلك لايكون نكرة في التاريخ

من قصائده

(الهجرة تقول)

أناشدكم هذى القرون المواضيا — فهل انتم تدرون فيها مكانيا
وما احرفي تجدى اذا غمضت على — بني العرب والاسلام يوما معانيا
أنا (الهجرة) الكبرى أناغرة الدنا — ملات سنا أيامها والليا ليا
وأرسلت في أفق الوجود أشعة — بها انجاب ماقدكان في الافق داجيا
نشرت (جديدا)(١) في البرية مثلما — طويت (قديما) ٢ كان يعدم طاويا
وانكرت أسباب التفرق في الورى — وأعلنت بين العالمين مبادئا
وقلت ابعد (الفتح) ٣ ياقوم هجرة — تزلزل أطواد العقول الرواسيا
سلوا الدهر عنى كيف روع مظهرى — ممالك لاتدرى خطوبا عواديا
فلا هجرة بعدى يخلد ذكرها — فهيهات ان يلقى الزمان مثاليا
أضارع تاريخ (المسيح) بشهرتى — وان كان قبلي باعتزازى شاديا
أراه أمامي لايزال مسابقا — الى ان حباه الله دونى امانيا
وعصرى هذا قد تقاعس حظه — لقومي وأضحى في الاعاجم زاهيا

* * *

هلموا بني العرب الكرام تداركوا — ذماء (٤) يكاد ان ينال التراقيا
وأحيوا من العلم الصحيح معالما — أخاف عليها أن تصير بواليا
وردوا لنا ذاك التليد وجددوا — عزائم تصطاد الحسام اليمانيا
وسيروا على أخلاق أحمد انها — لتمنحكم أشهى المنى والمعاليا
وشدوا الرحال للثقافة والعلا — ليكسبكم ذاك اقتدارا اداريا
ولا تكبروا أخذ المعارف والنهى — بغرب وجوبوا للوصال الفيافيا
فبا لعلم تحتل الشعوب ممالكا — وتغدو به بعد الخمول ضواريا

---

١) الاتحاد البشرى تحت راية الاسلام الذى هو دين السعادة الابدية
٢) تفرق الامم
٣) فتح مكة الذى ترتبت عليه فتوح الاقاليم
٤) بقية الروح في الجسد

وهادولة (النمسا) كأن لم يكن لها صدى حينما احتلت بها (الامانيا)
فلاغرو ان ذاقت من الظلم مره ومن قبلها غزا (الجسور) النجاشيا
كأن (مسوليني وهتلر) سابقا الى غصب مايرى على الارض باقيا
وفي (أوربا) ماتعلمون أمايرى بنو الضاد أن يقفوا هناك المساعيا
كفاها نبوغا ان يشاهد عندها أجل العصور مدهشا كهربائيا
وهل لغتي تاتي بأسماء مثلها تدل على معنى يعد اختراعيا
ففي طوفها ان تستجد وانما بنو لغتي الفصحى أضاعوا كتابيا

* * *

سلوا أعصر (الزوراء) عن اثري بها اذ العلم يستهوى هناك الجواريا
واذ عم مافوق السماك محلقا فيخترق الحد المنيع النهائيا
و (أندلس) قد شيدت مدنية ونالت بها بين الشعوب المراقيا
ورب خفيف الروح بين جدارها يرى طربا أقصى المنى وأغانيا
وءاخر تستهوى المعارف لبه ويأنف أن ياتي الاديب الملاهيا
ف (فردوسنا) المفقود حين ازدهاره يساجل أرباب القريض الغوانيا
بـ (ولادة) يرتد سحر حلالها قصائد شعر تستفز المعانيا (١)
(رميكية) اميرة الحسن والبها لها أدب غض يروق النواديا (٢)
فلولا (رباب الكاظمية) ما درى بنو العصر هل تدرى الفتاة القوافيا ٣
فيا ذلك (المفقود) قد طبت منزلا وان ملا العاتي ذراك مساويا
وياجنة الدنيا ويا غاية المنى رعى الله في مأواك تلك المغانيا
لقد رضى التاريخ عنك فكم حبا لدين الهدى منك الهداة أياديا
ولله منهم معشر شهدوا الوغى فكم ارخصوا فيها نفوسا غواليا
وذادوا عن الاسلام حتى كأنما تصورهم حين النضال ضواريا
بكل يراع يحجم العضب دونه ويرجع مفلولا اذا كان راميا
وعافوا التسلي في رباك وهاجروا الى حيث ورد الدين أصبح صافيا

* * *

الا أيها العصر الجديد أما أرى لداء بني العرباء منك مداويا

---

١) ولادة بنت المستكفى من الملوك الامويين بالاندلس بتشديد لامه الممدودة محبوبة ابن زيدون من شعراء الاندلس

٢) الرميكية بضم الراء وفتح الميم وسكون الياء ثم الكاف المكسورة زوجة المعتمد بن عباد وهي منسوبة لسيدها الذى باعها وقد دفنت ازاء زوجها في (أغمات)

٣) الكاظمي من الشعراء الشرقيين المتوفين قريبا وبنته رباب شاعرة ولعلها لاتزال حية

هموا جهلوا هذا العضال وانقضى ... عليهم فمن ذا لى يـزف المراثيـا
وقل لشعوب الغرب رفقا بأمـة ... رأت نشأها أضحى من المجد خاليا
تذكرنى شباب عصرى وكلما ... تذكرته يذكى الفؤاد المآقيا

* * *

ومن بين قصائده (العرشيات) هذه القصيدة التى رفعها الى صاحب الجلالة والمهابة سيدى محمد بن يوسف بمناسبة عيد تتويجه وجلوسه على عرش أسلافه الكرام فى شعبان سنة ١٣٥٤ هـ قال

تاج على هام العلا معقود ... والتاج لو فقد العلا مفقود
تاج يقوم لـه الـزمان ويومـه ... من بين أيام مضت مجدود (١)
يوم له الايام حساد لما ... قد ناله وأخو العلا محسود
الله يشهد أن يومه فى الورى ... هـذا ليـوم مفرد مشهود
فى جبهة الايام غرتها الـتـى ... هى فى الوجود مرامنا المنشود

الى ان قال فى وصف مكناس

مكناس عاصمة الفخار ومهـده ... والتاج فيها دائمـا معقود
ءاثار اسماعيل ءايات لها ... فــى الدهر فوق الخالدين خلود
تعنو القياصر والملوك لمـجـده ... وهم لذكره ركع وسجود
فخر الملوك وجدك الفرد الذى ... قد نال ملكا ما عليه مزيد
أوتيت تاجه مالكا عـن مالـك ... ورقيت عرشه فاستنار وجـود
باه الملوك به فان له صدى ... فى كل مملكة ويومه عـيـد

الى ان قال فى وصف عيد العرش

مااشرقت شمس الضحى حتى علت ... فى الجو تخفق فـى البـلاد بنـود
وغدت ترفرت والملائـك حـولها ... والنور ياتى فى السما ويـعـود

الى ان قال

ان كان للشعراء فيـك قصائـد ... فلدى مـن درر القريض عـقـود
وأنالها حسان أنت محمـد ... وجنابـه وسليله المـحـمـود
فاذا نظمـت الشعر فيـك فانـه ... عقد على جيد الـزمان نضيد
وقصائـد الشعراء ان تاهـوابها ... فقصيدتى من بينهن قصيـد

الى أن قال فى وصف اجداد الملك المحبوب

بجحافل وكتائب مثل الـدبا ... ملكوا تضيق بها الفـلا والبيـد

---

١) مجدود : اى ذو جد بالفتح وهو الحظ

جابوا بهـا فيـح المهامـه لايرى   فى أرضها الا السنا والسيد (١)
ويضل فـى أرجائها سرب القطـا   ويحار خريت بهـا ويبيـد
فتمهدت بسيوفهم والملـك لا   ياتيه الا بعدها التمهيد

الى أن قال

يا أيها الملك المعظم انت فـى الا   وطـان مجد طـارف ونليـد (٢)
احييتها مـن بعد انلعبـت بهـا   ايدى الحـوادث واعتراها السود
لولاك ما وصلـت الى هذا المـدى   كلا ولا بين الشعوب تسود
وبك ارتقت وتقدمت وتدفقت   علما وطاب لوارديه ورود
ان لم يكن للشعب حـظ وافـر   فى العلم فاحكم أنه مـؤود
من يطلب الملك الكبير فـانه   بالعلم والمال الجسـيـم يشيـد
بهما يقوم الملك عن أركانه   والسيف يحـمـى واليراع يـذود
(المعهـد القروى) مفخرة وهــل   بين الشعوب نـظيره مـوجـود ؟
هو للمفاخر والمـعـارف والنهـى   والعبقرية والفنـون مهـود
أم المدارس وهى منه تفرعت   تاتيه من كل الجهات وفـود
نظمته ان النظـام لامـة   راس العلا والى النبوغ يقـود
فبه امتطوا مـتـن الثريا مظهرا   وهـم وقـوف بيننا وقعـود
أس الممالك فى الحياة وروحهـا   من فاتـه فالبائس المنكـود
لولاه ما ارتقـت البـلاد ولا رأت   فى معرك كيـف الطراد جنـود
فى عهد ملـكـك للعيون عجائب   والشعب بـالملك السعيد سعيد

الى ان قال يذكر الامة

فبفضلكم رجعـت كما كانت وزا   ل غـرورها وخمـولها وجـمـود
لاغرو فالمجد المؤثل مجدهـــا   وكذا الفروع الى الاصول تـعـود

* * *

المغرب الاقصى بتاجك تزدهى   أقطاره وشبابه المحـمـود
من كل شهم مخلص متنور   لم يثنهم ان ازمعوا ترديـد
خدموا وما منوا على أوطانهم   اخلاصهم لك فى القلوب شهـيـد
اليوم أشبال البـلاد وفـى غـد   بوجود مـولانا الابـى اسود
فكأن هذا التاج فـى افق العـلا   فلق الصباح اذا بـدا وعـمـود
ما ان بدا حتـى تـتـوج مـعوز   ورأى به ما يرتجى منجود (٣)

---

١) السنا من بنات البادية والسيد بكسر السين الذئب
٢) الطارف والتليد أى الجديد والقديم
٣) المنجود ....

تلـك المـزيـة لامـزية بعـدهـا ولها على طول البقا تخليد
ان عشت فينا سيدا عشنا كما شئنا والا فالجـمـيع مسـود
عش للمعالى ما حييت فأنت فـى اكنافها دون المثيل وحـيـد
عش فى البلاد مؤيدا ومؤزرا فالكائنات كما تشا وتريـد
الدهر يخدم والخطوب خواضع والنصر يتبع والهنا ممـدود
وولى عهدك فى حماك تحفه فــى حجر مولانــا الهمام سعـود

* * *

وهنا أيضا فى نفس الموضوع قصيدة اخرى عنون لها بقوله
(جلالة مولانا الملك على أريكة العرش)

للعرش دم فى اعتزاز أيها الملك لم يجر الا بـمـا املته الفـلـك
وابعث من الشعب اٰمالا يعز بها (خفاقة) دونها شوس العلا هلكوا
بك العقول استنارت اذ الـم بها يوم الفجيعـة من ظلمائها الحلك
لـولا دهاؤك فيهم يـوم جمعهـم لكان من أغرب التاريخ ما سلكوا
بالليل قد مكروا ما لست تجهله حسو ارتغاء اذا لم يـنفع الشرك
لله منك فتى المجد همتـه والعلم والدين والاخـلاق والنسك
ان الجدود تناهوا فى مفاخرهـــم فأنت زدت على ما بعدهم تركـوا
مـولاى يهناك (عـيـد) لاتماثلـه أعيادمن فىمضى الدهر قد ملكوا
انشر على المغربين العلم ان بـه يحتل فىالعصر منيحتل لاالحسك١
لايرتجى لبلاد نيل مـطلـبها ونشئها فى صنوف اللهو منهمك
ان الحيــاة كمــا ترى عجـائبهـا مجال معترك يتلـوه معترك
فلنعتصم باله العالمين عسى ان لا يصيرنا ممـن هـم ائتفكوا
ولنتخذ غيرنا أقوى الدليل لـنـا ولنعتقد أن باب الوصل مشترك
ولنتحد اتحادا لاتزعـزعـه سود النوائب حين الجو مشتبك
واسمع هتاف الرعايا وهى قائلة للعرش دمفى اعتزاز أيها المـلك

ومن قصائده هذه التى رفعها الى مولاى الحسن الخليفة السلطانى بتزنيت قال

يا من بطلعته العلياء تقترن ومـن بنخوتـه سيزدهى الوطـن
يهنا سموك (عيد) أنت رونـقـه عداك مثل الاضاحى فيه تحتفن ٢
سوس يفديك بل يفديك شاعره وداده لك مـنـه السر والـعـلن

---

١) يقصد بالحسك السلاح

٢) الاحتفان جعل يديه تحت ركبته واخذه من مابضه ومثل هذا يجعل للاضحية التى تربط للذبح

مولاى من لى بوعد منـك ارقبـه
يجفو جفونى اذا ذكرته الوسـن

من لى بمنجزه فى فرصة حضرت
مـن بعد سيدنـا انـى بـه قمن

انى وحـقـك لاانثنـى العنان الى
ان اعتلى ذروة تحنو لها القنن

ولست أنشد ان عين المنى غفلـت
ما ينشد المرتجى ان مسه وهـن

(ما كل ما يمـنـى المرء يدركـه
تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن)١

بل ادرك المجد كل المجد عندك يا
من لايعاكسه فى عزمه الزمن

لم لاينال وحيد الود منك مـنـى
وبيننا ما سرى بذكره الظعـن

قصائدى فيك فى الافاق ناطقـة
بحسنها عاشق الاداب مفتتن

فتى المعالى فتى الاقدام لابرحـت
أيامكم ينجـلى عنا بها الشجـن

أبقاك ربـى لنا فـى ظل سيدنا
حصنا فلا تهتدى لمن به المحـن

بشرى بما نلت مـن صيت لقد خلدت
فـى كـل ذى أدب عنهم لـك المنـن

فى الحادى عشر من ذى الحجة ١٣٦١ هـ

وهذه أخرى لسعادة الخليفة أيضا وقد عنون لها بقوله

(لسان حال الباب السعيد • يقول)

(أنا باب المسرة والامانـى)

الا يامـرحبا بالواردينـا
لقد بلغتموا المأمول فينـا

أنا باب المسرة والامانـى
هلموا فادخلوه امنـينا

وحيوا اى ابداع اذا مـــا
رأيتم ما يروع الناظرينا

أتى فى الـذوق تشييدى مثالا
عجيبا فـوق ظـن الراسميـنا

سموت كما يشا من شيدتنى
عـزائمه بصـف الخالـدينـا

أشاد مطالع الاسعاد اهدى
سناء طلوعه للراصدينـا

فتاهت بى على (الزهراء)(٢) سوسر
ونالت بى المنى فى العالمينا

لمولانا الخليفة فـى المعالى
ميول العاملينا الطامحـينـا

هو الحسن بن يوسف من تجلى
بما للاذكـيـاء النابـغيـنا

سهمته ترونى رمز مـجـد
على طول المـدى للتابعينا

أدام الله مسعاه وأبـقـى
علا المـولى أمير المـومنيـنا

وأولى للورى بهما اعـتـزازا
وللاسلام تاييدا مكيـنـا

وفى التاريخ خلد مستديما
فخارهما بحبـر المخلصـينا

فى ١٥ ربيع النبوى ١٣٦١ هـ

---

١) البيت للمتنبى

٢) الزهراء : قصر بناه عبد الرحمن الثالث الخليفة الاموى بالاندلس

ومن بين قصائده التى يودعها لواعجه وهواجسه هذه القطعة وقدخاطب فيها جلالة الملك

أمير المومنين سئمت دهرى | واحرج من خطوب الدهر صدرى
ونلت من الرزايا فوق حظى | وكنت صبرت حتى عيل صبرى
فجئت الى حماك أبث شكوى | يذيب سماعها جلمود صخر
لك الشكوى ببأساءى من لى | وقومى ضيعوا أدبى وشعرى
(أضاعونى وأى فتى أضاعوا | ليوم كريهة وسداد ثغر) (١)
وليس يطيب عيشى فى حياتى | اذا ما لم انل أشتات فخر
وارقى ذروة العلياء حتى | أرى نهر المجرة دون نهرى
لماذا لا أعيش عظيم جاه | ويظهر للغبى علو قدرى
وعصر محمد عجب عجاب | تقاصر عن فخاره كل عصر
لماذا لا أعيش به عزيزا | وفيه نال ما يرجوه غيرى
اذا ما لم أعش موفور حظ | بعصر محمد يا سوء عمرى

* * *

واذا كان لعرش ملكنا المفدى من قصائد اديبنا نصيب فان لعرش دولة الشعر أيضا من قصائده نصيبا • فقد مر على شاعرنا زمن لم يشد فيه هزاره فحرم المصيخون رنات صوته الرخيم • فسرى فى بعض الاندية ـهمساـ أنه اجبل (٢) فبلغه ذلك مبلغ • فصادف فى يده يراعه • فهزه فى وجهه • وهو يقول له مطلع هذه القصيدة ثم استرسل فيها حتى تمت برمتها • وقد وشح صدرها بهذا العنوان

(العرش يعرف من أنا)

عرش القوافى لايصان كيانه | ما لم يطع هذا اليراع زمانه
هو من درى عرش القوافى انه | فرد المعارك لايطاق طعانه
فاذا رمى يوم الرهان فطعنة | نجلاء يعرف وقعها شجعانه
ذاك اليراع مهندى يدع العدا | صرعى وتقصر دونه اقرانه
العرش يعرف من أنا ومن الذى | فى الدهر يجهل اننى (حسانه)
هذا اذا ما قلت شعرا خالدا | واذا خطبت فاننى (سحبانه)
أما الخيال فعند أمرى جنده | ان جشت فهو لمرقمى عبدانه
وترى الكلام متى أريد ملبيا | يوحى لى السحر الحلال بيانه

* * *

---

١) ا بيت للشاعر العرجى من قطعة

٢) أجبل الشاعر اذا ذهب عنه الاقتدار على قول الشاعر بعدما كان يقوله

وزعانف زعموا بأني مجبل ... فقد البلاغة والبيان لسانه (١)
من كل فدم شاغر متشاعر ... ملا البسيطة والفضا هذيانه (٢)
من هم منهم ان يشيم مكانتي ... يزداد دون مرامه حرمانه
عجبا لهم جحدوا أيادي شاعر ... اشعارهم مما يخط بنانه
ولو أنني اجبلت يوما ما شدت ... بحديث ما يروونه ركبانه
كلا فاني ذاك الغرد الذي ... تحيي بحسن غنائه الحانه
فاذا تغرد فالهزار يشوق من ... تغريده وتهيجه أشجانه
يهوى أغانيه الشجية كلما ... يشدو تميل بشدوه أغصانه

* * *

اني رضيع الشعر والاداب وال ... ـمجد الذى قد اورثت عدنانه
والشاعر العربي يظهر شعره ... أسلوبه في صوغه عنوانه
واذا تكلم فالمعاني مثل ما ... طفحت بمختوم الرحيق دنانه
او قال شعرا فالفؤاد كأنه ... معمود ذاك اللفظ أو نشوانه
ما الشعر الا مايهزك لفظه ... ويثير فيك مكامنا وجدانه
لاما يقول المدعون تكلفا ... فعلى السواء هجينه وهجانه (٣)
فلو أنني أنشدت يوما جلمدا ... شعرى لذاب بروعه جثمانه
أو قلته لمتيم لسلا وان ... قد عز في امر الهوى سلوانه
ولسوف يعرفني الزمان وأهله ... ان قيل جل على النهى فقدانه
جهلوا مكاني في البيان وما دروا ... اني فتى تحيا به أوطانه
لاتنصف الاوطان شهما بائسا ... ان ضاع بين العالمين مكانه
الدهر يشقي حره وكريمه ... وأخو السعادة في الحياة جبانه
والشاعر الطماح يكبو دائما ... بجواده مهما جرى ميدانه

* * *

---

١) الزعانف ج زعنفة بكسر الزاى وسكون العين وكسر النون القصير او الرذل

٢) الفدم اللئيم البليد وشاغر فارغ أي لاينطوى باطنه على شيء ذى بال ومتشاعر يتكلف قول الشعر

٣) الهجين اللئيم والساقط من كل شيء والهجان من كل شيء خياره وخالصه

ويخونه برق الطموح وينهمي فوق الغبى كما يشاء عنانــه (١)

* * *

قطرى المـفدى (سوس) يعرف محتدى
وتحن نحـوى ان أغـب جدرانـه

وتقر لى ولتالـدى أشياخـه ولطارفى بين الورى شبانــه
ولو استطاعت ان تسير دياره شوقـا الى لجاء (بونعمانـه) (٢)
اشتاق معهده الكريم واننـى ما دمت ليس يلم بى نسيانـه
واذا ذكرت هناك ايام الصبا يعتاد قلبى فى الحشا خفقانه
لله أندية لنا فـى (معدر) حيث السناء تفرعت أفنانـه
أيام كان يضمنا زمن الصبا ويحفنا مـع فتـيـة ربعانـه (٣)
ويظلنا خلق كما هبت صبا بشذى يغادى المنـتدى سريانـه
نتساجل الشعر الاغض كماانبرى يوم السباق على السوا فرسانـه
ولـئن مضى ذاك الزمان فـانــه مازال ينعش خاطرى ريحـانـه

* * *

اليوم فليهنأ بغاث الشعر مــا يبدونه لما انزوت بيزانــه
لغو اذا نطقوا وفـكـر جامد واللحن ما أدراك ما طغيانــه
ياضيعة الشعر البديع اذا غدا فى العصر يدعى شاعرا وزانه
الشعر ما نظم البليغ كـأنـه عـقـد نفيس لفظـه مرجانه
ويزيد رقته دماثـة خلـقـه ويروع افكار الورى ايمانــه

* * *

هكذا يحلق شاعرنا سواء فى ميدان الاعتزاز بنفسه ٠ أو فى كيل الهجـو الى مناوئيه ٠

ان لشاعرنا قولا كثيرا فى كل موضوع ومـن مجالات انطلاقه هـذه (الاخوانيات) التى سنزفها اليك ـ أيها القارىء الكريم ـ لتتملى بمنظر ءاخر نحن على يقين أيضا من أنك ستبتهج به ابتهاجا

بينه وبين ابن زيدان أديب مكناس وكريمها ومؤرخها الخالد

كان أديبنا يتبادل القول مع كثيرين من أصدقائه الادباء ٠ وهذا الاديب ابن زيدان يكتب اليه من (سوس) يوم زورته السوسية

١) العنان بالفتح السحاب
٢) بونعمان منشأ الشاعر ومحل دراسته والمعدر مسقط راسه
٣) ريعان الصبا أو ريعان الشباب أوله وفورته ٠

(وعليكم أزكاه وأذكاه وأنماه وأغلاه ٠

أحطت خبرا بما كنه رقيمكم من التنصلات المفرغة في أتقن قوالب الاعتذار والعذر وان كان أوهى من بيت العنكبوت مقبول عند امثالك الكرام ٠ وعسى أن يكون بالتشبه بكم رباح

وهنيئا لحمرائكم بمن زارها ٠وتحمل أوزارها يوم تاريخه ٠ بمجرد وضع القلم من تخطيط هذا القرطاس من يدى أذهب لزيارة مدرسة (بونعمان) وربما يشفعها بزيارة (بوعبدلى) ولو كره ٠٠٠ وفيما بعد أزور (تازاروالت) و (تحت الحصن) وما وراء ذلك ٠ ولو أبى فخر الجيل و (مختار علمائه) من٠٠٠

كل يوم نزور مدرسة ٠ ونزداد علما بعوائد واخلاق واختلاف مشارب وأذواق وندرس حق الدراسة قول من قال (وللناس فيما يعشقون مذاهب)

لست بآسف على من عجل الاوبة منزائرى تلك البقاع ٠ ولا على من بقى اعرج ٠ ولو كان صديقا اوستوقراطيا

انني في عافية ونشاط ٠ وأنس وانبساط ٠ وقد أغنى الله عرب٠٠٠ والسلام التام عائد عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته وعلى مختار علماء العصر وادبائه)

ابن زيدان ـ في صبيحة الاحد ٢٧ ـ محرم ١٣٥٥ هـ

وكان أديبنا مرة يتجول مع ابن زيدان هذا فيحديقة الحيوانات بمكناس فارتجل هذه القطعة وهما أمام أسد في شبه خيمة من تلك الحديقة ٠ يلوح عليه اثر الضيم وراء شباك من حديد

يا ويحهم من أبى ساكن الاجم — فاعجب لهم صيروه ساكن الخيم [1]
أما دروا أنه بالعز منفرد — والذيل يانفه ما فيه من شمم
يرى المذلة موتا لا يطيب بها — للحر عيش وان غطته بالنعم
ماكان يعرف مامعنى الهوان ولا — مايعترى الخلق من جبن ومن وهم
حتى أتته يد ما كان اظلمها — فصيرته حليف الضيم في الظلم
وبين عينيه ما ينبيك عن شرف — مقدس وعلو القدر والهمم
لم أدر ماذا جنى أكان اسرته — رمت بفتكتهم نظيره فرمى
ولم تزل هذه الاقدار تاخذنا — بما جنته يد الاباء في القدم

---

١) الاجم بفتحتين اجمة ملتف الشجر من الغابة

ولشاعرنا فى طفلين لصديقه ابن زيدان احدهما (مولاى سلامة) (١) والاخر (مولاى الامين) قطعة كتب تحتها هذه الفقرات

لما كتبت للطفلين الشريفين مولاى سلامة ومولاى الامين البيتين الاولين وحفظهما مولاى الامين ومولاى سلامة ذاهب الى الطبيب قلت على لسان مولاى الامين مخاطبا أخاه الشريف المذكور

فاز الامين بقطعة شعرية ... تنسى (سلامة) سؤله عند الطبيب
يوم الخميس وكل طفل مخلد ... للراحةالكبرى وهل تجدى اللبيب؟
بلغ (سلامة) أننى متطلـب ... مالم ينل أحد من الادب الخصيب
ومحاول مافات غيرى فى العـلا ... كأبى الكريم العالم المولى (النقيب)
لم لا أصيب من المعالى مطلبـى ... وأنا سلالة ذلك الاصل المصيب
من لم ينل وقت الطفولـة ماربا ... بفراغه أنى له وقت المشيـب
أأخى هلم بنا الى نيل العلا ... مادام شرخ شبابنا الغض القشيب
أخلق بنا أن نبلغ المجد الـذى ... سننا له بعد المشقة عن قريـب

مع كرماء أبزو

هذا ولاديبنا البونعمانى كلف بالتجوال والنقلة من مكان الى مكان فنراه فيما يلى يذكر بلدة (أبزو) ويشيد بكرم أهلها وحفاوتهم به كما يشيد بمفاخرهم ومحامدهم يقول من قصيدة بعد ما غاب ازمانا عنهم مطلعها :

(طال عهدى بكم أيا اهـل ودى ... فاتيـت لكى اجدد عهـدى)

وقال تهنيئة لصاحبه ابى زيد الابزيوى يوم نجح فى الامتحان

نبأ أتانى فـى الصباح مبشـرا ... فمشيت لما أن أتـى متبخترا
نبأ يود المخلصون سماعـه ... وتطيـب أنفسهم اذا ما كررا
ولقـد أتانى والشواغل جـمة ... فنبذت مـا عندى وصرت مفكرا
وغدا يذكرنـى زمانا قد مضى ... أخلق بمن يشتاق أن يتذكرا
زمن المـودة والتصافـى والاخا ... والصدق والاخلاص فيماقدجرى
لم انس أياما مضين كأنـهـا ... طيف الم بساحتى وقت الكرى
ينسى اللئيم الخير فى أوطانـه ... وتراه لم يبرح لـه مستنكرا
أما الكريم يرى كمال المرء ان ... يسدى كما يسدى اليه ويشكرا
شر الخصال اللؤم لا يرضى به ... من كان ذا حسب وأطيب عنصرا

* * *

١) هذا الذى الان فى ظل مولانا الملك حفظه الله

ايه أيا رب المفاخر والـذى حل الثريا وهو ثا وفي الثرى
لبيتهم لما دعوك وجيئتهم ورأوا كما شاء واوعدت مظفرا
وأريت للاقران كيف وجدتها يلقى المجد وراحة غب السرى
واريتهم كيف التقدم في العلا وأريت كيف حبيت ذاك المفخرا
مذكنت لم تركن الى ضجر ولا كسل وءافات العلا ان تضجرا
وقضيت ريعان الشباب ولم تزل تخطو الى ادراكه متصدرا
لولاعناء الامتحان لما درى النـ ـاس الذكى من الغبى اذاانبرى
وبه يكون المرء ممتازا اذا ماكان قبل مؤخرا ومنكرا
لولا اشتغالك بالعلوم ونيلها ونبوغ فكرك واقتدارك في الورى
مانلت منصبك الذى تسمو به فوق السماك فترتقي شم الذرى
ان نلته فعن الجدارة نلته وهي التى قد ميزتك تخيرا
فاهنأ به ياعبد رحمان وثـق أنا نرى لك فوق ذلك مظهرا ١
لو طاوعت قلمي البلاغة والبيا ن لصغت فيك من التهاني جوهرا

٢٤ رجب ١٣٥٣ هـ الدار البيضاء

وقال يخاطبه لما ودعه اشياخه من (مراكش) مجازا مرضيا عنه

قالوا وقد جد الرحيل الم تكـن رب القـوافـي والبيان الساحـر
فأجبتهم قد كنت لكن خانني فكرى وفاضت بالدموع محاجرى
لاغرو ان حبس التودع منطقي وأباح لى الهيمان بعد مغادرى
ان لم أهم وأنا الذى لعب الهوى بفؤادى المضنى فلست بشاعر
ياسائقا ساق العقول وغادرا لاجساد واقفة وقوف الحائر
تربت يمينك لارجعت لمثلها اذ كنت في عون الفراق الجائر
ولقد أعنت على تباعد مخلص صافى الوداد حليف كل مفاخر
من كان خير مؤانس ومساجل فـي كل مفخرة وخير مسامر
من كان سباقا الى الغايات لا ينفك يسبق أين سبق الضامر
من كان مربعه يغص ويلتقى فيه بأفضل وارد أو صادر
من لايشق غباره فـي حلبة ولو أنه جاراه أى مكابر
من لاأزال بذكره أشدو وان حكم النوى بنزوحه عن ناظرى

* * *

ياراحلا عنا أثرت فؤاد من لولاك ليس فؤاده بالثائر
بالله عد حتى تشاهد مايعا نيه مزور من وداع الزائر
أصبحت في (أبزو) تجوب ظلالها فـي القلعة الغراء بين ازاهر
وتسير تهصر اى غصن يانع وتسرح النظرات بين مناظر

١) فيه اشارة الى قول النابغة الجعدى
علونا السماء مجدنا وسناؤنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وتميـل ان غنى هنالـك طائر ... طربا بما يوحى غناء الطائر
وتهزك النغمات فى الحانـه ... مترنحا مثل اهتزاز معـاقر
وتركت فى (الحمراء) من آنسيته ... مافى كناس ظبائها وجئـاذر
من كل أحور تنتشى بلحاظه ... ومدعـج يرنو بطرف فاتر
فارقتنى فكأنما فارقتـنـى ... فـى مهمه قفر ورسم داثر
لاانس لى مـن بـعـد أن فارقتنى ... الا مساجلة الحـمام الباكر
أغدو كما يغدو شجيا نائحا ... متذكريـن صفاء عيش غابر
لكنـه حر يطير كـمـا يشا ... فى جوه لايختشى من ءامر
وأنا أسير ضاق بى رحب الفضا ... وعلى ان حاولت كم من حاجر
لله ما ينتابنى فى غربتى ... أكذاك غربـة كـل حرشا عر ؟
لا القوم تعجبنـى خصالهم ولا ... أمل الحياة كما مضى فى خاطرى
عاتبت بعدكم الزمان فـقـال لى ... شتان بين أوائـلى وأواخرى
يا (عبد رحمان) بن منصور لقد ... خليتنى لعباب خطـب زاخر
وتحيط بى أمواجه مـن حيـث لا ... أدرى أمامى من سدول دياجر
ما كان أقصر ذلـك الليل الـذى ... فاجاه منبـلـج الصباح الغـائر
وكذاك أيام قضيناها كـمـا ... شاء المنى مثل الخيال السائر
ولقد قضيناها ونـحـن يضمنـا ... شمل الامانى فـى الزمان الباهر
ءاه عليها هل لها من أوبة ... فتكون من حسنات دهر غادر
يا ءال (أبزو) أهل كل فضيلة ... لازلتم فى ظل عيش نـاضر
واليكم مـنـى تحيـة مخلص ... لهج بذكركم الذكى العاطر

وقال يخاطب أبا العباس سيدى أحمد بن منصور قاضى (أبزو) ويذكر الحاق أهله بزاوية (الرميلة) عندنا :

أبا العباس لم تترك فخارا ... ولا فى حلبة العليا تجارى
أتيت بكل معجزة فـمـالى ... أرى الا مال تبتدر ابتدارا
اذا ناديتـهـا لبتـك عفوا ... كأنك قد تصون لهـا الذمارا
وكم نادى سواك وما أجابـت ... ولا التمست لدعوتـه اعتذارا
ملكت مـن النفائس كـل شيء ... وحسبك تالد الخلق ادخارا
كما ملكـت نفوس الناس طرا ... شمائلك التى تحكـى العرارا
يرى كل لديك وفير حظ ... ويوثر ان تكون له جوارا
سل البؤساء والغربا اذا مـا ... نمير الفضـل والاحسان غـارا
ولاينبئك عن أخـلاق قوم ... كمن فقد المساعد والديارا
يرى فى شيمة الانسان ما لا ... يحيط بـه انتقادا واختـبارا
تخذت مكارم الاخلاق دنيا ... وتكبر من تكون له شعارا

وما أسديت فى طلب المعالى — لاخوان كفاك به افتخارا
رأيت لهم طلاب العلم مجدا — به يغدون فى العليا كبارا
يهذبهم كما يرضيك كفء — يريك بكل معناه اقتدارا
فسل (مراكش الحمراء) عنه — فقد نالت بشهرته اشتهارا
ارى (المختار) عند القوم فيها — يضاهى صيته ذاك المنارا
فطب نفسا لقد اخترت منه — عظيما جل موقعه اختيارا
ومبداه الوحيد حياة شعب — الى جهل يميت بنيه صارا
وقد كانت عيون العلم فيه — تعم الشرق والغرب انفجارا
اذا ما العلم لايروى بلادا — تصير جنانها يوما قفارا
ومنه يستمد اليوم عصر — يفيض بكل معجزة يسارا
كفى بالعلم مفخرة وعزا — وأهل الجهل منقصة وعارا
نرى فى عهدك الايام تزهو — وتزدهر العلا فيها ازدهارا
وبالسيارة الحسناء (أبزو) — من المدنية الغَرّا استنارا
واسلاك التكلم من يراها — يقدسها اختراعا وابتكارا

الى اخرها

بيني و بينه

هناك مجاذبات كثيرة بيني وبينه • نقتطف منها مابين ايدينا الان وسترى ـ ثانية ـ مالاديبنا من السمو سواء فى ترسله • أو فى شعره كما لمسته عن قريب • ويابى على اكبار نفحته الادبية • الا أن أصب فى جامه ما يسقيني اياه من رحيق بلاغته وسحر بيانه •

هذه رسالة كان بعثها الى يصف فيها كيف وصل (أبزو) وكيف كان مقامه فيها • قال

(صاحب الفضيلة الاستاذ العلامة الجليل الاديب الكبير سيدى محمد المختار السلام على اخوتكم ورحمة الله

وصلت الى قنطرة وادى العبيد نحو الساعة التاسعة فى اليوم الذى ودعتكم فيه • وما كدت أضع قدمى على الارض عند خروجي من السيارة حتى حياني عبد تحية تدل على أن العبد مبعوث من مصدر اجلال واكبار ومعه بغلة فخمة تمثل أكبر ما يمثل هي بمظهرها الفخم • وهو باحترامه النهائي وقد استلفت ذلك أنظار الذين على الضفة

في ذلك الحين قصدنا (أبزو) الفيحاء ولما دنت الديار ولاحت الجدران نرى رسلا تطل مابين ءات وراجع • وواقف فوق تلك الهضبة المطلة على هاتيك الرياض وكأنهم يبشرون بوصول الركب وتمثل أسرتهم الوضاحة ما وراءهم من الحبور الطافح في ساحة الانتظار عند المنتظرين وصولنا بباب الدار • والشوق يفعل بنا مايفعل بهم •

واعظم ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

وصلنا باب المنزل الكبير حيث يكون الاستقبال الرسمي • فوجدنا رب المنزل الاديب المحترم سيدى عبدالرحمان أمام المحكمة الشرعية • وهو محدق بخدام جنابه وأعوانه وأهل حاشيته • وجمهور كثير من الخصوم أصحاب التداعي ينتظرنا بكل اشتياق وهناك طفح البشر والسرور على الوجوه • وتكون موقف يسيل مهابة واحتراما واحتفاء نادرا• وسرورا عظيما • وقلنا لسم الله • فدخلنا الروض الجديد الانيق • وبادرتنا نوافح الرياحين كأنما أريجها من جنان الفردوس • وحيانا الروض بمنظره الخلاب • ومحياه الوسيم • وغدت الاطيار تنشد لنا من أشعارها الساحرة • مايدل على تقديم التهاني بالوصول وعلى الترحيب القلبي

عند ذلك صدر الامر بتعطيل المحكمة يومها اعلانا بغاية الفرح • فانفضت الخصوم • ثم أقبلنا على المسرات • كماأقبلت علينا بدورها • وصرنا نتجاذب من أطراف الحديث مايلذ لنا • والجو قد خلا لنا (فبيضي واصفرى ونقرى ما شئت ان تنقرى) والدهر الخؤون وفى وصفا والرقيب لايهتدى الينا سبيلا • والارض كما شاءت الطبيعة • والسماء كما قال المنفلوطي وكما وصف (١) • وكنا مثالا للاستقلال بكل معناه

برح الخفاء وصرح الوجد وبدا الذى ما خلته يبدو (٢)

طابت النفوس وتهللت الوجوه وامتلات الحياض وتأرجت بشذاها الرياض • والاريحية الادبية تكاد بفيضانها تاتى على الوقار وتقضى على كل حياء • الاتزال تستحضر قول الشاعر (٣)

يقول ابن عباس تهتك سترنا متى كان من ستر فينهتك الستر

ولكن أين السبيل الى الوقار • وبأى وسيلة يملك الاديب الاريحى نفسه وروحه الخفيفة دائما مستبدة

---

١) فقد قال فى نثر له والسماء تكاد تقطر غضارة

٢) مطلع قصيدة لسيدى الطاهر الافرانى

٣) هو ابن ابرهيم شاعر الحمراء المفوه ذكره الله بالخيرات يجيب الاديب محمد بن العباس نابغة الرباط عن أبيات له فى قطعة لسبب خاص

في انقباض وحشمة فاذا صادفت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

لاسيما في مجلس الاخاء والصفاء كذيالك المجلس المحفوف بما ينسي للامير امارته • وللعالم وقاره • وللاديب العفيف حياءه •

تميل يمينا ثم تلحظ يسرة فتنظر ماينضو الوقار ويبتز (١)

ثم ما فرغنا من الفطور • حتى أمر بتفريش حديقة غناء • لنتناول ثانيا فيها شرب الاتاي على بساط الانس اذ في هذه الحديقة ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين

ظلال ظليلات وماء وخضرة فلله ما أحرزتم ساكني (أبزو)
تخالفت الالوان فيها كأنما تفتح المعقيان والفضة الكنز (٢)
ويبهرك النارنج في خطرانه كأن قد عراه من مباهجه هز (٣)
كما تتثنى أول الرقص غادة برفق فلا ريث لديها ولاقفز
وفي كل غصن صادح • ملا الفضا
غناء • فلا همس لديه ولا ركز (٤)

هكذا ـ وفوق هكذا ـ نقضي الاوقات في (أبزو) ونتمتع ونستدرك كل مافات • فالمحل الذي نتلذذ فيه وقت الصباح لانعود اليه وقت الزوال وعند الاصيل • لانؤوب الى محل الزوال (٥) بل ينظر لكل وقت ماينسبه من الموقع الجميل والمنظر الجذاب • ولقد تذكرت البارحة وقت الاصيل ونحن على ضفة نهر قول الشاعر الوصاف ابن خفاجة الاندلسي

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء

ولكم تمنينا ان تحضر معنا أيها الاديب الكبير الشاعر المبدع • ياسوسينا الاعز • خليفة الاندلسي الذي يقدر قدر هذا الجمال الطبيعي الساحر بذوقه السليم الذي لايترك للاذواق مجالا في التذوق •

---

١) الابيات الزائية من قصيدة لمولف هذا الكتاب قالها يوما وهو ضيف ءال منصور الابزيويين الكرام وكلها في وصف (ابزو) الخلابة المناظر وقد ساق أديبنا منها ماساق على غير ترتيبها الاصلي والقصيدة توجد كلها آما في (خلال جزولة) واما في (الالغيات) وقد كانت منشورة في احدى الجرائد
٢) العقيان الذهب
٣) النارنج ضرب من الليمون
٤) الركز بكسر فسكون الصوت الخفي
٥) تنقل فلذات الهوى في التنقل ورد كل عذب لاتقف عند منهل
ولاتتبعن قول امرىء القيس انه ضليل ومن ذا يقتدي بمضلل

ولاباس ان أرسم للتاريخ (١) على يدك هنا نسخة من الرسالة التي كتبتها في (مراكش الحمراء) للاخ سيدي عبد الرحمن لما أزمعت على زيارة (أبزو) نصها وفيها من المداعبة

(الاخ الاعز الفقيه المحترم الاديب الاريحي سيدي عبدالرحمن البزيوي • تحية زكية واحتراما فائقا وشوقا كثيرا

هذا فقد حدثني الصادر والوارد وحمل الى وفد النسيم العليل البارد أن الاشجار في (أبزو) تفرعت أغصانها واخضوضلت أفنانها وتفتقت أزهارها وتغردت أطيارها وتدفقت أنهارها • وان المناظر الطبيعية قد تجلت بأنواع محاسنها كدار العرس اذا تحلت يوم الزفاف بخرائدها وحسانها • والأهزار على غصنه الاملد مناد أين الذين يهيمون وتستهوى أفئدتهم في كل واد • ويقول اين عشاق الجمال الكوني وأرباب الذوق الفني ؟

لذلك أرجو أن أجد غدا بغلة على حاشية القنطرة • دون أن تكون بمجرد نزولي هناك منتظرة كما أرجو أن لاأرى فيها أي وصف من بغلة (٢) أبي دلامة أقضي معها بين الوادي والمنزل بالويل والملامة سيان عندها وقت الهجير أو الغلس • فانها مع مناحسها الجمة • لاتريح صاحبها من عدس (٣) ولايحين ان شاء الله وقت الاصطباح حتى تراني في (أبزو) في حلل الاشتياق والارتياح فلتستعدن لما تعهده مني بلا ترديد من الاقتراح • وأنت تعلم أنه ليس على الشعراء من جناح

١٤ ـ ٥ ـ ١٣٥٥ هـ

اخالك لاتكاد تنتهي من قراءة هذه الرسالة حتى تجول بك الذكرى حول الكتابة القديمة • والسجع الاندلسي اللطيف فيخيل اليك كأن أديبا مداعبا في (قرطبة) يداعب اصفى خلانه في (اشبيلية) أيام صاحب (ولادة) ٤ وأيام صاحب المطمح (٥) أو يراسل كاتب بارع في (فاس) صديقا له في (مراكش) أيام صاحب المناهل (٦) أو شاعر أديب في (سوس) يساجل في

---

١) قد وصلت الامانة الى التاريخ فبرئت الذمة

٢) وصف بغلة أبي دلامة مخلد في قصيدة توجد في الشريشي على المقامات

٣) (عدس مالفلان عليك امارة) اتذكر طوالة الدرب في عشية اذ كان بعضهم يتأمر على غيره أهـ من حاشية الاصل وعدس ـ محركا ـ زجر الدابة قال الشاعر عدس مالعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق

٤) هو ابن زيدون

٥) الفتح بن خاقان الاندلسي صاحب القلائد أيضا

٦) عبد العزيز الفشتالي وكتابه (مناهل الصفا)

في(تانكرت) أو(بومروان) معاصرا له في(الغ) أو (بونعمان) أو(أدوز) أو(بوعبدلي) أيام صاحب شرح الرسالة الزيدونية (١) وأيام صاحب اللغز العويص (٢) وايام صاحب (طبقات المعاصرين) (٣) وأيام صاحب الاوابد (٤)

أكتب لكم هذا الكتاب على زجاجة الاغتباق ونحن في محل بديع بين (الرقمتين) وكان الشاعر ما قصد الا هذا المحل الذى حق لكل مشتاق أن يشتاق اليه • بقوله

شوقتني للرقمتين ولعلع وهززت أعطافي بذكر المريع (٥)

أنخنا فيه • والمياه تتخللنا يمينا وشمالا • وخريرها لاينفك يبعث في أنفسنا كلما أصخنا له ما لايدرك معناه الا الله • الذى لا يعلم سر ذلك الصوت العجيب المبهم الا هو ومن أين يتأتى الافصاح عنه لالسنة الفنانين وان حاولت أن تفصح وقصارى القول أنه مما يسبح له بكيفية يعلمها وحده سبحانه

وفي كل شيء اه ءاية تدل على أنه الـواحد

والشمس تميل للغروب وأشعتها صارت تنعكس وتصفر وتشحب كلون الصب المضنى الذى عيل صبره • فاختار الرحيل عن الحياة • والنسيم يهب هبوبا طيبا • ياتي ويذهب كانما يمشي بين الجالسين بالنمائم كماقال ابن عمار

ويـوم لنا بالسير بيـن معاطـف من النهر تنساب انسياب الاراقم
بحيث اتخذنا الروض جاراتزورنا هداياه عن أيدى الرياح النواسم
تبلغنـــا أنفاسه فتردهـا بأعطر أنفاس وأذكى لناسم
تسير علينا ثم عنا كأنـهـا حواسد تمشي بيننا بالنمائم

ولا انسى هنا منظرا أرق وألطف من منظر كأس وضعتها في جـدول وسط الماء فترى الكاس بلونها الصافي في الدرجة التى لـم يصل اليها

---

١) محمد بن مسعود البونعماني السموسي عن (الاصل)
٢) محمد الحضيكي الاديب تلميذ ابن مسعود المذكور ودفين تونس (عن الاصل)
٣) أبو زيد البوزاكارني كأن جمع تراجم لمعاصريه من الادباء أتلفه لانه لايليق أن يبقى لما فيه من (عن الاصل)
٤) عبد العزيز الادوزى المولع بتقييد كل شيء (عن الاصل)
٥) مطلع قصيدة طنانة للشاعر الاديب أحمد اليزيدى وتوجد في ترجمته في (الجزء التاسع)

الاتاى فى النصف الاعلى وترى الدرجة السفلى وقدوقع الامتياز بينهما بتخطيط الحبب الذى يحكى انتساق اللؤلؤ فى جيد غادة غيداء ٠ او انتظام ثغر منضد لامع يجرى عليه رحيق المرضاب العطر

كأن كبرى وصغرى من فقاقعها حصباء در على ارض من الذهب

ذلك ٠ وطير صغير ملون الجناحين ٠ لطيف الشكل يوشك ان يقع على الكاس يحوم حولها ٠ كأنه مشغوف بلثم ذلك الثغر المجازى فى الكأس فياليت هذا الطائر الساذج الخالى صدره من لواعج الغرام يتاح له ان يذوق لعس الثغر الحقيقى من وراء شفة لمياء (١) ثم يخبرنى بعد ذلك هل تبقى له حريته وسذاجته ٠ أم يستطيع ان يطير فى وجوه مغتبطا ٠ ويؤول الى سربه والى وكره المنفرد فى أعلى شجرة باسقة كما يشا

كبر على من ذاق خمر رضابها (واقم عليه ماتما وعويلا)
طوبى لمن جهل الغرام فؤاده (قتل الغرام كم استباح قتيلا)

اليس هذا المنظر مما يبعث شعرا اذا شدا به شاد ينتشى به الكون فيذهب هباء منثورا بما فيه من العوالم والعناصر ٠ أم المنظر هو الشعر نفسه تقرأه الارواح وتفهمه ٠ ولكن لاتستطيع الخواطر ان تبوح به ٠ وتلفظه الى الوجود

ولقد يتجلى فيه للفنان البارع منظر أبدع من الذى اخترنا فيه الجلوس والتمتع بكل مايضمه من بواعث النشاط والاستلذاذ والتنعم ولكن كيف يعبر اللسان عن معنى عجزت عن ادراكه عقول البشر ٠ وحسب الارواح الموصوفة بالادراك أن تهتز له طربا وتترنح

اننى أخاف على نفسى فى هذه المدة الاخيرة أن أكون أسير (أبزو) ويسلبنى ما أرى فيه منأشتات المحاسن ٠ ويسلينى عن الحمراء ماحدث فيه من مقدمات المدنية المدهشة ٠ تغدو وتروح بين أثاث عصرى يخلب النهى فتسمع كل وقت رنين (التيليفون) وتصبح على سيارة فخمة لطيفة جدا ٠ بلونها الباهر ٠ وهى تناسب بلطافتها وفخامتها ما فى (ابزو) من كل نوعفخم لطيف ٠ وقد أحدثت فى قلوب أنصار المدنية ـ كحضرة الاخ الاديب عبد الرحمن ـ كل نشاط ٠ ولا عجب فان لكل جديد لذة وناهيك بـ (المذياع) الذى يتسلى بـه المتكىء فى السيارة على أريكتها الوثيرة ٠ وهى تطوى الارض طيا ٠ ويخال ممتطيها انه على متن ريح الصبا وقت السحر

---

١) اللعس بفتحتين وكذلك اللمى بتمليث اللام سمرة فى باطن الشفة تستحسن

وأما الدكتاتورية الاخائية فحدث عنها ولا حرج • واتمنى لو يكشف لك الغيب فترى الاقتراحات كيف تكون وأين قولهم ضيف ويقترح وما ذاك الا من الاخوة الثابتة • حتى لاحسب نفسي انني القيتعصا الترحال في مسقط راسي بين أهلي وعشيرتي • ولله در أبي الطيب اذ قال

فكل امرىء يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

وقد اقترحت علي زيارة بعض الاشخاص ممن ليسوا من الجنس • فقال لساني حالي دون ذلك خرط القتاد (١) وقد خفت ان لبيت أن أدخل تحت قول الشاعر

وشبه الشيء منجذب اليه وأشبهنا بدنيانا الطغام

كلا • كلا • ولا يلدغ المومن من جحر مرتين • اه • ان القرطاس كما ترى قد تم • مع انني لاازال محتفلا شارعا المقلم (٢)

ذلك هو ترسل نابغة سوس الجديد • ومن ذلك يعرف القارىء ان المكاتبات من السوسيين دبت اليها وسامة الادب الجديد • كما دبت المدنية الى رياض (ابزو) كما قال كاتبنا البارع

وهذه رسالة اخرى بعثها الى وهو ينتقل في بعض اسفاره

(حضرة الاستاذ الجليل العلامة النبيل سيدى محمد المختار

تحايا وأشواق

مررت في البيضاء مع (المتعلمات) ولم اجد متسعا لزيارتكم تسلم عليكم (سوس) العالمة وغير العالمة • ولقد ذكرناكم واستحضرناكم في محلات ومشاهد يتمنى كل مشتاق أن يحضر فيها • ولله يوم في مشهد سيدى سعيد بـ : (المعدر) ولله سويعات في ربوة (سيدى عبد الله اوسعيد) المطل علـى (المعدر) قضينا هناك سويعات ما ألذها • قلت في نفسي لما كنا في قبته يعلم الله كم من صالح عالم غريب استراح في هذه القبة • وتحت هذه الاشجار حولها أيام مرور مثل الشيخ الحضيكي الى (اكدال او مرزكون) عند الشيخ الصوابي والتاساكاتي بعده وكاني بالشيخ الحضيكي وثلة من نجباء (أكدال) باتوا زائرين رغبة انيقع الفتح الذي يعقد عليه السلفالصالح

---

١) هذا مثل يضرب لبعد منال الشيء وصعوبة الوصول اليه والقتاد شجر بالبادية له شوك صلب مسنون وخرطه ازالته براحة اليد وهي قابضة عليه مع شوكه

٢) يا ليت القرطاس يمتد بين يدى أديبنا المحتفل لنزداد استمتاعا بأدبه الغض وعبارته الحلوة

فى عواشر • والعيش أمامهم رغد • وكم من ذكريات ذهبت بنا كل مذهب في نواياه فى زيارة أهل الخير أحياء أو أمواتا • وكأنى بهم كذلك جاءوا متجولين فى تلك الربوة التى تطل على كثير من قبائل تلك الجهة وتكون وقت الربيع كالغوطة عند الدمشقيين

دعونا لحضرة استاذنا النفاعة الامام بدوام العافية وان يبارك فـــى أنفاسه ونفوسه ونفائسه • ويغدق عليه من النعم الظاهرة والباطنة مالم يصل اليه (سيدى ابو عمرو) (١) واضرابه ويحفظ الانجال ويجعلهـم أغنياء اصفياء علماء أئمة للمتقين

أما بعد : فان كان عندكم متسع من الوقت فى الاسبوع • فالحجرة (٢) تنتظركم والى اللقاء •••)

وقد كنت أرسلت اليه هذه الرسالة الموجزة الخفيفة وهل لروح أديبنا المرفرفة اللطيفة أن تخاطب الا بخفة تمر بها مر النسيم فيحدث بعد ذلك مايحدث عند كل مشتاق

(الاديب الشاعر المفلق سيدى الحسن بن أحمد بن مسعود

مالك تخلفت عنا بعد ان توالت الرسل • وتتابعـت اليـك البعثات

فان النسرين لن يخسف أحدهما الاخر • فلا خير فى عين لم تويد بأختها

من عذيرى ممن أقطـع ليـلى في اشتياق منى الى لقياه

يتأبى من غير عذر جـنى مع انى لم ابتهـج بسواه

ان يتـب مقبلا فثلـج فـوادى أو تولى فالصبر فى منتهاه

نعم هناك ميادين كنا نجول فيها ونصول صولة البزل القناعيس يدفعنا اليها دفعا ــ من غير ان نملك معه أنفسنا ــ ماينتشى به كل واحد من الاخر ومايساجله به مساجلة من يملا الدلو الى عقد الكرب (٣) فهناك نونية لاديبنا • قالها بمناسبة عيـد العرش • سنة ١٣٥٤ هـ وقد تفـنـن فيها

---

١) الشيخ الجليل فى مراكش من أهل اواسط القرن العاشر

٢) يعنى حجرته فى فندق نزل فيه بالرباط

٣) فيه اشارة الى قول الشاعر

من يساجلنى يساجل ماجدا يملا الدلو الى عقد الكرب

والكـرب محركـا حبيل يصل رشأ الدلو (أى حبل الـدلو) بالخشبة المعترضة عليهـا وملأ الدلو الى عقد الكرب أى استوفى ملء عنا استيفا زائدا •

كعادته في سائر عرشياته ـ وقد كان ارسلها الى مع (واوية) للاستاذ ابـن زيدان مقترحا تشطير الزيدانية • فوفينا الكيل بتشطيرهما معا • وقد ذكرت الواوية في ترجمة ابن زيدان في كتابنا (مشيخة الالغيين الحضريون)

وهذه هي النونية

(اليوم يظهر شاعر الوجدان) ويبين رب المنطـق الفتان
ويرى الورى ان قال كل أننى (العبقرى المـمتـاز بـالتبيان)
(ياليتنى احظى بـه لكنه) قد حيل بيـن العير والنـزوان
فبأى أفكار أصوغ كـمـا أشا (وبأى لفظ أم بأى لسان)
(لاتعجبوا ان كنت يومى مجبلا) فالعضب قد ينبـو غداة طعان
أواه أيـن أنا وأين قريحتـى (كم ءامن الشعر ابسحربياني)
(ماذا على اليوم بعد تـفـوقى) في الامس ان فلت شباة سنانى
قد كدت لو وفقت انشىءمفردا (اذ كان اكدى سائر الاقران)

* * *

(ياحسرتى منذا يقوم بواجبى) ويشيد مدح جـلالـة السلطان
وأنا المجـلى دائما فـى مدحـه (أواه ان احجمـت فى الميدان)
(لست المؤدى واجبى ان لمأشد) شعرا يقوم له بملك ثان
أبنى كما اعتاده من منطـقـى (للعرش مايعنو لـه الملـوان)
(انلم يسر بفخاره شعرى فلا) متعت بعد بمنطقى الفتان
لاحرمن اذا لويت بواجبـى (رفع البراعة ما حييت بنانـى)

* * *

(قم وانظر الدنيا وما عم الورى) من (سوس) الاقصى الى (تطوان)
وانظر الى السكان كيف تمايلوا (من غبطة فى سائر الـبـلدان)
(وانظر الىالاسلام كيف تضاعفت) ءاياته الجلى على الاديان
وانظر الى الدين الحنيف تألقـت (أنـوار طلعتـه بكـل مـكـان)
(وانظر وجوه المسلمين تهللـت) قسماتها بوضاءة الايـمـان
قدحل (عيد العرش) فى افراحه (فاستبشروا قاصيهم والـدانى)
(غلب السرور عليهـم فكأنـما) بغت الوصال الصب فى الهجران
تتمايس الاعطاف فى ندواتـهـم (فكأنما شربـوا رحيـق دنـان)
(فهناك تدرى ما القلوب تكنـه) للعرش فى أثناء كل جنان
وترى من اكبار النفوس مهابـة (لجلالـة الملـك العظيم الشان)
(شتان ما بيـن الـذى متصنـع فى حبه والمخلص المتـفـانـى)

* * *

(يأيها الملك الذى ملك النهى) بالعفو والاغضاء والاحسان
ثق أن حبك فى الصدور موطد (ثق ان حبك راسخ الاركان)
(فى كل سوداء القلوب مخيم) يجرى مجارى الدم فى الشريان[1]
فجميل ذكرك ان ندونا بيننا (نحيا به كالروح فى الابدان)
وتمثل الرايات يوم (العيد) ما يعرو القلوب اليك من خفقان
(تبدى اذا هب النسيم نظير ما) تخفيه ان خفقت على الجدران
نهتز من فرح ونسمع حولنا (يا سعد من كانت له أذنان)
(والموسقى يشيد فى نغماته) ما تشتهيه النفس من الحان
من كل ذات تغرد تسبى النهى (طربا اذا صدحت على الاغصان)
(والجو مصقول الجوانب ناصع) فكأنه المرءاة فى اللمعان
نمشى على أضوائه فتخالنا (والزهر مصفر وأحمر قان)
(نمشى بنور الكهرباء على نثيـ ـر الدر والياقوت والمرجان)
(يحتفنا روض أريض زاهر) حبراته مخضلة الاردان (٢)
ان هبت النسمات من جنباته (يهدى الينا طيب الريحان)
(ونرى المناظر تزدهى بجمالها) زهو الكعاب بنحرها المزدان
والحسن كل الحسن فى الروض النضيـ (ير بزهره المتلون الفتان)
(وكأنما قد طرزت أطرافها) بيد منمنمة بأى بنان
وكأنما أيدى الطبيعة دبجت (مرأى العيون بألطف الالوان)
هذى الشقائق فى الخمائل مثل ما قد طرز الديباج بالعقيان
(فكأننا فى جنة الفردوس) فى الا فراح بين الحور والولدان
فكهين ما خفنا تأثمنا (ولا نخشى من الاوصاب والاشجان)

* * *

(لله عيد ما له فيما مضى) هذا الرواء الرائع البرقان
ما ان له فى نوره وبهائه (من بين أعياد مضت من ثان)
(واذا الملوك تتوجت فعليك من نور النبوة أفخر التيجان)
(لتدم لهذا العرش تحمى تاجه) بفيالق الاسطول والطيران
وتذود عن حوزاته من مسها (وتصون عزته من الحدثان)
(واسلم له ولامة رضيتك ان) تبقى مليكا ما بقى الملوان
أرسى لك الحب الصميم بقلبها (ما فيك من خلق ومن ايمان)
(واسلم لدين الله دين محمد) دين الفضيلة ناسخ الاديان
دين الاخاء وكل خلق طيب (دين الهدى والمجد والعرفان)

---

١) الدم بميم مشددة لغة فى الدم والشريان عرق من عروق الجسد
٢) الحبرات ج حبرة بكسر ففتح نوع من البرود المزوقة

(واسلم (أبيت اللعن) ها نحن الفدا) نفديك بالاباء والاخوان
فالمغرب الاقصى ينفذ ماترى (بكهوله والشيب والشبان)
(واسترجعن بالهمة القعساء ما) للمغرب الاقصى من العمران
(لاشيء يحييه سوى العلم الذى يحيي شعور الشعب فى الانسان)
وانشر به تاريخ أهلك انه (يسمو به ويصون كل كيان)
(المجد كل المجد ان تسعى لما) قد بث اسماعيل فى البلدان
ذياك يكفى فى الرقى لانه (فيه صلاح الدين والاوطان)
(وارفع لشعبك راية المجد التى) لعبت بها الايام مذ أزمان
كي تسترد مكانها فلطالما (كانت مرفرفة على كيوان)
(واهنأ بعيد العرش فهو أجل من) أعياد قيصر قبل فى (الجرمان)
قد نال كل فخامة قد اعجزت (وصف البليغ الواصف الفنان)

* * *

(واليكها من مخلص لمحمد) قد انجبته له (بنو نعمان)
اخلاصه فى ودكم ومديحكم (اخلاص شاعر جدكم حسان)
(يفديكم وولى عهدكم ومن) يفديك الا المخلص المتفاني؟
أحرزتم فى المجد ما يحويه من (يعزى لبيت المصطفى العدناني)
(لازال ملككم يعم ضياؤه) ما بين (آمركا) الى (اليابان)
وعظيم فخركم يطير به النبا (ويسير سير الشمس فى البلدان)
(والتاج معقود على هاماتكم) والسر فى الهامات لا التيجان
والنصر يخدمكم ويخدم جيشكم (والملك فى عزوفى ريعان)

* * *

تلك هى القصيدة التى صدرت اذذاك عن شاعرنا الونعمانى ثم اتيح لى بها ـ وذلك من العجب ـ ان أكون برهة • من طبقة المولعين بالتشطير • والعياذ بالله ولم تكن هذه القصيدة ولا ما فى مستواها مما يحب شاعرنا أن ينسب اليه لكونها دون ذوقه وقدره فى الافلاق ولكنه ننشرها هنا كما تيسر • فكما قدرلنا أن نقول مثل هذا النظم لابد ان نصبر حتى يعرفه الناس منا ليدركوا طورا من أطوار حياتنا فى القريض وقد سبق الازل بذلك • وما العمل • وهذا هو السبب حتى لا أستنكف انا أن أسوق كل قافية جرت منى وان لم تصلح لاللشم ولاللتقبيل • فليمنح الله الصبر الجميل للقارىء

ان الشاعر البونعمانى منذ لاحظته السعادة بعينها قدنبغ فى النثر حتى كانت له منه مكانة مكينة صرف منها جانبا كبيرا فى التعريف والاشادة بهذا الصقع السوسى من وطننا العزيز فقد زحزح للعالم ذيلا من الستار

المنسدل عن حياة (سوس) من كل ناحية • ثم طارت للشاعر بذلك شهرة كبيرة • ولم يزل يترقى فيها • بجانب ما ناله فى الميدان الادبى من التفنن والاختراع • حتى حسب له فى الاوساط الادبية حساب وانى لاقرأ من نفثات قلمه هنا فى هذا المنتأى فتوثر فى تاثيرا فكانت لى فى هذا المنفى خير جليس مونس •

هذا • وأن شاعرنا قد طرق مختلف الموضوعات التى يقول فيها الشعراء كان ذلك عن طواعية ورغبة • أو مما يجذب الشاعر الى القول فيه تحت تاثير بيئته • فهناك معرض المدح • والفخر • والغزل • والهجو • والرثاء • الى غير ذلك من ميادين القول • وقبل ان نودع التحليق حول ادبيات شاعرنا • نود أن نسوق الى القارىء بعض ماعثرنا عليه من مقيدات مقتضبة من أقواله

يقول فى الترحيب بحزب الوفد المصرى أيام الزعيم النحاس باشا

قم قدس الشرق واحمل راية الجذل	وناد فالشعب نال غاية الامل
فلتهن مصر وحزب الوفد تكلاه	عناية الله فى حل ومرتحل
وليحى للشعب (نحاس) تؤيده	يد المعالى وترمى الغير بالشلل
هذى اوائح بشر قمت أرسمها	فى صفحة الود والاخلاص والعمل
أزفها لبنى الوفد السعيد وما	سواه لست له يوما بمحتفل

وبمناسبة الاحتفال بذكرى المرحوم شوقى شاعر النيل • قال قصيدة عصماء • نشرت مع مجموعة من قصائد اخرى وكلمات جادت بها قرائح الادباء والشعراء ءانذاك فى كتيب تحت عنوان (يوم شوقى بفاس) وهاك ديباجة هذه القصيدة

ان ذبت حزنا هل أنال مرادى ؟	أو همت هل يشفى غليل فؤادى؟
عظم المصاب فياله من فادح	عم العروبة فى شعوب الضاد
وكسى الشعوب سواده فكأنها	يوم المصيبة عدن نفس سواد

الى ءاخرها وهى فى مجموعة مطبوعة تضم ماقاله شعراء المغرب اذذاك

أما فى الحنين الى بلدته وموطن ءابائه واجداده فانك تراه يلقى عليه نظرة اشفاق واجلال لما فارقه لاعن قلى • ورحل عنه لامتخيرا • ولكنها الحواضر • وما انطوت عليه من أدب على النمط الجديد فانتشب فى شصها ثم التفت يطمئن بلدته تلك على أنه سيبقى لها ما بقيت انفاسه تتردد بين جنبيه • انها أشواقه وتأوهاته يبثها فى هذه القطعة التى لم نعثر الا على هذه الابيات الثلاثة منها • والتى لاشك فى أنه لايكاد يتم نظم عقدها حتى تشرف نفسه على ما تشرف عليه نفوس الشعراء فى مثل هذه المواقف • يقول :

وطني عليك تحيتـــي وسلامـــي ما أنت الا منيتي ومرامي
لاعن رضى فارقت أرضك نازحا عنها ولكن شيمة الايام (١)
الله يشهد أنـــنـــي لا أرتـــضي وطنا سواك لموئلي ومقامي

الى ءاخرها •

وأما في معرض الغزل فقد سقطت الينا أيضا هذه القطعة التي نظن أنها لم تتم بعد فيما هو بين أيدينا • ويمكن أن تكون كاملة مع أخريات عديدات من نوعها في ديوان الشاعر •

يقـــول :

سلوة القلب امنحي قرب المنى ان من طول النوى هذا الضوى
لم أكـــن قبلك أشكـــو شجنـــا لا • ولاأفشيت ما القلب طوى
غير أني مستـــلـــذ للغنى ليتني هـــل كلنا فيه سوا
يارعى الله اويقات لـــنـــا سلفت وفق اقتراحات الهوى
فبنا الـــكـــون غدا مبتسما وبنا الدهر عن الجور ارعـــوى
ان خلونا لم ندع مكتتمـــا بعضنا للبعض في الحـــب روى
اتخذنا من نسيم شيمـــا وسرى منا له فرط الـــجـــوى
فكأنا فوق عرش كلـــمـــا رفرف الحب بخفاق اللوا

نعم ما أصح رواية بعضهما للبعض • وما أشد وقع مايسوقه خبر الواحد منهما للاخر • فان كان سوغه أبوحنيفة • فقد أوجبه شرع الهوى •

نتف اخرى حوله

ذلك هو الاديب البونعماني • الذي كان شيخنا سيدي الطاهر الافراني يلقبه بشقيق الهزار • ولم نسق امام القارىء الاما تيسر • والغالب مماذكرناه كان صدر من صاحبنا قبل أن تعتق رحيقه وتعبد في البلاغة العالية طريقه

أما تقلباته في الحياة • فانه بعد ان افتتح توظفه في (مدرسة مولاي يوسف) الرباط • انتقل الى المجلس الاعلى للاستيناف • حيث بقي سنين كثيرة ثم في المحكمة المفوضية بـ(مراكش) ثم رجع الى الاستيناف • الى أن جاء الاستقلال فعينه مولانا الملك باشا على مدينتي (أكادير وانزكـــان) ثم تبرم مـــن كثرة الاعمال التي لاتطيقها ذاته النحيلة في المدينتين معا فاقتصر له على (أكادير) حيث لايزال الى الان مختتم ١٣٧٩ هـ ملحوظا محظوظا (ثم لما وقع الزلزال فمحيت (أكادير) صار يتململ حتى نقله مولانا الملك الحسن الثاني الى قصره

١) يقول ابن عنين : فارقتها لاعن رضا وهجرتها لاعن قلى ورحلت لامتخيرا

فالله يعينه ويختار لنا وله فى هذا العهد الجديد)

على اننا وان عرضنا امام القارىء وجه الحسن البونعمانى كأديب أو كحاكم مفوض أو كباشا فاننا نغمطه حقه فى ناحية اخرى أجل من ادبه ومن وظيفته وهى ما تقمصه كارث من أسرته ٠ وصبغة من بيئته ٠ فانه متدين حسن الظن بأهل الخير زوار للصالحين أمواتا واحياء يومن بالروحانيات وله من الاذكار والتوجهات الربانية ٠ والمخالطة لاهل الخير ما يحمل كثيرين على أن يحكموا بأنه وحده اليوم ٠ من يظهر فيه سر المسعودين وان كان فى كل الباقين منهم خير فقد ظهر بمظهر النزاهة والترفع عن البراطيل ٠ حتى كان ذلك عيبه الوحيد عند كثيرين ممن يقولون أنه لايصلح للوظائف أمثاله من أهل الخير ـ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ـ

وبعد فلنودع أديبنا الاديب الكبير والاريحى الخفيف الروح ٠ فاننا لم نسأم الدوران حوله ٠ ولكن لكل ابتداء انتهاء ٠ ولكل كلام اختتام حفظه الله وقواه ٠ وهيأ له زوجة صالحة تنجب له من يكونون له قرة الاعين بمنه وكرمه ٠ فانه بعد ما تزوج غارت ربة الشعر ٠ فلم ينشب أن طلق لضعف بنيته ونضوب صرته ٠

فان تسألونى بالنساء فاننى خبير بادواء النساء طبيب
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرح الشباب عندهن عجيب
فان شاب راس المرء أو قل ماله فليس له فى ودهن نصيب



سيـدي

ابرهيم كزور المعدري

١٢٨٠ هـ = ١٥ ـ ٣ ـ ١٣٥٢ هـ

نسبـــه :

ابرهيم بن محمد بن ابرهيم بن محمد ـ فتحا ـ

وينتهي نسبه الى الشرفاء العلويين • وكان المترجم يوقع بابرهيم العلوى ويرفع نسبه (اسما) من غير أن يحرر قط سلسلة اجداده • وقد كان في يده مشجر أنسابهم على عادة الشرفاء ثم تاخر في يد شيخه سيدى مسعـود المعدرى • فتلف • ولم يوقع له بعد على أثر والمترجم ثقة ورع لا يتنفـج بما ليس فيه • ولاينتسب نسبة ليست له • وذكر لى ولد المترجم سيـدى محمد أن والده أخبره أنه كان يجهل أولا هذه النسبة • وأول من نبهه لذلك هو الشيخ سيدى مسعود • وقد كان في أثناء كتبـه سلسلة النسب بـخط سيدى مسعود • حتى تلفت مابين الكتب • وأما المعدريون أهل قريته • فان غالبهم من سلالة • وحين لم يكن من أبناء عمومتهم • ولاانحدر من سلالتهـم الخاصة • لم يكونوا يعرفون نسبته • بل كان بعضهم يزعم في جدوده مزاعم ليست بنبع اذاعدت ولا غرب • والجد الاعلى محمد ـ فتحا ـ والد ابرهيـم هو الذى انتقل من (أزْورْ نبوتوالا) سطح (بوتوالا) محل من (أيت صواب) ولذلك ينسب اليه فقيل فيه كزور اى السطحى

مأخذه للقرءان

كان لدة الاستاذ سيدى محمد بن مسعود نشئا معا في قرية واحدة بعد ما انتقل سيدى مسعود بأهله الى (المعدر) • وتعلما معا على الاستاذ سيدى الحاج محمد السرسيفي • وبه تخرج المترجم في القرءان وفي ضبطه • وأحكام كل مايتعلق به • وكان ياخذ مع الاستاذ محمد بن مسعود • في مسجد قرية (عين ابرهيم بن صالح) حينا من الدهر •

متعلمه للعلوم

اتصل باستاذ القرية سيدى مسعود العلامة الشهير فلازمه في المدرسة

(البونعمانية) ماشاء الله منذ ان بلغ • وذلك من سنة ١٢٩٥ ﻫ ثم لما انتقل الاستاذ سيدى مسعود ١٣٠٩ﻫ الى المدرسة (الامزالية) كان من جملة الطلبة الذين انتقلوا معه • وقد كان رفيق الاستاذ سيدى محمد بن مسعود فى اخذه عن بعض أساتذة ءاخرين كالاستاذ سيدى أحمد بن ابرهيم الاكرارى كما أخذ معه أيضا عن الاستاذ سيدى الحسن بن احمد بن ابرهيم الساحلى السملالى الشهير • ولاغرو أن كان اه ماكان حين صار له بعض من همة لدته ابن‌مسعود الذى كان يتنافس معه فى التحصيل •

على هؤلاء فقط درس العلوم حتى نال ما نال • وفى تلك المدارس جاور حتى حصل ما حصل

يشارط في المدرسة المحمدية

كانت قبيلة (اداومحمد) الهشتوكية • وفدت على الاستاذ سيدى مسعود وهو بالمدرسة الامزالية يقترحون عليه أن ينظر لهم استاذا لبقا يعمرمدرستهم الشاغرة اذذاك فراود سيدى أحمد بن مبارك المعدرى وكان من نجباء تلامذته فى تلك المدرسة فلم يساعفه وذكر ذلك للمترجم • فاسلس له القياد • فابتهج الاستاذ بذلك غاية • فودعه الى تلك المدرسة • ودعا له‌دعوات حارة انبعثت من أعماق قلبه غمر بها قلب المترجم واستبان بسببها مستقبلا نيرا • وحياة وضاءة

لازم تلك المدرسة قليلا ثم شاهد عرفاء القبيلة يكيلون له اجرة مشارطته من عند الكيالين فى الاسواق الذين يستفضلون مما تناثر من المكاييل كأجرتهم • وهو مالاينصفون فيه الناس(١)• ويقع فيه الغبن الكثير فيبقى فى نفوس المكتال والكائل مايبقى • ولاتطيب بذلك نفوسهما • فحمل الورع المترجم على التأفف من ذلك • فراجع الاستاذ سيدى مسعودا • فقال له اصبر • فسيجعل الله لك فرجا وفخراجا • وذلك سنة ١٣١١ ﻫ

في مدرسة من جبل درن

لم يطل العهد • فوفد أيضا على الاستاذ سيدى مسعود عرفاء قبيلة من سفوح جبل (درن) الجنوبية • يتطلبون منه مدرسا لمدرسة لهم قرءانية • كما فرغوا من تشييدها • فارسلهم الى المترجم فصاحبهم • فانقطع عندهم ماشاء الله • قائما على ساق الجد فى تعليم القرءان وما يتعلق به • وكان لذلك‌محكما ولعلومه متقنا • فعلم كثيرين بقى هناك سنتين •

١) العادة أن الكيال فى السوق يكون له ما تناثر عن المكيال عند الكيل

في مدرسة إفردا

كان نشأ في (المعدر) كما ذكرناه • وهناك أهله وأولاد عمه • ثم بدا له فانتقل الى الساحل • ولايزال اذذاك عزبا • ثم اقترن ١٣١٨ ﻫ ببنت عمه • ثم توفيت فاقترن ١٣٢١ﻫ بكريمة الفقيه سيدي محمد بن الطيب التاضكوكتي الانكيضاءي البعقيلي فشارط هناك يدرس العلوم لايفتر عن ذلك وفي تلك المدرسة أمضى كثيرا من عمره كان فيها هذه المرة ١٣١٤ ﻫ ١٣٣٢ ﻫ

في المدرسة المعدرية

كان شارط فيها بعد ماتكب النكبة التي سنذكرها • وقد راجع مستقر اهله بـ (المعدر) وذلك بين ١٣٣٣ ﻫ وبين ١٤٤١ ﻫ

في أتبان

ثم شارط سنة في مسجد (أتبان) ثم أقلع من هناك الى الساحل وذلك ١٣٤٢ ﻫ

في مدرسة إفردا ايضا

راجعها ثانيا سالكا مسلكه الذي ذكرناه يتعاطى دراسة متوسطة وقد كان له هناك عند الساحليين مقام كبير وملاحظة خاصة• ولو كانت له نظرة الفقهاء الى الدنيا • وكان له حرصهم وتهالكهم على الشهرة • والاكباب على النوازل • والظهور بمظاهر تستميل الابصار • لكان أدرك فوق ما أدركوه ولكنه صوفي ورع متواضع خامل هادىء النامة • ساكن الطائر • ثم انه بقي في هذه المدرسة من ١٣٤٢ ﻫ الى ان لاقى ربه ساكنا أمينا مؤثلا للقاء ربه مايؤثله أمثاله

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الاعمال

ملاقاته للشيخ الالغي

كان من جملة التلاميذة المسعوديين الذين انجروا بالاستاذ ابن مسعود الى الطريقة الالغية • لكنه من طليعة الافذاذ الذين لم يكادوا يتلاقون بالشيخ حتى انطبعوا بطابعه واندمجوا في التصوف قلبا وقالبا اندماجا عظيما فخلع عنه كل مظاهر الفقهاء • وأقبل على ربه وعلى نفسه يهذبها ويشذبها حتى كان عند شيخه من المصطفين الاخيار وقد كان الشيخ زاما للسان

الثناء على أصحابه • غير فاتح اهم بابا يتسرب منه الى كثيرين الغرور والاتكال
الا أنه ربما بدر منه ذلك غلبة على خلقه المعهود ولذلك كان أصحابه ربما
يعدون بالاصابع من كان جرى لهم من قبله ثناء عطر • والمترجم منهم • وقد
كان أدرك مكانة كبرى سامية عند شيخه حين ثبت فى ذلك التزلزل الذى
تململ به الاستاذ ابن مسعود • وبعض من اليه ـ وقد ذكرنا بعض ذلك فى
ترجمة الاستاذ محمد بن مسعود ـ فقد ساح الشيخ اثر ذلك بقليل • ووصل
(تزنيت) وكان ينوى جهة (هشتوكة) فـ (كسيمة) وقد تقاطرت الطوائف
اليه فى (تزنيت) ولكن المترجم عرض على الشيخ ان يميل بالسياحة الى
جهة (الساحل) • فلم يعتم الشيخ أن لباه • ثم تلا فى ذلك وقد غلب على حاله
قوله تعلى (ان ابرهيم كل أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) والاشراك
فى عرف الصوفية هو الالتفات • ومن أقوالهم يمكن أن يكون لزوجة زوجان
اثنان • فتتمشى حالها معهما معا • مع اتفاقهما واصطفاء مابينهما • ولايمكن
أن يكون للمريد شيخان اثنان أبد الابدين ونعلم عن كثيرين من شيوخ التربية
تصريحهم بمثل هذا • ونحن نسلم لارباب الفن منهم كعادتنا مع أهل كل
فن خاص • لابد بالغة لنا فيه ـ قد علم كل اناس مشربهم ـ فكان ثناء الشيخ
على المترجم بين مئات من كبار أصحابه تاجا مرصعا لماعا • وقد علم القليلون
الذين كانوا على علم من قضية ابن مسعود السرية أن ذلك الذى ناله سيدى
ابرهيم كزور ماناله الا على ثباته • حين لم ينجر بموجة الاستاذ ابن مسعود
ثم لم يزل منذ ذلك تلوح عليه مخايل الخصوصية • وقد نرقى فى درجات
العارفين وبعد وفاة شيخه لازم كما كان عليه فى حياته الوفود الى (الغ)
فى كل مناسبة • خصوصا فى المواسم • وكان عريف أصحاب الشيخ الالغى
فى قبيلة (الساحل) وعميد الزاوية للفقراء الالغيين هناك يقودهم ويربيهم
من غير أن يجعل لنفسه شعارا يدل على أنه أعلى منهم• وكان فى هيأته وفى
مذاكرته وفى سياحاته نظيرهم بل يعد نفسه أصغرهم ويرى أنه ليس
قط شيئا مذكورا • ولم يزل قائما على الساق فى ذلك الى ان قضى نحبه •

أخلاقه

كان رحمه الله فى التواضع غاية الغايات • لايحوم حوله مايدل على أنه
عرف علما • أودرس فنا أو كان يوما من الافذاذ الكبار المشار اليهم من تلاميذ
سيدى مسعود • أو صار كما هو ديدنه أستاذا من أساتذة المدارس
المستفتين فى كل مايعن للناس • ولا يفارق شملة خلقة أوجديدة غير نقية
والسبحة الغليظة فى عنقه • والعكاز فى يده • والحمار فقط مركوبه ان احتاج
الى الركوب • وكان له خلقان متباينان بين المجامع فأما مع الفقراء فانه
أحدهم لايتميز عنهم بشىء ولايتظاهر بذوق خاص أو أن له خصوصية

نالها بضم العلم الى التصوف فهو صموت ذاكر ذكر الاجتماع وذكر الخلوة • فيتهجد كثيرا • ويطيل محاسبة نفسه خاليا • وأما مع بعض مخالطيه الذين كان نشأ معهم من الصغر بين ملاعب الاتراب ثم فى المدارس حيث يسدر الطلبة عادة فى غلوائهم ترتفع الكلفة بينهم • ويظهرون فيما بينهم كماهم من غير قناع ساتر ولا حائل يحول العين الى غير ماكان عين الخلق الثابت • ثم مالوا معه بعد ذلك الى التصوف • فمشوا فى كل ذلك بخطا متساوية فانه متى خلا معهم ينبسطون غاية الانبساط ويطلقون الاعنة الى غاية بعيدة وقد كان له مع قرينه الاستاذ سيدى أحمد بن مسعود والشريف سيدى ابرهيم بن محمد بن اليزيد التازاروالتى مجالس من هذا النوع متى كانوا مجتمعين وحدهم عند أحدهم فانهم يتبارون فى التهام كل ماقدم لهم فيملئون اكفهم من العسل والسمن كأنهم يتناولون ملتوت العصيدة ويمعنون فى ذلك امعانا • ثم يقترحون على من ينزلون عليه منهم الذبائح تترى وما الى ذلك مما تمليه الاريحية والفكاهة النزيهة بين المتصافين من الاقران

كذلك كان كثير البكاء فى الخلوات متى ناجى ربه • وحاسب نفسه بعد أن يكون كثير الضحك مع امثال قرنائه هؤلاء • فهكذا الرجل خشوع كثير • وصموت مع الاطراق • وسكون بين الفقراء • كما كان له رفع الهمة والانزواء ازاء العامة • ثم له الطهارة الدائمة من طيب المعاشرة مع كل واحد • وعدم التظاهر بما يلفت اليه الابصار من التخشع المتكلف • والاطراق الزائف فى الطرقات بل كان دائما على الحال المحمودة من الوسط بلا افراط ولا تفريط مالم يغلب على حاله • ذلك هو سيدى ابرهيم كأنك تعاشره •

نكبته

كانت اصابته نكبة عجيبة أتت على كل مايملكه • وماكان أثله • وسببها أن ابن دحان القائد الشهير فى (تزنيت) كان بلغه أن بعض الناس تطلب من المترجم أن يكتب له رسالة الى القائد بشىء فتأبى له هذا وربما أبلغ القائد أنه قال كلمة كبيرة فى جانبه فاستفزه • فأرسل أعوانه على نية أن يعتقلوه • ولكنهم لم يجدوه • وقد كان فى (بونعمان) ذلك النهار فنهبوا متاع الدار • وساقوا غنمه • وقد حكى لى رحمه الله أنه كان راجعا آخر النهار • فلاقاه الخبر فى الطريق فتنكب الطريقة المعهودة اذا بالاعوان قد ساقوا الغنم • فمال الى صخرة خارج الطريق • فجلس تحتها مختبئا قال فمرت غنمى ازاءى وقد أطل على منها تيس كبير يحرك رأسه • كأنه يقول لى • هذاما آل الدنيا • وهذه عقب المال الذى لاينفق فى سبيل الله • يقول لى ذلك حاكيا • وهو يتبسم على عادته فى المباسطة معى • فبذلك نجاه الله من

الاعتقال فتشتت كتبه ومتاعه وكل مافي داره ثم لم يتمكن الا في استرجاع بعض الكتب وقد ذهبت رسائل من الشيخ كان يكتبها اليه فيما ذهب • وكانت هذه النكبة سنة ١٣٣٢ هـ ولم تبق له باقية لامتاعا ولا حبوبا • ولا راغية ولاثاغية • فاذ ذاك شارط في (المعدر) فقدر أن يوسس الحياة من جديد ثم راجع (الساحل) حيث أقام ثانيا الى ان انقضى عمره وهذه النكبة وان كانت ماحقة لم تؤثر فيه بشيء لانه جبل راسخ بل كان يدرك أنها من الامتحانات التي يمتحن بها الله عباده • ومن الفتن التي تصيب المومنين دائما (احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وثباته هـذا وحده يدل على معرفته لربه وأنه يومن بالقدر خيره وشره

مع مؤلف هـذا الكتاب

كنت أعرف اسمه صغيرا من بين كبار الفقراء العلماء الازاغاريين ولكن لم أعرفه حقيقة الا بعد ١٣٣١ هـ حين كنت في المدرسة (البونعمانية) ثم دخلت عليه يوما في المدرسة (المعدرية) حين كان شارط فيها • وكأنني انظر اليه الآن وهو على هيضورة (١) بيضاء • وحوله كتب مخطوطة قديمة • واذكر أنني تناولت أحد تلك الكتب فقرأت فيها قصيدة مقفاة بلفظة (ءايوي) وهي كلمة شلحية معناها (ياابني) ثم تناولت ءاخر فوجدت فيه الابيات المشهورة للزمخشري ܀

يامن يرى مد البعوض جناحه	في ظلمة الليل البهيم الا ليل
ويرى عروق نياطها في نحرها	والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته	ماكان منه في الزمن الاول

وكنت أقراها وربما أحرف بعضها فأنشدها كما هي من حفظه • كما أنشدني ذلك اليوم أيضا القطعة السهيلية المعلومة التي يحفظها كثير من الفقراء • مطلعها

يامن يرى مافي الضمير ويسمع	أنت المعد لكل ما يتوقع

وفي احدى قدماتي الى الموسم الالغي من (الحمراء) انخرط في رفقتنا من (المعدر) مع سيدي الحاج محمد بن عدي الواعظ الشهير • فكانت أطيب رفقة • وخصوصا حين كان معنا أيضا سيدي عثمان الفقيه الاكراري فكانت المفاكهات تجري ازاء المذاكرات بين الفقراء اذا خلونا وحدنا واذ ذاك عرفت منه كل ما فصلته من أخلاقه فانه رحمه الله على كثرة مايقاسيه من مشقة السفر ثم من السهر مع الفقراء على الذكر في المجتمعات كان

١) جلد الكبش المسلوخ بصوفه يدبغ فيجلس عليه

يبكر المتهجد قبل كل من فى القافلة فتراه بعد انفتا له من صلاته بالليل قبل الفجر مستقبلا ساكنامطرقا • لاتتحرك منه شعرة • يحسبه من لايعرف حاله نائما فى قعدته • أوذاهلا فى شيء • أو سكران لاحركة فيه • غير أنه ان أدرك ما هنالك يتلو قوله تعلى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) وكان يحفظ من كلام ابن الفارض والششترى والبرعى وغير ذلك هو متداول بين المسمعين من الفقراء • فكان يخلل بالابيات المفردة حديثه ومن أطيب مارأيته منه أننى باسطته أثناء الطريق فى هذه السفرة • وقد رايت منه أثناء مفاكهة مبالغة فى الانبساط • فقلت له • أهكذا أنت ؟ وأنالم اكن أعرف منك هذا • فقال :

فانا اذا طبنا وطابت نفوسنا وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

وكان يميل الى التقشف فى ملبسه وفى مطعمه • وقد كنت أراعيه كثيرا فى تلك السفرة • وأقطع له اللحم بيدى كثيرا عند المؤاكلة • فقال اتحسبنى نشات باللحم فانما أنا ابن (أبالاغ) بتشديد اللام • ويطلقه أهل (المعدر) على الشعير الذى أبطأ كثيرا فى المطمورة • حتى تتغير رائحته وذوقه • فقلت له مداعبا كنت أحسبك ابن امرأة تأكل القديد • فقال قد أمضينا ماكتب لنا من الاستمتاع بالطيبات فى الشباب • غير أننا الى الان لانرد على الله شيئا تيسر • لاننا نتبع الحكمة التى يتداولها المتضاحكون • كن زاهدا • فما قدم لك فى الصباح فكله • وكل ماوجدته فى المساء فلاتبق عليه • يقول ذلك بالانبساط وقد كنت اذذاك معنيا بكتابة بعض الشيء من أخبار الوالد وأصحابه فقال لى دع عنك ذلك حتى تتقدم فى السن • وتقدر قدر والدك واصحابه كماهم فقلت • أولو أقدرهم الان ؟ فقال مبتسما • انما تقدر منهم الان من طريقتهم مايدخل يدك من الدراهم فقط • من أيدى أصحابه الذين يحبونك حبا لوالدك ولكنك ربما ان تقدمت فى السن تترقى عن هذا • فيكون كلامك عن ذوق وعرفان • لاعلى تقليد • ثم انشد البيت الشهير من الشواهد •

وابن اللبون اذا مالز فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

ثم كان العجب ان انقطعت عن ذلك بحوادث جديدة • ثم لمار اجع ذلك الا بعد انتكيفت بكيفية أخرى وأوسع مما كنت عليه اذذاك • فأعد الان ما قاله لى من فراسته الظاهرة رحمه الله ورضى عنه •

من آثار قلمه

هذه رسالة كتبها الى والده سيدى محمد يوصيه فيها

بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الضعيف الراجى عفو مولاه اللطيف • ابرهيم الفانى بن محمد السطحى المعدرى منشئا • الصوابى نجارا

الهارزى مسكنا الى ولدى محمد المشارط فى الوقت فى (احفير) بأعمال (وجدة) عليك أفضل واتم وازكى مابه حييتموا به الضعيف من التحية والاكرام هذا بعض حظنا من صالح ادعيتكم فى الخلوات والجلوات • واعلم ياولدى نور الله بالايمان قلبى وقلبك وضاعف حب المصطفى فى صدرى وصدرك وجعل الجنة مثوانا ومثواك وطهر قلبنا وقلبك من الرياء والحسد والعجب وجميع الاوصاف الذميمة بجاه روح الوجود فانى وصيتك بوصية الله قال الله تبارك وتعلى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله) والتقوى فعل المامورات • واجتناب المنهيات • ظاهرا وباطنا • قال ابن عاشر

وحاصل التقوى اجتناب وامتثال في ظاهر وباطن بذا تنال

وأوصيك أيضا بأن (لاتقف ماليس لك بهعلم ان السمعوالبصر والفؤاد كل اولائك كانعنه مسئولا) واجعل الموت نصب عينيك والقلب دائرا بين الحضرتين حضرة الرحمن • وحضرة النبى صلى الله عليه وسلم ولاتقدم على أمر الا بعد ان علمت حكم الله فيه • وقال ابن عاشر رضى الله عنه

ويوقف الامور حتى يعلما ما الله فيهن به قد حكما

قال النبى صلى الله عليه وسلم لايحل لمرء مسلم أن يقدم على امرحتى يعلم حكم الله فيه قولا وفعلا وقال عليه الصلاة والسلام منحسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه ومن اشتغل بما لايعنيه فاته مايعنيه ومالايعنيه هومالا فائدة فيه دنيا وأخرى • ومن جملته أخبار الدنيا من قيل وقال • وقال عليه الصلاة والسلام من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا أو ليصمت عن شر يعاقبه عليه • ولاترفع قدميك الى مالا يحل لك • وراع قلبك وكن رقيبا عليه لئلا يتلف حين يجول فى غير الحضرتين والكل فىكريم علمك • ولكن التنبيه والنصح واجبان • وان سألت عن أحوالنا وأهل دارنا فلا باس لله الحمد وله المنة لامايشوش البال والحمد لله على فضله واحسانه •

واما أخوك أحمد فهو فى محله ملازم مع اليقين زيارة الفقراء صغيرا وكبيرا ومجلس الذكر صباحا ومساء • مع ملازمة الصبيان وقد حرث زرعا وقمحا وأعطى زرعا بالشركة أيضا • وقد زارنا فى هذه العواشر الماضية مصاحبا مع الفقراء الاحباب الى (ايغبولا) ثم رجعوا • وتصاحب مع فقير الينا وجلس عندنا ثلاث ليال وسافر لمحله نسأل الله تعلى بجاه عين الرحمة أن يجعل فيك وفيه منفعة لامة محمد صلى الله عليه وسلم ويبارك لكما ويرزقكما رضاه ويختم لكما بحسن الخاتمة وتمام المغفرة امين عدد الالوف • وما ذكرت من أمر النكاح فالله تعلى يختار لك

واستخر الله الاستخارة النبوية فاذا وصلت (١) (اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى) فاستحضر ما فى قلبك من الزوجة فلانة • وفى الحديث ماخاب من استخار ولاندم من استشار ولاعال من اقتصد وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله لى انأتزوج فلانة وقال له النبى صلى الله عليه وسلم لودعا لك جبريل واسرافيل وميكائل وحملة العرش وأنا فيهم مالك الا ماكتب لك فى الازل • وقال عليه السلام المرأة تنكح لجمالها وحسبها ومالها ودينها فعليك بذات الدين وقال عليه السلام من نكح امرأة لمالها وجمالها حرمه الله مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال عليه السلام من خير فائدة يفيدها امرء مسلم زوجة صالحة ان نظر اليها سرته • وان امرها أطاعته وان غاب عنها حفظته فى نفسها وفى ماله ومن سعادة المرء المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن يمن المرأة تيسير أمرها • وقلة صداقها • ومن يمنها أيضا ان تبكر بالاناث لقوله تعلى (يهب لمن يشاء اناثا) وقال عليه السلام عليكم بالودود الولود وعن على كرم الله وجهه • ان الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة • وفى الاخرة الحوراء • وعذاب النار المرأة السوء • ومن وصية لقمان لابنه انما مثل المرأة السوء كمثل السيل لاينتهى حتى يبلغ منتهاه يابنى انها ان تكلمت أسمعت اى أعلت صوتها • واذا مشت أسرعت • واذا قعدت وقعت واذا غضبت سمعت • وكل داء يبرا الاداء المرأة السوء ولان تساكن الاسد خير من أن تساكنها تبكى وهى ظالمة • وتتحلم وهى جائرة • وتنطق وهى جاهلة • وتطمح بعينها الى الرجال وقال عليه السلام لاتنكح المرأة لجمالها • فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها ويروى أن لقمان قال لابنه أول ماتتخذ من الدنيا امرأة صالحة وصاحب صالح تستريح الى المرأة اذا دخلت • وتستريح للصاحب الصالح اذا خرجت وقال معاذ بن جبل صلاة من متزوج أفضل من أربعين صلاة من غيره • وقال ابن عباس تزوجوا فان يومامن المتزوج خير من عبادة ألف عام • وقال النبى صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه الك زوجة ؟ قال لا • قال ولاجارية • قال لا قال وأنتموسربخير قال وأنا موسر بخير • قال أنت من اخوان الشيطان فان من سنتناالنكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم • وعلى هذا ياولدى فعليك بسنة النبى صلى الله عليه وسلم وعليك يااخى بسنة النبى تنج من الاهوال يوم الكرب • لان سنة النبى صلى الله عليه وسلم واتباعها فىالدنيا قولاوفعلاهى الصراطفىالدنيا ومن سلكهافىالدنيا لايسلك الصراط فىالاخرة• لانالله تعلى قال لاأجمع على عبدى خوفين ولا امنين • فمن خاف فى الدنيا أمن فى الاخرة

١) يعنى فى دعاء الاستخارة المشهورة فى الحديث عند علماء الاسلام

فالعكس بالعكس (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) واما ماشكوت من اهمالنا اياك فلا تظن ذلك فلايكون فينا مادام العقل فينا • والفقراء كلهم بخير وعلى خير وهم فى الزيادة ويجتمعون عندنا على العادة بنحو ثلاثين أو أربعين كل خميس بمقداره • وأما شيخك سيدى أحمد ابن مسعود فهو على خير وهو فى موضعه مع الطلبة وأما ولده محمد ففى مسجد (المعدر) وليس عنده أحد • بل هو واحد • وابرهيم بن الحسين يحضر معالفقراء ويعطى احسانه وكذلك سيدى أحمد الشلح والحسن بن الشرط • وعبلا نشكليل • وجميع الفقراء يقرؤون عليك السلام • ويسألون عن أحوالك • نسأل الله تعلى ان يصلح أحوالك ويبارك لك فى نكاحك ويجعل الفتح الربانى على يديك • ممن قرأ عليك • وممن أخذ الورد لديك كل ذلك ببركة النبى صلى الله عليه وسلم وقد أذنا لك اذنا تاما عامافى الامور الصالحات • ولاتنال من الشيطان واخوانه • وازعم بالنبى وءاله • ولا تخف لومة لائم جعك الله نورا يستضىءبه أهل المغرب وأهل المشرق ويسقى قلبك من قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله يتولى أمورك ظاهرا وباطنا بسلامة وعافية • وقد أعطيناك رضانا يكون قدامك ووراءك وعند الموت والسؤال والموقف والصراط وكن معتمدا على فضلالله وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم • وقال الله تبارك وتعلى (ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون) قال عليه الصلاة والسلام الارض أرض الله والعباد عباد الله فمتى وجد احدكم رزقه فليتق الله • وليقم زادك الله نورا على نور •

وأما أخوك سيدى سعيد نسأل الله تعلى ان يرجع سالما غانما متقبلا حجه • وشرح صدور اولاده بالعلم والتقوى والقرءان العظيم وبلغه منا السلام ان شاء الله ان رجع وكذلك الفقيه الاديب العالم الاريب سيدى محمد الاخضرى الميمونى جعله الله نورا وجعل محبة الله ومحبة رسوله راسخة وساكنة فى قلبه ءامين ولاتنسنا فى الدعاء وكتب اليكم والدكم الضعيف ابرهيم بتاريخ يوم الثلاثاء الذى هو ستة وعشرون يوما من شوال عام ١٣٥١ هـ/السر فى التقوى والاستقامة • وفى اليقين اكبر الكرامة

وعليك ياولدى بحسن الظن بالله وبعباده وزيادة الصالحين الاحياء والاموات مع مصاحبة الاحسان قال عليه السلام الهدية امام الحاجة تهادوا تحابوا الهدية تفتح القلوب وتذهب الغضب المحبة بالانفاق لا بالاشداق ادعاء المحبة من غير عطاء نفاق

وقدم فتوحا اذ عليه مدارها فان طريق الشيخ بذل العطية

ولده أحمد

للمترجم اولاد منهم الصوفى الكبير سيدى احمد الحافظ لكتاب الله والمقبل على تعليمه • قطن فى قرية (افريـان) من قبيلة (أيـت بكو) مـن (هشتوكة) وهو ضعيف البنية الا ان القوة التى رزقها فى باب الله غريبة وهو مجد فىالاذكار وفى مجالس الاذكار يقدم الفقراء ويهذبهم ويسير بهم الىالخير • ولايخطىء السفر الى موسم (الغ) الى الان ١٣٧٩ ﻫ وولادتـه سنة ١٣٢٤ ﻫ

أخوه محمد

الفقيه الاجل وهو الذى قرأت رسالة ابيه اليه وقد تخرج مـن مدرسة (بونعمان) على يد الشيخ سيدى أحمد بن مسعود رضى الله عنه • وقد كاد يفلت من الاخلاق بالمدارس • وقدكان فىوقت عكوفه فى تلك المدرسة يكثر من الانفاق • خلافا لعادة أهله فكتب اليه والده يوما ياولدى ينبغى للمرء أنينظر دائما الى منبع بئره • فان كان ينبع بتدفق • فلينفق بسعة• والا فلينفق على مقدار ماينبع له من بئره • وقد ولد فى صفر ١٣٢٢ﻫ فـى داروالده فى (الساحل) بقرية (افردا) ثم أخذ القرءان عن والده وعن الاستاذ جامع البيشواريني وعن الاستاذ الحسن بن محمد من (اكادير زكاغن)بأيت براييم وأخذ حرف قالون عنه أيضا ثم انقطع سنة ١٣٣٩ﻫ الى المدرسة (البونعمانية) عند الشيخ سيدى أحمد بن مسعود فلازمه ست سنين ثم الى والده فىمدرسة (افردا) وعليهما فقط حصل له ماتيسر من المعارف • ثم لماتوفى والده الذى كان قطب الفقراء فى (الساحل) قام مقامه فيهم فنفعه الله بذلك فاستطاع ان يتصف ببعض أوصاف الصوفية فكان يقدم طائفة فقراء جهته الى (الغ) فىكل موسم

وقد ذكر ان والده كان يوما يوصيه • فكان مما وصاه به ان يحزمامره حتى يكون دائما مستعدا لاجابة مايرغب فيه منه فلا يخيب راجيه •

مشارطته

كان دولاب الدهر يتقلب به كثيرا مع المستعمرين فكم خوفوه اوسجنوه أو أوعدوه ولكن الله يسلمه دائما وهو الان على حالة حسنة وفقهالله لكل خير ثم بعد الاستقلال وزوال كابوس الخوف لازم داره الى ان تعيناخيرا ١٣٧٩ ﻫ بين العدول فى (المعدر) بعد ماشرط نحو سنة فىمدرسة ب (الساحل) وهو احد أحباءى الاخصاء حفظه الله ووفقه لما يحبه ويرضاه

القاضي

سيدي محمد اوعامو التزنيتي

١٢٩٤ هـ = ١٣ - ٦ - ١٣٧٠ هـ

نسبـــه :

محمد بن احمد بن مبارك بن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن يعقوب بن بلقاسم بن أحمد بن ابرهيم بن ابرهيم بن موسى بن محمد ـ فتحا ـ بن عمر وبن موسى بن يعقوب بن علي بن يوسف ابن صالح بن طلحة ·

ومحمد بن عمرو المذكور هو الملقب بحمو · وأخوه موسى بن حمو هو الذى دفن في (ايسك) بـ (بعمرانة) وفي يوسف بن صالح بن طلحة يلتقى نسب (أيت محمد) الشرفاء التزنيتيين بنسب سيدى احمد بن موسى التازاروالتى ويوجد تتمة النسب في مواضع شتى من هذا الكتاب و(ايت محمد ـ فتحا ـ) اخوة (أيت عمرو) الوجانيين فانهم أبناء الحسن بن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن داود بن موسى بن محمد ـ فتحا ـ بن عمرو بن موسى ابن يعقوب كما أنهم اتصالا أيضا في الصميم بالشرفاء اولاد (سيدى ابرهيم بن علي) التنانى · وهو ابرهيم بن علي بن الحسن بن موسى بن محمد ـ فتحا ـ بن عمرو بن موسى بن يعقوب · هكذا وجدت في مشجرين من نسب (سيدى ابرهيم بن علي) فدل ذلك على مظنة الصحة · فـ(ايت محمد ـ فتحا ـ) التزنيتيون و (أيت عمرو) الوجانيون و (أولاد سيدى ابرهيم بن علي) التنانيون اخوة أبناء أعمام كما ترى فملتقاهم في موسى بن محمد بن يعقوب · فأما موسى بن يعقوب المذكور في سلسلة النسب فقد ذكر في مشجر نسب بأنه ولى صالح مشهور في عصره بالذكر الجميل · والسمت الحسن · وهو من اهل القرن الثامن كما يظهر من سلسلة اباء (سيدى ابرهيم بن علي) المتوفى ٩٨٩ هـ على القاعدة الخلدونية المعلومة التى وثقها ابن حجر الحافظ من تفرقة رجال سلسلة النسب على القرن ثلاثة ثلاثة فذلك هو الغالب في السلسلات الصحيحة

ثم ان فى كل هذه الاسر الثلاثة الوجانية والتزنيتية والتنانية مجد شامخا • علما او صلاحا أورياسة غير ان العلم والصلاح رجحت بهما كفة ءال (سيدى ابرهيم بن على) التنانيين • والرياسة مع بعض علم قليل توجد باطرا دفى الاخرين ففى (ءال عمرو) الوجانيين رياسة تليدة الى الان (وسيذكر القائد موسى وءاله فى (القسم الخامس) انشاء الله) على حين أننا الان لانستحضر منهم علماء • الاماكن من أحدهم يسمى محمد بن محمد من ءال محمد بن موسى الوجانيين فانه ذكر فى مشجر نسبهم بأنهفقيه قاض ويظهر من مكان ءاخر أنه كان يعيش فى القرن العاشر وانه يفدعلى ملوك عهده السعديين وذكر هناك انه مات مع أحدهم ولعله قتل مع السلطان محمد الشيخ الذى قتل معه أيضا بلدى له فقيه دغوغى وجانى سنة ٩٦٤ هـ ولم ار لهذا القاضى ذكرا فى غير هذا المحل ويظهر انله مركزا عظيما وأنه من القضاة السعديين الاكابر أولاترى كيف يتصل بهم ؟ وقد علمنا جملة من قضاة الجزوليين اذذاك • فليكن هذا أحدهم بل من اكابرهم كما ترى • ولعلنا نجد متسعا من المعلومات عن (ءال عمرو) فنتوسع فى أخبارهم متى ذكرناهم ان شاء الله

ثم يجب ان ننبه على أن هناك فخذا أخرى تتصل بهذه الاسرة فى يوسف ابن يعقوب تقطن فى (ايكلى) برأس الوادى وقفنا على ذكرها فى مشجر نسب مختل الوضع والترتيب • وذكر من رجالاتها الشيخ محمد بن محمد ـ فتحا فيهما ـ وأخاه مسعودا • وزعم أنمحمدا الذى سماه الشيخ ماتبسوس مع السلطان مولاى محمد بن عبدالله • ولعله المسلوخ الذىناصره السوسيون الى أن مات فى وادى المخزن أولايمكن أن يكون محمد هذا هو القاضى المذكور ؟ كما زعم ان مسعودا المدفون بفاس هو جد الورحمانيين هنالك • هذا ماوجدناه الان • ولانقدر أن نعتمد عليه وحده • واياكان فاننا سقنا هنا ماعندنا الان عن هذه الاسرة العدنانية • مستقين من بعض مشجرات أنساب وقفنا عليها وقد يوجد ماهو اوثق منها • ولكنها أفضل ما وجدناه • وعصفور فى اليد خير من عشرة فوق الشجرة وهذا العلم علم الانساب علم شريف عند العرب • فرط فيه أهل هذه القرون حتى صارت الاسر العربية عجمية بذلك • بل حتى كان العكس • ورحم الله الادوزى ابنالعربى فقد كانت له همة نحو جمع هذا الانساب العربية السوسية من أمكنتها متهيئا لجمع مواف فىذلك لم يتم بكل أسف

ثم ان (ءال عمرو) الوجانيين نراهم هنا من أهل هذه السلسلة ولعلذلك انشاء الله هوالثابت بخلاف مايذكره ءاخرونمن أنهمواسلاميون أى شرفاء علويون حقا • ولكن منسلسلة نسب ءاخر غيرهذه • والواسلاميون

منتشرون فى (بعقيلة) و (رسموكة) كئال يحيا الوانكيفضاوى وكئال المحجوب بـ (رسموكة)

وبعد فأسرة ءال سيدى ابرهيم بن على التنانيين سنتعرض لعلمائها فى هذا الفصل نفسه ان شاءالله والاسرة الوجانية الرئيسية التى لانعهد منها علما سنلم ببعض ماعندنا عن بعض رجالاتها فى (القسم الخامس) انشاء الله ان توصلنا بما يفيدنا عنهم • وأما هذه الاسرة التزنيتية المحمدية التى ظهر منها رؤساء وقواد وبعض علماء فاننا سنتفرغ الان لعلمائها فقط • وأما رؤساؤها فسنرجع اليهم فى)القسم الخامس) انشاء الله • فانلرؤسائها الحسونين اتصالا بالالغيين تعارفا ولاحمد بن محمد بن محمد ـ فتحا ـ رياسة وهى من أجداد (ءالعمر) كما ترى ذلك فى السلسلة وعلماء هذه الاسرة قليلون لانعرف منهم الان غير هؤلاء

الاول : الحسين البولوقتى

الثاني : احمد البولوقتى

وسياتيان معا فى سمط واحد لانهما من جذم ءال بولوقت وهم أناس كان جدهم الاعلى ساكنا حينا فى (اداوتنان) ثم الى (تزنيت) كما يوجد ذلك فى رسومهم

الثالث : احمد بن علي

هو أحمد بن على بن محمد بن يحيا بن مبارك بن على بن ابرهيم بن عمرالى أناتصل نسبهم بتلك السلسلة عالم حسن له ذكر فى النصف الاخير منالقرن الماضى • ولاندرى عمن أخذ ولانعرف من أخباره الا أنه كان شارط حينا فى مدرسة (الكريمة) بـ (الساحل) وقد توفى سنة ١٢٩٩هـ وبعض محرراته موجودة ويظهر أنه مغمور بأمثال العلامة ابن الطيفور وان كان توفي قبله بأزيد من عشرين سنة ؟ أوكان له ظهور الأن أخباره لم تسقطالينا • وكأين من شهير لانعرفه الان • ومن شدة الظهور الخفاء •

الرابع : محمد بن احمد

ولد من قبله • عالم كبير القدر فى (تزنيت) وله جاه حسن وسعة علمية ولد نحو ١٢٦٠ هـ وماخذه من مدرستى (بونعمان) و (أدوز) عن الاستاذين ابنالعربى وسيدى مسعود وكأنه لم يلتحق بابن العربى الا اثر وفاة

والده بقليل فانه أخذ أولا من (بونعمان) والا فيشب عمره عن الطوق حينئذ • ويؤتى لى انه ياخذ ايضا عن الاستاذ العربى نفسه قبل وفاته١٢٨٦هـ لامارة لى على ذلك • ثم صار يشارط فى مدرسة (وجان) كثيرا • وكانت له هالة كبيرة علمية سنة ١٢٩٩ هـ فما بعدها وقد مثل بين يدى المولى الحسن فى وفادته الى سوس • فكتب له مانصه

(كتابنا هذا السامى بالله قدره النافذ بعناية المولى سبحانه نهيه وامره • فيستقر بيد ماسكه الفقيه السيد محمد بن أحمد بن على التزنيتى ويعرف منه أننا بحول الله وقوته • وشامل يمنه ومنته • سد لنا عليه رداء التوفير والتعظيم والاحترام وحملناه على كاهل المبرة وجميل الرعاية والانعام • وحررناه من جميع الكلف المخزنية • والوظائف السلطانية • بحيث لايوظف عليه من ذلك وظيف ولاتشمله قطعة تكليف • عدا ما أوجبه الله عليه من الزكاة والاعشار • فهو فيها كسائر الناس • اذلاسبيل عن اسقاطهما عن أحد • لكونهما حقين من حقوق الله • تحريرا تام الرسم نافذ الحكم والعزم نامر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه • ولايحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه صدر به أمرنا الشريف فى ثانى رمضان المعظم عام ١٣٠٣ هـ) وفى الظهير الطابع المشهور •

ثم ان المترجم كان متصلا بالقائد الحسونى التزنيتى فكان قطب الشرعيات اذذاك حكما وتحكيما • ومحررات أحكامه كثيرة جدا هناك وقد كان ربما سافر الى الحواضر • ففى ١٢٩٩ هـ كان بـ (مراكش) يمير أهلهفى تلك المسبغة بالارز • وقد توفى ١٣١٥ هـ عن نحو سبعين سنة • ولم نقف لهعلى اثر يستحق الذكر • ولابد ان تكون له اثار • الا ان التفريطلعبدوره ومن عند ولده السيد الحبيب حفظه الله ادركت ما اودعته هناك

الخامس : أحمد بن عبد السلام

هو احمد بن عبدالسلام بنأحمد بنعلى • ابن أخى المذكور قبله أخذ القرءان عن الاستاذ ابرهيم المقدمى • وبه تخرج فيه • ثم افتتح عند الاستاذ محمد بن عمرو التاموديزتى حين كان يدرس فى مدرسة (أدوز) نيابة عن العلامة ابن العربى • كما أنه أخذ أيضا عن ابن العربى نفسه • ولماتمكن فى العلوم • وجال فىالفنون وحصل فى مدارس (سوس) اشراب الى استشفاف مافى مدارس الحواضر فربض فى مدرسة (ابن يوسف) بمراكش ماشاء الله نحو عشر سنوات ولاريب أنه يشرب الكاس حتى ثمالتها • وأنه يستوعب استيعابا كبيرا • وكان يظن بهأنه سيرجع الىبلده • فيقر به عينا • ويتناول بهالمجد مؤثلا • اذا بنعيه صك ءاذانا من اسرته سنة ١٣٣٢ هـ فذهب مبكياعلى

نجابته • فسافر أحد من اليه فتوصل بمتاعه فوجد فيه مايدل على أنه دؤلي (١) يحسن الايكاء • وانه حازم في لم‌كل مادخـل يده ولم نقف لـه على‌اثر كان رحمه الله ذا ذاكرة وقادة في القرءان حفظا وتفسيرا حفظ كثيرا من‌التأليف كالعاصمية وخليل برمته وغيرهما من الفنون كثيرالتبسم والمدارة مع الداني والقاصي

السادس محمود بن محمد بن سعيد من (ايت محمد) أيضاً

فقيه مسكين متواضع تغلب عليه الوحدة وايثار الخمول وهـو وان اشتهر بأنه عالم من علماء البلد • ليس من المحلقين في الجو • ولامن‌السابحين بين الامواج • وقد اخذ ماعنده من المعارف عن العلامة محمد بن ابرهـيم التامانارتي في مدرسة (تانكرت) وعن العلامة سيدي محمد بن علي في‌المدرسة (اليعقوبية) الايلالنية وقد أخبرني من حدثه أنه كان محصوص الريش اذذاك • لايجد مايتبلغ به الا بكلفة • قال فكان الشيخ سيدي سعيد بن‌همو المعدري ان ساح هنالك في (افران) وكثيرا مايسيح في تلك الجهة لكون أصحابه الجماء الغفير فيها • من بينهم العلامة ابن ابرهيم المذكور ـ يعددائما لتلاميذ الاستاذ الذين يلمون به في العشايا في القرى التي يبيت فيها مع أصحابه مائدة مادومة فائضة أو جفنة مكللة محلقية (٢) قال فكنت اغتابه فيمن ينتابه من الطلبة • وكانوا يقصدون منه الاسرار وأنا لاأقصد الاما أرفعه بالخمس ـ بهذه العبارة يعني الاصابع من الكف ـ ثم يتأسف على ان فاز من‌معه بما فازوا به • فبقي هو بعدهم بيضة البلد قال الحاكي • وكان يقص‌على كثيرا من أحواله اذذاك وكان محببا اليه ان يثر بالحديث ان وجد من يرضاه لحديثه

ثم انني لاأعلم له استاذا ءاخر بعد هاذين المذكورين • وقد اتصل بدار ءال القائد همو التزنيتي فكان أحد علماء تلك المدينة • مع كونه مغمـورا بأصحابه حتى أنه ليحكي أنه جلس مرة في دكان يعتاد العلماء أن يجلسوا فيه فمر به أحد المجان • فنادى في السوق ـ وكان الدكـان في السوق ـ أيها الناس تعالوا لتروا فلانا قد ظهر بمظهر العلماء • ثم مانال مظهر العلماء الابطول العمر وبعد ماشغرت البلدة من العلماء يريد بذلك ان يضحك الناس • مع أن مثله في فضله لايليق به مثل ذلك ثم انه‌شارط حينا في مدرسة (تزنيت) ويذكر أنه هو أول من أعلن ببيعة الامير الهيبة في خطبة الجمعة هناك لان الاعراب حملوه على ذلك مكرها •

---

١) نسبة الى ابي الاسود الدؤلي المشهور بالبخل وهو من التابعين
٢) نفي الذم عن ءال المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

ذلك هو سيدى محمود الرجل الصالح الهين الذى يعتاد فى ءاخر عمره أن ينتبذ عن الناس فى العشايا • فلا يجلس الا وحده فى بيدر من بيادر البلدة ازاء مسكن أهله وعلمه على كل حال وسط بل رأيت من يفضله على فلان الذى له شفوف عليه • والدنيا وكل ماليها حظوظ • توفى رحمه الله فى السبت ٨ شوال ١٣٤٣ ﻫ ولم يعقب الا بنتين التحقتا به قبل الزواج •

السابع : الحسن بن سعيد بن بيهي

من مشاهير فقهاء (آيت محمد) الشرفاء وءاله يسمون (ءال سيدى سعيد بن بيهى) ولد ١٢٨٠ ﻫ وأخذ القرءان عن الاستاذ سيدى ابرهيم المقدمى • وبه تخرج ثم افتتح عند الاستاذ سيدى مسعود المعدرى فى (بونعمان) وكان لدة الاستاذ عبد الرحمن العوفى فى المدرسة ومن طبقته فى الاخذ • وقد كان ذا اجتهاد فى وقت أخذه • يسابق العوفى • وسيدى أحمد بن مبارك الدشائرى وأمثالهما من نجباء لداته • وقد كان ممن جاء معهم الاستاذ الى مدرسة (المعدر) حين أخلى (بونعمان) لولده سيدى محمد • فلم يزل معه حتى استوفى منيته • وأشبع نهمته فصدر بمشاركة حسنة فى العربية والفقه • والفرائض والعلوم التى يزاولها أستاذه المعدرى • وقد كان فى المدة التى قضاها فى مدرسة (المعدر) له ذكر فى فض النوازل • فيقصده الناس على توفر علماء فى (المعدر) فدل ذلك على شفوفه • وقد بقى هناك حتى استدعاه القائد همو التزنيتى نحو ١٣١٦ ﻫ فصار كاتبه الخاص بل مستشاره وكاتم سره يورد القائد ويصدر بمشاورته حضرا وسفرا • وحين توفى القائد سنة ١٣٢٥ ﻫ صيره رؤساء تزنيت رئيسهم الاعلى • فقدموه على انفسهم لماكانوا ءانسوه منه عهد القائد فصار المقدم بين رؤساء (تزنيت) اذا أطلق لاينصرف الا اليه وقد كان ذا رأى وحنكة وتدبير زيادة على الشجاعة ومتانة الاخلاق وقد بقى عزبا الى ءاخر حياته وفى يوم تسابق فيه فرسان (تزنيت) الى (باب أكلو) من أبواب (تزنيت) حين حاصرها الاعراب سنة ١٣٣٢ ﻫ فواقع فرسانا من الاعراب • فسقط قتيلا • فأثرت وفاته فى أهل (تزنيت) تاثيرا كبيرا •

الثامن : الحسين بن محمد

عرف بالحسين من (ءال أوبيهى) وهو الحسين بن محمد بن عبدالله بن بيهى بن الحاج • اخوان (بنى أوعاهو) الشرفاء المحمديين • ولد سنة ١٢٨٨ ﻫ وجود القرءان على الاستاذ الفقيه سيدى أحمد بن مبارك الطحانى • وعلى بعض أقرانه من التزنيتيين • ثم مثل بين يدى سيدى مسعود فى مدرسة (بونعمان)

فاخذ عنه جملة وافية • كان بها عالما وسطا • لم يكن مجليا ولا سكيتا • وقد وصفه العلامة الاديب سيدى أحمد أوعامو بقوله (كان من العلماء العاملين المشتغلين بمايعنيهم التاركين مالايعنيهم كريم الخلق كثير المفاكهة والنوادر مع الطلبة فى المدرسة وخارجها • ملازما للصف غدوا وعشيا • ويحضر الحزب الراتب فى المسجد دائما وكان لايزاول أشغاله الضرورية بيده • فلايرى الا فى داره وفى المسجد • ويتبسم فى وجه كل أحد كبيرا وصغيرا وكفاه مزية دخوله تحت فضيلة حديث السبعة أصحاب الظل ورجل قلبه بالمساجد • ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما انفقت يمينه • فانه كان أيضا كثير الصدقة سرا • وتغلب عليه المداعبة فان سئل بجد عن مسألة أجاب • وان انس مداعبة دخل فيها • وكان يعظ الناس فى المساجد • ويقص عليهم القصص التى تدل على ذلك خصوصا فى رمضان • قال الحاكى وبكل أسف كنت فرطت فى جمع نوادره فى حياته •

والمرء مادام حيا يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

وكان معاشه من غلل املاك له فيقنع بها • وكانت وفاته يوم الاحد ١٢ شوال سنة ١٣٦٠ هـ ولم يعقب

التاسع إبراهيم بن احمد

اشتهر باسم (كافقا) الوفقاوى وصفه الاستاذ السيد احمد الناظر ابن عمه بقوله (عالم جليل تقى نصوح للعباد خصوصا الطلبة • فكثيرا ما يحضهم على التعليم • والصبر على الاستتمام • وله مشاركة من الفنون • أخذ عن سيدى مسعود وهو من التلاميذ الاولين عنده • وكان كما يواخذهم بالتعلم ويميل بهم الى التوجه الى الاذكار لتحسن نياتهم • وليتدربوا على لزوم الصدق دائما فى كل احوالهم • فظهر أثر ذلك فى المترجم لما رجع فتصدر للفتوى • ولرفع الراية التى يرفعها العلماء بين الناس وقد سار فى ذلك الميدان أشواطا • الى ان ابتلى بزوج لسوء حظه • فكانت تسىء اليه كثيرا حتى انها لتمزق كتبه عمدا • فصابر ماشاء الله • حتى اذا لم يجد لها من دواء طلقها • بل طلق بلده ومسقط رأسه فغاب وغابت أخباره • حتى وصل خبر بأنه مشارط فى مدرسة بـ (اسافن نيت هارون) فطاب له المقام هناك •

اذا كان أصلى من تراب فكلها بلادى وكل العالمين أقاربى

ففى تلك المدرسة ابدأ وأعاد فى التعليم والارشاد الى ان لقى ربه حوالى ١٣٢٠ هـ وكان متواضعا مائلا الى الخمول على غرار أخلاق شيخه سيدى مسعود ووالده أحمد هلك فى وقعة (العوينة) التى ذهبت بغالب

رؤساء تزنيت • وجل أهل (أكلو) وقد وقعت ١٢٩٥ هـ • هكذا اخبر الاستاذ المذكور • ثم قال ان بعض كتب المترجم صارت الينا كالجزء الثانى من شرح ابن عصفور على جمل الزجاج • في سفر ضخم ثم قال • ان المترجم ليس من صميم (أيت محمد) وانما هو من سلالة (ادمكنون) حلفاء (أيت محمد) قلت سبق لى ان ادخلته بين هؤلاء مع أنه ليس من شرطنا • ولكن نتبع أخانا الاستاذ فيما فعل ولعله أخذ في ذلك بحديث (سلمان منا أهل البيت) ومثل هذا يقال فيمن يليه

العاشر الحسن بن أحمد بن علي

ممن أخذ عن سيدى مسعود أيضا • كان قرين من سبق قبله • من الاولين ولكن هالته العلمية ضيقة • وقد وقف الاستاذ المذكور على بعض ءاثاره القلمية فعلم من ذلك ان معارفه وسطى لكنه ان اخطأه التوفيق في التضلع فى العلوم فانه لاحظه في الرجوع الى الله • فملا المساجد التي يشارط فيها بـ (أيت ابراييم) بتعليم كتاب الله وبارشاد العوام • وفى كتابة الرسوم بين المتبايعين قال الاستاذ وقفت له على رسم مورخ بـ ١٢٨٩هـ ولايدرى متى كانت وفاته ولعله بعد مفتتح هذا القرن

الحادي عشر سيدي محمد أوعَامّو القاضي

هذا هو اليوم قطب القضاة الرسمى فى جنوبى سوس • وأتاه الحظ بحسن نيته • وطيب سريرته • فكان شمس تلك الدائرة • يستنير به كل منزاه قلم يجول فى الاحكام والعدلية • وهو حسنة من حسنات (سوس) اليوم ١٣٥٧ هـ

مأخذه للقرءان

افتتح أولا عند الاستاذ احمد بن مبارك فى مسجد قرية (أيت "محمد) وهو من ءال اوعامو • وهو طالب خير مذكور بحسن السيرة توفى نحو ١٣١١ هـ وليس بالفقيه أحمد بن مبارك الطاحونى الشهير ثم عند الاستاذ سعيد من (بنيعدى) من أبناء عمومته وكان يتقن حرف البصرى والمكى من أصحاب القارىء المشهور الاستاذ محمد بن الحسن الماسى ثم عن ابرهيم المقدمى من بنى عمومته أيضا • وقد توفى نحو ١٣١١ هـ وعن عبد الكريم من (أيت يعزى وهدى) صهر الفقيه محمد بن عبدالرحمن الاغرابويى الشهير له المقام بالمعارف • وهو صالح مذكور بكل خير وقد ذكره الاستاذ الرفاكى فى روضته بقوله بعد ان ذكر الفقيه الاغرابويى المذكور •

(ومنهم صهره على بنيه الطالب الابر الصفى الاغر سيدى عبد الكريم بن أحمد منذرية (يعزىوهدى) ادخله على بنته فى داره • وجعله من جملة اولاده وأنصاره • فتركه فى عشه الى ان حمل هو فى نعشه • ١٣٤٨ هـ فى جمادى الاولى • وتزوج عنده بعد ١٢٩٠ هـ وقد حضرت فى وليمته • ولم يترك هو أيضا الا بنتا واحدة)

ثم ان المترجم انتقل الى مسجد (زوزض) فى (أيت همان) بقبيلة البرايميين • فلازم هناك الاستاذ الكبير أحمد بن محمد من (ءال سيدى عمر) البونعمانيين وقد كان يتقن حرف حمزة وغيره واشتهر كل الاشتهار بالجد فى التعليم • وقد كان حينا فى مدرسة (أوطاها) بحاحة ومن خط القاضى المترجم فى صفحات جمع فيها وفيات وفى فاتح ربيع الثانى سنة ١٣٥٤ هـ توفى شيخنا الاستاذ خديم القرءان العظيم الورع • أبو العباس سيدى أحمد بن محمد ابن سيدى عمر بن الحاج بتحت ذراع (بونعمان) التيزكيبى البعقيلى اصلا • البونعمانى وقتا فالله يرحمه الرحمة الواسعة؟ وقد كان هذا الاستاذ متقنا للسبع عند الضحاكى ثم كان من الاخذين عن سيدى مسعود معارف حسنة • وهذه الاسرة العمرية أسرة جليلة يستوفى فيها الكلام فى هذا القسم نفسه ان شاءالله فى ترجمة سيدى الحسن منهم وبهذا الاستاذ كان القاضى فى أخذ القرءان اختتم وكان ختامه مسكا •

مشيخته في المعارف

الاول : الحسن الراسلوادي

١ ـ الحسن الراسلوادى

قد افتتح عنده المترجم • فأخذ عنه اخذا ما • أخذ عنه الاجرومية والمرشد • وجمل المجرادى • ومنظومة الزواوى • وقواعد الاعراب لابن هشام ولامية الافعال فى التصريف لابن مالك • وبعض الالفية • قال انى لازمته سنة ونصفا فى (ايمى نتيركا) (فم الساقية) من قبيلة (أكلو) قال المورخ الرفاكى فى (روضته) عن هذا الاستاذ بعد ان ذكر أستاذه محمد بن على

قال المؤرخ عن سيدى الحسن

(ومنهم تلميذه الفقيه العلامة الورع الحبيى الوقور الناسك العابد سيدى الحسن الراسلوادى • وبه يسمى تزوج بنت شيخه • فأقامهمكانه يدرس الفقه والنحو والامهات الصغار وأما الاصول والبيان فليس بعشه ولا ادعاه • فهو خديم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم • ومقدم الزائرين

رأس كل عام الى (تيمكيدشت) من حيث الاسرار تمتار والاشرار تضار ودام على ذلك • وعض عليه بالنواجذ فظهرت فيه البركة • وهي الاستقامة الى أن توفي بـ (هشتوكة) بمدرسة (ابن جرار) عام ١٣٢٣ هـ فلم يعقب الا بنتا • ولم يورث مالا بل لمن صحبه حالا • فهو الى التجرد أميل ليس في أمور الدنيا أحيل • رحمه الله)

وقد رأيته أيضا مترجما في (تحلية الطروس) للاستاذ ابن الحبيب الجرارى فقد قال فيه

(ومنهم تلميذه – يعني محمد بن علي الاكلويي – الفقيه البركة المحمود في السكون والحركة • أبو علي سيدى الحسن من رأس الوادى به علم • كان من الورع والزهد في غاية عالية لاتدرك قام مقام شيخه المذكور في تدريس العلم • مقدما في الطريقة الناصرية دؤوبا على زيارة (تيمكيدشت) في رأس كل سنة • ولا يركب لها • بل يمشي على رجليه • فظهرت عليه بركة أشياخه • وورث سرهم • وكان لايشرب الاتاي زهدا فيه • ولا يحرث مستقيما على دينه • حتى توفاه الله بمدرسة (ابن جرار) بهشتوكة عام ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف ولم يخلف الا بنتا)

فذكر كما رأيت أن للراسلوادى قوة يمشي بها على رجليه الى (تيمكيدشت) فانتقد القاضي المترجم ذلك قائلا بل انه ضعيف البنية • لا يمشي الا راكبا • وقال في وصفه انه قصير رقيق • كأنه اذا اضطجع طائر • خصوصا ان انكمش • وكان في مشيته في محله • يشمر على ساقيه ويجمع اليه ثيابه •

أقول حدثني الفقيه سيدى عبد المالك التناني أن الحسن هذا يقال له في تلك الجهة سيدى الحسن الافناوتي نسبة الى أصله في (رأس الوادى) ثم أخبرني غيره بأنه كان معتقدا كثيرا • حين كان في (ابن جرار) وان الهشتوكيين ارتضوا حكمه بينهم في أشياء • ثم أراني بعض رسائله الى الفقيه سيدى علي السباعي • وهي كلها بسيطة نذكر منها بعض ما ربما يستحق الاعتناء • منها

(الاخ في الله الفقيه الاجل سيدى علي بن الحبيب السباعي السلام عليك ورحمة الله وبركته • وبعد فأسهم لنا يا سيدى من دعواتك ثم أحب منك أن تقف عند شيخ البلدة سيدى عبد الرحمن لينظر ما يقوله حامله في حقلته • فان الرسم الذى رأيته عنده صحيح • وقد أدلى الى بحرمة أشياخي فقرأته له • وان لم أكن آلف الدخول في أمثال هذا • والآن اشفعوا توجروا والسعي الحسن للضعفة عبادة

تعلم رعاك الله أن شفاعة لكل ضعيف الكف خير العبادة
لذا كانت الاشياخ تشفع كلما تطلبهم مرء وهم خير سادة
والسلام

ومنها

(الى الاخ فى الله ابى عبد الله سيدى على السباعى بن ابى الحسن
السلام عليك وعلى حضرتك ورحمة الله وبركته أما بعد فخذ يا سيدى
الكتاب فقد قضيت فيه الغرض وان كانت عندك نسخة صحيحة من
(أم البراهين) وشرحها • فاعطها للحامل ثم أعلمنا متى رئى هلال العيد
فان الناس عندنا مختلفون والمسبعات العشر كنت أخذتها عن أشياخى
وأذن فيها لتلميذك سيدى الحسن الحاحى فانه كتب الى فى ذالك وادعوا
لنا معا بكل خير ولله در القائل

انما الخير بالدعاء من الاخوان لاسيما الالى الفضلاء

والسلام •)

نكتفى بهذين الاثرين للتبرك بهذا الرجل الصالح الذى يستمطر
بمثله المطر وأما شيخه الاستاذ محمد بن على الشهير فانه وتلميذه الحسن
المذكور من جذم واحد كما ذكر لى القاضى • وهو اد حميدتش بـ (أكلو)•
وانما انتقل آل الحسن الى (أفنات) • وقد قال الاستاذ الايكرارى فيه

(ومنهم سيدى محمد بن على المدرس من قبل ١٢٩٥ هـ فى مسجد
(السقاية) (ايمى نتركا) بـ (أكلو) وهو من اد حميدتش يد طاغ
ـ كذا بتذكير اليد ـ فى عداد (أكلو) منهم على بن بترو وقال ـ أى على
ابن برو ـ • أنا الذى يأخذ الظلم حتى يعود حقا • فمات فى حبس (تزنيت)
(فانظر كيف كانت عاقبة الظالمين) وهو ـ أى صاحب الترجمة ـ فقيه
دين خديم للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم• فهو من بركة (تيمكيدشت)
فقيه , قرا وسلك على الناصرية فلم يكن من لداتى ولم استحضر من
مناقبه الا أنه دام على الاستقامة للموت عام ١٢٩٦ هـ فلم يعقب من ورث
علمه • ولا أدرك من محاسنه ولوقلامة لا تترك الجمرة الا الرماد • فقلما
ينجب بعض الاولاد ، أو أحفاد الاحفاد سنة الله فى أرضه فى طوله
وعرضه (كذا بتذكير ضمير الارض) انتهى وقد ترجمه أيضا المؤرخ ابن
الحبيب الجرارى بقوله

(ومنهم الفقيه النحوى الاصولى سيدى محمد بن على الجلوى المدرس
بـ (أكلو) بـ (فم الساقية) فقيه دين مكثر الصلاة على النبى صلى الله

عليه وسلم قرأ بـ (تيمكيدشت) واخذ الطريقة الناصرية بها فلم يعقب ولـــدا) .

أقول ان هذا العلامة الكبير أحد كبار المتخرجين بالشيخ أبى العباس التيمكيدشتى وبابنه سيدى الحسن وقد قام بالتدريس فى مدرسة (ايمى نترگا) فى قبيلة (أگلو) فخرج هناك أفرادا كما أنه كان درس قبل ذلك فى (عين المزاور) بـ (هوارة) . وله هناك تلاميذ واخبار عن اجتهاده فى التدريس لا يزال لها طنين ودوى الى الآن ومما استفدته هناك أنه كان يوما مع علماء هواريين فتداولوا يوما بينهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار المترجم يملى عليهم من ألفية العراقى السيرية . وكان يحفظها . فقال قائل منهم . لا والله لا نتفرق حتى نكتبها عنك ونأخذها فبقوا فى دار كانوا فيها عند بعض الكرماء أياما فكان يشرحها لهم وقد بعث الى محله . فأتى ببعض السير . وأحسب ان من حكى لى ذكر انها سيرة ابن سيد الناس . أو سيرة ابن هشام . فاقترحوا عليه ان يشرح لهم الارجوزة ففتح الشرح هناك . ولعله اتمه بعد ذلك وقد قال اذذاك هذه القصيدة النبوية

حمدا لبارىء كل الخلق من عدم   مولى المكارم فضلا منه والنعم
من رفع الامة الاخرى وفضلها   على سواها من السباق فى الامم
أتى اليها بدين مجتبى وهدى   كالنور يسطع فى حنادس الظلم
على يدى خير خلق الله اجمعهم   وسيد الرسل خير الناس كلهم
من اجتباه نبيا قبل خلق جميـ   ـع الكون لم يخرجوا من بعد من عدم
سلسله من سلاسيل مطهرة   مبرءات من الادران والوصم
جميع ما كان فيها من مناكحة   بار من العيب بل جار على اللقم [1]
ادبه ربه فصار أفضل من   يمشى على هذه الغبراء بالقدم
خير الاروم وأنقاها أرومته   بنو معد اجل الناس فى الذمم
من مثله فى بنى حواء كلهم   من مثله بين كل العرب والعجم
أتى وقد سدل الفكر الذيول ولا   دين يسوق الورى لبارىء النسم
فبيض الاوجه الغر اصباح بما   اتى به من هدى فى سائر الامم
قد اقتفاه صحاب عز مثلهم   اذا جرت ملحمات فى الوغى بدم
فسل تبوك وبدرا بل وسل أحدا   ثم حنينا تصخ لاعظم الهمم
والخندق اللذ حوى نصرا به عجبا   يعجز عن وصفه الافصاح من قلمى
مازال خير الورى فى فتح اعين من   عموا الى ان رأى سلما بوعظهم
حتى مضى افتديه بالجدود الى   اعلى الجنان ودين الله فى نظم

---

1) اللقم محركا الطريق اللاحب

جـزاه عنا الاه الناس خـير جـزا   فشكره ليس يوفى عشره بفـمى
آزكى الصـلاة عليه والسلام مـع   الاصحاب مع ءاله طرا ذوىالكرم

ولا أكاد اشك انه تذكر حين قال هذه القصيدة على روى الميم قصيدة نبوية ميمية للشيخ الحسن التيمكيدشتى وقد ذكرت فى ترجمته بـيـن التيمكيدشتيين الا ان نفس ابن على أفضل من نفس الشيخ يظهر ذلك بالمقابلة بين الميميتين وهذا يدل على ان لابن على يدا فى البلاغة غير قصيرة واو كنا رأينا له غير هذه الميمية لازددنا به معرفة ٠ وقد وقفت على بعضءاثار له أحدها الى القاضى سيدى عبد الكريم الردانى نصه

(فعلى الاخ فى الله ٠ والمحب من أجله ٠ الفقيه النبيه قـاضى الجماعـة السيد الهمام عبد الكريم بردانة حرسها الله باظهار أنواره الازلية عليها وعلى من اشتملت عليه من الخاصة والعامة الاحياء والقائمين السلام والبركة والرحمة عن خير مولانا ايده الله ونصره ٠ من أخيكم الضعيف محمد بن على الجلوى ٠ من غير معرفة الاسم والعين بيننا وبينكم ٠ ولكن معرفة القلب اولى لان الله تعلى انما يقبل من القلب أو يرد عليه كما هو فى كريم علمكم وبعد فان الحامل السيد عمر الكرنى أخونا ومحبنا بل بضعة منانر يد من الله ومنوجهه الكريم ٠ ومن فضل الله عليكم ان نقف معه وقوفا مرضيا عند الله ٠ وعنداهل الله ٠ فانهم معه فلاتشك ولاترتب ٠ وعلى هذا فقد أدخلناك فىسلك أهل محبتنا وأنت كذلك ولكن القرطاس لايضيع بـل يكون فى جيبك أو مايقرب منك وعوضه ترسله الينا نشم منه رائحتك ونستفيد من بركة الفاظك ٠ فاننا ممن منح لهم الله من الظهور ٠ ونحمده ونسكره على ذلك هذاوانى سائلكم الدعاء والسلام)

وثانيها هذه الرسالة

(فعلى الاخوان كافـة قبيلة (ءال ساسو) عموما وخصوصا السـلام والرحمة والبركة عنخير سيدنا أيده الله ونصره ٠ منأخيكم الضعيف محمد ابن على الكلوى ٠ وبعد فانى احمد الله لى ولكم على كل حال ٠ وأوصيـكـم واياى بتقوى الله العظيم التى هى امتثال الاوامر ٠ واجتناب النواهى ٠ قولا وفعلا واعتقادا قال تعلى (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم ٠ لايسلمه ولا يظلمه ٠ وقال أيضا المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ٠ وقال أيضا لايبلغ أحدكم حقيقة الايمان حتى يحب لاخيه المومن مايحب لنفسه ٠ وقال أيضا لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا فتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون وخذوا بيدالمظلوم حتىينتصر منالظالم يأخذ حقهمنه٠وهذا فلان لابدانتجولوا

بين أخيكم سيدى محمد بن عبد الله وأهل (تييفتوت)حتى يتحاسبوا ويرد الظالم منهما للمظلوم مظلمته ولاتهملوا امره لئلا يتسع عليكم الخرق على الراقع • ولكن انظروا الوجه اللائق بينهما • واحملوهما عليه رغما على انفهم قال تعلى (وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما) الخ (ان الله يحب المقسطين) (تنبيه) ماذكرناه من المدرسة وبنيانها وجمع مايقوم بشأنها من نصف أعشار زرعكم أوثلثها أو ربعها لابد من ذلك واعتقدوا ان الله تعلى اختاركم لخدمته • ولذلك عرض لكم هذا المقام فاخدموه بنية وجد وحزم وعزم تربحوا وتفوزوا والخير تشتركون فيه أنتم وأولادكم ومن شاء الله بعد الى يوم القيامة ولاترضوا بخدمة حزب الشيطان وهو القيام بأموالكم وأنفسكم فى الفتن بين المسلمين فان هذا عياذا بالله من الزيغ بعد الهدى وضلال وهلاك عام فمن أعاننا على هذا الخير أعانه الله • وأعقبه خير الدنيا والاخرة • أصلحكم الله ووفقكم وبارك فيكم وجمع شملكم بالنبى وءاله هذا وانى أسائلكم الدعاء والجواب والسلام)

ثم وقفت على تعزية الشيخ سيدى الحسن التيمكيدشتى فى تلميذه هذا نصها

(أحبتنا فى الله تعلى كافة اخوان الفقيه البركة المرحوم بكرم الله سيدى محمد الجلوى واولاده وتلامذته السلام عليكم ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا ايده الله ونصره • وبعد وصلنا خبر وفاة الفقيه قدس الله سره فاصبروا اخواننا لقضاء الله كما صبرنا واحتسبوا كما احتسبنا انالله وانا اليه راجعون عظم الله أجرنا واجركم فيه • وارتحلوا عن الخلق الى الحق تعلى • واصرفوا همتكم الى مافيه همة شيخكم من تقوى الله • والوقوف عند حدود الله • والعمل بما انزل الله • واقامة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وشدوا العضد على ولده وراقبوا فيه احسان والده اليكم أداء لبعض مايجب عليكم • ثبتكم الله وأصلح بمنه أموركم وعلى محبتكم التامة ونسئلكم صالح الدعاء والسلام فى افتتاح جمادى الثانية عام ١٢٩٦ هـ الحسن بن احمد بتيمكيدشت) وله اخ يسمى ابرهيم علامة جليل اخذ أيضا عن الشيخين سيدى أحمد وولده سيدى الحسن • وهاك اجازة من الاخير منهما:

(الحمد لله الذى فضلنا بالعلم والعمل وخصنا بهذه الملة الاسلامية التى هى اشرف الملل • والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى المرسل وعلى ءاله وأصحابه الاجلة الهداة أمثل من عدل • أما بعد فقد سألنى الفقيه الاعدل العلامة الامثل سيدى ابرهيم بن على الجلوى أن اجيز له فى جميع ماقرأه علينا او سمعه لدينا من جميع الفنون العلمية المتداولة بين الاقران فى هذا الزمان • فأجزته بعون الله اسعافا له • وتنشيطا له • وأذنا له فى التعليم والارشاد • وان ينقل عنا ويسند الينا رواية مايرويه عنا اجازة مطلقة

عامة في سائر الفنون فقها ونحوا وبيانا ومنطقا وفروعا وأصولا وحسابا وفرائض والحديث والتفسير وغير ذالك • وذلك بشرطه المقرر عند أهل هذا الشأن • من تقوى الله • وقول لاأدرى فيما لايدرى فقد روى أنها نصف العلم وأوصيه بالتقوى ولزوم السنة والثبات عند الحق والدعاء اليه سدده الله واصلحه وعلى يديه وقد رضينا عنه رضا تاما وأسندناه لولاية الله ورسوله • فنسئل الله العظيم بجاه نبيه الكريم أن يتولاناأبدا وبه في افتتاح ذى الحجة الحرام عام ١٢٧٩ هـ عبدربه تعلى الحسن بن احمد الميمونى بتيمكيدشت لطف الله به امين)

ثم هاك أيضا ما وقفت عليه مكتوبا يوم وفاته (وفي يوم الاحد الذى هو الوافي تسعة وعشرون يوما من جمادى الثانية توفى شيخنا العالم العلامة الفاهم الفهامة مربى المريدين • وتاج العارفين • رحمه الله امين أبو سالم سيدى ابرهيم بن على الاكلويي دارا ومنشئا البعقيلي أصلا • تغمده الله برحمته • وجعله من أوليائه الابرار وترك لاخيه - يعني محمد بن على المذكور - خمسا وستين عالما حاضرين لماته • ويبكون ليلا ونهارا حتى كادوا يموتون بالبكاء ولاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم وكتبه تلميذه الذى هو ابن عمه الحسن بن أحمد الاكلوى اصلا ودارابا وفتت تغمده الله برحمته بتاريخ عام ١٢٨٢هـ) والحسن هذا هو الراسلوادى المتقدم فهؤلاء اذن اسرة علمية نعلم منها ثلاثة علماء • ولا يعلم الا الله من خفى عنا منهم

ب - الاستاذ مسعود المعدري

هذا هو الاستاذ الثاني للقاضي محمد اوعامو في المعارف •

أخذ عنه في مدرسة (المعدر) أخذا قليلا جدا قال وقد وجدت عنده اذذاك طلبة كثيرين • من بينهم طلبة استتموا عند ابنه الاستاذ محمد في المدرسة (البونعمانية) أرسلهم الى والده ليكون توديعهم على يده • وكانت تلك عادة ابن مسعود مع والده • تأدبا معه طوال حياته • قال من بينهم الفقيه أبوزيد العوفى • والاستاذ محمد بن الطيب النناني والفقيه أحمدبن مبارك الدشائرى والسيد الحسن بن سعيد التزنيتي •

ج - الاستاذ الحسين الازاريفي

قال نزلنا في مدرسته على نية ان نلازمه فإذا هوأعمى • وولده الاستاذ محمد هوالذى يتولى السرد على والده في البخارى بعد العصر وطالب نجيب ماسي من (ايمحمودن) يدرس الرسالة فاخذنا على الجميع قليلا • وقد تبركت عند الاستاذ الحسين فافتتح لى الاجرومية • ثم غادرت مدرستهم الى (بونعمان)

د ـ الاستاذ ابن مسعود

لازمه في المدرسة (البونعمانية) من ١٣١٤هـ الى ١٣٢٧هـ فأخذ عنه اخذا كثيرا في كل الفنون نحوا ولغة وتصريفا وفقها وأصولا وبيانا وحديثا وتفسيرا وكان يلازمه ملازمة تامة وكان أحد البارزين من طلبة (بونعمان) اذذاك فكان يقف مع الطلبة وهو أحد رؤسائهم على كل أشغال الاستاذ الحصادية وعلى جمع الشرط في غالب المدة التي لازم فيها الاستاذ وقد كان متزوجا بأيم كان أحد أهله توفي عنها • فاقتضت مصلحة الاسرة أن يبادر بتزوجها • وهذا هو السبب حتى غادر المدرسة بنفسه فقط من غير ان ينقل متاعه من بيته سنة ١٣٢٧ هـ فانه لايزال يتمنى لوعاد اليها ولكنه سرعان ماأتت امور لفتت نظره الى مزاولة القضاء بين الناس ثم مانقل متاعه وكتبه الا بعد وفاة الاستاذ في ربيع الاول ١٣٣٠ هـ

مختلف أخبار تقلباته

كان انتشب في مزاولة النوازل • بمجرد مافارق المدرسة • سنة ١٣٢٧هـ لما له من الجاذبية لانه يألف ويولف • وجنابه اللين • وخلقه الفسيح ووجهه الطليق تحببه للناس مع مركز اسرته (آل أوعامو) السامي بين التزنيتيين • وقد كان مبارك أخوه بينهم بهمة من بهمهم • وصمة مذكورا في كل الميادين فنال بذلك زعامة • فورثهما منه المترجم • الا انها زعامة علمية موسسة على القلم والقرطاس وقد وقفت على رسالة كتبها الى استاذه ابن مسعود يسأله عن رأى ظهر له في نازلة يستوضح منه الحق أهو موافقه لرايه فيها أم لا ؟ فاجابه الاستاذ ضمن الرسالة التي بين له فيها الحق في النازلة بأبيات نصها

أهم ما على الفقير	ذكر وعزلة تنير
وان أبى تركه	أهل الخصام في سعير
والاشتغال بالفتا	وى قيل ذا من الغرور
أتحفنا الله جميعا	بحبور وسرور
وبانقطاع واتصا	ل وانشراح في لصدور

ووقفت أيضا على رسالة ارسلها اليه أيضا • جوابا عن كتاب أهداه اليه المترجم نصها

(أخونا في الله تعلى • الفقيه سيدى محمد بن أحمد أوعامو التزنيتي كان الله لنا ولكم وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته • نعم جميع

احوالكم • هذا • وقد وصل مابعثت به من جزء (شرح المنار) فاللهتعلى يتقبل منك • ويثيبك على ذلك اتم العرفان وأكمل الرضوان وعافيةالدارين ءامين ولاتعد الى مثل ذلك • فان الكتب ءالةيستعين بها كل أحد • وان قدرت على مذاكرة مع بعض من له رغبة فى ذلك • فهو خير من تعطيل الوقت والعلم يزداد بأمرين استقامة على طريق السنة النبوية ومذاكرة معصفاء أهل الطوية • والمذاكرة فى الدار وفى سقيف مسجد (أيت محمد) فى شيءمن الحديث النبوى والفروع الفقهية على الاتصال والدوام خير من تضييع الوقت والاستخارة فى جميع الامور سباحة الخيرات • كان الله لنا ولكم • وسددنا والطف بنا ظاهرا وباطنا ءامين والسلام)

هكذا كان نظر أستاذه اليه أنيجمع اولاهمته علىالله • ليذوقمذاق العارفين لربهم حتى لايشغله مقام • ولايستفزه تطلع الى مركز ثم ان يقبل على نشر العلم بين الناس فيفيد أهله ماكان استفاده فى رحلته• غير انالرياح تجرى بما لاتشتهى السفن فان صاحبنا لم ينشب ان ارتطم الى عنقه • وذلك انه كان يتمشى فى ذلك الميدان ـ وماخلق الا لذلك الميدان ـ رويدا رويدا • الى وسط ١٣٣٠ ﻫ فجاءت دولة الشيخ الهيبة فكان هو ورفيقه بارزين فى (تزنيت) كقاضيين فى عاصمة الامارة فأبدآ وأعادا وذلك الرفيق هو لدته الفقيه سيد الحسن العفيانى المقدام فانه ايضا كما تخرج من المدرسة (البوعبدلية) فتجاريا معا كفرسي رهان واللسان وتخطيط الخطط لهذا المقدام وصاحبنا يزين جرءة رفيقه بتؤدته وحسن تلطفه وعدم مشادته فكانا ككفتين فى كل واحدة منهما ماينقص الاخرى فتمثلا بشرا سويا وذاتا واحدة فلم يزل ذلك دأبهما فى النصف الاخير من سنة ١٣٣٠ ﻫ الى أن أخرج الشيخ النعمة من (تزنيت) أواسط ذى الحجة فبقيا فى مركزهما ترجع اليهما نوازل القبيلة ولهما من بين رؤسائها أعضاء وعيون ثم لما جاء زمن القائد ابن دحان كانا ايضا فىذلكالمركز عنده • يوفر لهما العطايا • ويشيد بمراكزهما • ويتخذان مقعدا ساميا فى محله دائما فى كل وقت طعام غداء وعشاء فتسلسلت سعادتهما • وحالهما حالهما الفقيه العفيانى فى الطليعة باقدامه وصراحته وطلاقة لسانه وعدم رعايته الا مافيه فائدة مركزهما • وصاحبنا يحافظ على خط الرجعة • وهو كيس ينفق بمقدار وقد كانت املاك أهله متسعة فحافظ عليها وهو يسرب الى أشغال الاسرة اخوته الذين نشأ غالبهم تحت يده من بعد عام ١٣٢٠ﻫ وقد خلفه عليهم والده • ووصاه على جمع شملهم فحافظ كلالمحافظة على تنفيذ هذه الوصية • فمنهم من ظهر فى الميدان العلمى ومن من برز لمزاولة اشغال الاسرة فأحدهم يذهب وياتى بالجمال الى (السويرة) بين القوافل التى تزخربها اذذاك طرق حاحة • وبها تنفق السلع

بسوس بين الصادرات والواردات ومن له جمل واحد فانه يكفيه مونة النفقة الضرورية فكان لآل المترجم جمال متعددة فتكفى الاسرة كل النفقات ـ وكانت هذه الطريق اذ ذاك قبل رصف الطريق للسيارات منجما فاكثر النفع لكثير من الاسر السوسية الازاغيرية فكل من له جمل فيها فانه مكفى المئونة فى كل المصاريف المنزلية سكرا وأتايا وشمعا وكتانا وأوانى ثم لما اتت السيارة وذهبت الجمال بسببها اعترى كثيرين عوز بسبب ذلك ـ وهناك من اخوته من يباشر أمور المنزل٠كالعبد أمام صاحبنا فينفذ أوامره وهكذا انتظمت أمور الاسرة انتظاما مطردا له تاثيره بعد وكان هجيرى المترجم فى عصر ابن دحان ان يملا مركزه عند القائد مع رفيقه العفيانى ويدخل أيديهما ما تيسر اما من هدايا هذا القائد الكريم ٠ واما من النوازل ثم لما استبدل به القائد عبد الرحمن الحاحى ٠ وهو لاينفع ولا يضر بقى صاحبنا مع رفيقه محافظين على مركزهما واما حين القى الكنتافى كلكله على التزنيتيين ـ فقد لقى صاحبنا مع رفيقه ما لقيا٠ فأما رفيقه فقد وشى به واش عند القائد الكنتافى فألقاه فى غيابات السجن حيث بقى سنين وأما صاحبنا فانه يزجى الايام ٠ ويداخل خليفة القائد محمد بن ابرهيم ٠ وكاتب القائد الحاج الهاشمى ٠ فأمكن له بهما أن يحافظ على مركزه وان صوريا لان الكنتافى معتز بنفسه وبعقله وبسياسته وبعلمه فلا يحتاج الى أمثالهما ثم لاقى القائد بعض الثرثارين من عندنا ـ من زاويتنا بالغ ـ فالقى فى اذنه بهتانا أن جارية رائعة لانظير لها موجودة للبيع ازاء (تامانارت) فلم يعتم القائد أن كلف صاحبنا بالسفر الى (الغ) لينظر كيف يصنع فى حوز الجارية فبينما نحن جالسون يوما مع شيخنا سيدى سعيد التنانى وأخينا الاكبر رب الزاوية ٠ اذ قدم علينا المترجم ٠ وفى يده رسالة من القائد الى الاخ فى ذلك ٠ فارتأى شيخنا والاخ أن لايتكلف صاحبنا مشقة السفر الى تلك البلاد التى لايعرفها ٠ فكلفا الفقير أبا جمعة الكسيمى ـ وكان اذ ذاك لايزال تحت تاثير جروح وقعت فيه اذ عورت احدى كريمتيه وقد أصيب هو وغيره فى صحبة الاخ فى الحرب الكبرى فى الجهة البعمرانية سنة ١٣٣٥ هـ قال الفقير أبو جمعة فذهبت مرغما اذا بتلك الجارية أم تعرض للبيع ولكن تيسر لنا عبيد وجوار أخرى تسعة عشر رأسا قال وذلك ببركة سيدى سعيد الذى لعله كوشف بما عسى أن ألقاه هناك ٠ فالقى الى نصائح ظفرت معها بكل هذا ٠ فرجعت الى الزاوية ٠ أقول فى هذا الوقت عرفت القاضى المترجم وعرفنى ٠ وما ذلك الا أنه أريحى طرب مفكاه ممراح مفراح فلى أنسى

ذلك الوقت معه ولن أنساه ما حييت • وكان شيخنا التناني قطب الدائرة يرشد ويعلم • مع عدم غفلته عما ينفعنا جميعا من أذكار فأتذكر أنه علمني والقاضي تحصينا خاصا بثاية الكرسي ثم لما حضرت العبيد والجوارى على يد أبي جمعة ولم تحضر الجارية وجد القاضي في نفسه خوفا من القائد • فقال له شيخنا التناني لاعليك أنت• بل أذهب ويذهب معك الفقير أبوجمعة هذا الى القائد•وخل بينه وبينه فانه يعرف كيف عقلية العمال أمثال الكنتافي ففعل ذلك • فاستراح • قال الفقير ابو جمعة البوعشراوى الكسيمى ثم انني عرضت ما جلبته على القائد • فابتهج غاية بالرخص فندد على أناس كانوا يجلبون له السود بغلاء فاحش ثم لم يزل البوعشراوى يتردد على القائد بالعبيد • حتى ورد عليه مرة بعبد استغلاه • وقد زعم أنه كذلك اشتراه فاذا به قد باعه بعد أن رده عليه بأدون مما قال فاستشاط القائد غضبا • وهم به • الا أنه كان غادر (تزنيت) فسلمه الله منه وهذا حال هذا القائد لايكاد يسلم من يعامله من غضبه • وقد نال منه صاحبنا القاضي نصيبه • فان الماء الذى يسقى به القائد ـ وهو مغصوب من الناس ككل الاراضي التى يسقيها ـ سقط في أرض ءال القاضي ليلا من غير شعور• فاخبر القائد بذلك • فأرسل الى صاحبنا اما الف ريال حسني الان الان• والا فالسجن • فلم يكذب صاحبنا وعيده لانه يعرف منه أنه في الوعيد قؤول فعول • فأتاه بالالف حالا • بعدما تسلفه بسرعة • فنجا منه ولم يكد • وطالما كنت أضاحكه اثر هذا وقد أصلح القائد جوامع ومساجد وكتاتيب في مدينة (مراكش) فأقول له ان الفك انما صلح به المكان الذى اجلس فيه للدراسة في (جامع باب دكالة) وكان هذا الجامع أحد الجوامع الكثيرة التى أصلحها ويا ليته لم يغتصب ولم يصلح (وليتها لم تزن ولم تتصدق) وكان هذه الالف التى أخذت من القاضي مثل ذلك الضرب الذى أصيب به الامام مالك فان مالكا لم يزل بعده يرتفع شأنه ارتفاعا عظيما • حتى لتنحنى هام الملوك فمن دونهم امامه وكذلك القاضي فانه بعد ذلك لم يزل شأنه يعلو حتى نال منالا في ماله وفي جاهه وفي شأنه كله فان الكنتافي لم يلبث ان عزل عن (تزنيت) أواخر ١٣٣٩ هـ فزال منه ذلك الكابوس الذى يثقل على جميع الناس فشرعت الحكومة تباشر الامور بتؤدة• فقدمت هذا القاضي لفض النوازل• ولكن لم يكن تقديمه اذ ذاك الا من المراقبة خاصة وان جاء ذلك صوريا على يد مولاى الزين الخليفة السلطاني في (تزنيت) ظفر المترجم بذلك فيرتفع شأنه شيئا فشيئا ويتسمى بالقاضي وان لم يكن بعد قاضيا رسميا • فدام على مزاولة القضايا الشرعية • وقد رأيت بعض ما

حرره اذذاك فهوشبه حكم من الاحكام التى كان الفقهاء المحكمون يصدرونها على العادة لمن يحكمونهم فى قضاياهم ومن بين تلك المحررات فقهيات محررات • وفى ذيولها توقيعات من رجال المراقبة وسأحرص على ايداعها فى (المجموعة الفقهية) ان تيسر ذلك

وفى سنة ١٣٤٣ هـ توصل بالظهير السلطانى فصار قاضيا رسميا منذلك الحين • فأول مافعله • اختيار من يصلح للعدالة من كل قبائل (أزاغار) من (أيت‌باها) وكل قبائل (هشتوكة) و (ماسة) والرسموكيين الازاغاريين والبعقيليين الازاغاريين (والمعدر) و (اكلو) و (ءايت جرار) و تزنيت • وهذه ايالة كبيرة متسعة • فنظم كل تلك القبائل • فجعل عنه نوابا • فاظهرحنكة كبيرة • وبصيرة نافذة • فى اختياره رجال محكمته • وكل العدول والنواب فرجع التنظيم الى العدلية فى (ازاغار) بعد مامرت اجيال لاتعرف هذا النظام الا لماما • ولااستحضر الان تنظيم العدلية نظاما يشبه هذا الذى نعهده الان فى (تزنيت) بل فى كل(سوس) وانحائها • الافىعصر (بودميعة) فانه نظمالعدلية وعين فىكل قبيلة قضاة وعدولا ـ كمابينا ذلك وذكرنا أسماء القضاة فى كتاب ـ (ايليغ قديما وحديثا) وأما وراء ذلك العهد فانما نرى بعضقضاة مخزنيين ازاء (تزنيت) ولكنهم بالمحكمين المشهورين فى كل (جزولة) أشبه منهم بقضاة • وقد كان أحمد امزوغار قاضيا فى عهد بودميعة • كما تولىولده فى مركز قضائه فى (ازاغار) محمد بن أحمد فى عهد ابن محرز • وعبدالملك ومحمد العالمابنى المولى اسماعيل العلويين فكأن ماانقطع ازمانا رجع الى (ازاغار) بسبب الحكومة على يد صاحبنا هذا • فنال فخره • فكل من سياتى بعده انما سيتمشى على خطته التى رسمها • وقد أفادنى العلامة سيدى احمد أخو القاضى بظهائر تولية القاضى تتابعا • لانه تولى بظهير من المولى الزينالذى نزل بـ (تزنيت) اثر رحيل الكنتافى وذلك باذن المراقبة ونص هذا الظهير :

(من فضل الله ووجود مولانا المنصور بالله • أدام الله تاييده وعلاه • قدر شحنا الفقيه العدل الاجل السيد محمد بن أحمد بن مبارك اوعامو المحمدى لتولية خطة القضاء ببلدة (تنزيت) وما والاها وقد مناه لفصل الخصوم • والمخاطبة على الرسوم فنامره بالاخذ فى ذلك بسيرة السلف الصالح • والسير على النهج الواضح وأن يسوى بين الخصمين ماجمعهما التحاكم • وضمهما التخاصم • وان يبتدى ذوى الاحكام بالصلح • وأوصيناه فى جميع أموره بتقوى الله • ومراقبته فى سره ونجواه • فالله يوفقه ويرشده ويعينه ويسدده • والسلام فى ٩ ربيع النبوى الانوى عام ١٣٤٠هـ)

زين العابدين بن الحسن لطف الله به

ثم ظهير سلطاني سنة ١٣٤٣هـ نصه

(يعلم من هذا المسطور الكريم المتلقى أمره بالاجلال والتعظيم انـنا بحول الله وقوته • وشامل يمنه ومنته • ولينا ماسكه الفقيه سيدى محمد بن أحمد بن مبارك خطة القضاء بـ (تزنيت) ودائرتها واسندنا اليه النظر فى تصفح الرسوم والفصل بين الخصوم • على ان لايخرج فى الحكم عن المشهور والراجح • وماجرى به العمل من مذهب امامنا مالك سالكا فىذلك افق المناهج وأوضح المسالك • فعليه بتقوى الله ومراقبته فى سره ونجواه وليعلم ان الله سبحانه يراه • وأن احكامه ستعرض عليه فى أخراه • وفقنا الله واياه • لما يحبه ويرضاه • نامر الواقف عليه من خدامنا • وولاةأعمالنا ان يعلمه ويعلم بمقتضاه ولايحيد عنه ولايتعداه صدر به أمرنا المعتـز بالله فى عشر قعدة الحرام ١٣٤٣ هـ قد سجل هذا الظهير الشريف بالبنيقة الكبرى • فى ٢٧ قعدة الحرام عام موافق ٢٠ يونيه سنة ٠٠٠(١)

وفوقه الطابع الصغير اليوسفى • وتحته محمد المقرى وفقه الله • وفى سنة ١٣٤٤ هـ زيدت له (هشتوكة) فجاءه الظهير بتسمية كل القبائل التـى تحت نظره • ونصه

(يعلم من ظهيرنا هذا أسماه الله واعز امره • وجعل فى الصالحات طيه ونشره أننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته • ولينا ماسكـه الفقيه السيد محمد بن مبارك أوعامو • خطة القضاء فى مدينة (تزنيت) وأهل (أكلو) و أهل (ابراييم) و (اولاد جرار) و اذاوبعقيل و رسموكة و أهلالمعدر و (أهل ماسة) وأسندنا اليه النظر فى تصفح الرسوم والفصل بينالخصوم على ان لايخرج فى الحكم على المشهور والراجح أومابه العمل من مذهـب امامنا مالك • سالكا فى ذلك اوفق المناهج واوضح المسالك كما ناذنه ان يكون ينظرفى عقار ومواريث كبيلة (هشتوكة) وعليه بتقوى الله ومراقبته فىسره ونجواه وليعلم ان الله سبحانه يراه • وأن أحكامه ستعرض عليه فى أخراه • وفقنا الله لما يحبه ويرضاه • نأمر الواقف عليه مـن خدامنا وولاة أمرنا أنيعلمه ويعمل بمقتضاه ولايحيد عن كريم مذهبه ولايتعداه • والسلام

عبدربه امرنا المعتز بالله تعلى فى ١٨ رمضان ١٣٤٤ هـ وفوقه الطابع اليوسفى وتحتهمحمد المقرى وفقه الله)

هذا بعض أخباره التى تستحق الذكر فى كل أدوار حياتـه الى الان

---

١) سقطت السنة من قلم الناقل لنا

١٣٦١ ه وهو لايزال في مزاولة خطته على أحسن مايرام أعانه الله وحفظه في كل قبائل (ازاغار) من (أيت باها) وكل (هشتوكة) ف ماسة ف رسموكة ف (بعقيلة السهلية) ف (المعدر) ف (اكلو) ف ايت برايبم ف اولاد جرار نظم العدالة من أفاضل الفقهاء في كل هذه الايالة المتسعة • فتصدر بالحزم • يعلم الناس كيف البت في القضايا مستعينا في ذلك بافاضل العلماء فكم نازلة عويصة بث فيها بعدما عاصت على من قبله • وكان يسأل أمثال سيدى المحفوظ • وسيدى عبدالرحمن العوفي وسيدى على بن الطاهر وسيدى عثمان • وسيدى محمد بن احمد الاكراريين كنازلة المجيكيين بـ (رسموكة) وما اكثر أمثالها • فهكذا برز فبرز في ميدان القضاء •

نتفة من أخلاقه

كان حين لايزال في شبيبته في مسلاخ الشبان • من طلبة المدارس بلا فرق • طلاع كل ثنية • ولاج كل باب • مجتن لكل لذة امكنت كيفما كانت • معغلبة المرح عليه غاية • وله في ذلك حكايات • منها أنه كان يومامع الطلبة البونعمانيين يحصدون زرع الاستاذ في (المعدر) وقد تفرق الطلبة فرقتين فرقة كان على رياستها سيدى بلخير التيمجاضي • وأخرى كان على رياستها صاحبنا • فاتفق الطلبة على ان يفرقوا الفدان قسمين • تقوم كل فرقة بحصاد نصيبها فانتدب للتفرقة الرئيسان المذكوران فكان صاحبنا يخطو بالخطوات التي يفرق بها الخطين فيقصر الخطوة في نصيبه مع اصحابه ويوسعها في نصيب الاخرين • وسيدى بلخير المغفل لم يتفطن للحيلة • وانما يحسب الخطا فأتم أصحاب القاضي حظهم بسرعة • وبقي كثير من حظ الاخرين فاكتشف بعض الحذاق الحيلة ثم أخبرهم بها المحتال نفسه فصاروا يتنادرون بها ماشاء الله وحكى لنا بنفسه أنه كان الاستاذ محمد ابن مسعود يخاصم الطلبة يوما وسماهم أصحاب السليهيمات • فلما ذهب الاستاذ قال يابشراى فانني مادخلت في عتاب الاستاذ • لانني لبست الرداء • ولم البس السلهام وكان يعتاد لباس الرداء من قديم على عادة أصحاب المروءة اذذاك • وحكى أنه في أيام التحاق أستاذه وكل الطلبة بالحاج بلخير الشيخ البوشتى البعقيلي يكون معهم في مجالس الذكر فكان الشيخ كلما نظر نظرة الى أحد الذاكرين لايشعر بنفسه الا وقد قفز من موضعه تأثرا بنظرته • قال الاانا وحدى • فانه ان حملق الى شاخصا ببصره احملق الى شاخصا ببصره احملق اليه بعيني معا ثم لايصيبني شيء مما يصيب غيرى فكان الطلبة يقولون انك خلو من محبة الشيخ فلما فارقوا الحاج بلخير صاروا يتضاحكون ويقولون • مانجا منه الافلان • ومن حكاياته أيضا أنه قال

كان ازاء المدرسة (البونعمانية) مشهد حديث لبعض الصالحين توفى وشيكا فادركنا ولده شيخنا كبيرا مسنا وكانت الذبائح ترد على المشهد فكنافى أوقات الفراغ ربما نختلف الى المشهد لان ذلك السيد يعطينا من الذبيحة طرفا • فصادفنا عنده يوما كبشا مذبوحا • وقد استوفز امام ضريح أبيه • وهو يناديه بأعلى صوته ياأبتاه يا أبتاه تنبه لقضاء حاجات الناس بسرعة فانهم يضعون فيك كل ءامالهم فكان القاضي يحكى صوت ذلـك الجاهـل بصوته الجوهرى • فلانملك انفسنا ضحكا • هكذا كانمجلس صاحبنا فكاهة وأريحية قبل انيلى القضاء • انوجد أصحابا يواتونه • نزولا عند قول القائل ــ وهو ابن مكانس ــ

في انقباض وحشمة فاذا صادفت أهـل الـوفاء والكرم

ارسلـت نفسي عـلى سجيتهـا وقلت مـا قلـت غير محتشـم

لكنه لما ولى القضاء • لبس لهذه الحالة لبوسها • فاكتسى وقارا وحشمة وتؤدة • ولابد من كل ذلك للقاضي • وزد على ذلك انه الان وهوشيخ • غيره وهو شاب • وأنه الان وهو مشغول في كل اوقاته • غيره وهو فارغ منتحمل التبعات في جل أوقاته • على ان الطبع لابد ان يغلب صاحبه فانه لايلبث ان اجتمع مع المسنين أمثاله ان يعود أيضا الى حالته • كالفقيه العوفى رحمه الله • والشريف سيدى ابرهيم بن محمد التازاروالتي ومن اليهما كسيدى عمر التازاروالتي والحاج محمد الاكماري وسيدى ابوبكر ومجمل خـلـق المترجم أنه لايحوم الكبر والعجرفة حوله • وأنه هين الطباع • يالف ويؤلف من أحاسن الناس أخلاقا الموطئين اكنافا يغلب عليه الحياء خصوصا من أرباب البيوتات فلذلك امكن له ان يستوفى عشرين سنة فـي منصبه فلاتجد من يتقول فيه فيما علمته و (ماشهدنا الا بما علمنا) بحق وصدق وما طلبقط في قضية مالا • الا ماكان رسميا للقاضي اذذاك مع أن كل منقدم قضيته فانـه مستعد ان يربحها بكل ماكـان من المال • ولـو كان في هذا المنصب غيره لكان لعنة للاعنين سبة تبقى أمدالدهر • لان الناس من سوس لم يألفوا ان ينجز عليهم حكم • ولا ان ينفذ عليهم بصرامة • ولهذا اكبرالعقلاء هذا القاضي الذى يتحايل حتى ينفذ الحكم بما رءاه • او يصالح بين أربـاب الخصومة • فقلما يخرج غالبا من محكمته الا راض بحكمه • وا نكان محكوما عليه • وهذا من المزايا التى تختار في القاضي • وقد قال عمر رددواالحكم بينأهل الفضل والقرابة حتى يتصالحوا فان بت الحق يصعب على النفوس أكما قال وبأمثال هذه الخلال يفض قضايا كان من قبله يعجز عنها فقضية المجيكيين في (رسموكة) قد مارسها ابو فارس وسيدى المحفوظ الادوزيان ثم سيدى الحاج الحسين الافرانى فلما وصلته لم يـزل بها حتى فضها •

هذا وخفض هذا القاضي لجنابه وشهرته كل الشهرة بالنزاهة الفذة جعلت له مكانة يغبطه عليها بها كل السوسيين قاطبة وهو أهل لتلك الغبطة ، وأجدر بها ، وكثيرا ما اقول للازاغاريين لن تعرفوا قدر هذا القاضي ولامكانته الامتى عدمتموه ، وأما انتم اليوم وان كنتم تثنون عليه فلم تعرفوه بعد ،

لاعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

وعند الممات تظهر التركات ولقد صدق من قال ذلك

ومن ابرز اخلاقه أيضا التحمل الغريب ، ويظهر هذا في مزاولته للقضاء حتى لم يرمنه أي انسان كلمة نافية ، ولايزال يفتح صدره ، ويخفض جناحه للجاهل والمتكبر والظالم والغضبان ، ولكل من جلس اليه من مختلف الطبقات ثم لايراه أحد مغتاظا ، وان بلغ في نفسه الحرج والضيق مابلغ ، على أنه لايوديه الاغضاء ولا التحمل حتى يذر الظالم يفوز بظلمه ، بل لايزال به حتى يزيل يده ما استطاع لذلك سبيلا ، بالتي هي احسن ، فان لم يكن الاالاخرى فانه يرسله الى مواطن امثاله ، واخر الدواء الكي كما يظهر أيضا خلق التحمل الغريب الذى جبل عليه في اسرته فانها متركبة من كثيرين رجالا ونساء وصبيانا وشبانا ربما يقطعون الحبائل وينكثون العرا ويتفلتون وراء الحدود ولكنه مع كل ذلك لم يزل محافظا على وصية والده فيجمع كلمة الاسرة ، فواظب على التحمل ، وبذل النصيحة بلطف ولعمري اندارا فيها زهاء اربعين نفسا ، غالبهم شبان يختمر في ادمغتهم ما يختمر ونساء يسرعن بأدنى شيء الى المشاكسة ، لايطيق ادارتها الا مثل هذا التحمل العظيم الذى اختص به المترجم في هذا البلاد فليعتبر هذا من يعرف أن دارهلم تشتمل على حضريات وحضريين لهم ولهن حظ من التهذيب ، بل انما هناك أبناء البداوة الجافية التي لايرد جماحها الاحياء مادام الحياء موجودا وهذا التحمل وحده ترجمة نيرة القاضي حفظه الله ، وبعدم ذكر امثال هذه البواطن تنقص التراجم

اعتناقه للطريقة الالغية

كان التحق باستاذه محمد بن مسعود المتلهف الى ورود منهل من مناهل التصوف الصافية ، فكان معه حين اخذ عن الحاج بلخير ثم لماالتحق الاستاذ بالطريقة الالغية سنة ١٣٢٠ هـ التحق بها المترجم فيمن لحق بها وراءه ، ولكنه لايزال على عادة الطلبة الاريحيين غير ان الزمان اقلب لميزل به حتى أخلص وجهته لربه وكان يحضر في الموسم الالغي في بدايته كما

يحضر أيضا بعض زمن قضائه • وقد نفعته مجالسة شيخنا سيـدى سعـيد التنانى بعد وفاة استاذه ابن مسعود وقد كان يشاوره كثيرا • ولايغب عنه رسائله وهداياه حتى بعد انتقالـه الى (اداوتنان) وعنده مجموعـة مـن رسائله • حافظ عليها تبركا فوجد بركة ذلك • كما أنه يتصل دائـمـا بالاستاذ الشيخ أبى العباس ابن‌مسعود • وقدلوحظ تأثر المترجم بالتصوف فى أمور منها حسن ظنه الكثير فى رجال القوم فكان كواحد من‌الصوفية الذين يقولون تصديق القوم فيما يقولون ولاية ومنها محافظته على أوراد كثيرة لايغبها فى اوقاتها ومنها ملازمتـه لمجالس الفـقراء فى زاويتـهـم بـ (تزنيت) ما وجد لذلك سبيلا • وكان دائما يعينهم ومنها ملازمته‌للصلاة فى الصف الاول دائما فان عادته الدائمة منذ ثلاثين سنة أنه يخرج مـن داره سحرا متوضئا • فيتنفل ماشاء الله • ثم يقرأ هو وأهله الحزب‌الراتب مع حزب البحر للشاذلى ثم اذا طلع الفجر يصلون فيذهب القاضى الى مضجعه • وعند متوع النهار يخرج فيتوضأ • ويصلى الضحى فيتناول‌مع أضيافه‌وأهله فى (الثوى) طعام الافطار ثم يتوجه ماشيا الى (المحكمة) وفى الحادية عشر ونـحوها يرجع فيضطجع الى الظهر فـيخرج مـتـوضئا • فيصلون الظهر فيتغدون ثم‌الى المحكمة وبعد العصر ان قرب الاصيـل يرجع أيضا ماشيا • فيستقبل المغرب ووضوءها فيصليها مع أهله ومـع أضيافه فيقرؤون الحزب • ثم يتنفل ويذكر اوراده • ثم يتعشون • وكان يحتفل للعشاء اكثر من الغداء لكثرة من ينتابونه للبيات ثـم بعد صـلاة العشاء يدخل الى داره • وسمعت انه يعطى لاهله من وراء هذا حظهم مـن مؤاكلة خصوصية ومجالسة مونسة فهذا عمل اليوم والليلة للقاضى اتخذه عادة • وذكر مثل هذا عن عظماء الرجال • من‌غرر التاريخ عند قوم‌يعلمون

علـمـه

كان محبا للعلم محبة عظيمة • ويظهر ذلك فى تقريبه للعلماء الكبار الذين لايفض نازلة الابعد استشارتهم • وهو وان‌لم‌يكن الاوسطا فى علمه • ازداد بالمرونـة بصرا فيماً يقبـل ومـا يرد • وهـذا فى الفقهيات التـى يتطلبها منصبه • وأما غير الفقه فله‌فيه مشاركة ما • ومما‌يدل على أنه يحب الاتساع فى المشاركة العلمية أنه قدم أخاه أبـا العباس لينال تحـت بصره مشاركة عظيمة فببركته تعلم وترقى وتفوق فماهو الا حسنة من‌حسناته وهذا مايفصح به أبو العباس دائما • ويقول انه هو والدى الثانى فى‌الحقيقة واى‌واحد منا الان لم يندم على تضييع كثير من عمره فى‌التفوق فى الفنون ثم اذا كان له أخ أو ولد يقدمه ليرى منه ماكان يتمناه لنفسه • لوكان‌استقبل

من امره ماستدبر وكفى القاضى علو كعب فى ادارته كونه اختار أمثال الفقيه العوفى . والفقيه على بن الطاهر الرسموكى . ومثل الفقيه سيدى محمد الايكرارى وابنه ابرهيم بن محمد وسيدى عثمان وابنه محمد بن عثمان ورجال من نظرائهم لحكمته . وهل يعرف العلماء الكبار الاعالم كبير ذو بصيرة فيما يفعل ؟

همتـه

له همة طموح . وبها نال مانال . وقد ظهرت همته الكبيرة فى نواح شتى . منها تقديم أفراد من أهله للعلم . ومنها انزاله لكل ضيف منزلته على قدرما يعرفه في بيئته وقد هيأ من الفرش والامكنة الحسنة ماتيسر له مما لم يكن اذذاك معروفا فى بلده . وله دار للاضياف ـ الثوى ـ قال لم أبنها الا اثر زيارة المولى يوسف رحمه الله لـ (تزنيت) فاننا عدمنا من منازلنا مايليق لامثال من معه . فشرعنا فى بنائها . ومنها أنه يحب معالى الامور فى كل شئ ولوكان جال جولات يتفتح بهابصره ويعرف كيف تنال معالى الامور وكيف تنشرح الصدور وما هى أدوات السرور ومجاذب الحبور قبل ان تستخرج بنات الجيوب . وكيف تنظيم المطاعم قبل تقديم الجفنات الغر وكيف هذا العصر وكيف تنال فيه السيادة بالطريقة التى يحبها بها لكان اليوم سيدا كبيرا فى (المغرب) كله . لافى (سوس) وحدها وقد كنت قلت له هذا لمناسبة يوما . فاعجبه ذلك . واصغى اليه . على أننالانحتاج الى المدنية البراقة وانما نحتاج الى العقل والدين والاخلاق والهمة ووضع كل شئ فى محله . ثم كرم وبشاشة وهما موجودان فى صاحبنا . فلاعلينا فيما وراء ذلك . وهل وراء ذلك الاهباء منثور ؟ وهل الكرم الكثير ان لم يكن لله الا وبال على صاحبه ؟ على ان حظه من الكرم قد حاز منه وافرا فى بيئته حتى صار مثلا يذكر فقد قال سيدى ابرهيم التازاروالتى ان القاضى ليذبح الكباش للاضياف يتعجب من ذلك

امداح الناس فيـه

هيهات ان يطلق السنة الناس . الامن كان كله للناس ومن لم يستعبد الناس بالاحسان فانهم لايجودون له ببنات اللسان لان الناس اكيس من ان يمدحوا رجلا حتى يقودهم الى مدحه بزمام الاحسان . واللسان كالضمير لايتبعان الامن استتبعهما بما يسوقهما الى ميادين الشكر

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

فممن رايت اهم فيه قوافي الفقيه الاديب سيدى محمد الاكرارى المورخ رحمه الله وعندى له في جناب القاضي ثلاث قصائد بل أربع أولهاطائية أجابه بهايوم يطلب منه القاضي الانتصاب في العدالة مطلعها :

لبيك ياخير قاض حل في حمل ا‍لـ ـعدل وفي برج سعده بلا غلط

والثانية فائية هناه بها يوم اعرس لولد من اولاده مطلعها

هنيت يا خير قاض بالتي جليت في اليوم للنجل والسعد اكم صدف

ومنها

اني وان بعدت زيارتي فلكم حب رسيس فلا يصرفني الصلف

والثالثة رائية مقصورة • وقد قدم لها هذا النثر (التحية العقبة الريا المشرقة المحيا • على اللدة الاخ القاضي • سيدى محمد بن أحمد أوعامو التزنيتي أدام الله لك البقا • واحسن لنا بك الملتقى • ومن علينا منك بنعمة قرب اللقا

ءامين ءامين لاارضى بواحدة حتى أضيف اليها الف ءامينا

ولا تنسنا أيهاالاخ في الدعوات في الخلوات والجلوات ثم الاهم أن نهنيك بتكليل تمنيك • فلما تعذرت الاقدام أنبنا الاقلام وزوجناك بنات الافكار • ضرة للبنات الابكار فقلنا

مفاتيح أغلاق المنى قد تيسرت كما سبب الافراح فاح بذى القرى

فزال الضنا والعي واستبشرالهنا وءاض الى ءاماقنا وسن الكرى

الى ءاخرها • وهي تهنية بزواج القاضي مرة من المرات •

والرابعة عينية قالها يوم تسابق أدباء (ازاغار) في تهنئة القاضي برجوعه من زيارة العاصمية (الرباط) وللحواضر غيرها في المغرب • وذلك في سنة ١٣٥٨هـ يقول فيها بعد اولها

مرحبا بك فاقض ما أنت قاض دمت للفصل دافعا للنزاع

الى ءاخرها • وفي طيتها الى الاديب ابى العباس الناظر • اخي القاضي مانصه •

(وبعد فهاك نسخة من تهنئة القاضي • لماعلمت أنك من الادباء تحب قرض الشعر لتوردها على الاحباب ومن يليق ودع عنك غليظ الطبع ممن لاغرض له في الادب الرطب)

وممن له في جناب القاضي الاديب أبو سالم ابرهيم بن محمد الايكرارى المورخ المتقدم • فقد وقفت له على لامية يقول في مطلعها :

حظيت نياق الحزم بالامال وبتم سعد مطالـع الاكمال

ويقول فيها يذكر النياق

قد يممت رحب الندى ذا بهجة تختال فى الاسحار والاصال

ويقول فى وصف القاضى

مسدى الصلات الى العفاة ومورد الا حسان ذى الفخر الجليـل العالى
(تزنيت) بالحسنى وبـالبشرى افخـرى ولتسعدى بحيـاة ذا المفضال

ويقول

أبناء (عمو) قبل شاع ثناؤهم فى كل قطر بالسنا المختـال

الى ءاخرها .

وممن سابق فى حلبة مدحه اديب (ازاغار) الكبير سيدى الحبيـب البوسليمانى فقد وقفت على قصيدتين فى جنابه . اولها ميمية كتبها اليه مع نعل أهداها اليه مطلعها

أهديتها نعلا لرجل همام قد فاض كالبحر نداه وهـام

وقد ذكرت فى ترجمة سيدى على بن الحبيب وغيرهما الاتية للمترجم كما كان هناك غيرها لعلى بن الحبيب . ومحمد بن سعيد الغرمى

وللفقيه الطاهر السكراتى فى ذلك الجناب ايضا بائية مطلعها

هنيت يافخر القضاة بمنصب

الى ءاخرها .

وممن قال فى مديحه أيضا الاديب المتمكن الحسين بن ابرهيم التاالعينتـى يقول

الى الماجد الذى تباهت مفاخره ولاحت بأفق الفضل شمسا مئاثره

يقول فيها

لبابك أقبلنا تخب ركابنا يحثحثها من فيض برك غامره
فما الفخر الا ماقطفت ثمـاره ولا العز الا ما حوتـك مئازره
فكم لك من صنع الى الناس لم يزل بمحتبس عن غاية الشكر شاكره
فطاب بذكركم ونشر مديحكـم كتاب روى بعضا من البعض شاعره

وهى قطعة غالبها جيد كتبها اليه فى المحرم ١٣٤٥ هـ

وللدتنا سيدى عبدالله ابن شيخنا سيدى الطاهر الافرانى فائيـة . فيه يقول فى مطلعها :

الا فانشرح واطرح همومك ياقلب

كما ان للاديب الصوفي سيدى الطاهر السماهرى ايضا في هذا الميدان من بنات القريض ماله فمن ذلك دالية مطلعها

بانت سليمى فبان الصبر عن خلدى

وهي قصيدة كبيرة . يقول انه قالها . امتثالا لمولف هذا الكتاب المختار لتنتشر فضائل القاضي الخالدة . ولعل هذا كان مني يوم زارني في الحمراء ١٣٥٤ هـ

وبعد فما مدح به القاضي كثير وربما لم نذكر غالبه وانما منعني من الاتيان بكل هذه القصائد انى رايت أخانا الاديب علي بن الحبيب في (تاريخه) تتبعها واستوفى كل ما عنده فتركت له هذه الفضيلة لكونه بمثلها أليق - ذلك ماتيسر لنا الان حول القاضي من هذه الناحية . ولااراني الامقصرا لعلو مقامه

إحالته على المعاش

بعد ما اسن المترجم وذهب جيل وجاء جيل اخر احيل رسميا على المعاش بكل اكبار واجلال غير منقوص القدر ولاملحوظ بأى نظر شزر فكان يلازم القعود في دكان رفيقه الفقيه سيدى الحسن العفياني في طرفي النهار . وقد أقبل اذذاك على جهة ربه . فتسرع دمعته .مما يدل على أنه روقت خمرته وتوحدت وجهته ولم تتبدل اخلاقه على ماهي عليه مع الناس فكرمه كرمه . ومعاشرته لاهل الخير والعلم معاشرته بل زادانابة ورجوعا الى الله

وفاته

في ربيع الاول ١٣٧٠هـ أصابته قرحة لم تزل به الى ان الحقته بربه ١٣ من ربيع الثاني فاهتزت (تزنيت) لجنازته . فتاثر كل من يعرفه ويقدره قدره . فبكاه الناس كلهم . وأتبعوه الثناء الحسن . وقد وصلني نعيه في (مراكش) اخر يوم فارقتها الى (البيضاء) اثر الحادثة الاكلاوية مع العرش

مراثيه

عزى اهله الذين في مقدمتهم أخوه الاستاذ الناظر برسائل . ومن بين ماقيل في ذلك قصيدة قلتها بعد ذلك الوقت اديت بها الواجب وهي هذه

احقا يابني (تزنيت) حقا مضى قاض يحق العدل حقا

احقـا ان مرمسه حـداه فشق من الرغام (١) له فالقى
اماعلمـوا الـذى واروه فيـه الا سحقا لجاهل ذاك سحقـا
أيطوى مثل هذا الوشى فيهـم ويمحق مثل هذا البدر محقـا
أما شقت قلوبهم حـدادا وحزنا مستطير اللفـح شقـا
فوا أسفا على القاضى (أعمـو) عـلى فـذ مجاملـة وخلقا
على رجل المكارم والتغاضى على رجل الهدى عمـلا وصدقا
على صافى الاخاء فلا ترى فى جوانبه مخاتلـة ومـذقا
يقابـل بالتبسم كـل ءات ويلقى بالبشاشة حين يلـقـى
يعنون بالبشاشة عن خوان(٢) طفوح عادة فيمن تلـقـى
ويشفع جوده الايناس حـتـى يطيب نزيله سمعا وذوقا
فينشر بالمـبـاسطة الـزرابـى على أخرى وذا الكرم المنـقـى
اتـاح لمن يجالسهـم رحيـقا تصفقه (٣) دعابتـه فـأسقى
فيالك أزمنـا سلفت وانى بكاس الحاضرين هنـاك أسقى
اذا أسقى النـدى تشـع فيـه دراريه ، أشمت هناك فرقا ؟
فذا عمرالشريف•وذا الكمارى وابرهيم من قـد طاب عرقـا
وذالكم أبو زيـد أيلفـيـ لهـم من مشبه خلقـا وخلقـا
نفوس مثل مشموم زكى له من كل أزهار ينقى
كأنا حـين نطفـح من حبـور نحلق فى سموات ونرقى
نميس فكاهة فكأن ملكنـا مقاليد الورى غربا وشرقا
وكـاسات السرور اذا أديرت خرقن منالوقار السجفخرقا
ويتركن الرجال كـأن أطافت بهم أمواج هوج البحر غرقى

* * *

أتذكر يا أبـا بكر أطيلت حياتك أنك الفرد المبقـى ؟
أنبقى بعدهم فى ذكريات تزعزع كل ءاونـة أنبقى ؟
فذا القاضى الذى قدكان قطبا مضى أيضا وسيق كذاك سوقا
أنرجـو بعـد انظارا أكانـوا سوى الانذار أم انـا لحمقى ؟
أيمضى من لـه كـل المزايـا فنطمع فى التخلف مستحقا ؟
فهيهـات البقـاء فعن وشيـك نساق فتوبة ربـى وعتقـا
ومختتما بحسنى فاختتـام بحسنى للفتى أتقى وأنقى

١) الرغام بالفتح التراب
٢) الخوان بالكسر والضم المائدة
٣) تصفقه : تصفيه

بنى (تزنيت) ياعلماء (سوس) ومن ذكرت بهم أفقـا فأفقـا
لكـم أنعى الذى قـد أرمسنه لديكـم تربـة كالمسك نشقـا
خصوصا صنوه الخلف المجـلى أبا العباس خير ذويه حقا
ففيه حقيقة ما فى أخيه أو أزيـد ان يكن بحث ينقى
ومن يكرع سنين مواليات أليس يكـون ملحظه أدقـا ؟
(أدوز) قد أنهلته فعلَّ (فاس) أليس يبذ فى الابحاث ذوقا ؟
أطال عكوفه حتى أتـاكم بموسوق بنـى (تزنيت) وسقا
يبذ لداته علـمـا وفهمـا ويعلو فوقهم أدبا ونطقـا
الى لطـف مـن الاخلاق اعلـى من القدر المنيف لـه وأرقـى
فدام ودمتم فى (سوس) سحبا تسح على نواحى (سوس) ودقا

وهؤلاء المذكورون سيدى عمر التازاروالتى وسيدى الحاج محـمـد الكمارى العدل وسيدى ابرهيم بن محمد التازاروالتى صهرى وأبو ام اولادى وسيدى عبدالرحمن العوفى كانوا من جلاس القاضى فقد توفواكلهم فلم يبق الا سيدى ابوبكر نائبه اطال الله عمره (١)

قولة ابن الحبيب فيه

(ومنهم الفقيه ذو المحاسن والمفاخر المعدود من الاكابر زين العباد ونورالبلاد • القاضى المسدد أبو عبدالله سيدى محمد بن أحمد أوعامـو التنزيتى • وهو من العقل الغريزى الذى يدرك به المعقولات فى غاية • ومن التجريبى فى الوقائع وممارسة المعلومات فى نهاية • أكمل الله عقله • وأتم نبله • تشرفت ساحته بفيضان العلوم من لدن حكيم خبير وفى الحديث (أفضل الناس أعقل الناس) وقد قيل (حسب الرجل عقله وحسبه ودينه ومروءته) وقد قالوا (الحزم بلاعقل خطأ) وقد قال الشيخ خليل رحمه اللـه فى وصف القاضى

ولازائد فى الدهاء ومنذ ولى هذا السيد خطة القضاء بـ (تزنيـت) بل سلك مسلك أهل التوفيق • وحاك على مناويل أهل التصديق أعطـى المرتبة حقها حفظا وصونا • واوتى من مكارم الاخلاق وحسن العشرة ماعساه أن يجعل فى ميزانه • واذا أتى محكمة الفصل علته هيبة وانقباض • وقـد مدحه والدنا المقدس بما صورته

سلام بالاختصار منى لفظه لعذر ولكن فى فؤادى بسطه
الى اخرها وقد ذكرها كلها

١) ثم انه التحق بهم كماستراه فى ترجمته قريبا فطوى ذلك البساط بمافيه

وله فيه ايضا قوله

أهديتها نعلا لرجل همام ... قد فاض كالبحر نداه وهام
لم تدر من يلبسها هيبة ... ذابت وحاكت طبعه بانسجام
حبّربنى عمو بـ(تزنيت) مَن ... نظم عقد مجدهم بانتظام
فخر قضاة القطر من حكمه ... براجح القول ونص الامام
مؤيدا فى الحكم يجرى على ... نهج الصواب وسديد الكلام
يحكى نقول الفقه فيما اعتصى ... اما بنثر فيه أو بنظام
يصدع بالحق ولا يختشى ... لومة ذى جهل وسخف اللئام
ايس به ميل لجاه ولا ... لذا وذا من متداعى الخصام
غدا لنا بحسن سيرته ... حبرا جليلا من فحول كرام
فليشتهر بالعلم ولينتشر ... من علماء العصر بدر الظلام
وليهنأ بالخطة ذات السنا ... منى على وداده والسلام

ولما سافرت مجادة سيدنا القاضى ادام الله له العز والتراضى سنة ثمانية وخمسين وثلاثمائة والف لزيارة (فاس) ومن به من الاحباب أهل الفضل والايناس قلت مهنئا له من سفره الميمون

تبين نور الحق واتضح الهدى ... واصبح ركن الدين ركنا مجددا
بعود امام ماجد ورجوعه ... من السفر الميمون يمم مقصدا
وقام بتقويم المعالم ماجدا ... واظهر سبل المجد بالجود والندى
امام تعود السيادة كلما ... تبدت له رأيته بسط اليدا
جرى فى ميادين الكمال مبرزا ... الى ان حوى فى سبقه قصب المدى
اذا استصعبت يوما من العلم رتبة ... فليس لها الا الهمام ابن احمدا
برأى كنور البدر فى فحمة الدجا ... وعزم كما سل الشجاع مهندا
على شرف لايخمد الدهر نوره ... وهمة نفس دونها النجم مقعدا
اذا جد يوم الفصل اوجاد بالندا ... فاياس حكما او ترى البحر مزبدا
وان عقدت للجور رايات جيشه ... تقدمها فتح من الله مسعدا
بصير بسر الحكم والخصم كلما ... رمى جائر أهدى له تحفة الردى
أقرت بذا (تزنيت) رغم أنوفها ... ومن قبلها جيرانها اليوم شهدا
تدارك قطرا بعد ما كاد نوره ... بظلمة ليل الجهل ان يتخمدا
فأصبح وجه الحق والعدل بعده ... يلوح منيرا ما بمرءاته صدى
تتبع طرق الظلم حتى اباده ... بسيف أيمة العلوم ذوى الهدى
وافعم أهل الفضل جودا ومنة ... وارغم أنف من عتى وتمردا
فلست ترى فى سائر القطر غير من ... تسربل ثوب الامن واليمن وارتدى
وقرت عيون المسلمين بيمنه ... وعاد به جفن الضلالة ارمدا

وقام بامر الله حتى استقلت الا — مور وعاد الحق غضا مجددا
وحتى أطاع الناس بالكره والرضا — جميعا امير المومنين المؤيدا
فيا قاضيا عم البرية عدله — ويا سيدا قد راح فى المجد واغتدى
بقيت لعز كنت شمس سمائه — تلوح على برج السعادة سرمدا
سلام على تلك الشمائل ماشدا — حمام على غصن الاراك وغردا
وما شاح برق المجد منجو ساحة — سموت بها عافى المكارم فاهتدى
بنية شعر عدها بعد اربع — وعشرين بيتا مهرها ان تقصدا

وقد جمعنا نطاق التهنية مع جناب الخليفة السيد عبدالله بن عياد الجرارى ومع الاديب الفاضل سيدى محمد بن سعيد الغرمى وكان هو أيضا مدح القاضي بقصيدة وهي

ما أهاج (١) الفؤاد وشم ملاح — ناعمات الابدان خمص الوشاح
قد بدت بينهم عروب رداح — يرتوى من رضابها للاواح (٢)
تستبى المرعوى بردف ثقيل — وبثغر مثل انبلاج الاقاحى
كاغتراب الامام بدر الدياجى — شمس أفق الهدى ونور الصباح
تاج راس الفخار مولى المعالى — مفخر العز والعلا والسماح
مرحبا بالامام قاضى قضاة — مركز العلم والهدى والصلاح
بمجىء محمد وبمسرآ — ه ازدهت أرضنا بفرط ارتياح
ملجا الخائفين كنز عفاة — وغنى المرملين والارواح
ومحط الغنى محل ودادى — ومزيل الردى ببيض الصفاح
حكمه الفصل ظل بين البرايا — مهلك الجاحدين أهل الوقاح
مسبل الامن والامان على الخلـ — ـق مزيح الردى عن الاشباح
فأضاء البلاد نور هداه — وهدانا بعد له للنجاح
أسفرت أوجه السرور علينا — لمعا فاستبان وجه الفلاح
وتوالت أفراح (سوس) جميعا — واستوت فيه السن المداح
فمزاياه لاتعد وقد صا — رت يباهى بها بكل النواحى
أعر السمع للخفيف وان لـم — يرض قدر فقيهنا السماح
وتقدم قبل فقبل يمينا — لثمها فيه راحة المرتاح
اعجز الواصفين وصف علاه — واكتفوا بالقليل من أمداح
وسلام يزفه الشوق منى — لاخى الفضل مظهر الافراح
فاح مسك الختام طيبا وعرفا — (ما أهاج الفؤاد وشم الملاح)

---

١) يقال هاجه لا اهاجه
٢) كذا

فلما أطلع الاخ فى الله الفقيه العالم الاديب العلامة الاريب المشارك اخو المدوح أبو العباس سيدى أحمد بن أحمد اوعامو على التهنية بالقصيدتين المذكورتين حملته حمية العلم والادب وبالفور كتب هذه مخاطبة ودية وفاتحة مسكية • وان كانت العجلة غير مرضية فقال

طرب العالمين مسك وداد	من قريض حكاه صوغ الايادى١
من لسان البلاغة ابن سعيـد	وعلى صنو العلا والرشاد
بين أيدى عباب جود ومجـد	أبدا موجه يرى فى ازدياد
مـن ببهجات وجهه هنأ القـا	ضى حقا رقاه عرش الفؤادى
فتراه يسبى العقول ذكـاء	بجميل الحديث فى كل نـاد
وبدت شمس فضله فلك العـ	ـز فغابت بها شموس البلاد
وشدت ورق خلقه روضة الحـ	ـسن فتاقت اليه كل العباد
وبنور الهدى وعين الرشاد	حاز عز الطريف اثر التلاد
ذاك عبد الاله من مـلا الجـ	ـو بعرف نزاهة ووداد
ياسليل الفخار يابهجة الا يـ	ـام دم للعلا أفخر عياد (٢)
لـك يوم به نطرز تاريخـ	ـا لعيد الوداد أعلى المراد
وعليكم منا يعود سلام	عبق الود من صميم الفؤاد

وقد مدح هذا القاضي شاعر زمانه العلامة سيدى محمد بن احمد الايكرارى بقوله :

لبيك ياخير قاض حل فى حمل العـ ـدل وفى برج سعده بلا غلط

الى ءاخرها وقد ذكرها كلها

هذا وقد توالت عليه قصائد أهل العصر • كل على قدره • فما بلغوا عشر أعشار ما يستحقه • وقد كتبت له مرة ماصدرته بعد السلام التام على خضرته

(أما بعد فمن الواجب علينا ان ننبه سيادتك وان كانت غنية عن التنبيه أعلم ياأخى ان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الاجر • ويحسن به الذخر اذ من صحت نيته • وصفت سريرته • وأقبل على نفسه كفاه الله مابينه وبين الناس • ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس فيه شأنه الله وعليك بفهم ماتلجلج فى صدرك مما لم تجده نصا فى كتاب ولا سنة وعليك بمعرفة الاشباه والامثال وقس الامور عند ذلك واعمد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق • واجعل لمن ادعى حقا غائبا • اوبينة أمدا يبلغه • فان احضر

١) قس الايادى من فصحاء العرب

٢) يعنى القائد عياد والد عبدالله المذكور

بنيته أخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية • فانه انفى للشك • وأجلى للعمى والمسلمون كلهم عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد أومجربا عليه شهادة زور أوظنينا فى نسب او ولاء • فان الله تولى منكم السرائر ودفع بالبينات والايمان واياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم • والتنكر عند الخصومات • والله تعلى يتولى هداكم ءامين (١) توفى رحمه الله يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الثانى عام اثنين وسبعين وثلاثمائة والف بتزنيت

الثامن عشر ابرهيم بن محمد

للقاضى اولاد عديدون أظهرهم الان فى ميادين المعارف النجيب ابرهيم بن محمد ولد سنة ١٣٢٧هـ وأخذ القرءان عن الاستاذ سيدى محمد ابن أحمد مبارك وسيدى الحسين بن خباش بـ (تزنيت) وعن سيدى أحمد ابن محمد بـ (تيمجاض) وغيرهم

ثم التحق بمدارس المعارف فى صحبة عمه أبى العباس الذى سنذكره قريبا • فكان ياخذ عنه الابتدائيات وقد كان فى مدرسة (أدوز) بين يدى الاستاذ سيدى المحفوظ رحمه الله ثم تصاحبا الى (فاس) فأخذا من هناك عن أساتذة • منهم العلامة سيدى الحسن الزرهونى أخذ عنه الفقه وسيدى الطاهر بن محمد الصنهاجى وسيدى عباس بنانى أخذ عنه التوحيد • وسيدى محمد بن عبدالرحمن النحو وسيدى محمد بن الحاج بعض التفسير

وحاله حسن واخلاقه لطيفة وذاكرته قوية يحفظ ويستحضر من محفوظاته • وقد كنت القيت عليه مسائل فى ربيع الثانى ١٣٦٧ هـ ايام نزولى فى دارهم • فرأيته حاذقا لقنا • ولا يزال يتتبع الاخذ عن عمه • وعن الاستاذ الحاج احمد بن الحسين الجرارى أستاذ مدرسة (تزنيت) فى هذه السنين قبل ان يتوفى تخلق بأخلاق ابيه • فيبش ويهش • ويقابل الاضياف بما يجب وله بيت فى المدرسة • يضيف فيه من يليق به ذلك وهذا مما يدل على تاصل الكرم • وملاقاة الاضياف • بسعة الصدر من جميع أفراد الاسرة (الاعامووية) الفاضلة • وقد حرم كريمته من زمن فكان كماقيل

ان يذهب الله من عينى نورهما ففى لسانى وقلبى منهما نور

ولم يبق من بصره الا بصيص قليل لايكاد يميزبه من يقف أمامه •

---

١) كل مطلع يعلم من أين هذه الرسالة

وهو أفضل اولاد القاضي في فضائله وتأهله للشفوف ومشاركتـه فـي الفنون منذ الان وما اولاه ان يخاطب بهذه الابيات التي أقولها فيه الان وأنا اتمثل شخصه ٠

أبا سالم اشرفت نحو ذوى المجد	فصافح مصونات المكارم بالايدى
فمثلك من يبدو على قمة الـعـلا	بدو جبين البدر في فلك السعد
فمن كان نجلا للذى كنت نـجله	فأخلق بـه أن يغتدى غرة المجد
فذا عمك العلامة الفرد فلتـنـل	به حـلـة العلامـة الماهر الفرد
فطعت الى العلياء شوطا فشمرن	لكيما تصون الكنزفى الشرفالعد
فلا كان من يدعوه علم الى العـلا	ولم يغد شمس العلم منعدم الند
فليس عن المجد الموثـل حاجـب	فيجبه مـن يحنو المعالى بالصد

التاسع عشر القاضي احمد بن أحمد أوعامو

هو صنو القاضي الجليل ٠ وأحد العلماء الكبار المحصلين مـن شباب (سوس) اليوم ٠ واستاذ من أساتيذ التدريس ٠ قدم (تزنيت) وهي من العلم اقفر من جوف الحمار لادرس يلقى في جامعها ٠ ولالواء علم يخفق فـي محافلها ٠ ولاأحد يهتم بانعاش المعارف في تلك المدينة التي كانـت عـامرة المحافل الدراسية حينا بالعلماء الكبار كالشريف الكثيرى ومحمد بن عبد الرحمن الاغرابويـي والحسن بن الطيفور الساموكني ٠ ومحمد بن الطيفور الاسغاركيسي وأمثالهم ٠ وكانت محطا لركاب طلاب العلم من كل جهة ثم لم تزل بعدهم هذه المدينة شاغرة من دراسة العلم تندب شجوها وتطيل على فقد حظها عويلها الى ان قيضت لها السعادة هذا الاستاذ الجلـيـل فكان أهم أمر عنده من أول يوم القى فيه عصاه بمسقط راسه هذا وقد رجع من (فاس) واستتم أخذه انيحيى رسوم العلم في تلك المدينة وأن ينتشل همم أبنائها من جهل عميق يطمو عليهم بسبب اهمالهم وطولزمان القاء الحبال على غواربهم ٠ فتيسرت له الامنية ٠ وتأتت له مفخرة من احدى المفاخر التي يغتبط بها العاملون ٠ ويغبطه عليها من يتمنون لوجرو اجريه لو كانوا ممن يقدمون ٠ ولكن ليس كل من خطب حسناء يخطبها انلم يقدم مهرا (ومن خطب الحسناء لم يغله مهر) (ودون اجتناء النحل ماجنت النحل)

مولـده

ولد ءاخر ذى الحجة ١٣٢١ هـ في تلك السنة التي غادر فيها والدههذه الحياة الاولى في شعبان فتركه حمـلا ولذلـك سمي باسمه على عادة المغاربة في ذلك من عهد مولاى ادريس بن ادريس ليكون كذكرى دائمة

فى الاسرة الراحل عنها وأمه اسمها ءامنة وهى وأم القاضى أختان بنتا سيدى ابرهيم الماسينى البعقيلى وكان ذا يد فى علوم الجداول مع اتقانه لحفظ القرءان والمام ببعض معارف اخرى وكان من اخصاء الاستاذ الجليل الشهير محمد بن ابرهيم اعجلى وكان ابرهيم صالحا عابدا قانتا مخبتا مسنا وكان فى دار له كبيرة بعزبة (أيت ءمحمد) فى أرباض (تزنيت) يزاول خلايا النحل ويشتغل باملاكه وكان ذلك ما يستمد منه مواد ضرورياته • وقد أخذ ايضا عن ابى زيد الجشتيمى ولعل ماكان عنده من المعارف استمده منه •

في الكتاب

أخذ المترجم القرءان عن أساتذة من بينهم الاستاذ الحسين الخباش فى مسجد (أيت ءمحمد) بـ (تزنيت) وهو مدرر مشهور ذوسمت وجد توفى ١٣٤٢ هـ وممن أخذ عنه سيدى أبوبكر هذا الفقيه الذى يعين اليوم القاضى • ويدير كل أشغال محكمته وقد كان أخذ عنه فى مسجد بقرية فى قبيلة (أيت ابراييم) وممن أخذ المترجم عنهم أيضا الاستاذ احمد بن محمد العمرى البونعمانى الذى تقدم ذكره فى اوائل ترجمة القاضى فانه استاذهما معا • وذلك فى مسجد (تيمجاض) بـ (أيت همان)

انتهى المترجم من اتقان القرءان بعد ١٣٤٢ هـ فتوجه الى المقاصد العليا بهمته •

مشيخته في المعارف

اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه شاءت الاقدار ان تفوز اليوم بـ (تزنيت) بأستاذ كبير من المترجم فهيأت له أساتيذ كبارا جهابذة اخذ عنهم فى (سوس) وفى (فاس) ومن رعته العناية بعينها من الصغر فأجدر به ان ينال كل الشفوف فى الكبر

١) الاستاذ علي بن الطاهر الرسموكي

على يده افتتح سنة ١٣٤٣ هـ فى مدرسة (دودرار) بـ (رسموكة) فيتدرج فى التمرن بين الفنون على العادة • فاجتاز بكل نجاح طبقتى الابتدائية والوسطى فاستولى على النجابة وقد كان ذلك الاستاذ اول التحاقه به مجتهدا فى التدريس • فانتفع به المترجم بسرعة • وجنى ثمار الفهم من أغصن النجابة المورقة • الا أن فتورا حصل للاستاذ من ١٣٤٧ هـ الى ١٣٤٩ هـ فكان

حظ المترجم اذذاك انما هو المطالعة وتتبع تعليم لبعض التلاميذ في الابتدائيات ، اعانة للاستاذ ، ويصف المترجم هذا الاستاذ بأنه لكثرةاشتغاله بخويصة نفسه قلما يتعهد التلاميذ ليعركهم ويجشمهم ويرشحهم الى ماهم بصدده ، عادة له سار عليها طوال حياته كأنه يقول علينا العمل وعلى الله اكماله ، واخال هذه العادة مما اقتبسه الاستاذ من أمثال أبى فارس والاستاذ سيدى المحفوظ فانهما يوصفان بذلك ، كما يوصف به قبلهمشيخ الجماعة محمد بن العربى الادوزى بل هذا أحد الاساتيذ الجشتيميين يعلن ذلك في مخاطبة لتلاميذه ـ فيما يحكى ـ

ولستم من الصبيان حتى أسوقكم فمنشاء فليقرأ ومنشاء فليكرا(١)

ومما خاطب به المترجم استاذه هذا بعد هذا الحين سنة ١٣٥٦ هـ وقد ولد له ولده محمد ،

أبشر هلال للسعادة قد بدا نحو السيادة والمجادة والندى
فافتر عن درر المرام سناؤه لما استنار بوجهه متولدا
وترى السرور على البسيطةلامعا فيعم رونقه الوهاد وأنجدا
وتهنأت كل الوفود بسابع الـ ـيوم الذى فيه نجلت محمدا
أعظم به عيدا يعيد لفائز بحضوره عز الملوك وازيدا
اكرم بذاك الاسم وصفا مجتبى ومحببا عند الورى وممجدا
ظفرت به (رسموكة) العلياء اذ جاد الزمان به وانجز موعدا
فتناشدت 'ورق' الهنا بمحمد أكرم به فرعا سيشبه محتدا
وبحسن نشأة ناشىء من محتد زاك ينال الناشئون سناالهدى
غصن من أدواح السيادة والتقى سيحوز مثل أصوله خصلالمدى
روض وريف مخصب متعطر تلك الاصول بعلمها لمناجتدى
عمت نتائج من أبيه فانها درر النحور لمن غدا متقلدا
شيخى الامام المجتبى والمعتلى عرش القلوب متوجا وممجدا
مولاىنجل الطاهر الساميالذى قد كان في كل المفاخر مفردا

الى ان قال ءاخرها :

ازكى التحية والسلام عليه ما هز الاصول نمو فرع أملدا

(وترجمة هذا الاستاذ تجدها في هذا القسم نفسه في هذا (الفصل الثاني) ان شاء الله)

ب) الاستاذ المحفوظ الادوزي

انتقل الى حضرته بمدرسة (أدوز) ١٣٤٩ هـ فهناك أخذ المنطق والبيان

١) فليكر فلينعس من الكرى

والاصول وعلى يده فتح على المترجم في علمي المعاني والاصول فكان كثيرا مايستلذ المذاكرة فيهما كشيخه • والتفسير في جميع القرءان ومختصر ابن أبي جمرة للبخاري في الحديث وقد كان هناك معينا كبيرا للاستاذ باذنه في جماعة يدرس لهم الالفية وغيرها من المتون ثم صاريتابع الفنون تدريسا لكل الطبقات • وقد نال مكانة عند الاستاذ لما جبل عليه من سكون الطائر • وهدوء الحال • وديانة متينة • وعدم مشاركته في كل ما يجول فيه طلبة المدرسة من المعروف عنهم فلم يزل رابضا أمام الاستاذ الى ان لحق الاستاذ بربه عصر يوم الاربعاء ثالث ذى الحجة ١٣٥١هـ فتولى هو والاستاذ أحمد (ازاكاي) غسله • وصلى عليه الفقيه أحمد بن محمد بن العربي • ثم لزم بعده تلك المدرسة سنة أو أزيد يطمئن قلوب الطلبة المرزوئين بفقدان مثل ذلك الاستاذ العظيم وقد تقدمت في (الجزءالخامس) ترجمة سيدى المحفوظ بين الادوزيين

وأما اساتذته الحضريون الذين اخذ عنهم في (فاس) فهم هؤلاء نزيدهم في العدد على من تقدموا له

ج الاستاذ الطائع الفاسي

د العلامة سيدى محمد العلمي الفلكي

هـ العلامة سيدى عباس بناني

و العلامة سيدى الحسن مزور

ز العلامة سيدى محمد بن عبدالرحمن العراقي

ح العلامة سيدى محمد أقصبيى

ط العلامة الوزير سيدى عبد الرحمن بن القرشي

يـ العلامة سيدى الحسين العراقي

ك العلامة الصوفي سيدى الراضي الحنش السناني

ل الشيخ سيدى محمد بن الحبيب الفيلالي

م العلامة الاصولي الفذ سيدى السائح الرباطي

ن الشيخ أبو الاسعاد

هؤلاء مشيخته في (فاس) فقد اخذ من هناك جميع الفنون • فرجع باجازة من كل واحد من هؤلاء • وما منعنا من سوق الاجازات الكثيرة الا ما اشترطناه من حرصنا على ان يكون كتابنا هذا موضوعيا • وله في بعضهم قواف منها قصيدة خاطب بها الاستاذ العلمي يوم ختموا عليه كتابه (تقريب البعيد) يقول فيها :

شكر المبدع صوغه فى قالب عجب فلم تر مثله الازمان
من قد حبا عصرا فوائد فكره فتزينت بعقودها الاعيان
وبدت بهشمس المعارففاكتست زهر الكواكب فاستضا الاكوان
علم المعارف مفرد بلمحور لمدار كل فضيلة تزدان

وحين توصل باجازة العلامة سيدى الرضا السنانى ١٥ ـ ٣ ـ ١٣٥٨هـ اجابه بقوله

أتتنى من جنب السعادة تبرد ففاح المنى من طيها والتودد
وعطرت الارجاء اذ نشرت فأي ن من نشرهاالكافور بالمسكيعقد
فطرت على متن السروربروضها اجر ذيول التيه منه وارغد
فما شئت من زهر المعانى ومن جنى الا
مانى ومن دعج المعارف تقصد
وطارت بنا خمر التواجداذغدا هزار المنى باسم الحبيب يغرد
ولم لا وقد رق النسيم بلطفها وحازت تباريحا من الوجدتحمد
وزفت لنا ممن يلوذ بقربه وخلته الاعلام حقا ليمجدوا
امام الهدى صدر المحافل اينما تجلى فذاك فى الجلالة مفرد
وشمس العلا والعلم ضاءت فاكسبت
شموسا ضياء دائما يتجدد
محدث فاس روض علم وحكمة وبحر فنون بالدراية مزبد
سليل الرضى الراضى السنانى محمد
فيالك من ندب همام يسدد
ويالك من سيف على الضيم منتضى
أضربه من سيف عمرو وانكد
ببهجتك (البيضاء)راقتولمتزل تجرمروطالفخرتيهاوتسعد(١)
فبالله ياشيخىالمجيز ومرشدى أفدنا بما يروى صدانا ويبرقد
بقيت بقاء الدهر للناس رحمة وضوءا وللعداة سيفا يبدد

نبذة من أحواله

أما اخلاقه فانه هين لين يغلب عليه الحياء • وقد كان تجاوز فيهالحد حين ربض فى (سوس) وثافن أمثال أستاذيه ابن الطاهر والادوزى الاانه لمارجع من (فاس) رجع بحالة يرجى معها كل النفع • وكثيرا ماكنت أقول لبعض معاريفه ان لم ياتنا من (فاس) الابرفع الراس وملء المجلس بالمذاكرة لكفى فاذا به أتى بذلك وبعلم جم • وان كان بعض المغفلين

١) كانسيدى الراضى نزل اذ ذاك فى (البيضاء) قبل أن ينتقل الى(أزمور)

المتماوتين لايزالون يحبون ان يتماوت كل الناس ويرحم الله عمر فقد راى انسانا يكثر الاطراق · فعلاه بالدرة قائلا ارفع رأسك لاتمت علينا ديننا · هكذا ينبغي لكل ذى علم · ولكن الجهال لايعلمون · ونحمد الله على ان جاء وفق ظنوننا هذا الاستاذ الكبير فانه مدمث الكنف موطأ الجانب يعاشر فتحمد معاشرته ويذاكر فتظهر دقة نظره واطلاعه وقد اعجبني كثيرا في مذاكرات جرت أمامي بينه وبين الاستاذ سيدى الحاج احمدالجرارى شارك فيها ابن الخالة الاستاذ ابن عثمان فكان الجرارى المطلع كثيرا مايدلي بماطالع من مختلف كتب والمترجم ضم الى ذلك تؤدة وحسن مسلك ومما جرى أمامي يوما حديث حول (التوسل) وكنت أنا اكره المماراة خصوصا في أمثال هذه المسألة التى لاباس بها فتجاذب اولئك الاساتذة المباحث وترامو بالادلة واردت أن أقطع المماراة فانها لاتاتى بخير فبدات أملي حول ذلك المبحث التاريخي مامر حوله بين الباحثين من عز الدين بن عبد السلام وابن‌تيمية الى ان انتهى البحث الى الشوكاني والالوسى فكان المترجم مستحضرا لما قاله الالوسى فى تفسيره (روح المعانى) فقطعت بذلك حبل المباحثة · وظهر بذلك الحق صراحا · ولاينبغى امتداد المباحثة بعدظهور الحق ومما وقعت فيه المذاكرة مسألة حول المحرم بالحج عند الحنفية· فادلى باحاديث استحضرها · ثم راجعناها فى شرح (بلوغ المرام) ومن ذلك أيضا مسائل أصولية وعرفية وفقهية · كلها اظهرت لي مكانة الاستاذالمكينة في الاستحضار وتفهم روح النصوص بعد ماجرى بيني وبينه فيها مذاكرات أو بينه وبين غيرى فى حضرتي ولا أعلم اليوم فى (سوس) من يتعالى الى سماوات البحوث العليا الحديثية والاصولية على ماهي عليه المباحث الاصولية الناصعة سواه وسوى سيدى الحاج احمد الجرارى وسيدى محمد بن عثمان الايكرارى· وما وجد المترجم الا بركة الرحلة· وهل تترقى العلوم وتحصل المعارف الا برؤية العلماء ؟

كان عازما ذاهمة · ويظهر ذلك في تاثيره فى (تزنيت) فقد أحدث فيها دروسا منظمة · واني بهذا الاستاذ لارجو أن يمد هذه الحاضرة بمعارفه (١) والمترجم يبكر بعد الصبح من داره الى المسجد · لاترده صبارة البرد كما أنه يراجع المدرسة أيضا وسط النهار · ولاترده كذلك حمارة القيظ · وذلك كله مع تطوقه بادارة الاحباس دال على انله من قوة العزيمة مايمكن انينال بها النجوم فبرحلته ارتقى فكره وروقت خمره وجليت مرءاته وسويت مرقاته · فانني لارجو منه ان يسد ازاء أخيه القاضي حفظه الله بابا

---

١) صدق هذا الرجاء بتاسيس فرع المعهد الروداني فى (تزنيت)

كبيرا في المعالي والفضائل • فانه كتتمة لصنوه القاضي يعرف هو من حال الوقت مالا يمكن لصنوه ان يعرفه • لانه ليس من أبناء هذا الجليل ولذلك تراه يحب ان يضع الاشياء في مواضعها وضعا مناسبا حتى الكرم فـي الضيافة وفي غيرها له في ذلك مايعجب كل من جال وعرف كيف الناس وماهو مع ذلك كله الا حسنة من حسنات اخيه حفظهما الله معا وأطلع بهما في تلك الحاضرة السوسية شموسا مشرقة دائمة خالدة •

لم يعتم بعد نزوله بـ (تزنيت) مفتتح المحرم ١٣٥٨ هـ ان فتح الدراسة ثم تهيأت له نظارة الاحباس سنة ١٣٥٩ هـ وقد قال انني لم أقبل هـذا القيد الا لاجعله مرقاة الى احياء المعارف في مدينتنا هذه وهكذا يـكـون الرجال يستخدمون الوظائف للمصالح العامة لا المصالح الشخصيـة فقد أحببت له الظهور مادام أخوه القاضي حيا مبسوط اليد • ملحوظ العناية فتذاكرت مع بعض أوداء القاضي • فلم نلبث أن عرفنا أنه ناظر للاحباس فكان ذلك مبهجا لكل من يعرف هذه الاسرة • المعروفة عند كل أحد بالنزاهة والعفاف • وقد رأيته يتأفف كثيرا حين لم يكن حرا في اصلاح المساجد وما اليها • مما يدل على أنه يحب ان يكون موظفا نافعا • لاموظفا مسترطا ملتهما ـ وحاشاه ـ وهو الى الان ١٣٦١ هـ عزب • ولعله يتيسر له ان يقترن قريبا فيحصن نصف دينه • كما في الحديث • وقد جرينا له في ذلك وعلى الله الكمال (ثم انه تزوج أيضا فولد ذكور أصلحهم الله)

بعض ءاثاره

رأيت فيما تقدم بعض ءاثاره • فلنعرض هنا نماذج اخرى فمن ذلك ماخاطب به سيد البلاد محمد بن يوسف ملك المغرب المحبوب حين أبل من مرضه المشهور بعد علاج

عم الهناء وجيش السقم منهزم — عن القلوب وثغر الشعب مبتسم
وافعم الجو مابالارض من فرح — وبالبشائر فاح السهل والاكم
يوما أبل به ظل الورى وأمـا — نهم فظلنا وعاد الانس والنعم
يوما يكون لنا عيدالهناء مدى الا — حقاب ينشر فينا الشكروالكرم

الى أن قال فيها

نفسي فدا لك من سقم ومن ألم — قبل نفوس بختم العز تختتم

الى ان قال في ءاخرها

المدح عوفي اذ عوفيت فافتخرت — بمدحك الواجب الكتاب والقلم
رب باسمائك الحسنى التي وسعت — كل العباد اذ دعوا بها رحموا

ايد وعظم وزد سلطاننا مـددا بعد الشفاء الذى تشفى به‌الامم

الى ان قال

بجاه جد لكم لولاه مـا نشأت كل العوالم لاحل ولا حرم
عليه ازكى صلاة الله ما طلعت شمس البشائر بالابلال تبتسم

وقد رفعها الى السدة العليا بعد ما وطأ لها بنثر حسن رأيته

وقال يخاطب الخليفة بـ (تزنيت) الشريف المولى الحسن بن يوسف ٠ بعد ما أبل من الم صمم كان الم به فقدم الى محله بـ (تزنيت)

أهلا بمن يعلـو السماك سيادة ونباهة ومكانة تـتـجدد
فرع الامارة والسعادة والندى (حسن) بحسن خلافه يتزيـد
رقصت بكم ارجاء تزنت بهجة وبمجدكم طير الهنا يتغرد
وببرئكم برءى العـلا وبعودكم عاد السرور وعنك كان يجدد
لم لا وقد امست بظل حلولكم وسمـت بظل لايـزال يمـدد
وسمت بماحظيت بهمن جدكم [1] ونراه من حسن البناء يخلـد
أعظم به ملكا جليلا لم يــزل (سوس) بنور فروعه يتمجـد
مولاى دونـك غادة مـزفوفـة وصداقها لطف لـديـك مجدد

ومن ءاثاره الحسنة محاضرة ألقاها فى المسجد الكبير بـ (تزنيت) وقد ختم فيها مؤلفا نصها

حمدا لمن حلى العلماء برفع الدرجات وثلث بهم فى الشهادة لهـم بنيل ارفع الكمالات وعلى من جعلهم ورثـة الانبياء عليهم افضل الصـلاة والسلام ٠ وعلى ءاله وأصحابه الكرام

سادتنا الاجلاء

هذه محاضرة تطلب من كل طالب امعان النظر والتفكير فى مغزاها والتخلق بمقتضاها ٠ حاوية على درس نقطتين جسيمتين اولا ماهو العقل الذى شرف به هذا النوع الانسانى وأثنى على ذويه بقوله تعلى (فبشرعبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وبقوله ما خلقت خلقا أحب الى منك ولا أركبك الا فى أحب الخلق الىّ

ما وهـب اللـه لامرء هـبـة افضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتـى فـان فقـدا ففقده للحياة ألـيـق بـه

---

[1] مولاى الحسن جد الممدوح

هو نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية قائدا لكل مصلحة دينية ودنيوية مانعا من ارتكاب ضدها فالعقل بهذا المعنى اما خاص يمن الله به على من شاء من عباده واما بمعنى مطلق الشعور • مثل اجتناب حفرة خوف الوقوع فيها فعام بجميع الحيوانات انسانيا أو بهيميا • وعليه فيجب على كل انسان ان يحتاط كل الاحتياط في ان يتصف بما هو من خواص نوعه • حذرا من أن يتصف بما هو من خواص النوع البهيمي فيلحق به • فما التمييز بين النوعين الا بالعقل

لولا العقول لكان ادنى ضيغم   أدنى الى شرف من الانسان

وبعد تحقق الاتصاف به يجب ان يقدره حق قدره • ويحفظه من سائر المفسدات لذلك عد من الكليات الخمس التى اتفقت الملل بأسرها على وجوب حفظها • اذن فمن غير شك ولاريب أن كل عاقل يحب الجمال والاجلال ويريد أن يكون ماهرا فى سائر العلوم الدينية فقها وحديثا وأدبا وغيرها من سائر الفنون المادية • كالطيارات والسيارات والتلغرافية والالات الكهربائية وشبهها مما تعلق به الهمم العالية • فما المريد الصادق في الارادة الا من امتثل قوله تعلى (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) وقوله تعلى (يايحيى خذ الكتاب بقوة) متحققا ان الله تعلى خلق الاسباب واقتضت حكمته تعلى وجود المسببات عند وجودها لا بها

(ألم تر أن الله أوحى لمريم   وهزى اليك الجذع يساقط الرطب)
(ولوشاء أدنى الجذع من غير هزها   اليها ولكن كل شيء له سبب)

متيقنا أن العلم بالتعلم (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا) فليرم البطالة والكسل وراءه ظهريا مجتهدا فى تحصيل الفنون بجميع الوسائل • مشتملا بقوة قاطعة • وهمة عالية • لا تعرف الملل

أطلب ولا تضجر من مطلب   فئافة الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل بتكراره   فى الصخرة الصماء قد أثرا

فتستغرق أوقاته فيه سهرا بالتمتع بسلساله وبرياضه الفائحة

وحصل العلم وزنه بالتقى   وسائر الاوقات فيه استغرق
وليك قلبك له أفرغ من   حجام ساباط ومن لم يعشق

غيره

أطلب العلم ولا تكسل فما   أبعد الخير على اهل الكسل
واهجر النوم وحصله فمن   يعرف المطلوب يحقر ما بذل

غــيره

الجد فى الجد والحرمان عن الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الامل

وغيرها من كلام الحكماء المرشدين للعبــاد ٠

وقل للمتصنع فى الارادة للعلم

وقل لقتيل الحب وفيت حقــه وللمدعى هيهات ماالكحل الكحل

أخطات يا هذا فما كل مريد بمريد ٠ فان دونك والمراد٠ خرط القتاد استقبلت المغرب ٠ وأنت تسأل عن المشرق

سارت مشرقة وسرت مغربــا شتــان بــين مشرق ومغرب

غــيره

أوردهــا سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الابل

سلكت الامعز الصَّوَّان (١) ٠ وتركت المحجة البيضاء ٠ فهيهات هيهات

فدع غمار العلا للمقدمين على ركوبها واقتنــع منهن بالبلل

غيره :

بقــدر الكــد تكتسب المعــالى ومن طلب العلا سهر الليالى

تروم المجــد ثم تنام ليــلا يغوص البحر مــن طلب اللئــالى

فمت بغيظك ظالما لنفسك ٠ وأنت الذى فتشت عن حتفك بظلفك ٠ فاستنتج من هذا كله أن من لم يرد العلم ليس بعاقــل قطعــا ٠ لاستواء الظلمات والنور لديه (هل تستوى الظلمات والنور) ومن أراد العلم بلاتعلم٠ فليس بمريده قطعا لتوقف المسببات على أسبابها ومــن يتعلمه بــدون همة عالية ٠ وحزم تام٠ فليس بمتعلم قطعا لتوقف المشروطات على شروطها (وبضدها تتبين الاشياء) فاعلم ذلك وامعن النظر فيــه واسرح الفكر فى رياضه ٠ ثم اختر لنفسك ما يحلو

ثم ختم المحاضرة بحائية حسنة مطلعها

نسيم المنى من جانب النجح ينفح فسير مجد بالعزيمــة ينجــح

هنيئا لمن يهتم بالعلم دائما يروح ويغــدو فى أقاحيــه يسرح

ومنها

وويحا لمن يرصى بربح بطالــة فما هو الا الجهل لا العلم يربح

اذا المرء لن يعل الثريا بهمة تراه سليب العلم بالجهل ينضج

ومن لم يجد لم يجد نجح سعيــه ومن جد حاز كل مجد فيفلــح

* * *

---

١) الصوان بالفتح فمشدد نوع من الحجارة القاسية

تلك نماذج من ءاثار الاستاذ الناظر حفظه الله وبهـا تظهر مكانـة الرجل في الادب وفي استحضار الامثال الشوارد والابيات الفرائد مع تعبير مقبول اذ ذاك وروح ادبية ذات أريحية كأنها مر بها على الرياض الفائحة حفظه الله للمعارف وللمجد والعلياء

خطـة القضاء

كنت كتبت ما تقدم منذ ١٨ سنة • ثم ازداد الاستاذ في مقامه فـي نظارة الاحباس وفي التدريس • وقد أصبح شمس الاسرة بعد وفاة القاضي صنوه • ويرد الى الموسم الالغي ليحضر دعوات اولئك الصالحين وأخلاقـه في ازدياد • ومقامه في تمكن • وهو يجاري ويداري ويحافظ على مركزه بكل ما أمكن • وهو بشوش هشوش ثم بعد الاستقلال نقل مـن نظـارة الاحباس الى خطة القضاء في (تزنيت) حيث هو الآن ١٣٨٠ هـ يتمتع بحسن السمعـة

قولة ابن الحبيب فيه

(ومنهم الفقيه • الصدر النـزيه مـن تشنفـت بسماعه الاسماع وانعقدت على كماله الاجماع أبو العباس سيدي أحمد بن أحمد اوعامو أخو القاضي المذكور • كان كثير المطالعة • مشاركا في فنون من فقه وعربية وأصول وفرائض طيب النغمة عظيم الوقار في أكمل جاه وحرمة • قرأ عـلى العلامة المحجوبي وعلى نبراس المغرب سيدي المحفوظ الادوزي ثاقـب الذهن • جيد النظر • حافظا لنكت الفقه • ثم انتقل لفاس وحرر فيها بقية علومه • ورجع لوطنه مهذبا فاضلا قوي العقل حسن الهيئة معتـدل القد مليح الصورة • محبوبا عند العلماء • حريصا على الافادة • قليل الكلام جدا • وكان ينظر في النجوم • حضرت يوما مجلسه الحديثي • فرأيته واسع الرواية • كثير الحديث عـالي السند حببه الله لـلانفس مـع صدق مصاحبة • وحسن مداعبة الى قريحة وقادة • وفطنة نقادة عليه حلاوة القبول سمع بفاس من اعلامها)

العاشر الحسين البولـوقـتي

نسبه الحسين بن محمد ـفتحاـ بن أحمد بن مبارك ـوالبولوقتي تحريف ابي الوقتـ وهم من صميم (أيت ¯محمد) وولادته نحو ١٢٧٠هـ وقد تخرج في القرءان باحد اساتذة اسرته من ءال أوعامو في مسجد قرية (أيت ¯محمد)

ثم لما أتقنه التحق بالاستاذ سيدى مسعود فى المدرسة (البونعمانية) فلازمه من أول يوم الى ان تخرج • وقد كانت له قدم فى النجابة يذكر بها • وهو لايزال بعد فى المدرسة وقد كان اذذاك لهجا بكتابة كتب الدراسة يتتبع بها الدراسة نصابا نصابا فلذلك حسن خطه حتى امتاز ومن لايزاول مهنته كثيرا فقلما يتقنها اتقانا ثم بعد تخرجه فى أوائل هذا القرن صار يشارط فى مساجد بايت بعمران فأمضى هناك سنين وهو فى ذلك يجعل ديدنه قسم التركات وفض النوازل ولكنه يمشى بتؤدة • وليس ككثيرين ممن يجرون فى ذلك اطلاقا فتمولو من جرائه لما يترشحونه من كل ما سنح ثم لاعليهم ان أصابوا أو أخطأوا وحبك الشىء يعمى ويصم

اقترن نحو ١٣١٤هـ بكريمة من بنات عمه ثم لم يتحول بعد ذلك عن صراطه المستقيم • ولم تحمله كلف الاسرة التى ينظر به على ان يغير سيره وماذلك الا لتأثره بسجية أستاذه سيدى مسعود المعدرى • فكان وان لم ينفض يديه - كما فعله استاذه سيدى مسعود - بالكلية من فض النوازل وكتب الاحكام بين الخصوم يلزمه الحذر خوف التورط مراقبا الله بحسب استطاعته • ولهذا كله يصبح قليل ذات اليد • ولايكاد ينتفع بما لعله يقتصده من مشارطاته قبل اقترانه • لمكان أخوته الذين كانوا ياتون على كل ماوصل الى ايديهم • فكان خلقه فسيحا ازاءهم • ولا تكتنه الاخلاق الا بمثل هذه المعاملات مع الاهل •

كان رحمه الله هينا لينا ذا دعابة لطيفة وله فى ذلك حكايات منها أنه كان مرة فى دار الاستاذ محمد بن مسعود فى (المعدر) فحضر الفقيه المتجهم الصوفى سيدى عمر الدهوزى البرايبى • فظل يعظ الحاضرين بذكر جهنم على حين أنهم تحت ظل رب المثوى يتقلبون فى النعم فلم يملك سيدى الحسين نفسه ان قال له • وأهالك • ان نحن الا فى الجنة منذ الان • ولانشم روائح الجحيم المنتنة الامنك قال ذلك بدعابة هزت المجلس ضحكا وكم له من أمثالها • وهو يرمى بذلك الى ان الاولى ان يختار الواعظ لكل مقام مقالا • فلم يلق فى مثل ذلك المقام للواعظين الا ان يذكروا الناس شكر النعم • وأن يتكئوا على ذلك فى مواعظهم • ولهذا نعلم مقدار ذوق سيدى الحسين البولوقتى رحمه الله •

كان يلزم كثيرا الاستاذ سيدى مسعودا ويصاحبه الى موسم (نازاروالت) وغيره • ومن أحواله أنه يعتريه النوم كثيرا بين الناس فليم مرة على خفقة نوم خفقها فى مجلس عام فقال متبسما منبسطا على عادته • لاتنكروا فضل النوم • فاننى كنت مرة مع رفقاء لى فى (أيت بعمران) فتعرض لنا ناس لهم حساب على أهل (تزنيت) فاعتقلونا • فأتوا بالحداد ليكبلنا • فنمت بين يدى

الحداد • فقيل أمن مثل هذا يراد أن نتوصل بحسابنا أطلقوه ليذهب بالخبر الى (تزنيت) فانطلقت ببركة النوم فلاحرمنا الله بركة النوم ابدالابدين

وكان الاستاذ سيدى مسعود يتخذ منزل الاستاذ دار اقامة كلما الـم بـ (تزنيت) التى كانت طريقه دائما الى محله مـن (بونعمان) ثـم بعد وفاة الاستاذ سيدى مسعود كان هذا الاتصال بينه وبين خليفته العلامة محمد بن مسعود

مكانتـه في المعـارف

يظهر لى ممن استقى منهم ترجمة المترجم ومما رأيته له من الاثار أنه نسخة من أستاذه سيدى مسعود فكانت له مشاركة حسنة فى الفقـه والنحو والتصوف واستحضار حكايات الصالحين • واللهج بكتبهم • ويوجد من بين ماخطته يده كتاب (طبقات الحضيكى) ولا أدل على تتبعه لخطا شيخه من هذه النظرة الى تلك الجهة • ومن هذه الهمة الى مثل تلك الاثار • فقدعلمنا مقدار ما لشيخه من الاعتناء بهذه الناحية (ولا ينبئك مثل خبير)

ثم لم يكن محيط معلوماته مقتصرا على الفقه والفرائض والنحو وما ذكرناه له فقط • بل رايت له مايدل على ان للادب أيضا جانبا من نظراته • فقد وقفت فى دفات كتبه على مقطعات جميلة رائعة يختارها فيعتنى بنقلها مما يطالعه من الكتب وهاك نماذج مما وقفت عليه بخط يده

يامنية النفس ان اعطيت منيتهـا — وسؤلتى ان دنونا او نأيناك
ان بعتنا ببديـل منذ لـم أركـم — فما بشىء مـن الاشياء بعناك
ان كنت لم تذكر ينا حين فرقتنا — فيشهد اللـــه أنى لست أنساك

ولاخر

ان كنـت لست معـى فالذكر منك معى
يرعـاك قلبـى وان غيبـت عـن بصرى
العـيـن تفقد مـن تهوى وتبصره — وناظر القلب لايخلو مـن النظر

وللشافعى

سهرت أعين ونامـت عيون — لامور تكون اولا تكـون
فادرأ الهم ما استطعت عن النفـ — ـس فحملانها الهموم جنون
ان ربا كفاك بالامس ما كا — ن سيكفيـك فـى غد ما يـكـون

وللقاضى عبد الوهاب البغدادى ـ وكأنه أعجب بالابيات لانها توافـق حاله ـ

قالوا الفقيه فقلت الزور ما قالوا ليس الفقيه سوى من عنده المال
كم من مسائل فى صدرى أحصلها بالدرس حفظا ومافى الجيب مثقال
قالوا وفى العلم عز قلت ذالك بلا شك ولكنه فى الفقر اذلال
وعـزة العلـم ذل الفقر يـذهبها كم مـن فقيـه جليل ذلـه المال
فصرت أطلبه والدهر يطلبنـى وطالب المال لا يبقى له بال
وكل شىء لـه ضد يضادده وءافة العلم اهمـال واقـلال

ولابن الحاجب

من كان مفتخرا بالمال والنشـب فانما فخرنا بالعلـم والادب
ليس الجمال بأثـواب تزينه ان الجمال جـمـال العلم والادب
ليس البلية فى أيامنا عجبا بل السلامة فيها اعجب العجـب
ليس اليتيم الذى قدمات والـده ان اليتيم يتيم العلـم والحسـب

ولاخر

ومـن العجائـب ان أقيم ببلـدة يوما وأسلم من أذى جهالهــا

قال ومما ينسب الى على بن ابى طالب كرم الله وجهه

ياطالب الرزق فى الافاق مجتهدا اقصر عناك فان الرزق مقسوم
الرزق ياتى الى من ليس يطلبـه وطالب الرزق يسعى وهومحروم

وينسب له أيضا

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت علـى العباد مـن الرحمان ارزاق
لاينفع البخل مـع دنيا موليـة ولا يضر مع الاقبال انفـاق

تكفينا هذه النماذج فهى بنفسها تعلن عـن جانب كبير من نفسية المترجم • فبعضها يدل على الاستسلام المقدر فى الامور كلها • وهـى نظرة كل مومن ثم يزيدها التصوف امعانا بكثرة القاء الحبل على الغارب فى كل شىء وسيدى الحسين هو الصوفى الناصرى الذى عرفناه وبعضها يدل على الاقلال مع العلم • وهكذا حالة سيدى الحسين كماذكرناه • وقد وجد من كلام من اتصف بأوصافه• كالقاضى عبد الوهاب مايتكئى عليه• وبعضها يدل على عدم الالحاح فى طلب الرزق • فقد جفت الاقلام • وطويت الصحف • فما كان مقدرا • فانه ينقاد بأدنى سبب • وكذلك أيضا كان المترجـم وانمـا مقصودنا ان يعرف عنه انله جانبا مائلا الى الابيات الادبية ينتقى مـنـها مايوافق حاله • على حين انه فى بيئة قلما تعير لفتة الى بيت مستطرف • او الى معنى حسن وان كانت مدارتهما عامرة الجواء بين عينى الناظرين وقد كنا ذكرنا ان الادب لم يدخل المدرسة (البونعمانية) الا على يد الاستاذ

سيدى محمد بن مسعود وذلك بعد ماتخرج صاحبنا هذا وأما ماكنا نعهده من أستاذه سيدى مسعود فهو اعتناء بدعوات وحكايات صوفية ومناقب الصالحين • وأمثال ذلك • مما هو معروف عن أمثاله • ولذلك لم نرد ان نضيع ماكان لهذا الناشيء في تلك البيئة من تقدم الى جانب اخر يتطلب منه مايدعم به مبدأ تلك البيئة نفسها

بقية أخرى من أخباره

علمت أن سيدى الحسين ليس يحطب فى حبال اقرانه من الفقهاء الذين يخبطون فى النوازل خبط عشواء فبذلك كان يبتعد عن الفقهاء الذين يشد اعضادهم رؤساء (تزنيت) فقد لازم المساجد • وتعليم كتاب الله • قانعا بما يدر عليه منها كما انه لازم تعاطى النوازل بين الذين يريدون فض نوازلهم بلا جلبة ولا ضوضاء • وحين يكون أمثال اولئك قليلين بين الخصوم يقل بطبيعة الحال من يمثلون بين يديه فكان قنوعا صبورا على كل لاواء يمسه بها الاقلال

أخبرنى ولده سيدى محمد بن الحسين انه وقف على بطاقة كتبت الى والده من الكاتب الرسمي للقائد انفلوس الحاحى من (تزنيت) يامره فيها بفض قضيته فعرفنا أنه ليس اذذاك من المنسيين وان لم يكن أيضا من المشهورين ثم لما قام الهيبة كان من بين فقهاء (تزنيت) المنتصبين بين يدى الاعراب للقضايا • ولكن يظهر لى انه نكص عن ذلك الزحام بما يشاهده من كثرة لجاج الفقهاء كما هو مشهور فى تلك الايام حول ذلك • ونحن نعلم من طبيعته أنه لم يخلق للمزاحمة وأنه مستيقن ان ماكان رزقه سوف ياتيه هنيئا مريئا

ثم لما تمكن القائد ابن دحان أخذ بيده وكثر اتصاله به حتى إنه أعانه سنة فى حرث ببرذون وذلك من أجل ان كل سكان (تزنيت) محاصرون فيها بالقبائل فانحجر فيها امثال المترجم الذين يالفون المشارطة فى مساجد القبائل فذلك هو السبب حتى اخذ ابن دحان بضبعه • ولكنه على كل حال لم يكن ليتم ظهوره لزهده اولا من تلك المظاهر ولكونه لم يحكم التملق والتماوت • وكثرة التضرع للرؤساء • وهيهات ان ينال امثاله من الرؤساء نقيرا مالم يديموا لهم الركوع والسجود بكرة وعشيا • وسيدى الحسين ليس من هذا النمط • فلذلك لم يتألق نجمه اذ ذاك • مع كون نجوم ءاخرين دونه عرفوا كيف يتملقون ويمرون الدر من الضروع

كانت مشارطاته غالبا فى النصف الاخير من حياته فى المشارطة بقبيلة

(ايت برايبم) ولم يزل كذلك حتى سقط مريضا سنة ١٣٣٩ ﻫ فأسلم الروح في الخامس من ذي القعدة ودفن في المقبرة الجديدة في غمار القبور من غير تمييز

مساكين أهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر

كذلك انطوت صفحة عالم هادئ رباني منبسط هين سخي أريحي في كل ما يملكه رحمه الله رحمة واسعة ولم يتيسر لنا الآن أثر من آثاره مع حثنا لولده على أن يفتش عنه فلم يقع على شيء مما يدل على أنه لا أثر له ·

الحادي عشر : سيدي أحمد البولوقتي

هو ثاني علماء البولوقتيين وهو ابن اخي من قبله وقد نشأ في قرية أهله من (تزنيت) فوجد من عمه الفقيه ما حبب الى والديه أن يميلوا به الى طريق العلم · ولا أمجد اذ ذاك عند الاسر من طريق العلم لمن تيسر له أن يسلكه ·

متلقاه للقرآن

أخذ عن سيدي ابرهيم المقدمي التزنيتي الذي كان يدرس القرءان في داره من غير مشارطة اعتناء منه بنشر كتاب الله · وكان اذ ذاك شيخا هرما· وقد ربض على أولاده ··· يعلمهم كتاب الله · فيعلم معهم أولاد الجيران · وقد توفي عن سن عالية (وقد تقدم ذكره) فعلى هذا تخرج سيدي أحمد · وقد كان الاستاذ يلزّه على القراءة مرغما · وكان هذا قد فر من المكتب· فكبله أهله · ويحكي عمه الفقيه سيدي الحسين أنه هرب مرة بكبله · قال فتبعته الى خارج باب من أبواب (تزنيت) فحاولت أن ألقي عليه القبض فشدَّ أمامي عدوا وهو مكبول· فلم أدركه حتى استدرنا على خارج محيط سور (تزنيت) كله ودخلنا من باب ءاخر · وكان لحرص أهله في تعليمه تأثير فأتقن كتاب الله حفظا ·

في المدرسة البونعمانية

ثم بعد أن حفظ كتاب الله التحق بالمدرسة (البونعمانية) عند أستاذها ابن مسعود فلازمه فنال بجده منالا حتى أصبح من معيني الاستاذ في الطبقات المتدرجة · وقد كان سنة ١٣٢٩ ﻫ يعلم سيدي أحمد ولد الاستاذ باذن والده·وقد أخذ الاخذ المعروف عن طبقته في (بونعمان) وقد تفتح ذهنه وشحذت ذاكرته وكانت لاتزال تنقصه من الدراسة العليا أشياء · غير أن

بعض عوائق عاقته عن الاخذ بناصية الفنون وصدته عن استكمالها وقد وقفت له على مقيدات اذ ذاك يظهر منها أنه لهج بالفوائد فينظم بنظم فيه انكسار كل ما يروقه من منثور يضم فائدة من الفوائد بين العلوم.

في الزاوية الالغية

كان الاخ سيدي محمد يأخذ عن الاستاذ ابن مسعود سنة ١٣٢٩ ﻫ وحين أظلت وفاة الشيخ الوالد ٠ رجع الى الدار ثم توفى الوالد فبقي الاخ عاطلا من الدراسة فأرسل اليه الاستاذ ابن مسعود المترجم تلميذه هذا ٠ لعله يتمشى معه مدارسة ومذاكرة وكان ذلك أواسط ١٣٢٩ ﻫ فنزل بالزاوية ٠ ففي ذلك الحين ظهر لاولياء أمرى ٠ أن أفتتح أنا أيضا الاجرومية عليه فكان تعليمه أول ما رأيته من المعارف ٠ ولكن لم أكد أنا والاخ أحمد رحمه الله وهو الذى كان يسايرني في التعلم نصل حروف الجر ٠ حتى واثب الاخ أحمد أستاذنا هذا وقد هم بضربه لشيء رأى به الاستاذ أنه يستحق عليه التأديب ـ وقد كان ضرابا لتلاميذه ـ فاذا به قد وجد من الاخ صليبا٠ ثم جاء بعض من لايستحيي من فقراء الزاوية فأراد أن يجلد أستاذنا المسكين٠ فحمله ذلك على أن أرانا نعامة رجليه٠ فلحق باستاذه بـ(بونعمان) راضيا من الغنيمة بالاياب ٠

بعد وفاة ابن مسعود

لم يطل الزمان فتوفي أستاذ المدرسة (البونعمانية) في ربيع الاول سنة ١٣٣٠ ﻫ فأقلع بسبب ذلك عن المدرسة (البونعمانية) فولى وجهته الى المشارطة فلحق برئيس (تانكرت) باداوتنان السيد الحسن بوناكه فاخذ بيده فشارطه لاهل قرية (أغرغاز) سنتين وكان يتعاطى هنالك تعليما لبعض الفنون الابتدائية. وممن أخذ هناك عنه ابن عمه سيدي محمد بن الحسين ولد الفقيه المذكور قبله ثم من هناك انتقل الى دار القائد سعيد التيگزريني في قرية (دوملت) من (أيت أمر) فبقي هناك سنتين وقد كنت رأيت من ءاثار قلمه كثيرا في طرر كتب خزانة القائد سعيد مايدل منه على اعتناء زائد ثم شارط في مدرسة (سيدى عبد الرحمن التامرية) سنة واحدة ٠ ثم رجع الى داره بـ (تزنيت) فزاول التجارة حينا ٠ ثم سكن في قرية (أدوارنسيدى علي) بـ (المعدر) متزوجا بأيم غنية أرتاش بمالها٠ ثم تزوج أخرى بعد ما قامت عليه هذه ففارقها ٠ وسكن قرية (المعدر) فتوفيت فضاقت به السبل لما يلاقيه من عدم احترامه من الرعاع ٠ والحر أنوف لا يرضخ للذل ٠ وقد نالته أيام الكتنافي مسة منه ٠ كما نالت كل

الناس فأزاره السجن من أجل زرع له ادخلـه قبـل أن يكيله أعوانـه • فأداه ذلك الى تطليق دار الهوان

ولا يقيم على ضيم يراد بـــه   الا الاذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشج فلا يرثى لـــه أحـد

في نـواحـي تادلـة

ألقى مراسيه أولا فى زاويـة الشيخ سيدى ابرهيم البصير فى (أيت عياط) فصار يتقلب فى تلك الجهة ما شاء الله • وأحسبه زاول هناك مشارطة أزمنا • أحسبه حل حينا فى دار القائد محمد العتابى • ثم لم يطب له الحال• ولا قربه القرار فولى وجهه صوب الحواضر •

في الـربـاط

نزل أولا فى (فاس) للاقامة فى بعض المدارس للتعلم والتعليم فكان مما قدر الله أن دفعه الى طالب فى المدرسة المصباحية فاستضافه فـى بيت يظهر أنه له • فتركه حتى نام • فأخذ كيسه • فذهب لحال سبيله • فلمـا انتبه الضيف بعد الصباح نظر بعينه الى الكيس فاذا بـه لاعـين ولا أثر فحفظ الله ما معه من الدراهم لانه كان احتزم بها فى صرة تحت السراويل احتياطا فأدهشه ذلك فهرب من (فـاس) •

ثم نزل فى(الرباط) نحو ١٣٤٤ ﻫ فأقبل على استتمام دراسته فيحضر فى دروس شيخ الاسلام ابى شعيب الدكالى • ودروس شيخنا سيدى المدنى ابن الحسنى • وقد كنت رأيته هناك فى بعض ممراتى الى (فاس) وأنا اذ ذاك اخذ هناك فوجدته قد نزل فى غرفة عليا فى مسجد صغير وقـد قـام بضيافتنا أحسن قيام • ثم فى سنة ١٣٤٧ ﻫ ألقيت المراسى فـى (الربـاط) فكان لايزال يأخذ ويحضر معنا ولكننى لانقباضى اذ ذاك ولانزواءى عن غيرثلة كنت أتعاطى معها الدراسة • حيل بينى وبين مخالطته هو وغيره

كان وهو فى (الرباط) غير متسع بل ربما كان فى ضيـق شديـد يحاول اخفاءه تعففا• فادرك بعض الاخوان هناك مكان حاجته من حيث لايظنها تدرك • فاكتتبنا له مع أناس بما تيسر • فكان له ذلك سدادا من عوز

في زعـيـر

كان شيخنا أبو شعيب رحمه الله سهل الكنف• ملاطفا رقيق القلب

نصوحا للطلبة مستنهضا لهم الى مزاولة الحرفة وراء المعاش يلقى علينا ذلك أثناء الدروس فى كل فرصة سانحة فكان ذلك هو الذى وصل الاسلاك بينه وبين المترجم فقارضه فى مال غير كثير يتاجر به فى سوق (زعير) فى دكان فظهر لشيخنا من نشاطه ما حفزه على أن يزيد فى رأس ماله . ثم تتابعت الامانى منهما . والامانى فتاحة للابواب. وفتاحة للجيوب. فماده الاستاذ ممادة حتى زوجه ببنت أخ له فهكذا سايره برقة ورأفة كما تساير الام الرؤوم ولدها فبذلك أسس سيدى أحمد البولوقتى لمستقبله ببركة الاستاذ فتجر وفلح فأثل وتوسع . فصار يعد الافا من الفرنكات يضمها لنفسه . بعد أن لم يكن يطمع حتى فى المئات . ولم أكن ألقاه بعد انتشابه فى هذا الطور . غير اننى سألت عنه شيخنا الدكالى مرة . وقد قدم علينا بـ (الحمراء) فرأيته يريد أن يفصح عن شيء يجول فى خاطره . غير أن حياء من أن يذكر أى انسان بما لاينبغى . حال دونه ودون ذلك . ثم أخبرت أن عرض الدنيا مثل دوره الذى يمثله دائما بين كل متشاركين . فصار كل واحد منهما يزعم أنه مظلوم من صاحبه ثم يسر الله لهما فانحلت العقدة. وانفصمت العلة التجارية بينهما بالمحاسبة . فاستقل كل بما له غير ملوم ولا مهضوم

على هذه الحالة تركنا المترجم فى (زعير) ويذكر الواردون من هناك أن له سعة فى ذات اليد . فقدر له بعد أن يستقر بعدما تقلقلت به الاحوال كثيرا . كما رأيت فقلما يألف عن محل ألقى فيه جرانه . والناس معادن. ثم لم يزل على ذلك الى أن توفى استاذنا ١٣٥٦ هـ فانتشبت مخاصمة بينه وبين آل الاستاذ ثم بقى فى محله الى أن أصيب بماله أولا . ثم بعقله ثانيا فذهب به الى ابن الرشيد حيث مستشفى المختلين فتوفى هناك نحو ١٣٧٠ هـ رحمه الله

مداركه

رأى القارىء من فذلكة مما تقدم مقدار مدارك المترجم حين توفى استاذه ابن مسعود . ثم رءاه جاور أيضا فى (الرباط) للاخذ ماشاء الله . ولا ريب أنه سيستفيد من هناك كثيرا غير أننا يجب علينا أن لاننسى أن المرحلة عن (سوس) تأثيرا كبير افى عدم صموده الى الزيادة فى الاخذ التى يصمد اليها السوسيون متى هاجروا. وان لانتشابه فى الورطة التجارية والفلاحية وما اليهما ما ينسيه الميدان العلمى خصوصا حين استقر فى (زعير) حيث عش الجهل وبورة الغفلة . فهل ننتظر منه بعد ذلك أن نرى منه تفوقا ؟ وقد طلق القلم . وزاول المحراث .

ذلك غير أن هذا كله لا يحول بيننا وبين أن نحكم له بأن كل ما أخذه من نحو وفقه وما اليهما • ثم ما استمده بعد ذلك بالمطالعة لايزال محفوظا مصونا • وان غانت عليه هموم مزاولة الاموال• ورانت عليه صدمات الخوض بين الغافلين والجهال الزعيريين • والحال لايزال على ما أنشدنا الشيخ الدكالي

اذا هجر العلم يوما هجر وزال فلم يبق منه أثر
كماء ترقرق فوق الصفا اذا انقطع الماء جف الحجر

بعض ءاثاره

وجدت بخط تلميذ المترجم سيدى أحمد بن محمد بن مسعود رحمه الله ما يلي • وللبركة شيخنا سيدى ابى العباس هذه الابيات يخاطب بها بعض الطلبة يحثه على الاجتهاد والهمة فى التعلم والعلم كما هو معلوم ان أعطيته كلك أعطاك بعضه وان أعطيته بعضك حرمك ونص ما قال لا فض فوه

العلم عز والجهول ذليل والعلم أيد والجهول كلول
ما ذا صنعت وقد رأيت قرينكم بالجد فى كل العلوم يصول
والجد مفتاح ومن لم يات بالـ ـمفتاح لم يمكن لديه دخول
انهض بهمة من يريد مطاره فوق السما تنل العلا فتنيل
من كان والده عليما عارفا أيليق أن يلتاح وهو جهول ؟
نصحا محضت لمن أصاخ لما أقو ل وعين حق الناصحين أقول
ابخس بعقلي ان سكتت وقد أرى خلي لمن فى المهلكات يميل
الرشد والتقوى ملاك العلم فار شد تدرك العلم الذى سيطول
والزم فديتك كل بحث منفس أولا فمالك فى الرشاد فتيل
باب العلوم يسد فى وجه الذى ما كان منه الى العلوم سبيل
الزم هديت الصالحات فانها حقا اليك النيرات تديل
واستشفعن بخير رسل الله أحـ ـمد انه بشفاعة مقبول
صلى عليه الله ما هبت صبا نجدية وجنائب وشمول
فعلى الاخى تحية مسكية جرت لها فوق الرياض ذيول
ما غرد القمرى فى فنن فما دبه فيشد ومن غناه هديل

هكذا وجدت هذه المنظومة المهلهلة وأحسب أنها المترجم وقد قال كاتبها انها لشيخنا ابى العباس وأبعد بها أن تكون للاستاذ سيدى أحمد ابن مسعود وهو أيضا شيخ كاتبها • ولكنه لو كان هو مقصوده لأطال فى التحلية • وسيدى أحمد بن مسعود لم نعهد قط منه مثل هذه المهلهلة •

بل لا يقول الشعر الا قليلا   فقد ذكر لى الاخ احمد أنه خاطبه بأبياتا غير أنني نسيت أن استفسره ممن هى أمن انشائه أو من انشاده ؟ والغالب أنها من انشاداته • وايا كان فهى بنفس المترجم أشبه • وان لم تكن له • فهى لغيره من طلبة (بونعمان) من طبقته   وقد ضربت علينا الآن فى هذا المنفى أسداد فأسداد بيننا وبين المترجم الزعيرى   والا فما أسهل التثبت فى مثل هذا • غير اننا أخذنا أنفسنا ان نكتب الآن ما عندنا كما هو يقينا أو شكا أو وهما مبينين   ثم على من تيسر له بعد أن يحقق المناط • وعلى الله قصد السبيل •

ومن النوادر• ما قال طالب في المدرسة البونعمانية لسيدى أحمد بن محمد بن مسعود   الذى كان يعلمه المترجم   فقد كان ضربه كثيرا   ثم يكرمه والده مع شدة ضربه لولده•فقال هذا الطالب لسيدى أحمد   اذكرنى لابيك ليكرمنى بشيء • فعلى أن أضربك ضربا مبرحا حتى لا تقدر أن تقوم من مكانك •

هذا هو الاثر الذى وقفنا عليه للمترجم الآن – ان صح أنه له – وأنه لذوا اثار لعلها أجلى من هذ اوأنصح   وأقرب الى الاذواق   ولكن أين ذاك منا الآن ؟ ونحن فى قمة (جزولة) من المعنين • وهو فى سرة بسبيط (تامسنا) بين الفلاحين • رحمه الله فان له علينا منة   بما تلقيناه عنه من أول يوم وتعليم حرف واحد غير قليل   فله منا ألف تحية وسلام

اذا أفادك انسان بفائدة   من العلوم فأدمن شكره أبدا
وقل فلان جزاه الله صالحة   أفادنيها وخل الكبر والحسدا

(ثم ان المترجم أدركته الفاقة حتى اختلت حاله وعقله فذهب به الى (ابن الرشيد) حيث توفى نحو ١٣٧١ هـ) •

الثاني عشر   أحمد بن محمد

أحمد بن محمد بن محمد من بنى يحيا البولوقتى   وهو ابن الرئيس المشهور بين رؤساء المدينة • وابن أخى المترجم قبله ولد نحو ١٣٣٧ هـ وأخذ القرءان العظيم عن الاستاذ سيدى البشير الساحلى   وعن الاستاذ سيدى محمد بن الحسين ابن عمه   وافتتح المعارف لدى الفقيه سيدى ابرهيم بن عبد العزيز الادوزى   فى المدرسة (البوعبدلية)   فتلقى بعض

المبادىء عنه ثم انتقل الى جامع (تزنيت) جادا فى التحصيل فظهرت عنه امارة النجابة فى النحو والفقه واللغة والفرائض والحساب فلعله ان شاء الله يكون من العلماء العاملين الصالحين لما يظهر منه من التؤدة والمسكنة والحياء المفرط مائلا على سفاسف الامور متعاليا الى معاليها حفظه الله وكمل عليه •

ثم انه اليوم بعد الاستقلال أستاذ فى احدى المدارس الحديثة وقد تقدم فى طبقته حتى صار يشار اليه بالتحصيل

الثالث عشر : سيدي ابوبكر بن احمد

سياتى منفردا بترجمة لانه على شرطنا فى هذا الفصل •

وبعد فهؤلاء علماء (أيت محمد) الشرفاء وهم اسرة علميه فصلنا الآن علماء لها على حسب ما عندنا • وأما رؤساء الاسرة • ففى (القسم الخامس) ان شاء الله •



سيدى

ابو بكر بن احمد التزنيتي القاضى

نحو ١٣٠٤ هـ = ١٣٧٩ ٠

نسبـــه :

أبو بكر بن احمد بن الحسين ابن الحاج يعزى ابن الطالب مبارك بـن محمد بن مبارك

فقيه ءاخر من (أيت محمد) ـ وقد تقدم فقهاء من فخذه ـ له شهرة وظهور منذ أربعين سنة فى (تزنيت) ولاسيما منذ تولى نيابة القاضى رسميا

متعلمه

أخذ القرءان عن الاستاذ الحاج الحسن بن أحمد التزنيتى الزكرى فى (تالعينت) وقد كان شارط فيها٠ ولا يزال حيا سنة ١٣٦٤هـ٠ لازمه المترجم سنوات الى ١٣٢١ هـ ٠ ثم التحق بالاستاذ سيدى محمد بن على بن الحسن فى قرية (ايدغ) وهو من الاغرابوئيين٠ فأخذ عنه حرف المكى٠ ثم حرف حمزة وفى ربيع الاول ١٣٢٦ هـ ثم اعمل رحلته الى المدرسة (البونعمانية) عنـد الاستاذ سيدى محمد بن مسعود فافتتح هناك العربية وعلومها المعهودة الى أن توفى الاستاذ ١٣٣٠ هـ فلازم خلفه الاستاذ الشيـخ سيـدى أحمـد بن مسعود الى ١٣٣٢ هـ فاضطر للاضطراب فى الاحوال اذ ذاك بسبب حروب الكفاح حوالى (تزنيت) فأقلع الى مسقط رأسه (تزنيت) فانقطع منذ ذلك الوقت عن الاخذ

في نيابة القـاضي

كان ملازما للقاضى سيدى محمـد (أوعامو) منـذ كانـا فى المدرسـة (البونعمانية) ثم لم يكن يفارقه أيضا فى (تزنيت) وقد دخل معه فى غمـار العدول ٠ وفقهاء البلد ثم لما برز القاضى الى المنصب القضاءى كان يده اليمنى منذ حوالى ١٣٤٠ هـ ٠ ولا يفارق مجلسه كنائب عنـه ومشاور فـى القضايا الى أن تولى نيابة القاضى رسميا ١٣٦٣ هـ ٠

مختلف أحواله

كان يلازم مجلس القاضي ملازمة تامة صباح مساء وكان هذا المجلس يضرب به المثل في عدة أوصاف منها ملازمة الصلوات في أوقاتها . وقراءة الحزب الراتب . ومنها كونه مفتوح الباب لكل صادر ووارد ومنها روح الفكاهة النزيهة التي تثار فيه بين المترجم وسيدى عمر الشريف التازاروالتي وسيدى الحاج محمد الاكماري. وفي بحبوحتهم القاضي الجليل ومتى حضر العلامة سيدى عبد الرحمن العوفي والشريف سيدىابرهيم بن محمد التازاروالتي فان شروط المفاكهة قد تمت فقد صار اليوم الجميع الى رحمة الله . وءاخرهم المترجم . وقد كان كيسا ثاقب الذهن يعرف من أين توكل الكتف . يحوى من اللباقة ما تفوق به على أقرانه . وله أورادوجنوح الى الخير . ويختلف الى مجالس الفقراء في (تزنيت) . ويحضر في موسم الغ . ويتخذ شيخه سيدى أحمد بن مسعود المعدرى قدوة في كل شيء .وقد حج سنة ١٣٧١هـ. ثم تواترت عليه أمراض. مع ملازمته للمحكمة الى أن جاء أجله. ومعلوماته وسطى. ولكنه يعرف بكثرة المجالسة والممارسة والمباحثة مصادر المسائل ومواردها . رحمه الله فقد ترك ثغرة بوفاته قلما تجد من يسدها .

مما قيل فيه

كان الادباء الازاغاريون الذين تكون أغراضهم عند القاضي يقصدونه ويقدمون اليه من بنات قوافيهم . ومما قيل فيه

اذا قيل من فيه جميع ذوى الخير	يقول جميع الناس ذاك أبو بكر
كريم له عزم وحزم ومقصد	حميد اذا ما جال في السر والجهر
اذا ما أممته أممت الذى به	يتم لك المقصود في كل ما يجرى
فهذا أخوك الدائم العهد فاقض ما	يريدكما تدرى وفوق الذى تدرى
عليك سلام الله كالروض ان همى	عليه سحاب القطر في مطلع الفجر



الفقيه سيدي محمد السماهري

ثم التزنيتي

١٣٠١ هـ = ١ - ٢ - ١٣٦٤ هـ

نسبـه :

محمد بن الحاج عبد الله بن علي بن مبارك الازرق ٠

فقيه حسن تولى خطة العدالة في محكمة القاضي بـ (تزنيت) وله ما له من سمعة حسنة بين الطلبة وبين الفقراء الالغيين ٠ وهو يمت الى كل فريق بوجهته ٠

مأخذه للقرآن

أخذ القرءان عن الاستاذ عبد الله التملي المذكور في ترجمة سيدى الطاهر السماهري ٠ وذلك في مسجد القرية ٠ ثم عن الاستاذ الحسن بن محمد الحمزاوي وقد توفي هذا نحو ١٣٥٨ هـ ٠

مأخذه للمعارف

انتقل بعد أن استتم القرءان وحفظه ٠ وأتقن تجويده ورسمه الى المدرسة (البونعمانية) عند الاستاذ محمد بن مسعود ٠ فعليه افتتح ثم تدرج الى ان نال منه ما نال فلم يتجاوزه قط ٠ ولا مال طرفه الى أن يستزيد من غيره ٠ عملا بقولة صوفية تقول ألزم بابا واحدا تفتح لك الابواب ٠ واخضع لرقبة واحدة تخضع لك الرقاب ٠ وحكى أنه وقع له مرة ما أوجس به الاستاذ من أخلاقه شيئا ٠ فأمره بمغادرة المدرسة قال فتحينت نزول الشيخ الالغي الى (المعدر) فذهبت اليه فقصصت عليه الواقع فمشى معي الى دار الاستاذ هناك ـ وهو فيها ـ فدخلنا داره وأنا وراء الشيخ فناداه فانتقل بسرعة عن مرقده ٠ وقد كان نائما في بيت هناك فسلم على الشيخ ثم جلس أمامه جلوس الصلاة على الارض ٠ فقال له أبين التلاميذ في المدرسة من يسمى محمدا السماهري فقاله نعم يا سيدي ٠ فقال قد ذكر أنه وقع له كذا وكذا ٠ والآن مره ليرجع الى دروسه ٠ فانه قد تاب ان كان وقع منه

شيء ثم استدعاني فقبلت رأس كل واحد منهما فرجعت الى المدرسة ثم لم أزل فيها الى أن ودعني الاستاذ : ١٣٢٧ هـ موصيا لي بثلاث أن أتزوج في الحين • وأن ألازم التدريس وان أدعو النــاس الى الله كما أذن لي في تلقين الاذكار • ثم أكد على أن ألازم أهل الله فكان أعظم ما فزت بــه هذا الــوداع الذي قلما يفوز به غالب الطلبة • فغبطوني عليه • والحمد لله

حياته بعــد

قال حدثت مسغبة بعد تلك السنة • فجئت مع أناس من أهالي تلك الجهة البعمرانية ليمتاروا من (أزاغار) ثم اتصلت بالاستــاذ فـأمرني بالجلوس عنــده ثانيا • فلازمته الى أن توفي سنة ١٣٣٠ هـ ثم اتصلت بـ (تزنيت) فانتشبت في التجارة ثم قطنت هذه المدينة التي أعجبتني

ثم لم يـزل يعلو شأنه هناك ويساعده الحال حتى صار أحد رجالات (تزنيت) المعدودين فضلا ونبلا وكرما وانحياشا الى العمل بمــا علم جهــد الطاقة • وقد انخرط في خطة العدالة سنة ١٣٤٥ هـ من أول يوم نظمت فيه المحكمة• فكان أحد عدول المحكمة الملازمين للقاضي سيدي محمد (أوعامو) بل هو صاحب كناشه الخاص، فانه كان من أصحابه في المدرسة (البونعمانية) ثم صار أحد العمد معه في (محكمته) والمشارك له في نعمته •

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا   من كان يألفهم في المنزل الخشن

اعتناقه للطريقة الالغية

كان اعتناقها في المدرسة (البونعمانية) ـ كما اعتنقها كل طلبتها ـ ثم كانت له فيها قدم راسخة ، وقد كان الاستاذ كلما أراد القدوم الى (الغ) يقول له حين يخير الطلبة في الذهاب معه ان ذلك يجب عليــك أنت لمــا يعهده منه من التخلق بأخلاق الفقراء • ومن الهمة الصوفية التي بها يستقي من مثل هذه الحياض وتجني بها أزهار هذه الرياض ثم لــم يزل عــلى ذلك لا يظهر منــه أدنى فتور في باب الملــه الا أنــه ليس ممن يتجهمون ويعبسون ويبسرون ويكشرون ادعاء للمقامات وللاسرار• بل انما يذكر ربه ويشتغل بوظيفته العدلية ويحب أن لايفارق مجالس الذكر مع اخوانــه الفقراء أبد الآبدين مع ملازمة لهيأة العلماء من البزة الحسنــة البيضــاء • والترفع عن الادنياء

كنت أسمع به وربما كنت أراه فى (تزنيت) ان مررنا هنـاك الا أننى لما زرتها فى جمادى الاولى ١٣٦١ ﻫ جالسته كثيرا٠ فرأيت له سمتا حسنا وقبولا وفهما وعلمه وان لم يكن مشاركا متمكنا فيه فانـه مستبصر استبصارا يمكن له به أن يتصرف فى الفقه والنحو مـع تواضع رأيته منه هذا ما ظهر لى منه ٠ ومن أسر سريرة ألبسه الله رداءها ٠

من منشداته

مما أنشده فى جلسة قول الحراق

ان طار عقل الذى قد شم ريـاك فكيف حال الذى قد نال رؤياك

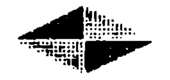
وقول ابن الفارض من تائيته

فسر زمنا وانهض كسيرا فحظك الـ ـبطالة ان أخرت عزما لصحة

وقـول الاعرابـى

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت على ودونى جنـدل وصفائـح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقـا اليها صدى من جانب القبر صائح

ذلك هو الاستاذ سيدى محمد السماهرى الذى رزئناه اليوم فرحمه الله وغفر له ٠



الطيب بن احمد الطاحونى

التيزنيتي

نحـــو ١٢٩٩ هـ = بعـــد ١٣٦٠ هـ

نسبـــه :

الطيب بن أحمد بن مبـــارك

وأصله ممن قرية (ادمشوز) ببعقيلة ٠ومن هناك انتقل أحد أجدادهم الى (تزنيت) ٠ وكان والده أحد العلماء الكبار التزنيتيين في عهده فلنذكره أولا ثم نعطف الى ابنه المترجم هذا

أحمد بن مبارك العلامة الكبير المحصل ذو الفكرة الوقادة ٠والديانة المتينة ٠ كان مع ميلانه للخمول يزاحم الاستاذ الحسن بن الطيفور فقـد وقفت له على ما يدل على أنه كان من المناقضين له في مبادئه ٠ فيعد في صف الذين يناوئون ابن الطيفور في تلك الجهة وقد كان اذ ذاك لايزال في ريق شبابه ٠وابن الطيفور في ذروة شرفه وفي قمة مجده

ولد نحو ١٢٤٠ هـ ثم لأادرى عمن أخذ القرءان الا أني أخبرت أنـه كان حينا عند الرجل الصالح سيدى محمد بن ابرهيم أعجلي في مـدرسـة (اكفي) ثم أخذ عن الاستاذ ابرهيم بن محمد الايكرارى قليلا وهناك كان اتصاله بالايكراريين ٠ وسترى أثر ذلك ٠ فيترجمة أحمد بنابرهيم بين الايكراريين أهله ٠ وممن أخذ عنهم أيضا الاستاذ محمد بن على بـن سعيـد اليعقوبى والشريف سيدى سعيد الكثيرى ثم التحق بفاس فأخذ عن اساتذة لانستحضرهم الآن ٠ وكل هذا لم استقه الا من خارج أسرته ٠ وأمـا أولاده ٠ فلا يعرفون عنه الا أنه أخذ من فـاس فقط لكونهم لـم يكونـوا بصدد تتبع تقلبات حياته ٠ وقد وقفت على بعض رسائله مـن (مراكش) و (فاس) الى أهله ومن أهله اليه وأما مشارطاتـه فقد كان حينا في مسجـد (تارودانت) الكبير وفي مـدرسة (أوخريب) البلفاعية وفـي المسجد الكبير بـ (تزنيت) وقد اتصل بالشيخ سعيد المعدرى فكان من الشاربين منكأسه ومن المشهورين من ناسه والعجب من الاستاذ المـؤرخ عـلى بـن الحبيب الجرارى حين لم يكن عند ذكره للشيخ سيدى سعيد أخبار هذا الفقيه عنده٠ مع أن والده سيدى الحبيب أيضا من أصحاب الشيخ المعـدرى يعرف كل

من ينتمي اليه • وقد رأيته في كتابه ينسبه الى طريقة أخرى وقد وقفت له على أبيات في مدح شيخه هذا يقول فيها

ألا ان أشياخ الانـــام وان هـــم
غدوا كثرة كالطيس(١) في ساحل البحر

وكان لكـل واحـد منهـــم يـــد
قد امتلات من فضل ربي من السر

فان أبا عثمان من كان ظاهرا
ب(معدر) مثل الشمس في الافق والبدر

أجلهم عندى وأولاهم بـــأن
يسير بمرء طالب الفتح فـي السير

أطال لنا الرحمن من عمره فقـد
وجدنا لديه الكنز من دون ماحفر

وجازى شيوخ المسلمين جميعهم
عن الناس طرا بالجنان وبالخـير

وقائل هذا أحمد بن مبارك
وقاه الـه العالمين من الشر

وكانت أخلاقه مشهورة الى الآن في (تزنيت) بالدماثة ولين العريكة ولا يزال مثل مضروب عندهم جاريا في الالسنة الى الآن • وهو (فيه خير كما قال أحمد بن مبارك) يعنون به الامتثال حين لايجدى الا الامتثال وحده• وسببه أن رؤساء القبيلة تطلبوا منه شيئا لم يكن يلائمه • الا أنه لم يجدمنه مناصا• فقام من عندهم وهو يقول (فيه خير) يعني أن كل مقدر على الانسان لابد أن يكون له فيه الخير • وهي نظرة صوفية يستدلون لها بقوله تعلى (قالوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) ومن آثار سيدى أحمد بن مبارك أيضـا قوله في السلطان المولى الحسن حين وفد عليه آخر عمره

ألا هل الى لثم الكمال طريق
فاني الى ذاك المقام مشوق

فما الفوز كل الفوز الا اذا رأت
عيونك وجهـا للامـام يروق

امام جميع المسلمـين الذى به
جميع المنى منه البنان يسـوق

أدام اله العرش نصرا لملكـه
دواما له كل الزمان شروق

وأيد جنده • ووطد ملكـه
وقامت له الى القيامة سوق

فما هو الا الملجأ الحصن للذى
يهدده في الظـالمـين فنيق (٢)

اليه التجأت اليوم يفتح لى به
الى كل ما أبغيه منه طريق

فيا ملكا سلطانه كشف الدجا
من الضيم مذ أضحى فينجو غريق

بك التجأ العبد المضيم فمط عن الـ
ـعبيد ظـلامات لهن سموق

فقد فر لى عبد الى (بووبوض٣) لم
أبعـه وانمـا حـداه مروق

١) الطيس الرمل

٢) الفنيق الفحل المكرم من الابل

٣) محل القيادة في متوكة

فيابى لنا من كان قائد ربعهم | سماع كلام اننى لصدوق
فجئت الى مولاى سلطاننا الذى | بظل حماه اننى لوثوق
على سيدى أزكى التحايا كأنها | لمن شم مسك فى الحقوق فتيق
ليعذرن سيدى فلست بشاعر | ولا كان لى فى الشاعرين عروق
ولكن تقودنى اليه مظالم | على عظام جمة وحقوق

وهناك ظهر للسلطان الى القائد عبد الملك ليمكنه من عبده وقد كنت حزته الى • ولكن لم أجده الآن بين الاوراق • وذلك يدل على أنه أصيخ له • فكتب فى شأن العبد الى القائد المتوكى ليدفعه لصاحبه •

وقرأت فى ترجمته فى كتاب المؤرخ على ابن الحبيب الجرارى أن من آثاره ما نصه

ورب كلام طار فوق مسامعى | كما طار فى لوح الهواء ذباب

كيف يحكم الجاهل بعلم وهو لايعرفه • وقرطاسه ينبىء عن مبلغه من العلم • وقد صدق القائل فيه مما يتداول

العلم ثلاثة أشبار • من نال منه شبرا شمخت به نفسه

وظن أنه وأنه ••• نقله أبو فارس الرسموكى فى أنواره • وفى المثل ساء سمعا فساء جابة • بل هذا الحاصل الضال لاخبر عنده بمبادىء التوثيق أصلا • فطغى جهله • وأنكر المحسوس • ولله در القائل

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد | وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقال غيره

واذا البينات لم تغن شيئا | فالتماس الهدى بهن عناء

وقال غيره

واذا لم تر الهلال فسلم | لاناس رأوه بالابصار

فلولا أثم (من سئل علما فكتمه) كما فى قوله تعلى (الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس • فأولئك يلعنهم اللاعنون) وكما فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من سئل علما فكتمه ألجمه الله بلجام من النار ما تكلمت فى هذه النازلة بكلمة ولكن الحق أحق أن يتبع • ولو من ضفدع فضلا عن المومن • وبه كتب افتاء بما

---

١) اسم مركز قيادة متوكة

انصدر من المتطفل فى أمور المسلمين سامحه الله   فهذه حالة أهل النسبة فلابد أن تكون الشحنة والبغضة بينهم الى يوم القيامة ٠

أقول   لا ريب أن كل هذه الآثار لاتصدر الا من عالم متمكن يحب الادب ٠ يتعالى الى المجاذبة فيه ٠ والآن نعرف جانبا من جوانب هذا الفقيه الكبير ولعل ما استتر عنا بالجهل من جوانبه الاخرى أعلى وأجل وأنصع وأدل على مقام له سنى ٠ وبالاثار تعرف الرجال ٠ ولكن ان ضاعت الاثار فانما ضاعت حياة صاحبها ومكانته فى المعارف

ثم انه رجع من عند القائد عبد الملك المتوكى بخفى حنين ٠ ولم يقض حاجته ٠ وان كان مزودا بكلام السلطان فانكسر خاطره ٠ وتوجه الى بلده فلما وصل (ايغيلالن) بـ (ماسكينة) مال الى فقيه هناك يعرفه فى المدرسة ليستريح   عنده أياما ٠ فلم يلبث أن لقى ربه هناك   سنة ١٣١١ هـ ٠

تلك ترجمة هذا الاستاذ الكبير   بحسب ما عندنا الآن ٠ وقد نقلنا هذه الاثار التى تدل على نواح من ترجمته هنا وهناك

أما أولاده فعدة ٠ محمد الكبير ٠ وقد كان من أصحاب الشيخ المجدين ومن التجار ٠ وقد غرمه القائد الكنتافى غالب ماله بعد سجنه ٠ توفى ليلة ٣٠ ـ ٩ ـ ١٣٥١ هـ ومنهم ابرهيم ٠ توفى أيضا من سنوات ٠ومنهم الفقيه الطيب هذا الذى سقنا الترجمة من أجله ٠

سيدي الطيب

كان من لدات القاضى (أوعامو) وحلبته   فقد أخذ أيضا من (بونعمان) فرجع بعلم وسط   ثم كان من المغمورين بهذا القاضى وبصاحبه الحسن العفيا نى ٠ وبسيدى محمود   وبكل الفقهاء الذين يعاصرهم وحين برز الهيبة نوى أن يدخل فى غمار الفقهاء الذين يجولون فى النوازل ٠ ولكن لم يتح له ذلك

نعم ان مظهر الرجل كان بين الفقراء   فهو فقيه الفقراء لا فقيه الفقهاء ٠ فقد عرفته فعرفت منه مسكنة الفقراء   لا تعالى الفقهاء   فكم طعمنا عنده٠وجالسناه فى (تزنيت) وفى الزاوية الالغية   ولم يكن بموسع عليه فى الدنيا   فانما كان يتمصص الرزق بلة بعد بلة   ولم يزل كذلك لايشار اليه بالبنان ٠ ولا يجرى ذكره باللسان   الا بين الفقراء مع أن له معلومات ربما لم تكن حتى عند اللامعين فى (تزنيت) من معاصريه ولكن الظهور أحاظ   فدانق من سعد خير من قنطار من علم   فقاتل بسعد والا فدع ٠

سيـــدي

عثمان بن أحمد الأكراري

٢ ـ ١٢٨١ هـ = مختتم ٤ ـ ١٣٦٨ هـ

نسبـــــه :

عثمان بن أحمد بن محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمن بن ابرهيم بـــن محمد ـ فتحا ـ بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الله ابن ابى بكر بن محمد بن أحمد بن يوسف بن فاضل بن سعيد بن على بن عبد الله بن الفضيل بن عبد الله بن كندوز بن عبد الرحمن بـــن محمد بـــن أحمد بن حسان بن اسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ٠

هكـــذا نسب الاسرة التى ينتسب اليهـــا المترجم كمـــا ساقه الفقيـــه المؤرخ الايكرارى فى كتابه (روضة الافنان) ولعل فيه اسقاطا كما لايخفـــى على من جرب كثيرا القاعدة الخلدونية من قسم رجـــالات سلسلـــة النسب الى ثلاثة لكل قرن ٠ والاسرة شريفة علوية كما ترى من الشرفاء السملاليـــين فقد التقى نسبها ونسب سيدى أحمد بن موسى فـــى الفضل أو الفضيـــــل (على اختلاف يوجد فى ذلك) ابن عبد الله بن كندوز وقد كنا تكلمنا عـــلى هذا النسب ، وما عند علماء الانساب فيه فى غير هذا المحل ٠ فبينا ما قيل جعفر بن عبد الله الكامل وقد تقدم فى نسب المسعوديين شيء من ذلك (على أنك سترى قولة أخرى أخيراحول نسب هذه الاسرة فانتظر

قيل كانت منازل هذه الاسرة فى (سملالة) ثم انتقلت قبل القرن التاسع الى (ايمسكدادن) فى قبيلة ايسى ثم من هناك بعدما اشتهرت بالعلـــم نزل أحد أفرادها وهو سيدى عبد الرحمن بن موسى بـ نعبد الله بن أبى بكـــــر فى(وجان) بـــ(بعقيلة) ثم استقر أولاده فى (تازروالت) فىأول القرنالعاشر وقرية (عين الطلبة) مشهورة بهم لانهم كلهم طلبة علم وقرءان وكذلـــك ينزلون فى قرية (تومنار) هناك فيضاف بعضهم الى (عين الطلبة) وبعضهم

الى (تومنار) ثم في أواسط القرن الحادى عشر نزل بعضهم (وستري اسمه) في (أكلو) قاضيا . ثم استقر اولاده في قرية (ايكرار) هنالك من ذلك العهد

هذه الاسرة من الاسر العلمية السوسية الكبرى . وقد تأتى لنا والحمد لله أن نعرف من أفرادها كثيرين . منهم من كانوا في هذه السلسلة المذكورة أو ممن تفرع منها . ومنهم من كانوا منها بلا شك عندنا . وان لم نستحضر الآن كيف يتصل بهذه السلسلة . فلنتتبع رجالاتهم الاقدم فالاقدم على عادتنا والله الموفق . الى أن نستتمهم ثم نتفرغ لترجمة سيدى عثمان الذى هو السبب حتى ذكر الجميع (وساقى القوم آخرهم شربا) .

الاول : احمد بن عبد الرحمان المسكدادي التيزركيني

من الائمة الاعلام الكبار الذين لايقعقع لهم بالشنان. ولا يطرق لهم بالعصا . نال شموخا ساميا في المعارف وفي الورع . قال فيه الحضيكي

(أحمد بن عبد الرحمن المسكدادى التيزركيني كان رضي الله عنه فقيها عالما من علماء المسلمين . صالحا عاملا . جلدا صارما . قوالا للحق أمارا بالمعروف . تقيا واقفا على حدود الله . لاتأخذه في الله لومة لائم له قدم راسخ (كذا مع أن القدم مؤنثة) في العلم والعمل . وشهرته رضي الله عنه تغني عن تعريفه . ومصداق ذلك في رسالته الى تلميذه الرجل الصالح سيدى يبورك بن حسين . ومن جوامعها (الله الله الله ففي الله كفاية) ورسالته للعالم الكبير سيدى سعيد بن عبد النعيم الحاحى ومما سمع واشتهر أن سلطان وقته ـ محمد الشيخ السعدى ـ كان يقول ان سيدى أحمد ابن عبد الرحمن يخاف الله ولا يخافنا . وسيدى محمد بن ابرهيم كان يخافنا ويخاف الله وفلان لاحد مرابطي سوس لايخاف الله ويخافنا وكان رضى الله عنه قال لرجل خطبت منه ابنته زوج بنتك الطالب يبورك ـ وهو ابن حسين المذكور ـ ولك ما تمنيت . وكان سيدى يبورك خطبها منه وخطبها منه رجال آخرون قبله. فقال الرجل للشيخ نعم تمنيت أن يكون لي بلدان . في كل بلد أهل وأمة وعبد . وان لاأخاصم أحدا الا غلبته . قال الرجل أبو البنت . فزوجته اياها فحصلت لي هذه الامور كلها على نحو ما تمنيت . فما غلبني أحد في حكومة قط . وجاء رضى الله عنه مرة من (تامانارت) فعرضت له نار عظيمة في طريقه بوادى (نينت) فاقتحمها ورأى أنها الجن . فقال السلام عليكم ان كنتم مومنين . وعليكم لعنة الله ان كنتم كافرين . فخمدت من حينها فاجتازها . وكان رضى الله عنه وفد على الملك أبى عبد الله مولانا محمد الشيخ فلما رجع لبلده لقى الشيخ

الصالح أبا محمد عبد الله بن عمر (١) المضغرى بـ (تيبوت) احـدى قرى سوس فعزم على صحبته للانتفاع بـه قال فسألنى ألك أبوان • قلت أمي • قال تفتقر الى اذنها • فتأسفت من فوات صحبته وأين أجد مثله • قال فسألته عن أولياء الله فقال عليك بهم فى قرون الجبال•وبطون الاودية وان شئت ان تكون منهم فعليك بالصلاة فى الجماعة فقلت فـى نفسى ان رجعت الى بلدى (تيزركين) أتخذ بفناء دارى المسجد اقيم فيـه الجماعـة • فاذا هو ينادى من بعيد يا سيدى أحمد فى الجامع فى الجامـع يرفـع صوته ويكرره ولما رجع المضغرى من هذه الوفادة • ساله ففهاء بلده عن بلد الملك ـ يعنون سوس ـ فقال فقهاؤهم على ضعف الفتاوى • وفقراؤهم على كثرة الدعاوى وعامتهم على كثرة المساوى قيل هو كما قال رحمـه الله فى ذلك الزمان • ولكن بعد ذلك حسن حالهم (٢) (الى أن قـال)

وكان رضى الله عنه ذا همة عالية فى الدين • ذا شكيمة على أهل البدع تفقه على يده خلق كثير • وانتفع به القريب والبعيد • طلبه أهل (أقـا) أن ياتيهم ليدرس وينشر العلم فى بلدهم فكتب اليهم تبننا خير من تبركم• ومن أراد العلم فليأته • وليطلبه فى محله ـ فى داره يوتى الحكم ـ

وكان رضى الله عنه يعظم قدر سيدى أحمد بن موسى • ويقول لاصحابه ما أشار به عليكم سيدى أحمد بن موسى فافعلوه • وسارعوا لامتثال اشارته ولا تخرجوا عنه • فانه قدوتنا وبركتنا •

وله تآليف منها منظومة فى (العقائد) وتأليف لطيف فى مسائل من (التصوف) طلبها منها الولى المذكور سيدى أحمد بن موسى • وسأله عنها • فأجاب وأجاد • ورسالة كتبها للامام سيدى سعيد بن عبد النعيـم الحاحـى أبدع فيهـا •

توفى رحمه الله سنة ثمان وخمسين وتسعمائة أخـذ رحمه الله عن شيوخ (فاس) وأعلامها الامام ابى عبد الله بن غازى رضى الله عنه • والامام أحمد بن يحيا الونشريسى• وغيرهما ممن فى طبقاتهما من الاعيان•وكانوا يثنون عليه بالعلم والصلاح ومتانة الدين والكرامات الظاهرة وكـان أبـو

---

١) هكذا اشتهر فى التاريخ الى الآن عمر لاعمرو كما يوجد فى كل ما رأيناه من الكتب وهما اثنان عبد الله بن عمرو الدرعى وعبد الله بن عمر المضغرى دفين تافيلالت

٢) هذا الكـلام للتامانارتى فى فوائده

مهدى السكتانى يذكر الشيخ ويثنى عليه بالعلم والدين فى مجلس تدريسه(١) وذكر الشيخ المنجور فى (فهرسته) والمؤرخ العلامة ابن القاضى كذلك قال توفى سيدى أحمد بن عبد الرحمن المسكَدادى الرجل الصالح صاحب الكرامات الظاهرة سنة ثمان وخمسين وتسعمائة •

وقال العلامة الولى الصالح سيدى أحمد أدافال فى وصف هذا الشيخ ما نصه

أخبرنى ولد السيد الفقيه العالم الصالح الناصح الكاشف سيدى أحمد ابن عبد الرحمن فى ءاخر رجب الفرد سنة تسع وستين وتسعمائة عند سيدى أحمد بن موسى بزاويته • والولد واخوته اذذاك عند الشيخ أن والده قال ما فى أولياء الله تعلى من المناقب • ففى سيدى أحمد بن موسى أكثر من ذلك • وحدث ـ يعنى أدافال ـ عن الولد المبارك عن أبيه (يعنى ولد سيدى أحمد بن عبد الرحمن ـ واسمه عبد الله ـ عن والده) وعن سيدى محمد الزروالى تلميذه عنه • فى كتابه الذى وضعه فى مناقب شيخه سيدى أحمد ابن موسى • أن هذا الشيخ يعنى سيدى أحمد بن عبد الرحمن • والشيخ سيدى محمد بن ابرهيم التامانارتى يجلان ويثنيان كثيرا على سيدى أحمد ابن موسى • ويشاورانه فى أمورهما على جلالتهما • رضى الله عنهما • وقال ـ أدافال ـ قال لى الولد المذكور كان أبى لايشافهه فى حوائجه • وانما يكتب اليه فيها • قلت (أى قال أدافال) لله در هذا السيد ما أنصفه وأحبه لاولياء الله • وأكثر تأدبه معهم • مع أنه رجل صالح• عالم تقى صلب فى الدين • لايخاف الامراء كغيره • لم يكن من أصحابه من يواجههم به من الحق • وهكذا ينبغى للمومن أن يكون ذليلا لاهل الله تعلى • وأن يغلظ على من يستحق الغلظة • ولا يمنعه ما فيه من الخير أن يتواضع لاولياء الله تعلى • أقتداء بالملائكة والانبياء والا كان قدوته ابليس اذ أبى من السجود لآدم عليه السلام • فمنعه من ذلك ما حكاه الله تعلى عنه • وهو قوله (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) •

انتهى ماذكره به الحضيكى مع ما نقله عن (أدافال) باختصار وكتاب أدافال يوجد بنصه عند ذكرنا للشيخ أحمد بن موسى فى ترجمة سيدى ابرهيم بن صالح فى هذا (الفصل) نفسه

---

١) ولم يدركه السكتانى وانما أدرك أصحابه •

رأيت من الكلام المتقدم مكانة هذا العلامة من المعارف وأنه استقى ذلك من مشايخ عدة من بينهم ابن غازى وأحمد الونشريسى • وأقرانهما بفاس • ومنهم مشيخته السوسيون • ولم نعرف منهم الآن الا اثنين • وهما اللذان صرح بهما عند الحضيكى وحيث اقتضى المقام أن نذكر هؤلاء الاساتذة السوسيين وفاء بشرطنا • دون غيرهم من غير السوسيين يجب أن نتريث قليلا حتى نؤدى هذا الواجب

الحسن بن عثمان بن محمد التملى شيخ الجماعة ومدرس زمانه وموطىء دولة الشرفاء • وأحد أوتادها • كان رضى الله عنه عالما عاملا متفننا جامعا تخرج عليه جماعة من الفقهاء• وكان له نظر سديد فى الفقه والاصول وأخذ عن علماء فاس الامام ابن غازى وأبى العباس الونشريسى وطبقتهما• قال المنجور فيه فى فهرسته انفصل الشيخ الفقيه المتفنن العابد الصالح أبو محمد الحسن بن عثمان الجزولى عن شيخه أبى العباس الونشريسى سنة ثمان وتسعمائة • وسمعت أنه شيعه بنفسه • وكان صاحب جد فى العلم والعمل • مجانبا للراحة • ملازما للجد والسهر وكان يقرأ عليه فى المجلس الواحد أربع عشرة دولة الى ءاخر م اذكر فى الفهرست من الثناء عليه • وكان الشيخ أبو مهدى السكتانى يكثر الثناء على سيدى الحسن بن عثمان صاحب الترجمة وعلى سيدى أحمد بن عبد الرحمن التيزركينى • ويقول ان شيوخهما الفاسيين كأبى عبد الله محمد بن غازى• وابى العباس الونشريسى والفقيه أبى زكرياء يحيا بن مخلوف السوسى يعترفون لهما بالصلاح والعلم • ومتانة الدين توفى رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة (وقال صاحب الفوائد) سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة (وكذلك أيضا أرخه فى (دررة الحجال) وقال انتفع به فى جزولة خلق كثير وأخذ عنه كثيرون من الاعيان)

هذا ما ذكره الحضيكى ونص ما قاله المنجور فى (فهرسه) أثناء ذكره من أخذوا عن الونشريسى والشيخ الفقيه المتفنن العابد الصالح أبو محمد الحسن بن عثمان الجزولى وانفصل عنه سنة ثمانية وتسعمائة وسمعت أنه شيعه بنفسه كان صاحب جد فى العلم والعمل مجانبا للراحة كثير السهر للدرس والتدريس والعبادة• وكان اذا غلب عليه النوم يضع راسه على حجر • لتوقظه قسوة الحجر لئلا يستغرقه النوم• ويطول مجلس تدريسه • حتى كان يمر عليه فى المجلس الواحد أربع عشرة دولة حدثنى بهذا الثقة من اصحابه• وكان حافظا لتوضيح (خليل) لكثرة ملازمته

للنسخ والتدريس. قال انه نسخه أربع عشرة مرة. وكانحينوجوده بفاس يتعيش بنسخه . ونسخ (الرسالة) حدثنى بذلك ابن ابن أخيه الثقة المشارك النجيب الخير الناصح الصالح أبو الحسن على بن سليمان بن عبد الله ابن عثمان . أعانه الله على ما هو بصدده من الاخذ بأيدى المسلمين . وتوفى (٩٣٢) هـ .

انتهى كلام المنجور ثم رأينا فى طبقات (الحضيكى) ثناء أحمد التيزركينى عليه فى قضية الصيد بالرصاص . وقد علمنا أن السيد محمد ابن ابرهيم الشيخ التامانارتى كان من تلاميذ الحسن بن عثمان . وقد وقفنا على رسالة للتامانارتى اليه يتطلب منه المساعدة عند الامير أحمد الاعرج ليعفيه من خطة القضاء وقد كان لسيدى الحسن مكانة عند اولئك الامراء لكونه دعم لهم الامر أولا . ولكونهم ممن أخذوا عنه . فمحمد الشيخ ممن ذكر بين الآخذين عنه وقد ذكرنا رسالة التامانارتى المذكورة فى (القسم الثالث) فى هذا الكتاب عندما تعرضنا لذكره . فى ترجمة سيدى محمد بن ابرهيم الافرانى حفيده .

ومن تلاميذ الحسن بن عثمان أيضا أبو بكر بن أحمد التازولتى التملى وسنذكر بين أهله التازولتيين بمناسبة أخرى.وقد رأينا فى البلاطالسعدى كتابا آخرين من التمليين . لعلهم مثله . اتصلوا بتلك الخطة . بسبب توسلهم بأنهم بلديو هذا الشيخ التملى

وأما ءاثار سيدى الحسن فلم نقف منها الآن على شىء . الا بعض دعوات وجدتها بخط بعض الكرسيفيين ولامعنى لايراد مثلها فى كتاب أدبى تاريخى مثل هذا . وقد أقبر سيدى الحسن ازاء (تيبوت) فى ضواحى (تارودانت) وعليه بيت صغير فى وسط المقبرة .

ثم ان هناك على بن سليمان صاحب الشرطة عند السعديين . وهو ابن ابن أخى سيدى الحسن بن عثمان هذا . وكذلك أخوه أبو بكر الآخذ عن سيدى عبد الرحمن بن عمرو البعقيلى الجرادى وتسمى هذه الاسرة (أيت ازيمر) ـ ءال الكبش ـ من قرية (أسكاور) وأسرتهم العلمية لم نعلم منها الآن الا هؤلاء الثلاثة . وسمعت أنها انقرض الان العلم فيها . بل لعله انقرضت الاسرة تماما . وقريتهم (اسكاور) فى عداد قرى قبيلة أملن

ذلك كل ما عندنا عن سيدى الحسن بن عثمان . ولعمرى ان حياته ما تزال خافية مع تلك المكانة السامية التى كان يشغلها فى حياته . فلم ندر الآن . عن فتاواه وعن ءاثاره الاخرى شيئا كما لاندرى من تلاميذه الا القليلين . وهو الذى كان عارض سيدى أحمد بن عبد الرحمن المسكدادى

وأما شيخ سيدى أحمد التيزركينى الثالث فهو يحيا بن مخلوف السوسى ثم الفاسى فلم استحضر الآن من ترجمته شيئا • وقد وصفه المنجور بين الآخذين عن الونشريسى بقوله :الشيخ الاستاذ المتفنن الصالح ابو زكريا يحيا السوسى • وذكره فى محل ءاخر بأنه أحد الذين أخذ عنهم عبد الواحد ابن شيخه أحمد الونشريسى فقد كان أخذ عنه الالفية نحو عشر ختمات • وقد كان يحيا يبيت عند والده • فهناك أخذ عنه عبد الواحد على حين أنه هو يأخذ عن أحمد فرعى ابن الحاجب (أقول) أحسبه نزل فاسا فئاواه اليه الشيخ أحمد الوانشريسى فيأخذ عنه ويعلم ولده عبد الواحد ثم كان له مقام محمود فى نشر العلم مع تلميذه عبد الواحد • وما اكثر امثاله السوسيين (١) النازلين على الفاسيين فظهروا بذلك • وقد قال فيه صاحب (درة الحجال) الفقيه الاستاذ المعقولى • له رحلة لقى فيها جماعة من العلماء • توفى ٩٢٧ ه •

هؤلاء فقط من تحقق عندنا أنهم من أشياخ التيزركينى السوسيين • قد أخذ أيضا عن سيدى محمد بن ابرهيم الشيخ التامانارتى • وهو مذكور فى الكتاب الذى ألفه الديمانى فى حياة الشيخ التامانارتى وان كان ربما عكس هناك غلطا وانما لم نجزم بذلك لاننا لانقدر أن نحكم على كل ما فى ذلك الكتاب بصحته بعدما رأينا فيه مارأينا من التحريف • وأخبار أمشاج وحشر كل أعلام ذلك الوقت بين أصحاب الشيخ التامانارتى حتى من لم يعيشوا فى عصره • وهذا بديهى عند كل من نظر فى ذلك الكتاب •

آثاره في التاليف

رأى القارىء قريبا من كلام الحضيكى ذكر بعض ءاثار المترجم سيدى أحمد بن عبد الرحمن المسكدادى • وقد وقفنا نحن على غير ماذكره بين ثنايا الاوراق والكتب فلنذكر بالتفصيل الجميع لنعرف الموجود من المفقود على حسب علمنا •

أ) منظومة فى العقائد لا نعرفها الآن موجودة •

ب) مؤلفه فى التصوف الذى جعله جوابا للشيخ ابن موسى لانعرفه أيضا الآن •

١) قال لى العلامة سيدى العابد مؤرخ فاس اليوم ان أمثال هؤلاء العلماء السوسيين المنقطعين فى فاس يمكن أن يجمع فيهم مجلد ان تتبع ما نعرفه منهم هذا ما قال وعند جهينة الخبر اليقين فليسمع هذا من لايعلمون

ج) رسالتان له الى المذكور صغيرتان توجدان في مختصر (طبقات الحضيكي) لابي زيد الجشتيمي وقد كنا كسلنا عن نقلهما هناك يوم كان بايدينا

د) رسالة الى تلميذه سيدي يببورك الهشتوكي وستاتي

هـ) فتيا جيدة وقفنا عليها في كناش الايديكلي نشرناها في المجموعة الفقهية .

و) رسالة له الى بعض معاصريه ظفرنا بها في كتاب فقيه كرسيفي نصها

(وعليكم السلام يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته أما بعد

فقد توصلت برسالتك الحسنة تتطلب مني فيها أن أجيبك عما يعلى الهمة في العلم والعمل

اعلم يا سيدي أن الانسان حيث يضع نفسه وفي البداية تظهر النهاية . ومن رأيته ينوي من أول قدم أن يكون أعلم الناس كان من أعلم الناس . ان وفقه الله للمواظبة قال تعلى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . وكذلك من كان أهتم بالعمل في أول أخذه للعلم فهو الذي يمتزج علمه وعمله . وأما من تهاون في مبدا ذلك . فقلما ينجح بعد الا أن يريد الله به خيرا . فينشر له همة جديدة . ولهذا يجب عليك أن لا تقبل من تلاميذك بادىء بدء الا من لقنته هذا . فرسخ في قلبه وطوى عليه نيته . وجعله نصب عينيه . فجاهل ذلك يعلمه . وعالمه يواخذ بوضع العمل ازاء العلم (واتقوا الله ويعلمكم الله) ثم ابتهل الى الله فيما بينك وبينه على أن يهديهم ويرفع هممهم . فلن يخيب ان شاء الله دعاءك . مع تنبيهك باللسان وبالله . ومن يرد الله به خيرا لابد أن يظهر عليه علامة التأثر وشاركنا يا سيدي معك في أجر ذلك) .

ز) رسالة الى سيدي سعيد بن عبد النعيم وهي هذه كما ذكرها سيدي محمد بن أحمد الادوزي ونصها بعد البسملة والصلاة

(من الفقير الى الله بالذات . المعتمد عليه بفضله في جميع الحالات كاتب الاحرف عبيد الله تعلى أحمد بن عبد الرحمن تاب الله عليه ووفقه لما يحبه ويرضاه الى سيدي ابي عثمان سيدي سعيد بن عبد النعيم انعم الله علينا وعليه باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الحركات والسكنات . والكلمات والارادات وسلمنا من اتباع الهوى والتحلي بالصفات المهلكات وأسعدنا واياه باقتفاء سنن السلف الصالح والسعي فيما يرضيه عنا .

وعن الاباء والذرية والاحبة والامهات سلام عليكم ورحمة الله

وبعد فقد بلغنا عنكم سيدى أمر تكاد قلوبنا عند ذكره تطير من قفص الابدان ، وغشينا عند سماعه واستنشاق روائحه منكم منغص وان ضحك منا اللسان . وذلك أنه قد بلغنا عنكم أنكم عازمون على مخالفة الشرع العزيز وعلى الرمى بأديانكم وأبدانكم وأرواحكم وعقولكم وأولادكم واموالكم وأحبابكم وأتباعكم وأزواجكم فى بحور الهوى والردى، ولا سفينة. وعلى التورط فى مهواة الذنوب . تتشبثون فيها بالصغيرة والكبيرة وذلك طلب الملك والولاية ، ومنازعة أرباب الدولة بالقتل والمشاتمة هاه هاه هاه . كلا لا . كلا لا . كلا لا .أين عقولكم الراجحة ؟ أين علومكم الراسخة ؟ أين بصائركم الثاقبة . أين عهودكم للسادة السالفة . انتهوا خير لكم ، انتهوا خير لكم وانى لكم والله من الناصحين اللهم ياالله ياالله ياالله يارحمن يارحيم ، انا قد استغثنا اليك بعروس مملكتك الذى هو سيد خلقك . نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. واخوانه المرسلين. والانبياء والصالحين . وبالملائكة المقربين أن تفضل علينا بالعافية التى علمت أنها عافية لنا فى ديننا ودنيانا وأخرانا وأجبر سفينة المسلمين يا ذا الجلال والاكرام . يارب العالمين . وتذكروا وفقنا الله واياكم فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة انها نعمت المرضعة وبيست الفاطمة فأى خير فى خصلة شهد الشاهد المصدق أن عاقبتها خسران مبين . وندامة طويلة. فلله در الامام أبىالعباس أحمد بن عبد الله الجزائرى حيث قال فى هذا المعنى فى قصيدته :

دع الرياسة لاتسلك مسالكها أما الولاية فالبلوى لذى وجل

قال الشيخ الجليل سيدى محمد بن يوسف فى شرحه لهذا الكلام بعد كلام بليغ فى ذم الرياسة والولاية مراده التحذير من الرياسة فى هذه الازمنة الفاسدة . فانه على تقدير أن تكون نية الرئيس فيها صالحة فلا ثبات لها . ولايجد معينا عليها . فهو بتنكيس على وجهه فى أول يوم من ولايته . فالاحمق اليوم من سولت له نفسه الامارة وأوهمته أن مصلحة دينية فى شىء من ضروب الرياسة وقد ذهب زمان ذلك . وانقضى سبيله فلا مطمع فيها الآن. الا فى زمن عيسى عليه السلام انتهى وقد أجاد ونصح نفعنا الله به . فاقبلوا نصحه . واسمعوا وعظه . جعل الله عز وجل هجرتنا وهجرتكم اليه . لا دنيا نصيبها أو امرأة نتزوجها أو رياسة نتلذذ بها . واليكم النظر فى قوله تعلى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء

وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) فحذرا فحذرا سادتى من التعرض للوقوع في محذور قوله تعلى (وضرب الله مثلا قرية كانت ءامنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بماكانوا يصنعون) (يأأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماامرهم ويفعلون ما يومرون) فما بالكم أيها السيد ؟ (أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هوخير) ؟ فما مثلكم عندى فيما أنتم‌فيه الا كمثل من تأهب أن يخوض بحور السموم وأوديتها ليبحث فيها عن حجر الياقوت فيقال له أيها المسكين : ان السم الذى تخوض فيه لايبقي ولا يذر يهلك أول وهلة هلاكا تاما أبديا ٠ قبل الظفر بالمامول من حجرالياقوت ٠ فلا تعدل بالسلامة شيئا ولا يغرنكم سيدى فى ذلكم ما رسم فى دفاتر المعتنين‌بعلوم الحدثان ٠فجله افك وزور ٠ فالسعيد ابن السعيد من اتعظ بغيره ٠ والاحمق الشقى من‌وعظ به غيره ٠ وأحرى من ذلك الهواتف التى تهتف بالانسان فى نومه أويقظته٠ فلا تسكنوا اليها ٠ وان كان سامعها منكم يزعم أنه سمعها من النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ٠ اذ لا يجوز التدين بها ٠ حتى تعرض على الشريعة المحمدية فان وافقتها فالرؤيا حق٠ والمسموع حق ٠ وان خالفتها فالرؤيا حق ٠ والمسموع وسوسة من الشيطان أو من النفس لانهما يوسوسان فى حال اليقظة ٠ فكيف فى حال النوم لان العصمة من تلبيس الشيطان انما ضمنت فى رؤيا صورته الكريمة عليه السلام ليس الا ٠ حسبما بين ذلك القاضى عياض رضى الله عنه فى (الاكمال) وغيره وقال سيدى أبو زكرياء يحيا النووى رضى الله عنه فى كتاب (الاسماء واللغات) له فى أثناء الكلام على خصائصه عليه السلام ٠ ومنه أن من ءاه فى المنام فقد ءاه حقا فان الشيطان لايتمثل فى صورته ٠ ولكن لايعمل بما سمعه الرائى منه فى المنام ٠ مما يتعلق بالاحكام خلاف ما استقر فى الشرع لعدم ضبط الرائى لا الشك فى الرؤيا٠ لان الخبر لاينقل الا من ضابط مكلف والنائم بخلافه ٠ انتهى كلام النووى رحمه الله ٠ وما ذكره كله انما هو اذا علمنا على‌رأى الاكثرين من أن صورته الكريمة عليه الصلاة والسلام لايتمثل بها الشيطان ٠ واما ان اعتبرنا ما ذكره القرافى فى (الذخيرة) من أن رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم لاتصح قطعا الا لرجلين صحابى أو حافظ لصفته حفظا يحصل له من‌السماع مايحصل للرائى له عليه الصلاة والسلام من الرؤية ٠ حتى لايلتبس عليه مثاله فرؤياه صلى الله عليه وسلم عزيزة الوجود ٠ فسبحان الله كنت أخبرتنى يا سيدى قبل هذا أنك هممت أن

ترمى بنفسك من سطح دارك • حين نسب اليك هذا الامر والآن عزمت على ما عزمت عليه انا لله وانا اليه راجعون اللهم الهمنا رشد أنفسنا يا ذا الطول والامتنان • ولعل هذه الحالة أتتكم من المشاورة مع من اتخذ الهه هواه • فتدبروا قوله تعلى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون) مع قوله تعلى (وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) الآية (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مومنين) بل عليكم ياسيدى بالكتاب والسنة فهذا امام الطريقة جامع الشريعة والحقيقة سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه قال ضمن لك العصمة فى جانب الكتاب والسنة • ولم يضمنها لك فى الكشف والالهام ولقد كان لك يا سيدى فى شيخك سيدى عبد العزيز وسيدى محمد بن سليمان اسوة حسنة فأسلك سبيلهم تسلم وتنبه من سنة المخالفة للسنة فى أشياء كثير عددها تأمر بها اتباعك • ولم يقم عليها دليل من كتاب ولا سنة (١) فيتنازعون مع من لم يوافقهم عليها كلباس السواد فى حال الامامة • فترى الواحد منهم لايصلى خلفه • ولو اتصف بالعلم والامامة فكيف وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لبسه فى الخطبة يوم الجمعة • ولبس أيضا حلة حمراء • فما رئى فى أحسن منها صلى الله عليه وسلم • وشرف وكرم والعجب كل العجب ممن يقدر أن يقول لشىء هذا حرام • وليس عليه دليل الا مجرد التحسين والتقبيح فتوبوا من ذلكم اذ هو الذى خرب دين النصارى واقد صدق من قال لو كانت السعادة بالبهاء والصور ما نالها بلال الحبشى وحرمها أبو لهب القرشى وأشنع من هذا كله ما يجرى كثيرا على ألسنتكم من قولكم كل زمان له رجال • وكل مقام فله مقال مع قولكم الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته فيوهم ذلك للضعفة مايقتضيه ظاهره• قال الله تعلى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله) (فاتبعونى يحببك الله) وقال (وتوبوا الى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون) والحمد لله وكفى • وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى)

انتهت الرسالة الجيدة المباركة التى دلت على مقام كاتبها فى السنة• وعلى مقدار تمسكه كل التمسك بما قد يفلت من أيدى أمثال الشيخ سيدى سعيد رضى الله عنه • مع أن له ما له من قدم راسخة فى العلوم • وقليل من

---

١) كان سيدى سعيد يامر التائب بحلق رأسه وعل هذا من المقصود أيضا •

العلماء من يقف مثل هذا الموقف • ازاء أمثال سيدى سعيد فينبه الغافلين عن السنة ويأخذ بالحجز عن ارتياد البدع • فإن قولة من يقول سلم للخاوية • تنج من العامرة ان دلت على شيء • فانما تدل على ترك التناصح بين المسلمين• وما ترك التناصح بين قوم الا تتايعوا فى مهاوى المهلكات شاعرين وغير شاعرين وتا الله لو كان كل عالم يقف مثل هذا الموقف كلما ظهر من صوفى حسن النية ما لا يوافق السنة لما فسد التصوف ولا سقطت منازل العلماء ولكن الجميع تواردوا على السكوت والتسليم فاصطلحوا وافتضحوا وان كان الجهلة منهم جميعا لايعلمون • وقد كان سيدى محمد بن العربى الادوزى ووالده سيدى العربى يقومان بمثل هذا• وان كان سيدى محمد ربما وقع بأقواله فى شيء يواخذ عليه أيضا • نعم هناك سيدى الحاج أحمد الجشتيمى يقوم أحيانا مثل هذا الموقف ازاء معاصريه وقوفا مشكورا بالتى هى أحسن والجشتيميون أهل سنة ثابتة • ما عرف عنهم أنهم زاغوا عنها قط لا قولا ولا فعلا وقد شكر مولاى العربى الدرقاوى (كما فى رسائله) للعلماء مثل هذا الموقف الذى يقفونه ازاء الصوفية كلما زلق أحدهم • فيقيمون عليه النكير • فهكذا يكون العالمون المحقون • وهكذا يكون الصوفية المنصفون • فرضى الله عن الجميع •

هذا م اعندنا من ءاثار قلم هذا الاستاذ الكبير • ولعل ذلك يدل على مقام الرجل وعلى أنه ليس بامعة فقد رأيته يقدر أن يواجه سيدى سعيدا بما واجهه به • كما رد أولا على أحد أشياخه فى قضية أكل المصيد بالرصاص كما يوجد فيما اختصرنا منه من ترجمة الحضيكى له وكما حاور شيخه سيدى الحسن بن عثمان فيما ذكره الحضيكى أيضا • فلم يسلم له مقدار الصاع النبوية حتى رأى البرهان وقد نقل سيدى يبورك بن حسين أن سيدى أحمد يقول دائما من لم يات بنص فهو لص وهذا مقداره فى التثبت • وهذه الخصلة وحدها ترجمة فائقة لسيدى أحمد بن عبد الرحمن ترفعه الى مراتب الرجال العظاما وهو حقا من عظماء علماء عصره الذين لايخافون السلاطين فمن دونهم •

الاخذون عنه

رأيت فى ترجمة الحضيكى هذه الفقرة (تفقه على يده خلق كثيروانتفع به القريب والبعيد • طلبه أهل (أقا) أن ياتيهم ليدرس • وينشر العلم فى بلدهم الخ) فهذا يدل على أن سيدى أحمد بن عبد الرحمن من القائمين اذ ذاك بنشر العلم وتثقيف الافكار • وبث المعارف فى الصدور غيرأننا بكل أسف لانعرف الآن من الاخذين عنه الا

أ) سيدى ييبورك بن حسين الذى ذكره (الحضيكى) فى ترجمته فقد لازمه كثيرا فى القرءان والعلوم • وسترى ذلك فى ترجمته مع أهلـــه الييبوركيين ان شاء الله فى هذا (الفصل)

ب) ومنهم عبد الله بن أحمد ولده أخذ عنه أيضا وما كان ليقع الا ذلك • وسترى الكلام عليه قريبا

ج) وممن أخذ عن سيدى أحمد بن عبد الرحمن أيضا كما يظهر أحمد بن داود المانوزى المذكور فى ترجمته المتقدمة وقـد وصف هنـاك بالفقيه فالغالب أنه تخرج به لملازمته اياه • لان ملازمة الطلبة لمثله معناه أنهم يأخذون عنه العلوم • ولم أقف على ذكر لاحمد هذا فى غير هذا المحل• ويظهر أنه تأخر عن متوفى شيخه •

د) ومنهم أحمد بن حسين • فقد وقفت فى فتيا على هذه العبــارة (وقد ذكر ذلك سيدى أحمد بن حسين بن يحيا التملى عن شيخه سيــدى أحمد التيزركينى وأحمد بن حسين هذا وقفت عـلى كتاب نسخه سنة ٩٩٠ هـ • فيكون وفاته بعد ذلك الحين ولم أقف له على ذكر فــى غير تلــك الفتوى • وخطه جيد • ويظهر مما كتبه أن له مكانــة • وهنــاك آل حسين التيمگيدشتيون الكرسيفيون الذين نزل بعضهم فى (أكلو) فهل أحمد بــن حسين هذا من جدودهم • يبحث فى ذلك من أمكن له • ممن سيعقبون مــا نكتبه الآن ان شاء الله • يوم يتنبه السوسيون لاحياء أخبار أهــل اقليمهم هذا •

هـ) وكذلك وقفت أيضا فى كتاب على ما ياتى

(نادرة) أخبرنى سيدى أبو بكر بن عمر الاثمدى ـ التازولتــى ـ أن شيخنا وشيخه سيدى أحمد التيزركينى ذكر أنه رأى فى رحلته الى (فاس) بغلة ولدت ما يشبه حمارا • وقد نتأ له قرنان • ولا ذنب له • فعاش أياما كتبه أحمد بن حسين التملى غفر الله له • وأبو بكر بن عمر التازولتى هذا يذكر ان شاء الله بين التازولتيين فى ءاخر (القسم الثالث)

و) وممن أخـذ عنه أيضا عبـد المومن السكتانى الـذى قال فيـه الحضيكى عبد المومن بن محمد السكتانى صاحب العلامة الجليل سيــدى أحمد بن عبد الرحمن المسگدادى • كان رضى الله عنه عالما عاملا فقيها صالحا تفقه بشيخه المذكور • ولازمه عمره حتى توفى الشيخ وبقى بعده ساكنا مع أولاده • وصحبهم حتى توفى فى العشرة التاسعة أو أول العاشرة من القرن العاشر والله أعلم وكان رضى الله عنه أخذ طريقة القوم وأدب

الفقراء عن شيخه المتقدم . وعن الشيخ الكامل سيدى أحمد بن موسى الجزولى ذلك كل ما ذكر له فى التاريخ .

هؤلاء الستة هم الذين عرفتهم الآن فقط من الاخذين عن سيدى أحمد بن عبد الرحمن وبهذا تم ما أمكن لنا أن نذكره به ولعل القارىء يستفيد من مجموع ذلك ما يرتفع به له شأن أى شأن كما لايزال مشهده المشيد الى الآن يرتفع به مجده وشأنه عند زواره فرحمه الله ورضى عنه ولعل ولادته قبل ٨٨٠ كما يظهر مما تقدم فى زمان أخذه للعلوم .

ومما قيل فى (تيزركين) للبونعماني :

يا خليلى هذى تزركين فهى الـــــمشتهى للذى يريد المقيلا
حى فيها ماء نميرا ونخلا خضلا ناعما وظلا طليلا

(الثانى) عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن التيزركينى ولدالمتقدم قال فيه فى (الطبقات) الحضيكية (عبد الله ابن الامام العلامة الكبير أبى العباس أحمد بن عبد الرحمن المسكدادى أبو محمد . كان رضى الله عنه فقيها عالما عاملا. تفقه بأبيه وبه تأدب. وأخذ طريق القوم . وبالولى القطب الكبير سيدى أحمد بن موسى السملالى ولازمهما. وعليهما تسلك فىحياتهما وبعد وفاتهما. وكان دأبه ذلك حتى توفى رحمه الله . ودفن ازاء أبيه ببلده) انتهى .

وقد تقدم فى ترجمة والده ان أدافال . حكى عنه سنة ٩٦٩ هـ ثم مر بنا قريبا قول الحضيكى وعليهما تسلك فى حياتهما وبعد وفاتهما فعلم من ذلك أن وفاته كانت بعد وفاة أحمد بن موسى الواقعة فى ءاخر ٩٧١ هـ بسنوات . والغالب أنه حى بعد هذا التاريخ بكثير وقد وقفت على توسل حسن منظوم ذكر فيه عدد شيوخ من الصوفية كابن سليمان الجزولى والتباع وابن موسى مطلعه

يا ربنا يا ربنا يا ربنا وف المنى ثم قنا من العنا

الى أن قال فى ءاخرها بعد أبيات ذكر فيها أولئك المتوسل بهم

اليهم يلوذ عبد الله كيما تصونه من المناهى

وهى أبيات غالبها ساقط الوزن ولا أدرى الآن من عبد الله هذا ؟ وربما يكون هذا المترجم بآية أنه لم يتجاوز من المشايخ من جاءوا بعد الشيخ ابن موسى وبآية أن ما نقل منه كتاب قديم كتبت هذه الابيات فى احدى دفتيه . وفيه ما نسخ أواخر العاشر .

ثم ان عبد الله ليس بوحيد والده . فقد مر منعبارة أدافال فىترجمة والده أنه لاقاه واخوته عند الشيخ ابن موسى . ولكن لاريب أن هذا ابرزهم

ولعله أكبرهم فانه لايذكر سواه • وقد خلف والده في كونه قطب أصحاب والده كما رأيته في ترجمة عبد المومن السكتاني آنفا •

ثم وقفت (في درة الحجال) على ما يلي (محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الرمكي الايسي القاضي بـ(تيدسي) وأعمالها ذكر أنه حفظ ألفية ابن مالك في يومين أخذ من محمد بن ابرهيم التامانارتي وغيره توفي سنة ٩٧١ هـ) هل هو أحد أولاد الشيخ أحمد بن عبد الرحمن• وما هذه النسبة ؟ الرمكي لاأدري الآن والله أعلم •

(الثالث) الحسن بن محمد المسكدادي قال عنه في (الطبقات) الحضيكية

(الحسن بن محمد التيزركيني المسكدادي ويعرف بالحاج الحسن كان رضي الله عنه رجلا صالحا مشهورا البركة توثر عنه كرامات في حياته وبعد وفاته • وكان رضي الله تعلى عنه معاصر الشيخ الفقيه الكبير سيدي أحمد بن عبد الرحمن • يحكى أنهما جلسا يوما • فحك الحاج الحسن موضعا من جسده • فقال له الفقيه ما في الموضع شيء فقال انما حككت ثلجا فما لبث أن مات ودفن • والثلج يسقط • فوقعت قطعة من الثلج على موضع الحك من الكعب • فقال الفقيه أزيلوها فانه حكها قبل وهذا يدل على أنه مات رضي الله عنه في حياة الشيخ الفقيه الذي توفي ٩٥٨ هـ وكان يثني عليه ويجله كثيرا • وقد رأينا صكا بلفظ

(قسم الخير الدين سيدي الحاج الحسن بن محمد وزوجه لأولادهما أموالهما) •

هذا ما ذكره الحضيكي فيظهر أنه ليس بذي معارف لان وصفه بذلك لم يذكر كما ترى • ثم انني لاأتيقن من الحاج الحسن أنه اتصل بأحمد ابن عبد الرحمن في النسب وانما ذكرته معه • ومع كل المسكداديين توهما أنه منهم • بناء على الغالب في قرى البادية حيث لايتساكن على العادة الا ذوو نسب واحد • وهذا الغالب قد ينخرم كثيرا ولذلك قلما ينتج الا الوهم فقط •

(الرابع) عبد الرحمن بن موسى وهو الذي ذكر في أثناء السلسلة المذكورة • قال فيه الحضيكي

(عبد الرحمن بن موسى المسكدادي نزيل (وجان) وبه دفن • وعقبه بـ (تومانار) الى الآن • وكان رضي الله عنه فقيه زمانه • ووحيد عصره • تفقه به جماعة • منهم الفقيه سيدي محمد بن سليمان المزواري الرسموكي توفي رحمه الله في شعبان سنة ٩٤٠ هـ)

وما ذكره به الحضيكي في طبقاته هو عين ما قاله الرسموكي في

(وفياته) ولم يزد عليه الحضيكي الا كلمة واحدة • وقد حدثني سيدي عثمان الايكراري أن لسيدي عبد الرحمن بن موسى وصلة تامة بشيخ ذلك العصر سيدي أحمد بن موسى • قال وتحت يدنا الى الآن بطاقة (١) بخط هذا الشيخ جدنا سيدي عبدالرحمن يوصي به يحافظ الاسلاف ثم الاخلاف على صيانتها أقول وبذلك يظهر أنه ممن أخذ عن الشيخ وانه صاحب مقام عال في بيئة ذلك العهد • وأن له حالا صادقة مع ربه • وشهادة مثل أحمد بن موسى كشهادة خزيمة في ذلك الزمن •

ثم ان ترجمته على حقيقتها كما ترى خافية فلم نعرف له مشيخة ولم نقف له على ءاثار كما لا نعرف من الاخذين عنه الا المزواري المذكور (وقد ذكر بين المزواريين) في (القسم الثالث) في ترجمة سيدي محمد اكيك المزواري وكان يدرس في مدرسة مشهورة الى الآن في (وجان) بعد انتقاله من (امسكدادن) • وتلك المدرسة هي الموجودة في (أكادير أوفلاً) بـ (وجان) ، وذلك بمشارطة • وهو اذذاك يسكن في (تاكارازت) •

هذا كله من افادة سيدي عثمان ، قال ومن (تاكارازت) انتقل أولاده بعده وأحفاده الى قرية (عين الطلبة) ، والى (تومانـار) ثم الى (ايكرار) بـ (أكلو) •

(الخامس) محمد بن عبد الرحمن بن موسى ، فقيه مذكور كما يظهر مما ياتي بخط سيدي يبورك بن عبد الله بن يعقوب بوساطة • أثناء كلام• ونصه كما ذكر في المنقول منـه (وكان سيدي محمد بـن عبد الرحمن لا يبطيء عن زيارة قبر الشيخ سيدي أحمد بن موسى بعد وفاته ، ويحث عليها• ويقول انه حج المساكين ، وبمثله من الفقراء يقتدى من يستبريء لدينه) انتهى ما نقل •

وقد وجد ذلك في رسالة لسيدي أحمد بن محمد الظريفي التاكوشتي الصوابي من أهل القرن الثاني عشر • وأنه يحض أيضا على زيـارة الشيخ المذكور• ونرى والله أعلم أن سيدي محمد بـن عبد الرحمن المـذكور هو ابن عبد الرحمن بن موسى لانه بلا ريب يأخذ عن ابن موسى ، فقد عاصره وقد رأيت ما بين والـده وبين الشيخ ، وهـو يساكن الشيخ في بلدين متقاربين ثم الغالب أنه فقيه لانه ابن فقيه ، في عصر يتموج بالفقهاء • ولـم يذكره لي سيدي عثمان الذي كان أملى علي طرفا من أخبار أهله على عجلة ، ولم أقف

---

١) رأيتها بعد هذا الوقت وحروفها تكاد تنمحي حتى لا يمكـن تصويرهـا •

عليه لا في (وفيات) الرسموكي ، ولا في (طبقات) الحضيكي ؛ ولا (مناقب) البعقيلي • على أن هـذه الكتب لـم تستوعب ولـم تقارب • ولا كان غرض مؤلفيها الا أن يتقمموا ما يسنح حواليهم •

ثم ان الكلام المذكور يظهر منه أن ابن عبد الرحمن توفي بعد : ٩٧١ هـ وقد ذكر التامانارتي في (فوائده)محمد بن عبد الرحمن المسكدادي ، وقد أخبره بخبر ، فالغالب أنه هو هذا • فان لم يكن به ؛ فانه آخر من الاسرة.

(السادس) سعيد بـن محمد بن عبد الرحمن بـن موسى فقيـه جليل القدر ، ذو مكانة سامية • وقد وقفنا على ظهير للامير بودميعة يوليه به على أحباس ضريح الشيخ ابن موسى • ونص مـا نقل عن ذلك الظهير بخط من ستراه (نسخة رسم من أم صحيحة • بعد ما يجب تقديمه من الثناءين الجميلين (١) بخط المرحوم بكرم الله أمير المومنين سيدي علي بن محمد ابن أحمد بن موسى نفعنا الله بهم• وبشكله الشريف البديع الشكل وغريبه. وأقدم شكله وما احتوى عليه من الالفاظ الغريبة ونصه :

الغالب بالله الغني عمن سواه ، علي بن محمد بـن أحمد بن موسى الشريف الحسـني ، أيد الله أمره • وأعز ونصر »

انتهى الشكل ويليه المكتوب أيد اللـه أمره وسنى له الفتح المبين ويسره أمرنا لحامله الفقيه القاضي التوماناري أن يتقدم على أحباس جدنا القطب سيدي أحمد بـن موسى ، وعـلى تفرقتها لاربابها من طلبـة مسجده والفقراء وأبناء السبيل • وعلى أولاده الذكور فعليه بالعدل وتقوى اللـه والسلام في خمسة وخمسين وألف • انتهى وقيده من المنسوخ منـه حرفا بلا زيادة ولا نقصان بآخر ربيع النبوي ١٣١١ هـ عبد ربه أحمد ابن ابرهيم بن محمد بن عبد الرحمن التوماناري ،وفقه الله بمنه)• وسترى أحمد بن ابرهيم هذا المتوفى نحو ١٣٢٤ هـ فـي أخريات هذه التراجم ـ وأما سعيد بن محمد فلم نقف على وفاته بعد ١٠٥٥ هـ •

(السابع) محمد ـ فتحا ـ بن سعيد ولد من قبله • وقفت في كلام أحسبه لبعض من يرود (ايليغ) من علماء جزولة أيام سيدي الحسين بـن هاشم على ما نصه

(ان هذا الخط لسيدي محمد بن سعيد التوماناري جد الايكراريـين الشرفاء وقد كان خطه معروفا جدا في الكتب التي كتبها وفي الرسوم التي كان يكتبها لسيدي علي بودميعة • وقد وقفت على جل ذلـك وكلامه

١) يعني الثناء على اللـه والصلاة على رسول الله •

حسن لا لحن فيه • وكيف لا وهو عالم صالح حسن متبرك به) انتهى ما وجدته فى كتاب للفقيه التوماناري وهو محمد الخياطي ولا أكاد أشك ان المقصود به هو هذا السيد الذى نحن فى صدد ذكره • ولم يذكره لى سيدى عثمان • ولا عرج عليه بطلب ولا بغيره • فاذا كان هو المذكور فى هذا التعريف • فانه من علماء أهله المشاهير • والغالب أنه لا يكون الا كذلك لكونه ابن قاض ووالد قضاة مكتنفا بالعلم من كل جهة • ولم يعرج على ذكره مؤرخ ذلك العهد (الرسموكي) وان كان لم يستوعب أتم استيعاب ولاقارب ولا كانت نيته ذلك • وانما لم أجزم بأنه بهذه الصفة • لان المعرف به لم أعرفه الآن • وان كان قول الفقيه سيدى محمد بن محمد الخياطي التوماناري كافيا فى ذلك • وكيفما كان فان ذكره لم يكن له صيت كوالده سعيد وكأبنائه الآتين • ولعله توفى بعد ١٠٧٠ هـ

(الثامن عبد الله بن محمد بن سعيد ابن المذكور قبله • قال سيدى عثمان أنه عالم حسن • من الذين أرسلهم الامير (بودميعة) بين اخوته ليقضوا فى (أكلو) وهو أسنهم • قال وقد سكن فى (أكلو) وهناك نسله الى الآن • ثم ذكر أن له ءاثارا قليلة • أقول لعله توفى فى مفتتح القرن الثانى عشر • وقد حدثنى العلامة سيدى محمد بن عثمان أنه مدفون فى قرية (أماراغ) وأنه يعرف قبره • قال ان مسكنه اذ ذاك فى تلك القرية • ولم يضبط وقت وفاته عند أهله •

(التاسع) ابرهيم بن محمد بن سعيد • الولد الثانى لمحمد بن سعيد ذكر سيدى عثمان أنه أحد القضاة الثلاثة • وأنه عالم حسن له أيضا نسل فى (أكلو)

أقول لعله توفى أيضا فى ذلك الوقت الذى توفى فيه أخوه • بعد ١٠٧٠ هـ

(العاشر) عبد الرحمن أخوهما وأصغرهما • وثالثهما فى القضاء على (أكلو) • قال سيدى عثمان انه انتقل بعدما أسن الى (أكادير ايغير) فسكن هناك • ونسله فى تلك الناحية وفى (السويرة) ويظن أنه دفن فى (أكادير) قال وهو عالم جيد نبيه حرر كثيرا • ولا تزال محرراته موجودة بكثرة الى الآن • وهو فى ذلك ذو حظ أكثر من أخويه • وأحكامه الفقهية منتشرة فى (أكلو) أقول لعله انتقل الى (أكادير) بعد خراب (ايليغ) وتشتت أهلها وقضاتهم • أو لعله استخدم فى الحكومة العلوية الجديدة هناك • ولعله توفى أيضا بعد دخول القرن الثانى عشر كما يظهر

(الحادى عشر) محمد ـ فتحا ـ بن ابرهيم بن محمد بن سعيد • ووالده

أحد القضاة الثلاثة المذكورين قبله   قال سيدى عثمان   ان له معارف حسنة غير واسعة جدا. وكان موثقا يتعاطى تحرير الرسوم وأمثالها. وكان ثقة عمدة صالحا حسن السمت   فيقصده الناس لذلك   قال لعله مات بعد   ١١٦٠ هـ

(الثاني عشر) ابنه ابرهيم بن محمد بن ابرهيم   علامة فائق كبير القدر   تخرج بالاستاذ سيدى محمد بن محمد الواسخينى   وكان لايزال يأخذ عنه فى العقد الثامن من ذلك القرن . فبذلك يحكم بأن ولادته كان قبل ١١٦٠ هـ وكان من أكابر المعتنين فى ذلك العهد . ومن أكابر المطلعين .ومن أعاظم الحريص بن على الاستفادة والافادة. ولأدل على ذلك من عنايته بالتأليف فله شرحان على رجز المبنيات . لشيخه الواسخينى كبير وصغير   كما أن له شرحا على رجز فى (جزء السهم) مع ما ذيله به من مسألة فى (الوصية) ثم أملى على الكل شرحا فى رحلته الى الحج وهذا الاملاء به يظهر مركزه . كذلك كانت له رحلته المخطوطة   وهى من كبريات الرحلات الحجازية السوسية . حذا فيها حذو ما صنعه الشيخ الناصرى والعياشى وأبى مدين الدرعى ثم الروداني . وأبى العباس أحوزى فى رحلاتهم المشهورات (١) وقد ذكر سيدى عثمان أن محررات أحكامه فى الفقهيات كثيرة فى (أكلو) وذكر الرفاكى أنه رأى من بينهما ما هو مؤرخ بسنة   ١١٩٧ هـ

وقد وقفت على اجازة الواسخينى له ونصها

(قد أجزنا وأذنا كما أذن لنا شيخنا القدوة المحدث سيدى محمد بن أحمد الحضيكى نزيل (ايسى) وشيخنا الفقيه المحدث سيدى عبد الله بن محمد التملى رضى الله عنهما   للفقيه النبيه المبيب الاريب ابرهيم بن محمد بن ابرهيم التوماناری   فقهه الله فى الدين   ولطف به اللطف الجميل   أن يذاكر ويدرس فى كتب الفقه والعربية والتوحيد ويسرد الحديث. وغيرذلك اذنا عاما فى جميع مالنا   وأجزنا له على شرطهم المعتبر . وسندنا القريب الى الامام البخارى   رواية شيخنا الحضيكى عن العباس والصوابى . عن أحمد القطب بن ناصر   وأحمد أحوزى الهشتوكى . عن امام الحرمين فى وقته مولاى ابرهيم الكردى . عن شيخه المعمرى الشيخ عبد الله الدهورى عن الشيخ قطب الدين النهروالى . عن والده علم الدين النهروالى   عن الحافظ نور الدين أحمد أبى الفتح الطاووسى   عن الشيخ بابا يوسف الهروى . عن محمد بن شاذ بخت الفارسى الفرغانى   عن أبى لقمان يحيا

---

١) أما الاوليان فمطبوعتان   والمدينية والاحوزيتان فى مكتبة (تامكروت) التى نقلت مخطوطاتها الى مكتبة الرباط   فهناك رأيناها .

الختلانى عن الفربرى عن الامام البخارى رضى الله عنهم ونفعنا بهم وأوصيه واياى بتقوى الله العظيم ظاهرا وباطنا وأن يلازم المذاكرة جهد الطاقة. فان التعلم والتعليم من أوكد الواجبات وأعمها نفعا. وأعظمها أجرا. لاسيما فى زماننا هذا الذى ارتفع فيه أهل العلم بموت أهله. واستولى الجهل وأهله عياذا بالله . والله يهدينا الصراط المستقيم بمنه وكرمه وكتب أخوكم طالبا منكم الدعاء بأواسط صفر ١١٩٣ هـ محمد بن محمد الواسخينى) .

أما رحلته الحجية فهى وحدها التى تفصح عن همته العلمية . وعن ورعه وقد شحنها بكل ما سنح . وبالاسف انها مبتورة وقد لخصها الاستاذ ابن مسعود . وبين يدينا الآن هذا المخلص (ثم وقفت على الاصل) ويظهر أن الاولى أن نلخص نحن أيضا بدورنا مما أختاره ابن مسعود تاركين نفس كلامه . حاذفين ما لا فائدة فيه . خوف ملل القراء .

تلخيص ما قاله ابن مسعود

(وبعد فالغرض من هذه الورقات تلخيص ما وقع عليه الاختيار مما وجدته من رحلة المرحوم بالله الفقيه الصالح . سيدى ابرهيم بن محمد المسكدادى التوماناری ثم العينى شارح قصيدة الفقيه الواسخينى السملالى فى مسائل البناء رحم الله تعلى الجميع ونفعنا بهم آمين . فأقول وبالله تعلى التوفيق

قال رحمه الله تعلى بعد الخطبة (هذه أوراق تشتمل على رحلتنا لحج بيت الله الحرام نذكر فيها المراحل التى أقمنا فيها والبلدان التى مررنا بها وأسماء السادات الذين زرناهم وتبركنا بهم وما استفدناه فى خلال سفرنا من الفوائد والمسائل . وقصدى فى ذلك ثواب من ترك ورقة من العلم الذى قال فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يترك ورقة من العلم الا تقوم تلك الورقة سترا بينه وبين النار . والا فبنى الله تعلى له بكل حرف فى تلك الورقة مكتوب مدينة فى الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات انتهى وهو من حديث أنس رضى الله عنه نقله الشيخ ابن ناصر فى رحلته . كما ذكر الشيخ (أبو مدين) وأسأل الله تعلى الاعانة على اكمالها . وأعتمد فى غالب نقولى على رحلة الشيخ الفقيه (أبى مدين) بن أحمد الصغير الدرعى الاصل الروداني الدار .

ثم ذكر فصلين الاول فى فوائد الحج . والثانى فى آداب السفر الى الحج . ثم قال :

ذكر ابتداء سفرنا المبارك

قال رحمه الله تعلى ما معناه انه لما قرب رحيله ذهب الى بعضأقاربه قال وهو الفقيه الاستاذ سيدى محمد بن الحسن بن على التوماناري أصلا • الدرعى منشأ ودارا • وهو يومئذ ملازم بمسجد (تيكيوت) أمنها الله تعلى بـ (ماسة) فاستشرته على السفر فأشار على بالعزم على ذلك • والتأهب له • قال واستفدت منه فوائد منها أن من لازم قراءة بيتين • وهو يدبر فى أمر سفره • فانه يهون ويسهل عليه • وتاتيه أسبابه من حيث لايشعر وهما

يا سائرين الى المختار من مضر	سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا
انا أقمنا على إشوق وعن قدر	ومن أقام على عذر كمن راحا

وذكر أن الشيخ سيدى يوسف بنمحمد رحمه الله تعلى• كانيكررهما جدا عند ارادته السفر للحج (قال العينى صاحب الرحلة) قلت ورأيت فى كلام للشيخ (أبى مدين) أن بعضهم ذكر أن من لازم قراءتهما يحج من عامه • انتهى •

ومنها أن من يقول كل يوم (لا اله الا الله الحق المبين) مائة مرة فانه يكون محفوظا مامونا فى يومه • وذكر أن سيدى أحمد الحبيب كان يزيد محمد رسول الله الصادق الامين •

ومنها ان من كانت له الى الله تعلى حاجة وأحب قضاءها فليختتم (دلائلالخيرات) أربعين مرة قبل تمام أربعين يوما • فانها تقضى• واوكانت ما كانت وذكر أنه لما حمله العشق الى حج بيت الله الحرام • وزيارة رسول الله صلىاللهعليهوسلم•ومنعه منه قلة•عزمبنية صادقة•وقرأ ذلك الكتابذلك العدد فى نحو سبعة أيام وقد أرسله الشيخ يومئذ لقضاء بعض أوطار الزاوية • خارج البلد • ومكث فى ذلك الموضع أياما • فعمل فيه ذلك • ولما رجع من ذلك المكان ذكر الشيخ لاخيه سيدى المقداد السفر فامتنع • وذكر ذلك لسيدى محمد • حين وصوله من ذلك الموضع فقبله وفرح به غاية والحمد لله •

ومنها أنه قال مهما نابك أمر من الامور • فاذهب الى موضع مرتفع وابن فيه أحجارا • وقل برفع صوتك يا سيدى عبد الله بن حسين • هذه حاجتك • فانها تقضى لك ان شاء الله وقد كنت فى سفرى للحج سرقت لى بغلتى فى موضع بتنا فيه فعملت ذلك والشيخ سيدى يوسف يسمعنى ولم أعلم به • ورجعت لموضعى ومررت به فى الخباء فقال لى يامحمد •

مالك تقول كذا قلت له نعم • فان لم يردها لى فلا أزوره بعد • ولا أستغيث به • فقال لى انها تاتيك ان شاء الله تعلى ولابد ثم رجعت فى ءاخر ذلك اليوم بفضل الله (قال العينى صاحب الرحلة) ما معناه ثم ذهبت لزيارة الاخوان الذين بـ (العين) و (توماتار) ولزياراة الشيخ الربانى سيدى أحمد ابن موسى • وغيره من الاسلاف وغيرهم • نفعنا الله تعلى ببركاتهم ولما وصلت ضريح الشيخ المذكور عملت التوسل المندوب لسيدى حسين بن محمد الشرحبيلى الذى قال فيه ان من عمل ذلك عند قبر الولى المذكور قضيت حاجته • وأنا يومئذ أرجو قضاء ماءرب لابد لى منها لسفرى• فقضاها الله كلها والحمد لله • والتوسل المذكور أن يقرأ الزائر عند قبره أم القرءان سبعين مرة وسورة الاخلاص ثلاثمائة مرة • والمعوذتين خمس عشرة مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ألف مرة انتهى (ثم ذكر العينى صاحب الرحلة) أنه استفاد من بعض من شيعه من اخوانه أن من المجرب لحفظ المسافر • أن يخط المسافر يمين الطريق (انا) وعن يساره (أنزلناه) ثم يقرأ السورة أى (سورة القدر) انا أنزلناه فى ليلة القدر الخ أربع مرات لاربع جهات • فانه يحفظ ولا يرى باسا ثم ذكر (المختصر) ناقلا عن الاصل فوائد من هذا النمط) ثم قال ثم ذكر العينى (صاحب الرحلة) أنه تدبر حال خروجه من داره من بين أهله قول الشاعر

ان الذى وجهت وجهى له هو الذى خلفت فى أهلى
لانه أرفق منى بهم وفضله أوسع من فضلى

وذكر أنه خرج الى مدينة (السويرة) وأنه خرج من بلدته فى جمادى الاولى سنة ١١٩٨ هـ ولما وصل مدينة (السويرة) وجد فيها العلامة سيدى مسعودا الحسنى الشياظمى يقرأ الالفية فى باب (الاشتغال) وأنه حكى عن المكودى والازهرى اعراب قول الناظم كوصل يجرى بأن قوله كوصل يجرى • متعلق بيجرى • وقال بعده هذا كلام لامعنى له بل هو فى محل نصب نعت لمنعوت محذوف • والتقدير يجرى جريا كجرى الوصل قال ملفق هذا الاختصار محمد بن مسعود الطالبى كان الله له ءامين قد ذكر العلامة أبو زيد الجشتيمى فى تاليفه الذى عرف فيه بالشيخ الحضيكى• وتلامذته ومعاصريه هذا الفقيه سيدى مسعودا الشياظمى الا أنه لم يبسط الكلام فى التعريف به فانظره ثم ذكر أنه وصل مدينة (سلا) ونزل خارج (الرباط) عند الزاوية التى (١) دفن فيها السلطان الاكحل وغيره من الملوك والصالحين • وأنه زار أضرحتهم • وفيها تواريخهم الا أن بناء ذلك تداعى للسقوط ثم ذكر أنه وصل (مكناسة) الزيتون وأنه نزل

---

١) هى شالة

بحرم ولى الله تعلى مولانا عبد الله بن أحمد بباب البردعيين• ووجد فى تاريخه انه توفى عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة • وان قبته بناها ناظر أحباسه بأمر السلطان مولانا اسماعيل وانه زار فيها ولى الله سيدى محمد بن عيسى صاحب القبة الخضراء • ثم ذكر أنه وصل الى مدينة (فاس) والقى فيها الفقيه العلامة النحوى الاستاذ المحدث المشارك فى فنون أبا عبد الله سيدى محمد ابن عبد السلام • وأنه سأله عن كيفية النطق بالغنة وعن كيفية النطق بالهمزة المسهلة فأجاب عن الاولى بالنطق بكيفيتها مرارا ونطقت بها حتى قال لى انك عرفتها • ومما نطق به (تنزيل من حكيم حميد) و (قلوب يومئذ واجفة) وقال ان المثال الاول يشتمل على ما فيه الغنة • وعلى ما فيه الاظهار • فالغنة تكون فى النون قبل الزاى • وفى التنوين المدغم فى الميم • والاظهار فى النون قبل الحاء • وفى التنوين قبل الحاء أيضا • وسألته عن النون والتنوين هل يقرعهما اللسان عند الغنة • فقال لا • قال ومن ثم يخطىء فيهم امن لايعرفهما ويتكلف قرع النون بلسانه فلا يصل الى اعمال الغنة • وأجاب عن الثانية أيضا بالنطق حتى عرفتها منه • ومثل لى بـ (ائذا) و (أأنزال) و (أأنذرتهم) وقال ان التسهيل ••••••(١)

وكان رضى الله عنه ينطق بهمزة خالصة• وبهاء خالصة• وبياء خالصة فى المكسورة • فيقول أئذا • أهذا • أيذا ثم ينطق بالتسهيل • فيكون ذلك خارجا عن ذلك كله • وكذلك فى المفتوحة والمضمومة ياتى بالحرف خالصا • ثم بالتسهيل وسألته عن حكم من لم يعرفها • فقال ان كان قادرا على تعلم ذلك ولم يتعلمه فهو ءاثم • وان لم يقدر على ذلك فهو من قبيل الالكن (قال ابن مسعود ملفق هذا الاختصار) قلت ذكره العياشى فى (الرحلة) نقلا عن أبى زيد القاضى نقلا عن أبى عمرو الدانى أنه يجوز فى المسهل جعله هاء خالصة • قال وعليه جرى الاخذ فى المغرب أو كما قال (ثم قال العينى صاحب الرحلة) وسألته يعنى ابن عبد السلام المذكور عن كلام رأيته عند الازهرى وغيره وهو أنهم قالوا ان المضارع اذا اتصلت به نون الاناث بنى لتركيبه مع النون كتركيب خمسة عشر • ووجه سئوالى له : أن الاصل فى الفعل البناء • واعرابه خلاف الاصل • فما بنى منه لاسؤال فيه• وانما يحتاج الى العلة ما خالف أصله • فأجاب بأن قال الامر كذلك • وذلك الكلام غير محتاج اليه • ولايعلل بناء المضارع بما ذكر لمجيئه على أصله •

قال وزرنا فى مدينة (فاس) الامام مولانا (ادريس) والامام (ابن العربى)

---

١) بياض فى اصل المؤلف

الفقيه المفسر رحمه الله تعلى وعاقنا الزمان عن أتيان أضرحة غيرهما ثم ذكر أنهم خرجوا من (فاس) وأنه تأخر فى بعض الايام لما ارتحل الركب. وقصده ان يتعرف أحوال ركب أهل (فاس) وقت ارتحالهم قال فوجدتهم يقرأون الحزب من القرءان بعد ركوبهم على دوابهم ثم يتبعونه بالتوسل المعلوم للامام سيدى الحسن اليوسى رضى الله تعلى وعنا به ءامين . وهو هذا (ثم ذكر المختصر رجزا فيه ٣٩ بيتا مطلعه

يارب يارب اهدنا وارزقنا علما ولاستعماله وفقنا

قال ثم يتبعونه بتوسل ءاخر وهو هذا

يا ذا المكارم والعلا يا ذا البقاء السرمدى

ثم ذكر ثلاثة أبيات أخر بعد هذا . ثم ذكر أنها لابن سودة الامام ثم بعد هذا يقرأون (حزب الفلاح) للامام سيدى محمد بن سليمان الجزولى. ثم (صلاة) للامام مولانا عبد السلام بن مشيش ثم (الحزب) الكبير للامام أبى الحسن الشاذلى ثم يتبعونه بأبيات قالوا انها للامام سيدى عبد الواحد الادريسى . وهى

أيا راكبا سر سير ذىالعز لاتخف فانك فى حفظ الاله مصون
وظل رسول الله فوق رؤوسنا ومن رامنا تحت النعال يكون
فنحن بعون الله لا نخش فتنة وكيف نخاف والقوى معين

وذكروا أنها حجاب عظيم فى الطريق ثم يذكرون بيتين للامام سيدى التاودى الفاسى نظمها فى طريق الحج . وهما

يا ربنا انا طلبنا سيدى طلب الذليل الخاشع المتملق
نج العبيد الزائرين محمدا من كل سوء أو مضرة طارق

ثم يدعون بما شاءوا . قال وسألت الفقيه سيدى عبد الرحمن بن عبد القادر بوخريص (به لقب) السجلماسى ثم الفاسى وهو قاضى الركب النبوى . فأخبرنى أنهم داموا على هذا من يوم خروجهم وانهم يدومون عليه لمنتهى سفرهم (قال ملفق هذا الاختصار محمد بن مسعود الطالبى كان الله له فى الدارين وليا . وبه حفيا ءامين) لعل دعاء الامام اليوسى المتقدم هو الذى شرحه الفقيه سيدى يحيا البعقيلى الانكيضائى شارح نظم

(قواعد (١) الاعراب) ، ثم ذكر عنه ما ذكرناه عند جريان ذكره بين الونكيضائيين آله فى ترجمة سيدى الناجم التيفرميتى فى هذا (الفصل بعينه) ثم قال) رجوع ثم ذكر العينى صاحب الرحلة أنه وصل (عين ماضى) قال وهى قرية جامعة محوط على ديارها وبساتينها بسور محكم فى أرض متسعة • وعينها كثيرة الماء العذب • وليس فيها نخيل قال الشيخ (أبو مدين) فى رحلته فى وصفهم وجل أهلها طلبة علم يقرأون مختصر الشيخ خليل والحديث • وكلهم تفرعوا من أهل واحد ولا حسد ولا تباغض بينهم فيما يظهر يوقر صغيرهم كبيرهم قال وفى نسائهم جمال بديع • ولا يحتجبن بل يخرجن متبرجات يفتن بحسنهن من لم يعصمه الله تعلى من الحجاج فتراهم يتبايعون معهن ويلجون عليهن الديار وذلك كله هين على أزواجهن ثم قال يعنى (أبا مدين) قال شيخنا لايبالون بالحجاب ترى النساء الشواب يبعن ويشترين مع الحجاج غير مستترات• وكلمناهم على ذلك فقالوا هذه عادتنا • ونحن العرب وأهل البوادى • ولابد لنا من ذلك لقلة ما بأيدينا • وأكبر من هذا أن نساءهم لايغتسلن من جنابة ولا من حيض ولا نفاس وكلمناهم على ذلك أيضا ولمناهم فاعتذروا بأن ذلك يضر بهن فى أرحامهن على أن جماعة ممن يوثق بهم من أصحابنا قالوا رأينا نساءهم يغسلن الصوف وسط الساقية الجارية بماء بارد فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم نسأله أن يهدينا واياهم الى الصراط المستقيم اه (قال العينى صاحب الرحلة) ونحو ما وصفوا به من عدم مبالاتهم بالمحارم رأينا نحوه فى أعراب (الظهراء) فترى الرجل منهم ياتى مع زوجته للركب وهى حاملة على ظهرها التمر أو الشعير • أو الاكليلة • أو ما يريدون بيعه وينادى فى الركب يا من يشترى كذا يا من يبيع كذا • فاذا جئته ذهب معك الى زوجته • فتتبايع معها أو معه أو دونه لافرق ولا حياء عندهم والعياذ بالله تعلى و(الاكليلة) المذكورة قال العينى صاحب الرحلة فى بيانها كانوا يأخذون اللبن بعد نزع زبده • ويجعلونه فى البرمة على نار • حتى ينزل ماؤه ويجعلونه فى وعاء كقفة حتى يقطر جميع مائه • ثم ييبسونه ويطحنونه ويصير سميذا كسميذ القمح• فاذا أرادوا أكله سخنوا سمنا وجعلوا فيه تمرا ان وجد وجعلوا فيه شيئا من هذا السميذ وخلطوا ذلك فأكلوه وذكروا أنه جيد ولم نذقه نحن قال ولم أدخل أنا (عين ماضى) لكثرة ما نسمع من فساد أهله

ثم ذكر حكاية • وهى أنه اجتمع مع بعض الحجاج فى الطريق فتحدثا وأخبره عن رجل سماه وعرف بلده • أنه أخبره أنه ذهب للحج بمال كثير

١) يعنى النظم المعروف بالزواوى

يزيد على القنطار فلما وصلوا (طرابلس) رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه جاء الى الركب وجعل يكوى ويسخن أعضاء الحجاج المشاة على أرجلهم ليرتاحوا من تعب الطريق وجراح الاشجار قال فقمت اليه وقلت يا رسول الله ألا تفعل بى مثل ما فعلت بهؤلاء القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك اتكلت على مالك وركوبك• بخلاف هؤلاء• فلما أصبح الرجل تصدق بماله على فقراء الركب ومشى برجليه الى الحج قال المخبر وذلك الرجل حى الآن (ثم ذكر العينى صاحب الرحلة) أنه وصل مدينة (الاغواط) قال ولم أدخل هذه المدينة أيضا وقد أخبرنى القاضى سيدى عبد الرحمن بوخريص أن بها علماء وفقراء الامام ابن ناصر رضى الله تعلى عنه ومقدمهم وناسا ءاخرين وذكر أنه دخل المدينة ولقيهم• قال وهذه المدينة أكل فيها الحجاج كثيرا من المشمش والتفاح والتمر والحمص والرمان • وهى مدينة عظيمة ذات أشجار ونخيل وعنب وسفرجل ورمان ومشمش وتفاح • وهى جامعة كثيرة العمارة أخبرنى بعض أن بها خمس مساجد تصلى فيها الجمعة كلها وقبيلة الاغواط جنود مجندة • كأنهم جراد منتشر • سكنوا هذه القرية وتسمى (رأس العون) وسكنوا الخيام خارجها فى الصحراء وفيهم جمال بديع غير أن حالهم كحال أعراب (الظهراء) سواء بسواء • ثم ذكر أنه وصل (وادى دماد) قرية صغيرة فى سفح جبل• قال ووجدنا أهلها يدرسون • ودوابهم تدور لجهة الشمال عكس بلادنا ولا يجعلون للاندر خشبة بل تدور الدواب وحدها ثم ذكر أنه وصل قرية سيدنا خالد بن سنان ونقل كلام الامام العياشى بواسطة رحلة (أبى مدين) (وقد عزمت ان شاء الله على اختصار رحلة العياشى والتقاط فرائدها • فلا حاجة الى نقل ذلك الكلام هنا) (يقول المختار ذلك كلام ابن مسعود ثم لم نعلم له هذا المختصر) قال العينى صاحب الرحلة ورأينا فيها خلوة تحت الارض قالوا انها لمولانا عبد القادر الجيلالى رضى الله عنه وعنا به ءامين فنزلنا اليها وصلينا فيها ما شاء الله • ودعونا (أقول ان مولاى عبد القادر الجيلالى لم يدخل شمال افريقية كله مع أن هناك أمكنة كثيرة تنسب له كذبا على التاريخ) ثم ذكر أنه وصل (بسكرة) قال وهى مدينة عظيمة فيما مضى • ذات نخيل ومياه وعيون جارية ومزارع مستوية • ثم نقل كلام العياشى فى وصفها بالحسن • وجميع أسباب المعاش قال الا أنها أشرفت على الخراب بظلم الاتراك المستولين عليها وبغارات الاعراب ثم قال العينى قلت وقد وجدت المسجد الاعظم منها العتيق ليس حوله ولو دار واحدة خرب جميع ما هنا من البنيان وبقى وحده غريبا • ورأيت فيه صبيانا يتعلمون • وحضرت فيه وقت الظهر وما صلى فيه فى الصف الا نحو أربعة رجال أو خمسة وسألت عن العمارة فيها فقيل لى ان فيها موضعا فيه عمارة كثيرة وفيه شيخ يسمى عبد المومن •

ولم أصل اليه وسألت عن قبر الامام البسكرى شارح (الخلاصة) فلم أجده • ثم ذكر أنه وصل بلدة الامام سيدى (عقبة بن نافع) الفهرى التابعى القرشي • قال ولد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك عده بعضهم فى الصحابة قال وهذا السيد رضى الله تعلى عنه ونفعنا بـه ءامين • ولاه معاوية بن ابى سفيان رضى الله تعلى عنهما على افريقية ووجه اليها فى عشرة ءالاف من المسلمين فافتتحها وقاتل من بها من النصارى حتى أفنى أكثرهم قال ودخلنا مدينته وصلينا بمسجده المبارك وهو مدفون فـى مسجده رضى الله تعلى عنه • ثم قال (تنبيه) (ثم ذكر الكلام المشهور عـن (افريقية) من أنها كانت كلها كظل واحد فى قرى متصلة وان فيها مائة ألف بين مدينة وقصر ثم نقل ابن مسعود (المختصر) مثل ذلك عن كنون• ثم ذكر أنه يقال ان (افريقية) اذا أطلقت (١) فمن (طرابلس) الى (طنجة) ثم ذكر مـدن افريقيــة (بسكرة) و (تـوزر) و (قابس) و (طرابلس) و (سفـاقس) و (تونس) و (تلمسان) و (الجزائر) و «قسمطينة» و «سوسة» و (قليبة) و (القيروان) ثم ذكر ان (سوسة) ينسب الفكرونى السوسى وان (توزر) مدينة الصحابة فيها ءالات حربهم الى الآن ولا يدخلها ذمى ولا مخزنى وفيها من الصلحاء والفقراء مـا لايحصى ومنهـا (قفصــة) المنسوب لها ابن راشد القفصى ومنها (بجاية) الكثيرة الفقهاء والعلماء •وبها دفن الامام ابن بشير فقال (المختصر) فى عهدته ثم قال العينى ومنها (باجة) ينسب اليها الامام الباجى•فقال (المختصر) فىذلك نظر والذىيترجح عندى الآن أنه مسوب الى (باجة) الاندلس ثمقال فليحرر ومنها (جربة) وهى جزيرة أحاط بها البحر • ثم قال • وغير ذلك مـن مدن لم أقف الآن على أسمائها (اختصر المختار هذا الفصل) قال ابن مسعود ثم ذكر أنهم لما كانوا بـ (وادى غسران) بوزن غربان • جاءتهم الاعراب بغنم سيدناشعيب عليه السلام• قالو أذناب ضانها عريضة • قبضت منها كبشا فوجدت فى عرض ذنبه شبرا وخمس أصابع • قلت (ابن مسعود) وجدت فى طرة هذا المحل• وأظنه بخط العينىصاحبالرحلة مانصه• وهذه صورته ـ فصورها بالقلم ـ ولعله يعنى صورة الذنب ـ ثـم ذكر أنه وصل مدينة (توزر) قال وهى بلدة طيبة مجتمعة كثيرة الماء والثمار متقنــة البناء وهــى قاعدة بلاد الجريد من عمل (تونس) قال الشيخ رضى الله تعلى عنه (لعلـه يعنى ابن ناصر) ومارأيت ببلاد الجريد أكثر منها نخلا وأحسن بناء وأوسع بعد (بسكرة) مساحة وبها من الثمار ما لايعلم عدده الا الله تعلى ترد عليها من الاعراب الآلاف المؤلفة ويملأ كل واحد ابله بما شاء من الثمار

١) يعنى فى ذلك العهد لا اليوم حين تطلق على جميع القارة

وتمرها من أجود تمر الجريد ومياهها غزيرة وجناتها كثيرة . وبغربيها مدينة اخرى قريبة منها لها واد مثل واديها وتسمى (نفطة) وأهل (توزر) ناس طوال حسان الوجوه والدم ذوو هيآت حسنة وثياب جميلة . وفيهم طلبة علم ومساجدهم عامرة بالصلاة وتعليم الصبيان وفيها قبور صالحين منهم الامام أبو الفضل ابن النحوى وغيره أخبرنى بهذا بعض علمائهم الا أنهم لايبالون بمحارمهم . وتخرج نساؤهم متبرجات بزينة . ويدخل الرجال عليهن الديار تاتى الرجل بفم داره . تطلب منه شربة ماء . فيقول لك أدخل الدار . ويدخل من لا خلاق له . ويترك رب الدار خارجها . وهذه مفسدة كثيرة . والعياذ بالله تعلى قطعها الله ءامين . وهى بقعة ذات رمال كثيرة . كاد الرمل يعلو ديارهم . وكانت المدينة أولا داخل النخيل وطغا أهلها فخرجوا عن والى البلد . فحاربهم حتى قبضهم وأمر باخلائها . وبالبناء خارج النخيل بهذا أخبرنى عالم من علمائهم. واسمه سيدى خالد وأخبرنى أنه نوى الحج فى هذا العام فسلط عليه عامل (تونس) فأغرمه مالا كثيرا . ولم أدر سبب ذلك . وهذا ابتداء الجريد وجور الولاة فيه كثير قال الشيخ فى رحلته (ثم ذكر كلاما حول خراج الجريد اختصره المختار) ثم ذكر العينى أنه وصل (قابس) حيث أبو لبابة الصحابى رضى الله تعلى عنه . وأن الركب فارقه من هناك وبقى هو مع ١٨٠ رجلا . عزموا على ركوب البحر . قال وزرت قبر الامام أبى لبابة رضى الله تعلى عنه يوم نزلنا عنده . وشكوت اليه حالى . اذ حرت فى أمر الاقامة خوف الانقطاع . وتوسلت به الى الله تعلى أن ياتينا بالتيسير . قال ثم رحلنا الى المرسى . بأمر حاكم البلاد . فأقمنا فيه أربعة أيام . ننتظر الريح . ثم ضاقت صدور الناس بطول الاقامة وندم بعضنا على مفارقة الركب . فاستغاث بالله تعلى كل يوم وليلة . وتضرعوا اليه . قال وخاطبت الامام أبا لبابة رضى الله عنه . ونفعنا به ءامين بأبيات متوسلا به الى الله تعلى فى ذلك . وذكر تلك الابيات ثم قال ولما صليت المغرب اجتمع من فى ركبنا من الطلبة فقرأوا الحزب الراتب. وقرأوا اللطيفة الصغرى. ودعوا بما شاء الله تعلى . ثم فتح الله تعلى علينا أن سافرنا صبيحة يومنا . وهو يوم الجمعة الحادى والعشرون من شعبان ثم ذكر أنه وصل جزيرة (جربة) قال و (جربة) هذه جزيرة فى البحر أحاط بها البحر من جهاتها الاربع واسعة فيها ثمانية عشر ميلا فى مثلها فيها خلق كثير لايعلم عددهم الا الله تعلى . ودورها متفرقة . كل دار على حدتها . وليس فيها موضع مجتمع الا السوق . ولكن أكثر أهلها معتزلة وهبية قيل لى كانوا يأكلون الكلاب والحمير . وكانوا لايصلون الجمعة . لان الصلاة عندهم انما تجوز خلف المعصوم. وكانوا لايصلون بالسراويل . قالوا لان الانسان يطلق الريح فتبقى فيها

وتتنجس بها وكان بعضهم يبغض على ابن أبى طالب كرم الله وجهه •
وكذا جميع أهل السنة ثم استمر فى وصف القوم بأنهم يعيدون وحدهم
الصلاة بعد الجماعة ووصف صلاتهم • ثم ذكر أن ابرهيم الجمنى تصدر
هناك فبث السنة والعلم وانه شيخ ابن عبد الصادق شارح (المرشد)
وقد بنى (مدرسة) حوفظ عليها بعده رغم مناوئيه من الاهالى المعتزلين ثم
ذكر أنهم أغنياء • كما ذكر أنهم لايأكلون طعاما نحيته بيدك عند مؤاكلة
بعضهم ثم وصف (جربة) بأنها نقية قليلة العفونات • ذات رمال كثيرة
وفيها فواكه وبقول • وبطيخ كثير جدا وأسباب المعاش فيها صعبة المراس •
لانه ليس فيها الآبار ولذلك لايتسعون الا فى المجلوب اليهم

هذا كله اختصره المختار (ثم قال) وكانت طلبتهم ياتوننا يلتمسون
أمورا • ومن جملة من أتانا رجلان من (قابس) كانا بـ (جربة) أتيانى مرارا
وعرفانى صاحبا لهما وهو عثمان بن على • وبلدته بناحية (صفاقس) بجوفى
(قابس) خليفة عامل (تونس) استخلفه على المالكية بـ (جربة) ولم يدخلوا
تحت ايالة عامل (جربة) لتباغضهم يعنى مع أهل جربة الباقين لافتراق
معتقدهم • كما مر ذكره قبل • قال حتى طلبة المالكية من كتب منهم كتابا •
يقول فيه : كتبه فلان بن فلان الفلانى • المالكى مذهبا • الاشعرى اعتقادا •
وأرسل الى الخليفة المذكور • فجئته الى محله بفندق سيدى (أبى لبابة)
فأكرمنى أى اكرام • وهيأ لى بيتا هناك • وقال انتقل اليه حتى ياتى
وقت السفر • ولا كراء عليك • وأبى رفقائى من ذلك • وكان هو والطالبان
يكرموننى ويقفون منى فى قضاء المحتاج اليه مدة مقامنا بـ (جربة)
وذكروا لى ولى الله تعلى سيدى ابرهيم بن عبد الله الجمنى رحمه الله تعلى
ونفعنا ببركاته فزرته • وذكر أبياتا خاطبه بها من جملتها هذا البيت
فى وصفه

تقى نقى فاضل ذو مكانة من العلم ذو عز وذو شرف علا

قال واغتنمنا زيارته أياما ولقيت فيها من أبناء عمه الشيخ سيدى
ابرهيم بن محمد وتبركنا به ودعا لنا • (ثم ذكر ابن مسعود أبياتا رائية
نقلها من طرة النسخة وجدت مكتوبة على ضريحه) ثم قال (صاحب الرحلة)
العينى اثر ما تقدم ولما كان أول يوم من رمضان تسحرنا وقلت للمؤذن
اذا سخن الوضوء • فأيقظنى ونمت • فرأيت فيما يرى النائم أن كيسى
فيه نحو ثمانية مثاقيل وأنا جالس وفتح من غير أن أعلم من فتحه •
وسقط لى نصف ما فيه من الدراهم فى حجرى ودخل كسوتى وأهمنى
ذلك • ثم قلت فى نفسى أتترك ماسقط يأخذه من رزقه الله اياه • وما بقى لى
يكفينا • ثم استيقظت من نومى • وتوضأت وصليت ولما كان عند العصر •

خرجت بين الخيام لظل جرف هناك ٠ وقعدت فيه ٠ ومعي كتاب لى فيه شرحاى على قصيدة شيخنا الواسخينى فى مسائل (البناء) وجاءنى ثلاثة من الطلبة أحدهم من أهل (جربة) وقعدوا بازائى بعد السلام ٠ فأخذوا منى الكتاب ٠ فنظروا فيه ولما فهموا الامر قاموا وأخذونى لبستان ذلك الجربـى ٠ وأكلنا عندهم عنبا كثيرا ٠ ولما كان وقت الصباح من غد ذلك اليوم ٠ ذهبت لزيارة الشيخ سيدى ابرهيم وطلبوا منى الكتاب لينسخوه وأعطيتـه لهم وجعلوا يتصفحونه حتى وقف بعضهم على أبيات لبعض الفضـلاء مقيدة فيه ٠ تكلم فيها ناظمها على (جزء السهم) فقط من غير أن يستوفيه كله وهى

(أيـــا طـالبا عـــلـم الفرائض كـــامـــلا)

(ثم ذكر المختصر عشرة أبيات) قال وطلب منـى الواقف عليهـا أن أضع عليها تقييدا فاستخرت الله تعلى على ذلك وكتبت عليها نحو كراس ونصف ٠ من القالب الصغير ثم ذيلتها بـ (مسألة الصلح) (ثم ذكر ذلك فى المختصر) قال وعزمت على شرحها ٠ ثم حان وقت السفر قبله ٠ وعاقتنا عنه أمور أخر وقت الاقامة ٠ واقتصرنا على ما فى الاصل ٠ وتركت لهـم نسخة بخطنا ٠ وأولت رؤياى المتقدمة بهذا ٠ والحمد لله نسأله تعلى أن يثبث لنا الاجر وان يخلص العمل لوجهه ءامين وأن يطهرنـا ظاهرا وباطنـا من الاوصاف الذميمة ءامين بجاه النبى وءاله صلى الله عليه وسلم ٠

(ثم ذكر المختصر كلاما حول الواسخينى تجده فى ترجمته التى تذكر فى هذا الكتاب عند ذكر سيدى الحاج ياسين فى (القسم الثالث) (ثم قـال رجوع الى كلام صاحب الرحلة) قال بعدما تقدم عنه ما نصه واجتمعت فيها أيضا بالشيخ الفقيه سيدى ميهوب حفظه الله تعلى وهو رجل صالـح ٠ تبركنا منه بالدعاء ٠ وحملنى الى منزله ٠ فقرأت عليه أوائل (التنوير ٠ فى اسقاط التدبير) وأوائل (الطريق الجادة فى نيل السعادة) لابن عطاء الله وأكرمنى مع جماعة من الطلبة وكان له معرفة بعلم الطريقة ٠ واجتمعت أيضا بالفقيه سيدى عبد الحفيظ بن ابرهيم ٠ وقرأت عليه أوائل(الشمائل) وله معرفة بالفقه والفرائض والحساب وكان مع تلامذته معتنـين بقراءة المختصر ٠ والفرائض ٠ يبتدئونه فى شوال ٠ ويختتمونه فى رجب أوشعبان أو رمضان وزرنا فيها أيضا قبر ولى الله تعلى سيـدى يوسف المغـزى ٠ ومحل الامام الشيخ حلولو شارح المختصر والمالكية الـذين بـ (جربـة) معتنون أيضا بالتوقيت غاية ٠ مهتمون بالصلاة أول وقتها ٠ جزاهم الله تعلى خيرا ٠ وفيها من الكتب فى كل فن كثير ٠ قال واستفدت من سيدى محمد بن قبراش القابسى بـ (جربة) أن البطيخ بتخفيف الطـاء بـوزن قضيب ٠

(قال ملفق هذا الاختصار محمد بن مسعود الطالبي كان الله تعلى له في الدارين امين) هذا خطأ (ثم نقل كلام المصباح والقاموس وكلام الهوريني والهلالي في (اضاءة الادموس)• وبين ذلك غاية • وانفصل على أنه بتشديد الطاء وكسر الباء • كما ينطق به كل الناس ثم ذكر حكاية الذي امتنع من أكل البطيخ حين لايعرف كيف كان يأكله النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر العيني سبب فتح (جربة) على يد درغوت باشا القائد العثماني وذكر كيف الفتح ثم ذكر أن العهارة شائعة علنا في (جربة) بلا نكير • في محلات معينة • وأن أهل الذمة يتطاولون على المسلمين • ثم ذكر فوائد من الدعوات نقلها عن القاضي بوخريص وفوائد أخرى جغرافية وغيرها ثم ذكر نفس كتاب • وقف عليه هناك في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم • ثم أطال في ذلك • والمختصر يدخل في ذلك بعض الشيء مما يدخل في هذا النمط (ثم ذكر المختصر) أن العيني ذكر اثر ذلك كتاب (الدور الاعلى) للحاتمي (وهذا كله اختصره المختار) ثم (قال المختصر) ثم ذكر العيني صاحب الرحلة أنه ركب البحر من (جربة) قاصدا (الاسكندرية) وأنه ندم بعد ذلك على ركوبه في مركب النصارى • قال لما رأيته في المركب من مرافقة أعداء الله تعلى • وكثرة الاقذار في مركبهم لعدم مبالاتهم بالطهارة ويطأون أقدام الناس بأرجلهم النجسة ثم انجر به الكلام الى أن ذكر مدينة (ابن غازي) (ثم نقل المختصر عنه وصفا لها موجزا) ثم ذكر أمورا استبشعها • منها أنه كان في المركب خنزير يمشي بين الحجاج • ويبعر ويبول وينجس المركب زيادة على نصاراه قال وكان قائد جربه أعطاهم ثورا • وأدخلوه المركب • فلما كان يوم الاحد صعدوا به بكرة الى محلهم بالقمرة • وأضجعوه وأخذ أحدهم فاسا • وضربه به ثلاث مرات بين أذنيه فوق رأسه • ثم ضربه بالمدية بمنحره ثم في ودجه خلف أذنيه واستبطأ موته • فجرحه بالمدية • في مربط رجله الاخيرة بمؤخرها • فمات وأطعموا رئته للخنزير • فأكلها كلها ثم ذكر أنه أشتدت عليهم الريح وكثر اضطراب المركب • قال واشتد علينا الامر بذلك • وكثر تقيؤ الناس لذلك وتركوا الصلاة والصيام • ومنهم من لم يقدر على القيام أصلا• وصليت أنا بالتيمم جالسا• لعدم امكان الوضوء والقيام فتذكرت قول (المختصر) (أو يضيع ركن صلاة لكميد) واشتد على الامر • وأهمني ما نحن فيه غاية فتبين لي أن اجتناب البحر في السفر واجب • نسأل الله تعلى العفو والعافية (ثم بعد ذلك ذكر عنه المختصر أنه ذكر الابيات المعلومة التي مطلعها

(سهرت أعين ونامت عيون) الخ

ثم ذكر أنهم عملوا اللطيف الصغير ثم ذكر كيف يعمل في اللطيف الصغير والكبير والاوسط ناقلا عن رحلة (أبي مدين) وذكر (أبو مدين) أنه

كان قام به مع اخوان له حين حاصر البربر والاعراب (تارودانت) فوقـــع الفرج • ثم ذكر (المختصر) أن والده سيدى مسعودا كان يكب عليها دائما وبين العشائين ويأمر بها فيالشدائد (وذلك كلـه اختصره المختار ثم قـال) ثم ذكر العينى صاحب الرحلة أنهم مروا فيركوبهم البحر الى(الاسكندرية) على قرى يسكنها نصارى يقال لهم (ركريك) (اليونان) وهمتحت ذمة سلطان (اسطامبول) التركماني يؤدون الجزية ثم ذكر ما حاصله أنهم بعـــد مسيرهم رأى بلدانا أخرى ثم ذكر ابـن عبـد الصادق شارح (المرشد) وأنه رأى له كتابا أدبيا معجبا • ثم ذكر دعوات تقال فى السفر وفيالوباء وغير ذلك • ثم ذكر جزرا مروا بها ووصفها ثم ذكر دعـاء عـن شيـخه الواسخينى فترحم عليه • مما يدل على أنه توفى اذ ذاك ثم دكر دعوات أخرى • وكلاما لابن ناصر الدرعى فى شرف الطريقة الناصرية ثم دعوات أخرى ثم قال (المختصر) ذكر العينى صاحب الرحلة أنه تضارب ذات يوم رجلان من الحجاج فانقطعت الريح ووقفت السفينة من غير حركـة • فدهشنا (ثم ذكر جبلا مروا به) ثم ذكر أنه وصــل (الاسكندريـة) وزار ضريح ولى الله تعلى سيدى عبد الله المغارى كما زار المرسى • وابن الحاجب والبوصرى وعبد الرزاق مع شيخه بقبره وقبر النبى (دانيال) وهــو تحت الارض وقبر ابن عطاء الله صاحب (الحكم) فعارضه (المختصر) فقــال أظن أنه غيره وأن هذا دفن فى (القاهرة) ثم وصف (الاسكندرية) بغـايـة الطيب وحسن الصور ثم ذكر مما وقع لهم وهم على البحر محـاكـاة النصارىللحج ج • وان جل الحجاج يتركون الصلاة مع القدرة • وان بعضهم يتيمم من الهواء بلا أرض كما ذكر أن بعض الحجاج بقوا فــى (جربـة) لفقرهم اختصر المختار كل ذلك ثم قال المختصر)

لطيفــة

قال نمت فى بعض الايام ونحن فى المركب فرأيت فى النوم أنـــى ذهبت مع أناس للحج • وبتنا فى أثناء الطريق عنـد قـوم من الاشراف لا أعرفهم • فقالوا لى تريد الحج • فقلت نعم فقالوا تعال حتى تغتسل بمـاء كان عندنا • خلط بماء زمزم• ففرحت بذلك •واخذت الماء ودخلت بيتـــا كأنه من بيوت الاغتسال فــى المتوضأ وأزلت عنى ثيابـى فاغتسلت حتى بلغت صدرى بالغسل وقد بدأت من الرأس • ورأيت أنى أنزع عن جلدى وسخا كثيرا فلما كان ذات يوم ونحن فى المركب كثر اضطراب المركب• وضاقت بنا (البركة) ومال المركب ميلا كثيرا مع (البركة) حتى لم أقدر على الجلوس فوقها فنزلت للعنبر مع ما فيه من الرائحة الكريهة • ومكثتفيه ليلة ويوما وصليت فيه بالتيمم جالسا ثم نمت فرأيت فى نومى أنـــى

جئت للحج فجئت الى جبل درن عند رجل كنت أعرفه فقال لابد لك أن ترجع حتى تزور ولى الله تعلى سيدىأحمد بن موسى نفعنا الله تعلى به ءامين فرجعت وتركت عنده زادى ولما وصلت الى الظفيرة المسماة بظفيرة (تاكتيب) عند عقبة (مرزكنن) بقرب (عين الطلبة) بتزروالت لقينى رجال من أبناء الاعمام فقال لى بعضهم انك غررت بنفسك تشتغل بالزيارة ويذهب الركب دونك فقلت فى نفسى هذا قول حق٠ وجبل درن بعيد ٠ والرفقة عديمة وهالنى ذلك وهممت أن أرجع من ذلك الموضع دون زيارة الشيخ المذكور ٠ وحزنت فى شأن ادراك الركب ٠ والذهاب فى الطريق بلا رفقة ٠ وبأن من تركت عنده زادى قد يفوت بعضه ٠ فحصل لى بسبب ذلك كرب عظيم فى نومى ٠ وكادت نفسى تزهق ٠ فاستيقظت فاذا أنا بالمركب وفرحت غاية وأولت رؤياى هذه بالصلاة التى صليتها بالتيمم جالسا فطلعت من حينى من العنبر الى موضعى من (البركة) وتوضأت بمشقة ٠ وأعدت تلك الصلاة ٠ وتضرعت الى الله تعلى أن يسامحنى ويعاملنى بلطفه الخفى (أقول ثم ذكر المختصر عن الاصل فوائد طبية قال نقلها من كتاب فى علم الطب وقع عليه بـ (جربة) ينسب للامام السمرقندى) ثم ذكر أنه وصل الى (الرشيدية) قال وأهلها كلهم مولعون بشرب الدخان والقهوة أكثر من أهل (الاسكندرية) قال وهى ذات بناء متقن عال على شاطىء النيل ليس بين الماء وبين أساس البناء الا قليل وبعض الديار أساس جدرانها فى الماء والعمارة بضفة الوادى معا ٠ ثم قال وما بين (الرشيدية) و (مصر) فى عدوتى النيل من البلاد كثير ليس بين القرية والاخرى الا قدر ميل أو ميل ونصف أو ميلين والناس فى حاشيتهم أكثر من أن تحصى ولكن لاحياء لهم تجد الرجال عشرة أو عشرين أو أقل أو أكثر يجتمعون فى موضع واحد يسقون حرثهم فى النيل٠وبعضهم عريان لم يلبس ولو خيطا واحدا٠ الا ما على رأسه بل ينزع ثيابه ويضعها بقربه ويجذب الدلو بحضرة الناس وكذلك تجد الرجال مع المرأة على سانية واحدة أو فى موضع واحد والرجل غير لابس وثيابه حوله ٠ وتجد البحرية اذا أرادوا أن يقودوا القارب نزعوا ثيابهم ٠ وقبضوا الحبل وصاروا مع حاشية الوادى يمرون برجال ونساء كما هم بلا لباس ٠ وكنا نلتقى مع الصنادل هابطة مع الوادى ٠ ملئت برجال ونساء مجتمعين

والحاصل أن هؤلاء القوم من (الرشيدية) الى (مصر)يقصر الوصفعن الاشارة الى قليل من أحوالهم الذميمة عصمنا الله من الزيغ ءامين وستر الرأس عندهم ءاكد من ستر العورة وتختلف النساء للمساجد كالرجال فمن ساترة ومن عارية ثم ذكر أنه دخل (مصر) حرسها الله تعلى ٠ ولقى

بها الفقيه سيدى محمد بن محـمد الايرغي والفقيه الاستاذ سيدى محمد الكرامي السملالى (ثم ذكر أنه زار أضرحة البكريين ازاء الازهر كما زار فى القرافة الصغرى أضرحة المنوفى وخليل وذكر أن على قبر هذا شباكا صنيع الفاسيين • ثم ضريح السلطان الذى وقف عليه النبى صلى الله عليـه وسلم عند محاولة بعض الناس الحفر على قبره الشريف بسرداب من بعيد • قال والقصة مشهورة (١) ثم ضريح الحفناوى والخرشى مع ابيه وعبده وعبد الباقى الزرقانى لكن لم نعرف قبره بالتعيين كمـا زار فى (القرافـة) الكبرى ضريح عبد الله المغاورى (٢) فى غار بالجبل والقلشانى • والقرطبى • واخوة يوسف وابن الفارض • وبعض ذريـة الجيلانـى والمقرىء ورش • والشيخين القارى والسامع • والشاطبى المقرىء وعلى بن وفا • ويوسف أبى الارشاد ويحيا أبى اللطف وأبى الفتح • وأبى الاسعاد وأبى الاكرام وعبد الرحمن الشهيد وابن أبى جمرة • وابن عطاء اللـه صاحب الحـكم (فانتقض كلام المؤلف هنا بما ذكره فى الاسكندرية) والمنذرى والقرافـى وابن دقيق العيد • وعمرو بن العاص ومن معهم من الصحابة • فى مكـان خاص بهم وذى النون وابن حجر العسقلانى شارح البخـارى والهمزيـة (وعارض المختصر بأنهما اثنان كما هو مشهور • وان شارح البخارى هو العسقلانى • وان شارح الهمزية هو الهيتمى ثم ذكر المختصر كل واحد منهما باختصار) وقبر الليث بن سعد فعرف به (المختصر) وابن جماعة والاشمونى شارح الالفية • فتوقف فى ذلك المختصر • ثم توقف فى ذلك المختصر أيضا • وقبر السيوطى ونفيسة ورقية وابـن القاسم وأشهب وأصبـغ وبهرام وزينب بنت على • والحنفى • والمشهد الحسينى • وسماه مقام الحسنين • والشعرانى (اختصر المختار فى كل ذلك لعدم أهميته فى الموضوع) ثم قال المختصر : قلت هناانتهى ما وقع الاختيار عليه مما لخصته من (رحلة) الفقيه العينى • ولم أجد ما بقى منها • والله تعلى يفتح فيـه وينفـع الواقف على هذا بمـا سطرناه ونفعنا به كذلك ويجعله من السعى المشكور المقبول ءامين • بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما • وكتب فى السابع والعشرين من رمضان المعظم سنة ١٣١٧ هـ الضعيف محمد بن مسعود السملالى الطـالبى الابريمى • كان الله له فى الدارين وليا وبه حفيا ءامين ءامين) •

هذا هو مختصر هذه الرحلة نقلناه أيضا مع ما اختصرناه نحن أيضا بدورنا فى الحادى والعشرين برمضان ١٣٥٨ هـ وقد حرصت على ابقـاء الكلام للمختصر الا اذا اضطررت لتركه لاختصر فى أمور لايهتبل بهـا غالب قراء هذا الكتاب مع حرصنا على الاشارة الى كل ما حذفناه • ليكون

١) ذلك الملك هو نور الدين بن زنكى وهو مدفون بدمشق لا بمصر

٢) قد تقدم هذا فى الاسكندرية فهل هما اثنان

القارىء على بال مما تضمنته (الرحلة) وليكون ذلك كله معينا على معرفة الناحية التى يهتنى بها المؤلف الذى نحن فى صدد ترجمته ولا ريب أن كل خطرة له في رحلته تدل دلالة واضحة على ما خفى عنا من حياته • فكل من قرأ ما تقدم اذا أمعن فيه النظر يدرك أن المترجم يصطبغ بالصبغة الصوفية الناصرية التى غمرت فى ذلك العهد كل جنوب المغرب • فاعتناؤه الهائل بالدعوات وبخصائصها • حتى استغرقت كثيرا مما كتبه• أعظم دليل على ما مازج فكره من ذلك • ثم هو فى نفسه ورع متوقف عن كل محظور سرعا لايحوم حول حماه فقد رأيت كيف امتنع من الدخول الى (عين ماضى) كما رأيت أنه ذو؛ غيرة على أن يطرق حمى كل ناحية فيها منهيات شرعية • فيعلن النكير عندما يرى من ذلك أى شىء • وكذلك يمكن أن يدرك مقدار غور بحثه مما ذكر • ومقدار معلوماته • وانه يغلط فى بعض التراجم لمن يذكر قبورهم مما يدل على قلة بضاعته في التاريخ • مع حرصنا على تعقيبات ابن مسعود ليصح ما تقدم لنا عنه فى ترجمته • وذلك كله مهم• وذلك كله لايخفى عن لبيب • ثم ان هذه الرحلة قد ذكرها لى سيدى عثمان وقال انها مبتورة أولا وءاخرا • ولكننا رأينا فى هذا المختصر ما يدل على أن أولها لم ينبتر • الا بعد أن اختصرها ابن مسعود • وأما ءاخرها فما انبتر الا بعد ما تمت بيد المؤلف ان كان حقا أتمها • فقد ذكر لى سيدى عثمان أنه مات مرجعه من هذه الرحلة وهو قريب من داره • فيتبادر الى الذهن أنها لم تتم • ولكن يظهر أنها اذا بقى منها شىء • فلابد أن تتجاوز بكثير (مصر) وربما تكون كراريس لاتزال موجودة بعد هذا الذى انقطع فيه كلام المختصر الى ما شاء الله • فتكون هى التى يترجى المختصر الاتصال بها• ولكن لم يقدر له ذلك • وهكذا تضيع نفائس الكتب ان بقيت فى أيدى ورثة لايفقهون لها معنى • ولا حول ولا قوة الا بالله •

نعم اننى وقفت على ما بقى من (الرحلة) بعدما كتبت ما تقدم • وهى عند أحد أهله بخط جميل• وفىذيل المجلد رسالة كتبها من فاس •والرحلة كبيرة الحجم بسبب ما أولع به مؤلفها استطرادا تبعا لابى مدين الذى ينقل عنه كثيرا ولابن ناصر وللعياشى بل الرحلة العياشية هى الاصل الاصيل لكل تلك الرحلات) ورحلة ابى مدين بعدما جهلت مكانها وقفت عليها فى كتب (تامكروت) المنقولة الى (الرباط) وانه رحل ١١٥٢ ﻫ • ورجع ١١٥٦ﻫ وفيها اجازات وفوائد كثيرة جدا

هذا وقد وقفت بين فتاوى فى أواسط القرن الثانى عشر على توقيعات عبد الله أبى مدين بن أحمد • فكنت فيه متحيرا • حتى وقفت عليه هنا •

وهو من(درعة) من المتخرجين من (تامكروت) وهو يذكر حسينا الشرحبيلي من مشايخه. واخرين أخذ عنهم أثناء رحلته . ثم انه سكن فى (تارودانت) ولعله توفى بعد ١١٦٠ ه وقد وقفنا على اثار لاديب درعي يسمى أحمد من المتخرجين - كما نظن - بالهَوْزِيوى . وقد سقنا اثاره التى عندنا . وهى حسنة يذكر بعضها فى ترجمة الهوزيوى وكان يقطن (تارودانت) فهل له اتصال نسبى بأبى مدين الدرعي هذا ؟ ان ذلك ممكن .

ثم ان هذا القرن الثانى عشر هو قرن الرحلات الحجازية المكتوبة فى سوس فهناك :

١) رحلة أبى مدين ٢) رحلة العينى هذه . ٣) رحلة الحضيكى . ٤) رحلة اليبيوركى . ٥) رحلتا أحمد أحوزي الكبرى والصغرى . ٦) رحلة لابن بلقاسم الكرسيفي . ٧) رحلة عبد الواحد بن الحسن الصنهاجي وهاتان الاخيرتان لم أرهما الى الآن . ويذكر الشاعر البونعمانى أنه سمع أن بعضهما موجود . كما وقفت عليه في مواد رحلته الجزولية . ويعين أمكنتها سماعا فقط . أما وقت وفاة المترجم فان سيدى عثمان ذكر أنه توفى مرجعه من الرحلة . فيكون ذلك نحو أواسط ١١٩٩ ه لان رحلته كانت كما تقدم فى السنة قبلها كما صرح به (المختصر) لكنني وقفت في روضة الايكرارى على أن رحلته كانت سنة ١١٩٤ ه ثم ذكر أن حياته ممتدة الى سنة ١١٩٧ه كما قرأه فى محرر بيده مؤرخ بتلك السنة . ولعل ما عند ابن مسعود هو الذى لا غلط فيه . فيصح ما ذكره سيدى عثمان من أنه توفى مرجعه من الرحلة . وقد زاد هذا أنه مات عزبا من غير عقب . وهو لا يزال شابا من غير عقب .

هذا وأما شيخه الواسخينى فاننا نذكره ان شاء الله بين الواسخينيين فى ترجمة سيدى الحاج ياسين فى(القسم الثالث) ورجزه فى المبنيات بشرح هذا المترجم يدرس بهما الطلبة الى الآن فى بعض مدارس جزولة))

الثالث عشر : محمد بن عبد الرحمن بن بلقاسم بن محمد وهو حفيد بلقاسم أخى ابرهيم المتقدم . فقيه حسن أخذ عن الاستاذ الرفاكى . وعن الاستاذ الحسن ابن عبد الرحمن الفلكى . وهو رجل يغلب عليه الحياء والمسكنة . وقد نسخ كتابا يوم دراسته وله مشاركة وولع بغرائب المسائل توفى ١٣٤٣ ه فى قريته المسماة (سيدى داود) قرب قرية أبناء عمومته

الرابع عشر على بن ابرهيم بن محمد بن سعيد . عم المذكور قبله . ذكره لى سيدى عثمان وقال انه عالم كبير القدر تولى القضاء من الحكومة رسميا .واثاره مخطوطة كثيرة جدا . قال واحسب وفاته بعد سنة ١١٩٠ه

هذا ما كنت كتبته عنه • وأولاده لايزالون يسمون ءال القاضي • وقد رأيت بعدما كتبت ما تقدم ظهير القضاء • ونصه

(جددنا بحول الله وقوته وجميل يمنه وبركته بيد ماسكه الفقيه الاجل العالم الامثل المرابط الخير سيدى علي بن ابرهيم على ما بيده من ظهيرسيدي الوالدالاعظم ويتعرف منه بحول الله وقوته اننا وليناه أمرخطة القضاء في كافة اقليم الساحل ويصدر فيه الاحكام الشرعية من غير معارض ولامنازع وعليه بتقوى الله العظيم في السر والعلانية • والله حسيب من بدل أو غير• والسلام •

(في صفر ١١٥٩ هـ)

وذلك في عصر مولاى عبد الله بن اسماعيل •

الخامس عشر عبد الرحمن بن ابرهيم بن علي بن ابرهيم

حفيد ذلك القاضي • وقد أفادنا الاستاذ محمد بن عثمان كلأه الله • فوصفه بأنه فقيه حسن له محررات في الفقه بين الفتاوى والاحكام موجودة وكان يشارط في قرية (أماراغ) ويخطب في جامعها في الجمع • وكان ذا شهرة • ومن أركان الطريقة الاحمدية • توفي أواسط أو أواخر العقد التاسع من القرن الماضي •

السادس عشر عبد الرحمن بن ابرهيم بن محمد بن سعيد

قال فيه الايكراري في الروضة

(ومنهم من جلدتنا من شرفاء (ايكرار) ببلدة (أكلو) جدنا سيدى عبد الرحمن بن ابرهيم بن محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى – الى أن قال – وسبب نزوله في (ايكرار) ان عمه القاضي سيدى عبد الله ابن محمد بن سعيد المذكور • أرسله سيدى علي أبو دمعة الزروالي المتوفى ١٠٧٠ هـ قاضيا في (أكلو) • فاشترى من (هرجانة أمزيل) بفم مدشر (ادشديد) الى (شعبة جاوج) فنزل الشيخ في هذا الموضع برؤيا رءاها من سيدى (وكاك) الى أن توفي رحمه الله عام ١١٩٤ هـ كما في بعض التقاييد • فهو عصرى ابن ناصر سيدى أحمد المتوفى سنة ١١٢٩ هـ أخذ عنه الطريقة الغازية • أرسله الى زاوية سيدى (وكاك) فشارط فيها ثلاثين سنة حتى أرسله لايكرار بالرؤيا السابقة • شاهدوا نورا خرج من فم ابن ناصر فدخل في فم جدنا سيدى عبد الرحمن المذكور • وذلك كرامة له رضي الله عن الجميع

ذلك كل ما ذكره المؤرخ الايكراري في جانب هذا السيد الجليل وقد أخبرني سيدي عثمان أنه كان أخذ قليلا في (تامكروت) ولم يبطيء هناك كثيرا • وأنه كان يجود القرءان للطلبة في المدرسة (الوكاكية) طارت له الشهرة بذلك • وله علم حسن غير أنه ما كان يجول في مجالات الفقهاء الا أنه يرشد العباد • وكان جهبذا في القراءات • هذا ما زاده لي المذكور

ثم انني وقفت في كتاب صار من الكرسيفيين الى الالغيين على ماياتي:

(في يوم الاحد الرابع عشر شعبان ١١٩٢ هـ مات محبنا في الله حقا سيدي عبد الرحمن بن ابرهيم التوماناري أصلا • الساكن بـ (أكلو)• سقطت عليه نخلة في (توماانار) فمات هناك • فبعد دفنه بيومين جاء أهله ونقلوه الى (أكلو) رحمه الله • انتهى)

فمن هذا يعلم ان التاريخ الذي عند الايكراري فيه ما فيه • وهكذا نأتي طرر الكتب بتقاييد مفيدة مما تسيل به أسلات الاقلام فها أنتذا ترى هذه الفائدة عثر عليها عند الاباعد • في حين أن الاقارب العلماء لاوجود لها عندهم• ويظهر أن الشيخ عمركثيرا • فكون ولده الآتيمحمد منأصحاب أبي العباس ابن ناصر المتوفي ١١٢٩ هـ مما يدل على ولادة الشيخ سيدي عبد االرحمن • قبل مفتتح القرن الثاني عشر • فيكون معمرا نحو قرن وعلى قبره قبة تقصد بالزيارة من بعيد الى الآن • ومن أصحابه الفقير محمد واعزيز الشهير في (تزنيت) •

السابع عشر : محمد بن عبد الرحمن ولده

ذكره الايكراري في (الروضة) بكلام قليل • جدا • وقال ان له مع الشيخ أحمد بن ناصر اتصالا وأنه كتب اليه هذه الرسالة التي لايزال أهله يحافظون على نسختها الاصلية • ونصها

(بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أخينا في ذات الله ومحبنا في جانبه سيدي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد من أولاد سيدي عبد الرحمن بن موسى • السلام والرحمة والبركة • فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو •

أما بعد : فأوصيك يا أخي بتقوى الله في السر والعلانية • والرجوع الى الله في كل قاصية ودانية واتباع السنة فيالاقوال• وتجديدالتوبة فيكل الاحوال • والمحافظة على صلواتك لاوقاتك وتطييب أقواتك وأحذرك مواقع الشبهات • ومواضع الظنات ومخالطة الغافلين • فانك لم تخلق سدى واعمل لما بعد الموت • واجعله نصب عينيك وثق بالله وحسن ظنك به وطيب لقمتك•وحاسب نفسك وضايقها•يتسع لك الفضاء يوم تبلىالسرائر

والله يوفقنا واياك • واستودعك الله الذى لاتضيع ودائعه كتبه من ربيع الثانى عام ١١٢٨ هـ عبيد الله احمد بن محمد بن ناصر كان الله لـــه ءامـين • وان قبلت وصيتى هذه • وعملت بها فأنت منا والينا • لك ما لنا وعليك ما علينا • كتبه أحمد) •

ثم لاريب أن المكتوب اليه يبلغ اذ ذاك العشرين فاكثر حين كتبت اليه هذه الرسالة • واذا امتد عمره الى رجب ١٢١٤ هـ نعلم أنه معمر أيضا نحو المائة أو أكثر • وربما كان تعلم فى (تامكروت) وأخذ عن أساتذتها •

وذكر لى سيدى عثمان أنه عالم جيد محصل • يدرس فـى (ايگرار) فنون العلوم • وكان سبب موته هو الوباء الشائع اذ ذاك وقد دفن ازاء قبر والده فى القبة •

الثامن عشر إبرهيم بن محمد بن عبد الرحمن ابو سالم

ولد المذكور قبله • قال فيه الايكراري

(ومنهم الفقيه القاضى الاوحد الهمام رفع راية العلم لجماعة فقهاء سوس كلأه الله من كل بؤس • أبو سالم سيدى ابرهيم بن محمد • قدس الله تربته • وءانس غربته • فانه كان قرين الدنيا والدين • وهو كما قال القائل :

أقاموا بظهر الارض فاخضر عودها وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر

وتالله ان فقده ليهون الرزايا • ويحقر المزايا وانه لحقيق بما قال ابن المعدل فى ابن الماجشون ما ذكرت ان الارض تأكل لسان عبد الملك • الا هانت الدنيا فى عينى • وكان رحمه الله ممن يصغى اليه وتلقى مقاليد الخير لديه • لا معقب لحكمه • مسلما لقضائه وعلمه • لاينازعه حاكم • ولا ينابزه خاصم سلمت لدلوه الدلاء • وكان عبقريا فى الالقاء والادلاء • أخذ عنه جلة كبراء • وأبازل علماء • كسيدى الحسن بـ (تيمگيدشت) وسيدى العربى وسيدى أحمد أوجمل الامزالى وأضرابهم ممن لهم الاعتناء • والسهم المعلى فى الاملاء • أخذ هو فى (فاس) عن ابن كيران واضرابه • ممن لهم فى النقد يدان • فملأ منه وعاءه • وبث منه بعض البعض لمن طلب منه اقتناءه فجل علمه فى صدره مخزون • لعدم القابلية فى أهل جيله لعلمه المكنون • كالاسطرلاب الذى عن أهل سوسنا استعصى وغاب • فلم يأخذه عنه أحد • ولا درى أطريقه أسهل أم أنجد • وحينما بعثه عمه لفاس • أخرج لـــــه الاسطرلاب فجعله فى تليس البغلة • ءاخر ما جعل فيه • وقال له ان هذا وجدناه فى خزانة الكتب فتعلمه • وحينما وصل ليدى وجدت صفيحـــة ثلاثين تحت الشبكة • فعلمت ان له مزيد فهم فيه • فقد خرج فى خزانـــة (أدوز) الربع المجيد • والمقنطر • وخرج فى خزانة الشبيين الاسطرلاب •

ووجد ءاخر عند المرابط الادوزى • وءاخر عند سيدى محمد بن حسين الجلوى ـ الايكلويى ـ

ومن كراماته أنه لما كان بفاس يأتى اليه بعض المجاذيب وقتا بعد وقت ويتعاهده • فلما كان بعض الايام قال أنظر لذلك البيت هل عرفت الذى فيه • فلما دخل رءا ميتا مسجى بثوب • فقال له : انظر هل عرفته • فقال له : هذا عمى سيدى محمد بن عبد الرحمن • فقال له هذه نوبتك فى الزاوية فارجع لبلدك • فجاء • انتهى • كما وجد فى بعض التقاييد •

ومنها انه جلس على سرير بيته الطويل وزوجته جدتى فاطمة الرسموكية تتوضأ فى الميضأة • • فى الرأس الآخر من البيت • فمدرجله يمازحها حتى رفسها بها • كما أخبرت بذلك • ثم ذكر مثل ذلك استطرادا ثم قال :

وكان رحمه الله ممن له القبول عند الخاص والعام • ولاسيما (أيت ابراييم) و (أيت يعزى) (أيت الكريمة) فى (الساحل) • ولذلك كتب اليه الولى الصالح سيدى أحمد بن محمد التيمكيدشتى رسالة يحضه فيها على الصلح بين ءال (تزنيت) و ءال (أكلو) ولم يترك تأليفا فى العلم الا أربعة كراريس • شرح بها أوائل الجوهر المكنون • وقد لازم التدريس فى المسجد • ثم شارط على أولاده سيدى ابرهيم(١) أكدورت ـ الكادورتى ـ حتى تضلعوا فى العلوم • وغاية ما يقال فيه أنه أوحد العصر • لاثانى له علما وعملا وتحكيما فكأنه عناه من قال

امام جرى فى شأو كل فضيلة ففاز بخصل السبق دون الورى طرا
وأعلى منار المكرمات فأصبحت عفاة الندى سعيا الى بابه تترى
هو العلم المرفوع والوارف الذى افاض الندى والعلم والفضل والسرى

ويروى انه لما مرض مرض موته أتاه شرح البخارى للقسطلانى اشترى له (ولعل المقصود المطبوع منه • لان المخطوطات منه كثيرة فى (سوس) اذ ذاك) فلما أخبر بحضوره قال لهم اجعلوه على صدرى • ثم استلقى • فلما وضع عليه قال الحمد لله الذى أحيانى حتى ملكته • فالآن طاب خاطرى طاب خاطرى • ثم استوى فقضى نحبه • وذلك فى رجب ١٢٧٦ هـ فبنيت عليه قبة حافلة بحدثان ذلك • رحم الله الجميع بمنه • ثم ذكر أمورا خارجة عن ترجمته •

---

١) راجع جماعة من أهل كادورت الايسيين فى ترجمة سيدى الحسن الاعرج فى (الجزء التاسع)

اقول ذكر لى سيدى عثمان أن للمترجم رفيقا فى طلبه وحياته كلها يسمى سيدى محمد (١) بـن ابرهيم الساموكنى • تراضعا معا فى فاس • ثم قطنا معا فى(آكلو) • فكانا يتعاونان دائما فى مناجزة الحسن بن الطيفور الساموكنى ثم التزنيتى وأمثاله وقد نقض ابن الطيفور مرة حكما حكـم به ابو سالم • فتصدى ابن ابرهيم لابن عمه يكيل له بالكيل الاوفى • ولا يفلح الحديد الا بالحديد

وذكر أيضا ان أبا سالم كان شارط الاستاذ سيدى أحمـد اوجمـل حينا ولانكاد نشك أن ذلك قبل مشارطته لابرهيم الكـادورتى الـذى ذكره الايكرارى • ونحن نعلم أن أوجمل كان مشارطا فى مـدرسة (أيت عمرو) بهشتوكة • نحو : ١٢٥٨ هـ ثم لم يزل هناك الى أن توفـى بعـد ١٢٧٠ هـ ـ (وسيذكر ءال أوجمل فى فرصة أخرى)

ثم ان رحلة أبى سالم • كانت قبل : ١٢٣٠ هـ الى فاس • فان أستاذه ابن كيران توفى حوالى : ١٢٣٠ هـ وكذلك استقرار قدمه فى الزاوية بايكرار كان قبل ١٢٤٣ هـ فان سيدى ابرهيم أقراب الذى ورد عليه توفى تلك السنة • لان ما جرى كان قبل هذا الحين • على أن كون وفاة سيدى محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمن الآتى فى سنة ١٢٢٨ هـ ان ثبت ما يظنـه المؤرخ الايكرارى • مما يدل على أن أبا سالم رجع اذ ذاك فاستقر بالزاوية قبل : ١٢٣٠ هـ وأما ولادته فقيل ١٢١٤ هـ ولكـن لابد أن يولد نحو (١٢٠٥ هـ) على ما يعتاد فى أوقات التلقى للقرءان ثم العلم فى ذلك الحين •

هذا وقد تقدم فى (القسم الثالث) فـى ترجمـة الحسن التيمكيدشتى بين التيمكيدشتيين • وفى ترجمة سيدى العربى الادوزى بين الادوزيين مـا وقع لهما هناك فى مدرسة (تيمكيدشت) وانهما اللذان اقترحا عليـه شرح (الجوهر المكنون) وقد وقفت على كلام لسيدى العربى ذكر فيه أنهم أخذوا عنه اذ ذاك (التلخيص) أيضا كما ذكر لى أن فى أول شرحه على الاستعارات الماما بذلك • ذلك كل ما أمكن لنا أن نذكره عن أبى سالم العلامة الكبير ولاريب أنها ترجمة دون قدره بكثير لفقدانها كثيرا مما تزخر بـه تراجم أمثاله الاكابر • فأين ءاثاره • وأين مختلف أنبائه ؟ وأسماء الكثيرين ممـن اخذوا عنـه ؟ فاننـا لم نعرف منهم الا سيدى الحسن التيمكيدشتى وسيدى العربى الادوزى • وسيدى أحمد أوجمل الامزالى • وسيدى أحمد أضارضور الآتى • وهذه نقطة ضئيلة جدا • فقد كان يلازم التدريس فى (ايكرار) ،

---

١) راجع جماعة من الساموكنيين فى ترجمة محمد ابن الحاج عبد الرحمن فى (الجزء التاسع)

كما كان كل نجباء (تيمكيدشت) سياخذون عنه اذ ذاك يوم افتتح (البيان) هناك مع الآخذين عنه • مع اننا لم نعرف منهم الآن أحـدا • وكان سيدى ابرهيم يعد نفسه مـن أتباع الشيخ أبى العباس التيمكيدشتي • ولا يغب الوفادة اليه كل عام • ثم أورث ذلك أهله • وقد كان بينه وبين الشيخ سيدى سعيد المعدرى أيضا اتصال ، فكان هذا يزور أبا سالم بطائفته التى يسيح بها على القرى لارشاد الناس • وهـذا مما يدل على عـدم تعصبه لطريقـة على حـــدة •

ثم انه أخبرنى الاستاذ سيدى محمد بن عثمان أنه رأى كثيرا من فتاواه وآثار قلمه ، وذكر أنـه يقتصر على المحقق بايجاز • كما هـو صنع عيسى السكتانى • قال وفى مجموعته الفقهية التى جمعتها اثارات من بنات قلمه•

التاسع عشر ـ احمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن

هـو ابن المذكور قبله ، قـال فيه الايكرارى (ومنهم الفقيه العالـم العلامة البيانى الاوفاقى الصفى الخفى • سيدى أحمد بن ابرهيم على ما فيه من بله ، يخدع من العوام • كأنه لا يعرف كيد الخصم والحكم • لم ينفع الله بعلمه أحدا • وكان حريصا على الكتب ، لا يمكن أحدا من رؤية كتابـه • فضلا عن أن يعيره • ولم اسمع أنه أعار كتابا لطالب • فجمع فائـدة كتب ابيه • فذهب بها لجهة الاعراب ـ يعنى الصحراء ـ فتلفت ثمة • والباقى تحت يـده ورحل أيام الكلـولى الى (تازروالت) فلما مـات حاز فيها سيدى أحمد بن محمد الخياطى العينى ما انتقاه • وترك ما لا فائدة فيه تحت يـد ولديه : على ، وادريس • فلما مات ادريس انتقى منها سيدى محمد بن حسين الاكلويى ما أراد ، لكون بنته ثمة • فتلفت الكتب كلها شذر مـذر • وكما يدين الفتى يدان • وقد منع من قسمها ، فلـم يحظ بالمراد • توفى رحمه الله فى مدرسة سيدى أحمد بن موسى التازاروالتى • فدفن فى مقبرته حذاء أحمد العباسى • وذلك فى ربيع النبوى ١٣٢٣ هـ رحمه الله تعلى

ومن بلادته أنه يرد المطلقة ثلاثا ويجيز كـراء الدراهم فهم كـلام التسولى على غير المراد • والله يغفر له • ولم يجىء فى ورطة الذنوب ما جاء فى الربا من الحوب)

بذلك ترجمه الايكرارى • وقد أفادنى سيدى عثمان أنه كان متعصبا للناصرية على الدرقاوية وغيرها فالف لذلك مؤلفا ضد البدع قال المذكور كانت فى يدى نسخة منه فمزقتها أقول لعل ذلك من الحاكى أيضا ـ وهو درقاوى ـ من ءاثار التعصب فقد لمته على ذلك • فقال توجد منه نسخـة

اخرى • فقلت له ان ذلك من ءاثار المؤلف•سواء حسنت ام ساءت• ينبغي المحافظة عليها • ثم ان ذلك لايبطل حقا ولا يحق باطلا ولكنه يفيد فــي التاريخ • ولذلك نحرص نحن على سوق كل ذلك حتى ما لايقبله غيرنا مــن الرد على والده • لان ذلك كله داخل في باب التاريخ • لاينبغي الا اعتباره وقد أخبرني ءاخر أنه حضر له مرة في مدرسة (تازاروالت) يتلو الحديث النبوي فحمل على مصادمي السنة والمعتنقين للبدع فافاض في ذلك وهو الذي أخذ عنه الاستاذ محمد بن مسعود • وأثنى عليه فيما أخذ عنه وقد وقفت له على رسالة منه الى المترجم • فيها أبيات أثبتها في ترجمة ابن مسعود • ومنها عرفنا أنه قد يعير من كتبه لامثال ابن مسعود من الاباعد • وان كان يحرم منها بعض الاقارب • خوف أن يتلو (هذه بضاعتنا ردت الينا) حين لم تقسم الكتب في التركة •

أما ءاثاره فلم أقف منها الا على هذه الرسالة كتبها الى الاستاذ ابــن العربي الادوزي

(الفقيه الذي له الرسوخ في كل علم والذي اليه المحاكمة ان قال كل واحد من المختلفين بفهم : أبو عبد الله سيدي محمد بن العربي الادوزي البركة التامة على العلماء والصالحين • السلام على الحضرة ورحمة الله وبركته

وبعد فقد توصلت برسالة سيدي الاجل • فأعجبني في تلك الفتوى كل ما عقد قلم الفقيه أو حل • ولم يسعني الا أن كتبت عليها الموافقة حــين رأيت الحق صراحا •ووجه المسألة بيناء ولولا فكر سيدي لما انحلت عقدتها• ولما وشيت حلتها • والحمد لله • وليدع لي سيدي بالخاتمة الحسنى• وان أتلقى كتابي باليمنى • وسيدي محمد بن الحسين الشريف يسلم عــلى سيــدي • وقد أكد علي في ذلك والسلام •

الضعيف أحمد بن ابرهيم وفقه الله

نعم انني سأزور (ايكرار) في هــذه الايام فــان كــان هنــاك غرض فلتعلمني به انتهى •

من آثــاره

ثم وقفت بعد ما كتبت ما تقدم على مجموعة جمعت باذن من الملك مولاي الحسن بن محمد بن عبد الرحمن تتضمن كل ما قيل في أمداحه • وهو لايزال خليفة أبيه وولي عهده • فيها قصائد سوسية متعددة• من بينها قافيتان لهذا السيد المترجم والنسق ذلك وان كان لايمت الى الشعر الا بالعروض والقافية • ومن لايقدر أن ينظر ذلــك نظرة المــؤرخ الى أمثاله • فليتجاوز

قراءته • وله المنة فهذا للمؤرخين لا للادباء • وذلك قطعتان أولاهما

فأحمد مشتاق اليك فهل الى لقاء سبيل ايهـا البدر اذ جلا ؟
فأنت فريد الدهر مثلك لا يرى بذا الغرب في نفع الغريب ان أرملا
وغيث يجود بالمعالى فليس ذا غريبا فمن يكون بالله قد علا
تود السماء أن ترى من نجومها فتخدمك النجوم بالعز والعـلا
(ألم تر أن الله أعطاك سورة أرى كل ملك دونها قـد تزلزلا)
(فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبق ضوء تمثلا)(١)
فدع ذا وعد للقول فى الملك الذى يسمى بوصف الحسن بالله فضلا
فخير البداة والحواضر كلهـا بذا الوقت والغريب نحوك هرولا
ولوكنت من شيء سوى بشر ترى تجود بأنوار الغزالة للمـلا

وله أيضا فى مدح مولانا الخليفة ابن أمير المومنين المنصور بالله تعـلى المؤيد بالفتح والتمكين (٢)

أيا من سما قدرا على البدر والسها وأضوا من الشمس المنيرة بالبهـا
وأعلى من القَيْلِ العظيـم مقامـه فغابطه حيران عنـد أولى النهـا
وأذعن كـل النـاس طرا لجيشه وتعنو الوحوش فى المفـازة والمها
تراه لاهل الغرب روح النفوس لا يشابه فى خلق وفى العقل والدها
طربت له لـو أن نفسى ملكتهـا بذلت ولا أصغى لغير أذانهـا
أراه وان كان الاخير زمانـه فريد الزمان بالعطايا وباللهـا
والارغاس والخيرات والبركات قد تضم بغرب اذ دعوت أميرها
وتسمو بـوصف الحسن قـد بدا كمال به كالبدر ان تم بانتها
ولكنه لاينقص الدهر حسنه فليس كبدر فى المحاق اذا انتهى
وانى متى أثنيت مدحى قاصر عن ادراك ما تحوى محاسن نلتها

انتهـى •

والكتب التى ذكر الايكراري أنها تمزقت بيد المترجم وبعده كانت فيها كتب نفيسة تذكر • ولعل بعضها يبقى فى (ايليغ) ان كانت خزانـة (ايليغ) لاتزال مصونة •

(نعم زرت بعد ما كتبت ما تقدم هذه الخزانة فـى رحلتى (الثانيـة)

---

١) البيتان ينظران الى بيتى قول النابغة الذبيانى

ألم تر أن الله أعطاك سورة أرى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

٢) هذه عبارة مجموعة أمداح مولاى الحسن ولى العهد اذ ذاك •

فسطرت بعض غرائبها • وهى فى (خلال جزولة)

ثم ان المترجم أخذ كاخوته عن والده وعن سيدى ابرهيم الكادورتى• وربما أخذوا أيضا عن أحمد أوجمل • وولادته قبل ١٢٦٠ هـ

العشرون ـ محمد بن علي بن أحمد بن إبرهيم

حفيد العلامة أحمد بن ابرهيم دفين (تازروالت) المتقدم مما أفادناه أيضا الاستاذ ابن عثمان • وقال انه أخذ عن المؤرخ الايكرارى • واستتم فى (الحمراء) فكان عالما حسنا نوازليا نحويا مشاركا شارط فى مدرسة (أيت علي) بـ (بعمرانة) وسكن هناك • وهو جواد مضياف • اشتهر بذلك وفيه كل الاوصاف الحسنة • متدين خاشع • محبوب من الناس • فيثنى عليه بكل لسان • ولايزال فى تلك المدرسة الآن ١٣٦١ هـ وعمره يناهز اليوم خمسين • وهو يميل الى الادب • ويقرض الاشعار • الا أنه لايستحضر الحاكى من مقولاته شيئا وقد كان اتجر حينا ثم أشكى المدارس التى كانت تشكو فقدان أمثاله فمال اليها •

(ثم علمت انه توفى سنة ١٣٧٣ هـ نحو شهر رمضان بعد أن أصيب بمرض كالفالج • فصار أبكم نحو سنة)

الحادي والعشرون عبد الرحمن بن ابرهيم بن محمد بن عبد الرحمن

الابن الثانى لابن سالم • قال فيه الايكرارى (ومنهم الفقيه الحيسوبى الحيال الصبور • النوازلى أبو زيد سيدى عبد الرحمن بن ابرهيم • قرأ عند أبيه وعند سيدى ابرهيم أوكدرت ثم انتقل الى (مراكش) أعواما • فرجع فتزوج عمتى خديجة عام (١٢٧٩ هـ) فعمر أوقاته بالاذكار والحزب • لايبطله أبدا • وهو ناصرى الطريقة • وكذلك أخوه المذكور سيدى أحمد • وقد فاضت عليه الدنيا • خدم مولاه فأخدمه عبيده يباشر النوازل فى (الساحل) و (أيت برايبم) لاتجده الا عند هذا أو ذاك أو ذلك فيتجاذبه المتخاصمون • وكان عارفا بكيدهم ويعامل كلا بما اقتضته سيرته •

فمن رام تقويمى فانى مقوم ومن رام تعويجى فانى معوج

(نادرة) أتى رجل من العامة لهذا السيد • فقال له هل للرجل فى خاصة نفسه أن يعمل بما أخذه عن عالم فقال له نعم كل ما أخذته عن عالم فاعمل به • من أقتدى بعالم لم يذنب • فقال لله يا سيدى أخذت عنك الكذب غير ما مرة • فوالله لاأفارق الكذب أبدا ما دمت حيا فأنت

شيخي فيه • ان دخلت الجنة دخلتها وان دخلت النار دخلتها • انتهى كذا روينا الحكاية عن الثقة • توفي رحمه الله ١٩ ذى الحجة عام ١٣١٥ هـ وترك ولدين نجيبين)

أقول ذكر لي ولده سيدى الحسن أن والده ولد نحو ١٢٤٢ هـ وأخذ القرءان عند سيدى أحمد بن ابرهيم الامام ـ كما عرف به ـ وكان اماما لسيدى ابرهيم • شارطه ليصلي به • فيتعلم عليه أولاده • وكان خيرا • وعنه اخذ جميع أولاد سيدى ابرهيم • وتوفي قبل ١٢٨٠هـ • ثم أخذ عن أوجمل وعن أبيه وعن الكادورتي وأحمد أضارضور • وفي (الحمراء) عن أجيمي الكبير وهو محمد بن أحمد التيبيوتي الجالي عن مسقط رأسه بسوس الى (مراكش) وقد دعا له بأن لايزال يجول في النوازل كما اخذ هناك عن الطيب بن محمد الساموكني وكان عبد الرحمن علامة محصلا فرضيا حيسوبيا شارط أولا في (مرغت) سنة • ثم انتشب في النوازل مع اضارضور • وأحمد بن ابرهيم • وذلك ديدنه عمره • وقد رأى في المنام من تلا عليه (ياداود انا جعلناك خليفة في الارض) وقد عزى فيه ابن مسعود ولده سيدى محمدا بقولـــه :

رباب الرضا استهل منك بمدرار	على جدث للعلم ضم بـ (ايكرار)
ضريح أبى زيـد ابن عالـم عصره	أبـى سالـم أكرم بعنصر أبرار
ضريح مروءة وفضل وسؤدد	وخلق يغار منه نافح أعطـــار
يهون وجد الواجدين عليـه بـل	يهنئكم من نجله خلف أخيـار
محمد الارضى النجيب محقـق	ذكي أصيل البحث كشاف أغوار
ولازال وفار الفضائل كامل السـ	ـعادة ملحوظا بتنقيح أفكـــار
بديع زكي الدين تاج كمالـــه	يحلى بانصاف وتحقيق أنظار
أعزيـك لا لغـير حق مـؤكـد	ولا سيما امتثال مأثور آثـار
فانك انت راسخ الدين في غنـى	بجدك عن تذكير مثلي واذكارى
فان حالت الاقدار عن أن أزوركم	فودك يغني عن تكلف أعـذار
بقيت صميم الدين عن كل بدعة	محوطا بفضل الله من شر أغيـــار
وازكـى سلام طيـب متضرع	عليك كما نم النسيم بـأزهـار

ثم انه كان تولى قضاء (اكلو) وما اليه • بظهير حسني • كما كان لـه تحرير عزيزى بالتوقير والاحترام وقد كان صاحب الاستاذ محمد بـــن العربي الادوزى حين سافر الى (الحمراء) اثر وفاة المولى الحسن وقبره في قبة سيدي عبد الرحمن ازاء قبر سيدى أحمد أضارضور •

الثاني والعشرون ـ محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم ابن المذكور قبله

الثالث والعشرون ـ الحسن بن عبد الرحمن بن ابرهيم ابنه ايضا

هذان سنفردهما بترجمة مستقلة لكونهما ممن دخل في شرطنا ـ لانهما من أتباع الشيخ الالغي ٠

الرابع والعشرون ـ عبد الله بن ابرهيم الابن الثالث لابي سالم

قال فيه الايكراري (ومنهم سيدى عبد الله بن ابرهيم له حظ في العلم لزم دار أبيه لزوم الظل للجرم لايكتب لاحد ولا على أحد الا الحروز ٠ ففي يده شفاء ٠ وهو ذو بركة ونقيبة ٠ شغله الاجباح في الدوار ٠ لايعرف طريق سوق ولا موسم ٠ حتى فارق الدنيا قبل ١٢٩٤ هـ)

الخامس والعشرون ـ محمد بن عبد الله بن ابرهيم

ابن المذكور قبله ذكره الايكراري بنجابة وقال انه مقتول بيد الاعراب حين نهبوا (ايكرار) في رمضان ١٣٣٢ هـ) وذكر غيره أن ذلك في نحو ٢٨ رمضان وكان من أصحاب الشيخ الالغي ٠ وكان ذا تؤدة في كل أموره ٠ قدمه أهل قريته مقدما ٠ وأخبرت انه لم يأخذ من العلم الا قليلا ٠ مع سمعته الحسنة بين أهله الى الآن ثم اخبرني سيدى محمد بن عثمان أنه قرأ كثيرا من محررات يده في التوثيق ٠ وعبارته مستقيمة وتوثيقه جيد٠ وخطه مقبول٠ وقد تهذب بالتصوف الالغي حتى صار ابريزا

السادس والعشرون ـ الحسن بن ابرهيم الايكراري

قرأ على علامة زمانه سيدى أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أضارضور ثم سافر لـ (مراكش) فتمم فيه ما تعلق به غرضه ٠ فرجع فشارط في مدرسة (رسموكة) ثم استقر في الدار معطلا أعزب الى عام ١٣٠٤ هـ فتزوج زوجة أخيه المرحوم سيدى عبد الله ٠ فلم يلبث أن مات في العام ٠ ولم يعقب لاولدا ولا ثناء حسنا انتهى ماقاله فيه المؤرخ الايكراري ٠ ومدرسة (رسموكة) هي مدرسة (دودرار)

هؤلاء الاربعة هم العلماء من أبناء أبى سالم ٠ وهناك اخوهم محمد مقدم الزاوية توفي ١٣٠٩ هـ ٠

أخو أبي سالم المتقدم قال فيه الايكراري (ومنهم سيدي َمحمد ابن محمد بن عبد الرحمن. كان رحمه الله فقيها حليما صبورا حيالا هينا لينا قرأ في مدرسة (سيدي يعقوب) ـ بايلالن ـ تركه أبوه يتيما فنشأ عند سيدي ابرهيم بن علي وترك متروك أبيه عند عمه سيدي محمد بن عبد الرحمن . فلما قضى نهمته تزوج بنت عمه . سيدي محمد ابن عبد الرحمن . جدتنا فطمة في أواخر شوال عام ١٢٣٩ هـ وكانت من النساء الصالحات العابدات توفيت قرب التسعين أو بعدها أو قبل تمام القرن بعد وفاة جدنا هذا في أواخر١٢٧٩هـ فلما أراد الرجوع لبلده . قال لشيخه اردت ياسيدي أن تعلمني وفقا أتعيش به وكان شيخه ذلك عارفا بالاوفاق فقال ائتني بـ (الدردير) (١) فلما أتاه به فتحه.وقال له أضرب الكد في هذه الحمراء ليخدمك الانس وأما الجن فلا ربح معه وكان زوارا للصالحين . وهو صاحب القصة مع سيدي أحمد بن داود المتقدم الذكر الذي سلبه النيمكيدشتي ومن لينه أنه لايخاطب عبده بلخير. الا بـ : (يا َددّا) بلخير . وكان هذا عبدا صالحا تقيا نقيا أدى حق سيده الاعلى والادنى فحصل له الاجر مرتين. فقد أعتقه وتأخر موته الى قرب ١٢٩٥ هـ ويمازحه كثيرا بقوله : أنت حر في الليل . عبد في النهار .

ومن حيله أنه نزل في (السهب) في (الساحل) ليقسم مالا فأباه واحد من الورثة . فقال لهم والله لارضاه حتى يجوز بو ازرركن ـ حلف معروف عندهم ـ فقال له سيدي َمحمد بررت في يمينك . وأنا بو ازرركن أي ذو الوان مختلفة وقد كان هناك حنَنَيْبيل مخطط ، فأذعن الرجل فقسم لهم . وكان يقول للطالب سيدي أحمد بوعلال ، وكان صفيه ان كد الحلال لا يقدر الا على نعل واحدة ، تلبسها رجلا ثم تعقبها الاخرى متى حفيت .

ومن نظره للمآل أنه جلس معه يوما بفم المسجد يتحدثان فقال له اني لا ءامن على نفسي العام ؛ تدبرت . فوجدتني متهنئا من الكلف حرثا وحصادا واداما وصوفا ، كل ذلك موجود . ووجد من يناوله وأنا أفرغ القلب من هم الدنيا فقد اجتمعت أسبابها أولادا وعبيدا وبهائم وبورا وساقية . والدنيا لا يمكن أن تترك أحدا صافي الذهن . ولعل الاجل قريب فلم يمض الا شهر فمرض فمات

ولذي اللب في الامور ارتياء

١)شرح على مختصر خليل. نبهنا عليه لان بعض ابناء اليوم يجهلون ذلك

ثم ذكر حكاية عائلية محضة

أقول انني وقفت بين فتاو للحسن بن الطيفور الساموكني على كلام يرد به على هذا الاستاذ ، ووصفه بقوله المرابط الخير القمر النير • وذلك في أثناء فتوى أجاب بها الاستاذ سيدي محمد بن ابرهيم الساموكني• فوقع المترجم تحته ما أجاب به العلامة أعلاه صحيح ، ومكاوحه شحافاه (١) ان البغاة بأرضنا يستنسر• قيده محمد بن محمد التوماناري ـ والايكراريون لا يزالون يحافظون احيانا على النسبة الاصلية لقرى (تازروالت) ـ فكتب ابن الطيفور على هذا الكلام الذي لا يفهم بعد ما أجاب ابن ابرهيم بما يفسر قولهم (ان البغاث بأرضنا يستنسر) • ومقصودنا نحن بذكر مثل هذه المرادة أن نعلم أن المترجم يدخل نفسه في تلك الحلبة المتعاركة في تلك الجهة اذ ذاك • كابن الطيفور • وابن ابرهيم الساموكني وأبي سالم واضارضور الايكراريين • وأحمد بن ابرهيم السملالي الساحلي ومحمد بن يدير• وما منهم الا فحل لا يقذع أنفه فدل ذلك على ما لسيدي محمد من الظهور بينهم • وشيخه الذي أخذ عنه في المدرسة اليعقوبية ، هو الاستاذ سيدي علي بن سعيد • وقد ذكر مع أهله في (القسم الرابع) في ترجمة سيدي الحاج عبد الحميد •

وأما أحمد بن داود التملي المذكور ، فقد تقدم أيضا في ترجمة سيدي عبد الرحمن الجشتمي وهو الذي ألف بسببه الجشتمي مؤلفا ضد أبي العباس التيمكيدشتي والجميع في (الجزء السادس) وولادة المترجم كانت قبل ١٢١٤ هـ •

الثامن والعشرون : محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن عبد الرحمن

ولد المذكور قبله • قال فيه الايكراري ومن أولاده الفقيه النزيه الرباني ، الصفي الابي سيدي محمد بن محمد • قرأ بـ (تيمكيدشت) وكان لا يستقر بمكان • سكن في (عوينة بني بلال) ثم في (حاحة) بمدرسة يقال لها (ايفرض أوطاها) ثم في (الصويرة) ، وفيها مات ١٣٢١ هـ »•

أقول انني قد وقفت له على رسالة كتبها الى فقيه حاحة اذ ذاك وصالحها سيدي محمد الامغاري نصها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

(••••• على الفقيه البركة الحامل لواء الشريعة والحقيقة • وامام

---

١) كـــذا

التيجانية المشهورة الطريقة أبى عبد الله سيدى محمد نيت أومغار • أفضل السلام وأطيب التحية والبركة • ما دار الفلك ودامت له حركة وعلى من الى سيدى • لا أخص منهم أحدا • ولا أحصى منهم عددا •

وبعد : فقد وصلتنى رسالة سيدى الفقيه الاجل المرتضى • فتلقيتها بعين الرضا • وتحتوى على نثر بديع • وشعر مليح • وخطاب كأنه المن والسلوى • فقضيت العجب من فصاحة قلمكم • وبلاغة عباراتكم • ولو كان لى فى الشعر ملكة • لاجبت سيدى بمثل ما خاطبنى به • ولكننى قصير عن مطاولة النجم • وأما ما طلبه منى سيدى فعلى الرأس والعين فاننى سأرد على مقام سيدى بعد العيد ان شاء الله • وأما الكتاب المستعار منكم • فها هو بيد الحامل مع ما تيسر من هدية • المطلوب من كرم سيدى أن يتقبلها على قلتها • واسلم على الاولاد النجباء والسلام • محمد بن محمد بن محمد الايكرارى السوسى) •

كنت ظفرت بهذا الاثر • ولكننى لم أكن أعرف كاتبه حتى قرأت ترجمة هذا فى (الروضة) وفيها أنه كان فى (حاحة) فعلمت أنه هو صاحبها ثم وقفت على ظهير حسنى فى توقيره يوجد عند أهله • ولم ننقله حين أمكن لنا ذلك • وكم عندهم من ظهائر فرطنا فى نقلها للتاريخ •

التاسع والعشرون : الهاشم بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

تقدم والده محمد بن محمد بن عبد الرحمن • وانما تأخر ولم يكن ازاء والده لاننا لم نقف عليه حتى كتبنا كل ماتقدم •

مشيخته

لم نستحضر عمن أخذ القرءان وأما العلم فالاتيان

١) الاستاذ الايكرارى المؤرخ • فبه ترقى فى البدايات حتى شدا وظهرت نجابته • ثم قدر عليه أن فتك بطالب فى المدرسة • فخرج منها خائفا يترقب • فطلق كل (سوس) خوفا على فخارته أن تتحطم ــ كما يقول الشاعر •

ب ــ الحسن بن محمد نيت بيهي التلستي

ألقى عنده عصاه فى مدرسة (تالمست) بقبيلة (متوكة) فصار يستتم عنده حتى اكتفى ثم صدر من مدرسة مجازا بما نصه

(اما بعد فقد طلب منى الاخ فى الله تعلى سيدى الهاشمى بن محمد من أولاد سيدى عبد الرحمن الايكرارى بـ(سوس) الاقصى أن أجيزه فيما سمعه عنا من العلوم المروية عن الاشياخ رضى الله عنهم • فأجزته مستعينا بالله • تنشيطا لهمته • اجازة مطلقة فى جميع تلك العلوم المتداولة بين الاقران فقها ونحوا وحديثا وتفسيرا • وأصولا • وفروعا وبيانا ومنطقا وعروضا وتنجيما وحسابا وفرائض بشرطه المعتبر عند أهل هذا الشأن من تقوى الله العظيم • وقول لاأدرى فيما لايدرى • واوصيه بلزوم السنة • والارشاد والصبر• والنصح لكل مسلم• وبالمحافظة على الصلوات• وبوعظ الاخوان وتنبيههم • وتذكيرهم برفق ولين • وأدب وتواضع وخدمة لربه وفى الحديث الشريف الخلق عيال الله وأحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله • سدده الله ووفقه وثبته • وأصلح بالاخلاص لوجه الله أعمالنا وأعماله • آمين فى فاتح ربيع الثانى عام ١٣٢٧ هـ • الحسين بن محمد التالمستى النفيفى)

انتهت الاجازة من هذا الاستاذ الجليل الذى سياتى ان شاء الله فى (القسم الخامس)

نتف من اخبارلا

أخبرنى الفقيه سيدى الحسن بن عبد الرحمن موقت الجامع الكبير بـ (البيضاء) أن المترجم كان شارط حينا فى مدرسة بـ (رأس الوادى) لأن مقدم الزاوية التامكروتية سيدى عبد السلام الناصرى أرسل الى سيدى الحسين يتطلب منه استاذا لتلك (المدرسة) فأرسله اليه ثم اتصل بعد بمجلس ذلك الناصرى • فلازمه ما شاء الله• ومما وقع له يوما فى مجلسه أنه جرى ذكر (هر) المعلوم بلفظ الشلحة • فقيل ما يسمى بالعربية • فبادر المترجم قائلا انه (الدغدغة) بعينها وذلك مما يدل على أنه مطلع على اللغة • ثم انه تولى خطة العدالة فى محكمة القاضى الحاج العربى الرحمانى • قاضى (رحمانة) فسكن (الحمراء) وقد كان فيها ١٣٣٠ هـ حين أحتلها الامير أبو العباس الهيبة وهو الذى وقف للاستاذين الايكرارى وأوعابو حتى تخلصا من نكبة (مراكش) يومذاك

ثم ان مرضا خفيفا اعتراه • فالتحق به بالملأ الاعلى نحو ١٣٤١ هـ هكذا ألقى الى الفقيه سيدى الحسن بن عبد الرحمن ما يعرفه عنه بعد ما كنت لم أقف الا على الاجازة المتقدمة حوله فقط • وقد وصفه بأنه فقيه أديب طل الحديث • ممتع المجالسة • رحمه الله •

أخو المذكورين قبله • وهو المؤرخ الايكراري الذى يتردد ذكره كثيرا في مسمع القارىء في هذا الكتاب •

المؤرخ سيدى محمد بن احمد من آكابر علماء هذا العصر في (آزغار) ومن أماثل المتولين للافتاء والقبول والرد في المباحثات العلمية على اختلافها• فقد طال به العمر حتى نال صيتا كبيرا • وحتى تأتى له أن يكتب في غالب معاصريه الذين درجوا بين يديه • فكان يعلن بلا مجمجة كل ما يعرفه عنهم من غير مواربة ولا تورية • ولا تطلب معذرة • سالكا في ذلك مسلك عدد من المؤرخين يرون أن ذلك من تمام النصيحة • وان المؤرخ ان خلا كلامه من ذلك فانما هو قلب للحقائق ونسج لاثواب الزور • وذلك من أول يوم ديدن المحدثين • حتى سموا ذلك علم التعديل والتجريح لايكبرون أن يعلنوا ما يعرفونه في مقام اى انسان • كلما ءانسوا منه خطرة غير محمودة تحقيقا أو ظنا • خدمة للحديث وذبا عن منهل الشريعة • لئلا يرتقيه من يألف أن يكرع في غير الماء الصافي ثم بعد ان تميزت الاحاديث • ولم يبق مما كان حافزا للمحدثين باق• اختار غالب المؤرخين محدثين وغيرهم ان يتمشوا في جلوة الهنات بمقدار • وأن يستروا العورات غالبا الا فيموقفيضطرون فيه الى مخالفة ذلك ان اقتضاه داع خاص • فلم يزل ذلك يكثف حتى نسي الانتقاد في التاريخ فصار كله - الا تحلة المقسم - شهادة حسنة لكل من جرى ذكره في كتب التاريخ • وان كان في مسلاخ مسيلمة والحجاج وسجاح • وعلى هذه الوثيرة كتب غالب تواريخ الاسلام من القرن الخامس الى الآن• ولكن يوجد فينة بعد فينة من يهتكون هذا السجف • فيرجع الى ديدن المؤرخين الاولين • فيكتب كتابة نزيهة تكون كالمصورة • لاتكاد تغادر حسنا أو قبيحا • حتى أفرط بعضهم • فصار مولعا بالعيوب وحدها • حتى انه ليتطلبها بالمنقاش • ولعل ما ذكروه عن الذهبي والعسقلاني والسخاوى والزياني كان بعضه من هذا الافراط ولذلك تصدى مثل ابن السبكي والسيوطي والكنسوسي وأمثالهم للرد على معاصريهم ممن يسلكون هذا المسلك الذى فيه كثير من الشطط ان لم يصاحبه أدب التعبير

والمؤرخ صاحبنا ممن سلك في كتابه (روضة الافنان في تاريخ الاعيان) مسلك المحدثين • وربما وقع منه بعض افراط لانه لم يكن يعذر بعضالناس أو كان يجهلهم فيقول ما يسنح له ظنا أو وهما • ولكنه مع ذلك كله لايقدر أحد الا ان يعلن أنه لايقصد الا ما يقصده المحدثون • وكثيرا ما يصرح بذلك

في كتابه المذكور . فان كان يوجه اليه لوم . فيكفيه أنه في صف العسقلاني والسخاوي والذهبي والزياني (وحسن اولئك رفيقا) .

المؤرخ الايكراري جريء ورب الكعبة مصرح غاية الصراحة بكل ما يعرفه كيفما هو فان دل ذلك على شيء فانه يدل على شجاعة أدبية يحرمها كثيرون من المؤرخين . فيكون كتابهم كله قطعة واحدة من الاحترامات الزائدة التي تضيع معها الحقائق . وهذه الشجاعة وحدها كافية في تكوين مجد مؤثل لمؤرخنا . ثم لايدل ذلك على أنه مصيب في كل ما قال غاية الاصابة ولا على أنه مخطيء في الكل غاية الخطا . فكل كلام فيه مقبول ومردود . الا كلام الله . وكلام رسوله .

المؤرخ الايكراري فتح بكتابه حول معاصريه بابا جديدا الى الحركة حول احياء تاريخ (سوس) ثم انه في كتابته غير جامد . لانه يتعالى بكل مناسبة الى النكت الادبية وكيف يتسرب الجمود الى من خالطت بشاشة الادب وفكاهته خلده . ثم انه بذلك قلب الطريقة السوسية التي جرى عليها من قبله من مؤرخي رجال (سوس) رأسا على عقب. حين اعتنى بنواح لم يكن من قبله يعتني بها . كالادبيات وادراج كل ما سنح من مثل أو بيت نادر . أو حكاية تشرح الصدر. وكالاعتناء بالرؤساء. على حين أن سلفه من مؤرخي (سوس) لايكتبون الا كتابة جافة صوفية بحتة لاتحس منها لحياة ادبية ركزا ولا تلمس منها لمتعة قلبية أثرا . وهم معذورون لانهم ليسوا في مثل محيط الاستاذ الايكراري . وهل يتمشى الانسان الا بسير بيئته ؟

فليعلم التاريخ هذه الحقائق عن مؤرخنا الايكراري فهي واقعة بلا ريب . لايجحدها الا أعمى البصيرة . أكمه القلب. ممن يعسفون والجو مصحح مشرق الشمس . ثم لايدل اعلاننا هذا على اننا نتلقى كل صنيعه بكلتا اليدين فاننا لسنا هناك. بل نقبل ونرد. ونعرف وننكر . وانما ساءنا ان يقابل هذا الصنيع بعدم الانصاف . فأردنا أن نعلن ما عندنا (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من يحيى عن بينة) وقد اتفق لي أن اختصرت كتابه لعدم من ينسخه لي اذذاك (١) فحاولت جهدي تلطيف العبارة في تراجم العلماء على الاقل وأما في تراجم الرؤساء فانهم معلنون للظلم . راضون بوصفه فلا حرج ان بقيت عنهم حقائق بارزة في تراجمهم . كما هي . ليرتدع بذلك آخرون وليعتبروا . وهل يكتب التاريخ الا للاعتبار ؟

عائلته الخاصة

كان والده أحمد بن محمد غير عالم ، بعد ما كان ارتحل الى الاستاذ

---

١) وقد سميته (طاقة ريحان من روضة الافنان)

سيدى احمد أوجمل فى المدرسة (العمرية) الهشتوكية ولكن لم يكتب له شيء من العلوم ، وانما كان له حفظ القرءان • ثم كانت له جولات بين أحبابه يصلونه فيها بما تيسر ، ولم يقدر له أن يرث من تراث أهله وآبائه • فكان يسمى (الرفاك) ولكنه وان حرم ذلك ، فلم يحرم مصاحبة العلماء فقد كانت له صحبة تامة بالاستاذ الشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى ، ولذلك اعتنى هذا الافرانى بالتعزية فى أحمد حين توفى وفى ترجمة الافرانى فى (الجزء الرابع) ما دار بينهما من نظم على حرف النون ، ثم ان أحمد وان لم يرزق هو فى نفسه حظا من المعارف ، فقد أخرج الله من ضئضئه علما جما وكفى بذلك فخرا ونعمة وافية •

نعم الاله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الاولاد

فقد رزق المترجم والمدنى وأبا بكر واسماعيل ، ثم بعض أولادهم • والكل علماء مشاهير • ولا يزال ذلك متناميا الى الآن • وقد توفى فى ذى القعدة ١٣٢٦ وولد ١٢٤٣ هـ • وقد كان من المقلين • وبين يدى هذا الوالد الذى حرم حظه بين أهله من تراث آبائه نشأ المترجم واخوته ولا ريب أن كل من يقدر قدر العلم ثم يحرمه • فانه سيحرص كل الحرص على أن يرى فى أولاده ما لم يره فى نفسه • وهذا سر انكشاف الستر من هذه الدار عن علماء عدة • وهيهات أن يميل بكل أولاده الى القراءة الا من زهد فى مزاولتهم لشؤون داره • وكفى بذلك عزوف همة وسمو نبل وكثير من الناس يقولون فى أولاده فلان (الرفاكى) ولكن رأيت أهله يكرهون تلك النسبة ويحبون أن يقال فلان الايكراري• فنزلنا عند ذوقهم• فاستبدل الرفاكى بالايكرارى فى كل ما كنت كتبته قبل • وفى كل ما أمكن لى • الا أن اتفق فى قافية • فحينئذ لا يمكن لى استبداله •

منشأ المؤلف

ذكر أن والده اقترن بوالدته كريمة الاستاذ أبى سالم المذكور فى صفر ١٢٧٨ هـ ثم كان أول مولود لهما قال وربما تكون ولادتى فى ءاخر (١٢٧٩ هـ) أو فى أول التى بعدها ثم انه بعد أن بلغ مبلغ المكتب انتظمت دراسته القرءانية • ثم العلمية بانتظام وقد تأهل للنجابة بما كتب له من المرتبة الشماء بالهمة القعماء •

أساتذته في القرآن

١) أحمد المجوطى الساحلى • الرجل الصوفى الكبير القدر • من اصحاب

الشيخ سيدى سعيد المعدرى • وقد كان ذا قدم راسخة فى المجاهدة• متأثرا بالشيخ المذكور • حتى اننى وقفت على بطاقة أرسلها الاستاذ ابن مسعود المعدرى الى الفقيه سيدى ابرهيم كزور المستوطن بـ (الساحل) يأمره فيها أن يجتمع بسيدى احمد هذا • فيقيد عنه من أخبار سيدى سعيد ومذاكراته وذلك حين كان يشتغل بجمع أخباره • كما مر ذلك فى (القسم الثالث) وما ذلك الا لعلم الاستاذ مكانة سيدى أحمد فى التثبت • وقد ذكره الايكرارى فوصفه بأنه طالب جليل تقى نقى   قال وهو الذى بدأ لى حروف الهجاء توفى ١١ ـ ٦ ـ ١٣٤٧ هـ وكان سيدى أحمد يشارط أحيانا • فمماشارط فيه مسجد (ايكرار) وهناك افتتح عليه المترجم • كما ذكره • وكان من الصوفية المخبتين الابرار • المتهجدين الصوامين الذين يمشون على الارض هونا • ثم عجز فى ءاخر عمره • فبقى فى داره يرد عليه اخوانه الفقراء حتى لحق بربه • وله ولد لايزال حيا ١٣٨٠ هـ له أحوال غير منضبطة • مع استحضار غريب •

واصل سيدى أحمد بن ابرهيم من قرية (تيرمسان) من (أدبحمان) بـ (بعقيلة) أخذ عن أحمد النجار ولازمه سبع سنين وعن أساتذة فى (جبالة) وقد أتقن القراءات السبع   عمر كثيرا • حتى استوفى ١١٣ سنة • وقد قال لى ولده : انه توفى ليلة ١٤ من جمادى الثانية • وهو مخالف لما عند الايكرارى

٢) المدنى البوكرفاوى البعمرانى   من شرفاء (بوكرفا) لم أعرف عنه كثيرا الا أنه كان شارط ما شاء الله فى قرية (ايكرار) فهناك أخذ عنه المترجم من حزب (عم) الى أن ختم عليه ثلاثا ، وهو أيضا استاذ سيدى الحاج ابرهيم التازاروالتى   وهو الذى استخلفه هنالك   ولا أدرى الآن فى أى وقت توفى سيدى المدنى هذا ، وهو شيخ كل أتراب مترجمنا وكان ذا همة •

٣) سيدى الحاج ابرهيم العروسى التازاروالتى • أخذ عنه المترجم قليلا كما كان يذكره سيدى الحاج ابرهيم مرارا • وكان المترجم يكرمه دائما من أجل ذلك • وان لم يجر له ذكرا فى ترجمته لنفسه حين كان يذكر اساتذته فى القرءان   وذلك كائن بلا ريب • وفى (القسم الرابع) ترجمة لسيدى الحاج ابرهيم   لانه من أكابر أصحاب الشيخ الالغى

٤) سيدى بلقاسم البوكرفاوى • ذكره المترجم • وقال انه اتصل به سنة ١٢٩٣ هـ بعد وفاة والدته اثر اسوداد الدنيا فى عينه   فاخذ عنه حرف قالون • فى المدرسة (الوكاكية) ثم اننى لا أعرف عن سيدى بلقاسم غير هذا • وهو وسيدى المدنى من شرفاء (بوكرفا)   المذكور بعضهم فى غير

هذا المكان من هذا الكتاب

٥) سيدى محمد الخنبوبى ـ والخنابيب من (المعدر) ـ قال المترجم اتممت عليه فى (تزنيت) من ءاخر ١٢٩٤ ه الى ١٢٩٥ ه ختمتين من حرف المكى • ولا أعرف الآن عن هذا الاستاذ شيئا (ثم علمت عنه أنه عالم) ومن القراء الكبار ولعله توفى قبل ١٣٠٠ ه ولهؤلاء الشرفاء الخنبوبيين مكان ءاخر فى هذا الكتاب ان شاء الله)•

هؤلاء الخمسة من نعرف أنهم أساتذة مترجمنا الجليل ومؤرخنا الصادع بما يعرف • والقوال للكلام الذى يراه حقا

أساتذته في المعارف

١) سيدى البشير التادارتى الوجانى من اليعقوبيين الادوزيين وقد تقدم فى (القسم الثانى) بين أهله ـ ذكر المترجم أنه التحق به سنة ١٢٩٥ ه والناس اذ ذاك مسنتون عجاف (١) فآواه الى سماط ممدود • وعلم منشور • فطرد عنه السغب • وفتح له باب المعارف • بافتتاح (الاجرومية) قال وأنا اذ ذاك مراهق وقد شاهدت امارات البلوغ أوائل ١٢٩٦ ه فبقى هناك سنتين• يتدرج فى (الرسالة) لابن أبى زيد • و (الالفية) فى هذه المرة ثم راجعه مرة أخرى فى مسغبة (١٢٩٩ ه) الى أواخر شوال ١٣٠١ ه

٢) سيدى مسعود المعدرى للعلامة الشهير المتقدم قال المترجم (التحقت بالمدرسة (البونعمانية) سنة ١٢٩٨ ه فأخذت هناك (الالفية) و(ابن عاشر) فاستبصرت • وقد ذكر فى محل ءاخر انه انتفع من هناك كثيرا وانه واظب أتم المواظبة على الانصبة • فلم يفته الا قليل جدا •

٣) سيدى محمد بن العربى الادوزى ـ قد مرت ترجمته الحافلة فى (القسم الثالث) ـ وذكر المترجم انه التحق به أواخر شوال ١٣٠١ ه فبقى هناك عامين •

٤) سيدى عبد العزيز الادوزى ـ وقد مرت أيضا ترجمته بين أهله (القسم الثالث) قال المترجم التحقت به أول محرم ١٣٠٤ ه وهو اذذاك فى مدرسة (دودرار) الرسموكية• فأقبلنا على الدراسة بالجد وكنا (٢٨) طالبا نتناوب على السرد والمطالعة على العادة الى أواخر ١٣٠٥ ه فانتقلنا مع

١) أسنت الناس أصابتهم السنة وعجاف ضعاف قال
عمرو الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

الاستاذ الى مدرسة (سيدى بعبدلى) فلازمناه هناك الى: ١٧ - ١١ - (١٣٠٧)

٥) ابرهيم بيرعمان الساحلى قال فى ترجمته تلميذه المترجم

ومنهم شيخنا أبو سالم سيدى ابرهيم أبو الجمال بـ (تيغانيمين) كان آية فى علم الحساب يقصده الطلبة من كل ناحية فى العواشر فيتواضع لهم ، وله حسن الخلق قرأ فى (أدوز) وفيه ملأ حقيبته • قرأت عليه (السلم) فى رمضان عام ١٣٠٣ هـ فى مسجد (لمست) توفى رحمه الله بعد ١٣٢٠ هـ

أقول لم استحضر الآن ما أزيده على ما قاله المؤرخ ، الا أن ابن مسعود كان ممن أخذ عن ابرهيم أيضا • وهو صنو سيدى عمر الايكفيبى فى اتقان الحساب •

٦) محمد بن ابرهيم الهرواشى البعمرانى ، الوكاكى• توجد ترجمته بين علماء أهله الوكاكين • قال المترجم حين ذكر ترجمته قرأت عليه فى الساحل عام ١٣٠١ هـ (الخزرجية) و (المقنع) فهو الذى فتح بصيرتى فيهما • وقرأت عليه الميراث ، فى (ايسك) •

هؤلاء الستة هم الذين ذكرهم المترجم أساتذة له وقد كان رحل سنة • اذ كان يأخذ من أبى فارس الادوزى الى (غيغاية) بالحوز قصد ان يأخذ عن الاستاذ سيدى محمد بن عمر الغيغايى علم (الهيأة) وذلك باذن من شيخه أبى فارس لانه لقى الغيغايى حين جاء مع مولاى الحسن فى احدى رحلتيه • فرأى منه علما جما فى (الهيأة) • فأرسل سبعة من تلاميذه قائلا لهم تعلموا ذلك • وعلموه لنا • ولكن الغيغايى اعتذر بانه مشتغل بالكلف المخزنية • فرجع المترجم مع أصحابه بخفى حنين • وقد كان سيدى المحفوظ الادوزى • وسيدى مبارك البعقيلى من السبعة •

إجازته من أساتذته

وقفنا من ذلك على ما أجازه به أستاذاه ابن العربى • وأبو فارس الادوزيان • ونص ذلك :

(حامله الاحب الاعز عندنا المرابط الفقيه سيدى محمد بن أحمد بن محمد التودادارى اصالة الايكرارى وطنا طلب منا الاجازة على عادة الاماثل أمثاله • فأجزناه بحسن طويته وخلوص طينته فى كل ما لنا معه مشاركة وما له مع غيرنا مذاكرة ومدارسة اجازة شاملة واذنا عاما • كما لنا من أشياخنا رحمهم الله تعلى ذلك • فلينشر ما طوته درايته • وجمعته

قراءته ودراسته لمن له رغبة في الدراية • قاصدا بذلك وجه الله • والقرب به اليه تعلى وذلك بعد التثبت فيما رأى والركون الى الله فيما درى • وان توقف أفصح بلا أدرى فانه جنة واقية • واستودعه الله الذى لاتضيع ودائعه • فالله يحفظه ونسأله ذكرى عند تمام دروسه بما نجد له بركة • اسبل الله علينا وعليه مدد رسول الله صلى الله عليه وسلم في السكون والحركة • والسلام •

في ربيع الاول سنة ١٣٠٨ هـ الضعيف محمد بن العربى بن ابرهيم الادوزى • لطف الله به ءامين)

الاخرى

ومع المجيز أعلاه في الاجازة المجاز له لفظا ومعنى • اجازة مطلقة في جميع ماقرأناه عن أشياخنا رحمهم الله ورضي عنهم• من المقروءات والمسموعات والمرويات • بشرطها المقرر • وقيدها المعتبر • وعليه بتقوى الله الذى هو ملاك الامر والدعاء لنا بخير الدارين • والسلامة من شرهما • وفقنا الله واياه على مايحبه ويرضاه وختم لنا بخير الدارين • والسلامة من شرهما • وفقنا الله واياه على مايحبه ويرضاه • وختم لنا وله بالحسنى وزيادة • انه على ما يشاء قدير • وبالاجابة جدير بأواخر ربيع النبوى عام ١٣٠٨ هـ

عبد العزيز بن محمد الادوزى جبر الله صدعه)

* * *

مشارطاته

١) مدرسة سيدى على بن سعيد (الاخصاصية) قال هي باكورة مشارطاتى فاجتهدت وأكببت على تحصيل ما لم أحصله في الاخذ •

٢) مدرسة (تالعينت) أولا في شعبان ١٣١٣ هـ

٣) مدرسة (سيدى على بن سعيد) ثانيا في منتصف شعبان ١٣٢٠هـ الى ١٥ صفر ١٣٢٦ هـ

٤) مدرسة (أيت رخا) قال فأكببت فيها علىالتدريس • وقد انتفعت منها ماديا بشيء كثير

٥) مدرسة (تالعينت) ثانيا (١٠) المحرم ١٣٣٢ هـ

٦) مدرسة (سيدى على بن سعيد) ثالثا في ١١ صفر ١٣٣٦ هـ

٧) مدرسة (تالعينت) ثالثا وهي ءاخر مشارطاته وقد ابطأ فيها

الى أن فارقها ١٣٥٦ هـ فلازم داره ٠

كان التدريس دائما ديدنه وما كان من الاساتذة الذين يميلون الى الطالة ٠ وهو وان لم يكن من المدرسين الكبار الذين واتاهم السعد كسيدى مسعود وسيدى محمد بن العربى وسيدى عبد العزيز الذين يحلق حولهم عشرات فعشرات من الطلبة فانه ظاهر الاثر عيانا فى الجماعاتالتى تأوى اليه ٠ والقصد هو الافادة لا الكثرة ٠ (وأم الصقر مقلات (١) نزور)

مقدار مداركه

للاستاذ الرفاكى باع طويل عريض من التضلع فى فنون أخذها أحسن أخذ وكان مشاركا بين الاصول والبيان والفقه والعربية والتاريخ والادب ٠ ولم تكن مشاركته في هذه الفنون على مساواة كما يظهر من ءاثاره فانه فقيه جيد مطلع محصل مستحضر يقبل ويرد٠ وقد أدته كثرة اعتنائه بالنصوص ٠ الى أن لايقبل فى كل مسألة الا النص الصريح ٠ ثم يقف معه ٠ ولا يتحلحل ٠ وان خالفه من عسى أن يخالفه ٠ وله فى ذلك مواقف كما أنه عربى جيد نحوى ماهر ثم أصولى ٠ وان كان لايروج كثيرا فى مسائل الفن لانه لم يجد من يعتنى مثله بالاصول بعدما نبذ غالب معاصريه السوسيين ذلك الفن ٠ ولذلك تراه فيتاريخه يندد كثيرا بمن يجهل ذلك الفن وأمثاله كعلم البيان والمنطق وما اليهما من العلوم الرقيقة (كما تسميهذه الفنون البيان والاصول والمنطق عند علماء (جزولة) واما الادب فان فيه الاريحية والانفعال للادبيات فترى عباراته وان كانت عبارات فقهية بحتة ٠ تلوح من ثناياها زهرات أدبية تدل على أن الرجل مكبر لهذا العلم ٠ محب لذويه يدرك أنه من زينة الرجال فى المحافل ونرى أن ذلك سرى اليه من أستاذه الاديب الكبير ابن العربى الادوزى ٠ ولكن صوغه الادبى نثرا وشعرا كان دون ذوقه ٠ كما تدل عليه ءاثاره الكثيرة ٠ وقد رأيناه يحب مطارحة الادباء من معاصريه كابن مسعود وشيخه الادوزى ٠ وابى فارس ٠ والشاعر ابى محمد الافرانى ٠ والطاهر والبشير الناصريين٠ والحبيب السكرادى ٠ وأبى الحسن الالغى ٠ وكان فى كل مناسبة ينظم اليهم وينثر فيجيبونه ٠ وقد ذكر أن بينه وبين سيدى الطاهر الناصرى ما يوازيستمائة بيت٠ويتراءى لنا أن نثره أعلى٠ وهو على نمط النثر السائد

---

١) أوله (بغاث الطير أكثرها فراخا) والقلت بفتح فسكون الهلاك ومقلات مفعال منه والتاء أصلية وليست الكلمة من القلى كما يظن وقد بقينا أزمانا على ذلك الغلط حتى أفادناه شيخنا البوزاكارنى

في القرون الوسطى فيميس في أسجاع متناسقة مفصلا بأبيات مختارة وبأمثال كثيرة تنتشر من ذاكرة الاستاذ الواسعة وقد تتفق له فصول من ذلك عالية النفس (حتى ان صاحبنا التطواني السلوى اعجب بترسله يوم رأى بعض كلامه) ولولوعه بالسجع تجده في كتابه (روضة الافنان) كثيرا ما يعتنق لغة ربيعة في المنصوب المنون كما أن هناك من أمثال ذلك ما لايخفى على لبيب وفي كتابه المذكور رغم كل ذلك قطع أدبية ممتعة ومن يعرف بيئة الاستاذ التي نشأ منها فانه يعذره كل المعذرة في كل ما يتراءى من هناك ٠ثم يوالى الشكر الجزيل عليه لاعتنائه بالادبيات وهناك نوع من الاشعار أولع بها الاستاذ تأثر فيها بطريقة الاديب أحمد بن محمد ابن عبد السميع التاغاتيني صاحب القصيدة المشهورة المزوجة بين العربية والشلحية ٠ وكثيرا ما يقصد الاستاذ بذلك النوع الاحماض وارسال النكتة٠ كما هو ديدن كبار الادباء الاريحيين قديما وحديثا كما له ولوع أيضا بالارجاز التي يلقيها على عواهنها من غير التنقيح الذى ينبغي من أمثاله ٠

ثم ان للاستاذ باعا حسنا في الاطلاع على التاريخ الاسلامي والسوسى (خاصة) ومجمل الكلام على مدارك الاستاذ أنه فقيه مفت وهذا الوصف أبرز أوصافه ٠ وقد اتقن النوازل ومارسها أزيد من خمسين سنة ٠ تدريسا وافتاء وقضاء ثم له وراء هذا الوصف الاخذ برسنه ٠ مشاركة في الفنون المتداولة في سوس وللعربية مكانة سامية في مداركه

على أن هناك وصفا اخر كبيرا امتزج بحياة الاستاذ العلمية ٠ وهو اتقان علم (الهيأة) فانه وافرادا في أسرته الايكرارية اتقنوا ذلك الفن ودأبوا على دراسة علم الربع المجيب ٠ والاسطرلاب وما اليهما وهم من دون كل السوسيين أزمنا أصحاب هذا الفن الرافعون لرايته٠ لايشاركهم فيه غيرهم الى الآن ١٣٥٨ هـ الا ان كان اليوم من أخذه أخذا جديدا ٠ من القرويين بعد النظام حين اعتنى هناك بهذا الفن ٠ فربما يوجد من بين النشء من يجاريهم في الميدان كالاستاذ في (تزنيت) سيدى أحمد أوعامو الذى توسع في هذا الفن على يد العلامة الفلكي سيدى محمد العلمي ٠ (ثم جاء الاستاذ سيدى محمد بن الباز أخيرا الذى أخذه عن العلامة سيدى محمد ابن عبد الرزاق المراكشي)

ثم ان هناك وراء هذه المدارك السامية التي فاز بها الاستاذ الرفاكي خلقه العلمي وهو تعاليه دائما الى الرتبة الشماء في محيطه مما يدير حوله هالة واسعة ٠ لانه دائما ينتقد فيقبل ويرد ٠ ولا يكبر أحدا أيا كان عن ان يكون موضع قبوله ورده ولاريب ان هذا ملاك عظمة الانسان العلمية في مثل البيئة التي كان يعيش فيها ٠ وكثير من الناس بله لايقدرون

الانسان العالم الا بقدر ما يتراءى به من بين أقرانه • وما يعلنه عن نفسه وقد أوتى الاستاذ من هذا حظا وافرا عن جدارة • فكان عالما كبيرا في أعين لم تكن تعرفه الا بذلك وأما المدركون للحقائق فانه يقدرونه قدره الحقيقى الذى كان فوق ذلك المقام

ومما يتعلق بأخلاق الاستاذ انصافه فيما يجهل فقد انشد يوما بين تلاميذه

ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

فضم ميم مفسدة وكسر السين • فقال له أحد تلاميذه أوليس الاولى أن يقال مفسدة بفتح الميم والسين فاستحسن ذلك وفرح بالتنبيه على غلطه

هذه نظرت اجمالية فيما نعلمه من مدارك الاستاذ ولعلنا وفقنا الى اظهاره كما هو عندنا نحن على الاقل لانني احمل له بين جنبي اكبارا واحتفاء زائدا واجلالا وهيبة مذ زرته يوما في داره نحو ١٣٤٠ هـ فرأيته في أبهة ووقار ولبسة شتائية في حمارة القيظ محافظة على ناموسه العلمي •

انباء عنه مختلفة

اقترن الاستاذ أولا بكريمة أستاذه سيدى البشير التادارتي في شوال ١٣١٠ وهي بنت بنت أستاذه ابن العربي الادوزى • وقد ذكر أنه كتب اليه حين خاطبها رسالة • فوقع له الاستاذ أسفلها

في العلم والتقوى ينافس الفتى في بنته أو أخته أمض والسلام

قال ثم لما توفيت ٤ ١ ـ ١ ـ ١٣٢١ هـ تزوج صفية بنت أستاذه الشيخ الادوزى سنة ١٣٢٢ هـ وهي الاولى الى أن توفيت • ثم أختها حبيبة الى أن توفيت أيضا ١٣٥٥هـ وهاتان أعقبتا للاستاذ• وأنجبتا له فابرهيم ونفيسة من الاولى • وأحمد والعربى وعبد الرحمن وبنات من الثانية

وكان منشأ الاستاذ من قرية (ايكرار) بـ (أكلو) ثم طاب له أن يستقر في (تالعينت) حين كان مشارطا فيها • ومنطويا الى رؤسائها • وقد بنى داره هنالك سنة ١٣١٩ هـ فلاقى كل عناية من الرؤساء الجراريين

ولكنه لايزال يتردد الى قريته الاصلية في أوقات من العام في أوقات الحرارة • يصطاف أولاده هناك • وقد ساق فصلا في ذلك في ترجمته لنفسه وقد اختصرتها في كتابي (طاقة ريحان من روضة الافنان) وهو الكتيب الذي اختصرت به كتابه المذكور• وهذبته• وخففت فيه من لهجته ومن لدعاته•

وهاك هذا الفصل الذى ذكرته قال وهو يذكر تنقلاته فى المشارطة (فراجعت (التالعينتية) حيث كنت الى الآن وقد كسرت عصا التسيار وقصرت نظرى على عاصمة (بنى جرار) وقد طلقت الموطن الاول بـ (ايكرار) فان طاب الزمن وأمنت من الفتن وأزهر فصل الربيع وتطاردت الفقاقيع على الغدران أرسلت العيال لياخذوا حظهم من جنى الثمار ولطيف الفاكهة ٠والجولان فى تلك الرباع الفسيحة ٠ فان هبت ريح الجنوب واكفهرت السماء وعبست الغبراء ٠ أقلعنا بهم الى حمى(تالعينت) المنيع٠ مجاورين لهؤلاء الكرماء فحمدنا السكنى والترحال واسترغدنا العيش فى كل الاحوال) اهـ

وكان الاستاذ قبل أن تنتظم العدلية قبل ١٣٤٤ هـ من الفقهاء الذين يحكمون فى النوازل فيفصلونها ٠ وممن يقبلون ويدبرون فى ميادين الافتاء مع اشتغاله بالتدريس ٠ وكان منذ القى رحله فى (تالعينت) مصباح مجالس الرؤساء هنالك وفقيه حضرتهم أو أحد فقهائها على الاقل لانهم يتعددون غالبا لان هناك السادة الحبيب السكرادى ومحمد بن عبيل الغرمى ٠ والحسن السنطيلى وغيرهم

حكى لى بعض الطلبة أنه ورد على الاستاذ يقصد الاخذ عنه ٠ قال ففى اليوم الثانى بينما الاستاذ يدرس اذا برسول القائد فقام الاستاذ مبادرا وترك الدرس ٠ قال فذهبت حين رأيت منه ذلك ٠ ظن الحاكى ذلك عيبا فى الاستاذ ٠ ولعل له عذرا ٠ والمرء فقيه نفسه ومثل الاستاذ الذى كان يعرف كيف توكل الكتف لابد أن يدارى وان يراعى وان يتمشى مع الزمان٠ فيدور معه كيفما دار ٠ ومن الامثال السائرة اليد التى لا تقدر أن تقطعها فقبلها وقد قال الشاعر

ما دمت حيا فدار الناس كلهم	فانما انت فى دار المداراة
من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى	عما قليل نديما للندامات

وهو مع ذلك محافظ على مركزه العلمى لايسلم منه فى قلامة ظفر٠ فيمكن له بذلك أن يعيش موفور الكرامة هنالك ٠ وقد وقفت له على قطع وقصائد يقولها بمناسبات فى القائد عبد السلام وخليفته عياد فتارة فى مخاطبات بين الرسائل ٠ وتارة فى تهنئة بتشييد دار أو مثل ذلك ٠ وقد كان يعاصر هنالك الاديب الشاعر سيدى الحبيب البوسليمانى فكانا فرسى رهان فى النظم للقوافى يتباريان فى الاشادة بأولئك الرؤساء أحيانا كما يقتضيه الحال كما لا يخلوان من تنافس حكمت به المعاصرة

حتى ان المؤرخ سيدى على بن الحبيب ألف كتابا فى رجالات سوس عارض به

كتاب مترجمنا هذا • قائلا انه أفرط في التصريح أو في التعريض بلمز من يترجمهم فأردت أنا ان اتجنب ذلك وقد توسع في الرجال أكثر من مترجمنا وقد ذكر أن القائد عيادا نفسه هو الحافز له على ذلك • ولاريب ان قصد عياد شغل هؤلاء الادباء في تخليد مآثره ومآثر السوسيين كلهم• فكان مشكورا على ذلك غاية الشكر •

ثم ان المترجم قد كان لملازمته لحضرة رؤساء (تالعينت) أثر في معرفته للذين يردون عليه من مشايخ صوفية وعلماء جهابذة من السوسيين والصحراويين فكانت عينه النافذة تدرك مقدار ما يحوم عليه كل واحد منهم فهناك ما ذكر به الشيخ التاموديزتي كما كان هناك أيضا ما ذكر به الشيخ الالغي الذي ما كان يتصل به الا هناك • وقد مضى لهما هناك تحاكك له تأثيره فيما وصف به • وقد ذكر لي شاهد عيان أن الشيخ الالغي الذي كان اذا ورد على حضرة أولئك الرؤساء الذين يعتقدونه أقامهم واقعدهم • كما هو معلوم ومشهور عنه في أمثالهم بحيث يأمرهم وينهاهم • ويقرصهم بتوجيهات وعظه وارشاده ويواخذهم على التفريط في الدين ثم كان المترجم مرة جالسا في مجلس يسائل الشيخ فيه من معه - على عادته دائما - عن التوحيد وعن مسائل الدين فيعلم الجاهل وينبه الغافل فجرى ذكر المسألة

(من قرأ الفاتحة في ركعة على غير ما هو مطلوب من سر أو جهر ثم تذكر قبل أن يركع وكان المسؤول من الطلبة فوقف يتأمل كيف يجيب • وقد كان مسامتا للاستاذ المترجم فأشار اليه اشارة خفيفة بيده فيما بينه وبينه أن أجبه بأنه يمضي قدما • فأجاب المسؤول بذلك • فرداه الشيخ بما هو مشهور في المسألة بأن الواجب أن يرجع لاعادة الفاتحة على ما ينبغي سرا أو جهرا لان السر والجهر انما يفوتان بالانحناء • فدار الكلام بين الشيخ وبين الاستاذ فأتى بالدردير فاذا بالمسألة كما يقول الشيخ (١) • ولعل أمثال هذه المحاككة تعددت• فكان لذلك تأثيره الخاص في الاستاذ ازاء الشيخ • حتى ذكره بما ذكره به • ولا عصمة لاحد • ولاريب أن مثل الاستاذ في ذكائه وحدة ذهنه لايطرق له بالعصا ولا يقعقع له بالشنان• الا أن للبشرية حظها في كل انسان انسان• فرضي الله عن الجميع•

كان الاستاذ حقيقة مولعا بالقبول والرد• على سبيل المذاكرة والمباحثة فكما أنه يجاذب من حضره • كذلك يجاذب الغائبين بقلمه وقد اشتهر مابينه وبين سيدي البشير الناصري في مسألة الهجرة • وقد وجه اليه الاستاذ سؤالا في نفس المستدل • فبين أن الهجرة اليوم غير واجبة • وان من كان من المدجنين لايكفرون فأجاب الاستاذ الكبير سيدي البشير بأنهم يوافقونه

١) هذه المسألة تعددت المذاكرة فيها مرارا حتى عرفها كل الناس

على ذلك في جملة • ولكن الجواب أفرغ في قالب أدبي عالي النفس نثرا ونظما ـ وقد ذكر ذلك في (الجزء الرابع) أثناء أخبار الهيبة ومربيه ربه (والمدجنون المسلمون الساكنون تحت ذمة غير المسلمين)

وكذلك اشتهر ما كان الاستاذ يرد به على الفقيه سيدى أحمد الكشطى ائتناني في مسألة الصلاة في السيارة حين ألف المذكور مؤلفا في جواز ذلك بشروط ذكرها فصمد له الاستاذ ينقض ذلك عروة عروة • وقد دخل معه في الحلبة الفقيه سيدى الطيب البومنصوري والعلامة سيدى على بن الطاهر الرسموكي ثم بعد أن امتحن ذلك الفقيه الكشطى فاعتقل ظلما في (أكادير) بسبب زيارة القاضي الحاج أحمد سكيرج لسوس وملاقاته معه حملت الاريحية الادبية الاستاذ المترجم فقال قصيدة عربية شلحية فيما وقع فيه الفقيه يرسل ذلك نكتة • وهذه المباحثات التي أولع بها الاستاذ مما يعلي شأنه عند الذين يعلمون أن ذلك هو شنشنة كل طالب للحقيقة • ما أحاط به الانصاف ومازجه أدب المخاطبة وتلاه الرجوع الى الحق متى ظهر فان الحق يظهر أنه مع الكشطى في تلك المسألة على ما هو مبين في (الرحلة الاولى) من (خلال جزولة)

وقد انتظم الاستاذ بين العدول حين انتظمت العدالة في (تزنيت) وما اليها سنة ١٣٤٤ هـ فاتصل بذلك بالقاضي سيدى محمد أوعامو فكانت له مخاطبات نظمية في جانبه • فلم يزل على ذلك الى أن لفظ نفسه الاخير فكان يتردد على (تزنيت) ويتمشى تحت ذيل النظام كما ينبغي فيبرهن بذلك على أن انقياده سهل • وأنه يصلح للمعاشرة في كل وسط • مع أن أمثاله من الفقهاء يصعب عليهم مثل ذلك الانقياد وان قضت به المصلحة وأملاه الواجب

كان الاستاذ الايكراري حسن العهد ولعل هذا الوصف يعد من أبرز صفاته • فقد كان عاضا بالنواجذ على الاشادة بكل من بينه وبينه صلة • فلذلك كان يشيد بما يشيد به نحو أساتذته في العلوم • ومشايخه ومشايخ أهله في التصوف فلهذا نصب نفسه مدافعا عن مبدا استاذه ابن العربي في الذب عن الطريقة (الناصرية) ذبا مشرفا ، فلم يفرط فيه قط حتى انه ليظهر منه أحيانا بعض تعصب ولكننا نوقن انه انما يدفعه الى ذلك تعصب آخرين للطرق الاخرى فرأى أن يكيل لهم بالمكيال الاوفى ولا يفلح الحديد الا بالحديد وقد كان الاستاذ بسبب ممازجته للناصرية معلنا للسنة الواضحة مدافعا في نحر كل بدعة أية كانت على ما هو معروف من هذه الطريقة مقتفيا في ذلك آثار أستاذه الادوزي فكان لهما في ذلك قواف متعددة يجاران بها في كل مناسبة ونحن لا نقول الآن ان الحق في جانب دون جانب • وانما شغلنا نحن الآن في تحليل ما

نعرفه عن كل ناحية من نواحي حياة الاستاذ ثم لا علينا وراء ذلك • وان كان الحق لا يخفى عن كل من له لب عرف ما هو الحق • وما هـو الباطل • فالحق أبلج • والباطل لجلج •

ومن آثار حسن عهد الاستاذ ما كان يصف به كل أودائه من الرؤساء والفقهاء في كتابه (روضة الافنان) فقد أفاض سجلا من الثناء على صاحبه القائد بوهيا الاخصاصي • حريصا على أن يذكر كل ما أسداه اليه كما رأيت مثل ذلك في الرؤساء الجراريين متتبعا ما كانوا يعينونه بـه حين يبني داره • وان كان تافها • ومن لا يشكر الناس لا يشكر اللـه • ثـم كـان ازاء هذا التصريح أو التلويح في جانب الذين يعالنونه نفسه بسوء • فبذلك كال ما كال للقائد المدني وصوفيه الذى أشار اليه في ترجمة القائد بوهيا • وهو الشيخ سيدى الحاج محمد الدرقاوى البوزاكارني •

اذا أنا لم أشد باحسان محسن أو اعلان فعل من أساء فمن أنا ؟

ومن تتبع كتاب الاستاذ ظهر لـه هذان الوصفان واضحين بينـين • خصوصا في شأن (تالعينت) التى آوتـه • فقد أرخها من نواح وذكر أهلها وما قاموا به وما شيدوه ولا ريب أن من فيه اجلال للاستاذ يحمل ذلك كله على محامل حسنة على حين ان ذوى الاغراض يلحظون ذلك بأعين مراض • ورضى الناس غاية لا تدرك •

كان الاستاذ في طليعة المبادرين الى (الهيبة) • وقد ذكر في ترجمته ما خاطبه به • ثم انه صاحبه الى (مراكش) فتخلف هنا لك يوم الهزيمة فأمكن له مـع الفقيه سيدى محمد أوعبثوا أن يتملصا من المدينة • سالكين (وادى نفيس) فكأن ما لاقـاه من المشقة من جراء الاعراب • هـو الـذى جعل لهم حظا غير قليل من حماته وغمزاته • ولـه في هذه السفرة قواف في الهيبة منها ما خاطبه به في (مزوضة) كنت نويت أن أثبتها هنا ـ كما وعدت به عند أخبار الهيبة ـ ولكن ضاعت النسخـة التى عنـدى فيها بين الكتب الآن • كما له فيه أيضا أخريات في (مراكش)

كان الاستاذ متدينا يقشعر جلـده بمواعظ الصادقين فـى ظنه فيما يقولون فقد دل على ذلك ما كتبه في ترجمتى الشيخ مولاى أحمد الوادنوني• والشيخ التاموديزتى ومن كان بهذا الوصف فانه لـذو قلب عامر بجلال ربه • وهل يحرم هذا الوصف الا القاسية قلـوبهم وحاشا الاستـاذ ان يكون ممن قست قلوبهم •

هذا وقد اشتهر الاستاذ اشتهارا تاما بالمبادرة الى الصـلاة فـى أول أوقاتها مقتفيا في ذلك ءاثار استاذه ابن العربى • فكان ذلك من حلل مجده

ومن فخره الذى لايكاد يدركه فيه احـد • كما اشتهر أيضا بما يشتهر به العلماء الذين يذوقون الادب من موانسة وملاطفة فى المعاشرة والمجالسة فمجلسه فياض مبتسم غير متجهم ولا عبوس وان كان منظر الاستاذ اولا بملبسه وبوقاره البديهى لايقضي بذلك كما لاقانى به أول مرة زرته فىداره

كنت مرة مررت بـ (تالعينت) لازور الخالـة التى هى زوجه • فأفوز بصلة الرحم • فطرقت عليه الباب • فى حمارة قيظ • فخرج الى بعد لأى فى رداء غليظ • وعمة كبيرة ومنظر وقـور • فحين عرف من أنـا رجع فأدخلنى فجلسنا • فلم يلبث أن نضا عنه جلاله • فآنس وذاكر واذذاك ارانى مقيدات له فى وفيات علماء ورؤساء • فأتذكر أننى كنت حبذت فعله ونرجيت منه أن يجمع ذلك كمؤلف • ثم لم يكن ذلك الا بعـد حين ولعلها اجابة لمقترحى • وكانت هذه الزيارة نحو ١٣٤٠ هـ • وهذه المرة هى التى رايته فيها فقط • ثم انقطع مابينى وبينه الى أن كتب الى رسالة ١٣٥٤ هـ وفيها قصيدة لم تحضرنى الآن بادأنى بالمكاتبة تفضلا منه • ثم لما عزمت على الاشتغال بالتاريخ السوسى كتبت اليه من (الغ) ١٣٥٦ وأنـا منفى فأجابنى وأعار لى كتابه فكانت عندى يدا لا أنساها وكـأين مـن امثاله كتبت اليهم اذ ذاك فى مثل ذلك فما رأيت لهم جوابا • ولا تكلفوا أدنى عذر فى عدم رد التحية • فأعرضوا مجاراة للحكومة •

كان مبدأ الاستاذ هو مبدأ الفقهاء • وهو عدم التسليم الا لبرهان بين ولذلك تراه فى ترجمة سيدى الهاشم التيمكيدشتى مع أنه ابن أشياخ أهله لم يعمه التعصب فقال عنه ما قال وهذا مما يدل عندى على أنـه من المنصفين • وعلى انه ممن يتوخون الحق • وكثيرا ما يعلن بين تراجم شن فيها الغارة على المترجمين يقول ان من حكى أقوال الناس فليس عليه ملام• فان كان هذا هو مذهب الاستاذ الذى اعتقده فاننا ان ضممنا اليه أنـه لايكتب فىءاخرين الا مايعرفه عنهم• أو يظن ـ وان لم يصادف ظنه دائما ـ نحكم عليه بأنه عنـد نفسه لم يخرج عن الجادة والحق الذى أعرفه أن الزوبعـة التى أثارها كتابـه انما جسمها كون الناس لايألفون مثل تلك الكتابة فى(سوس) وأذكر أننى التقيت مع ابى الاسعاد الفاسى بمراكش ١٣٥٥ هـ فكان أول ما بادرنى به ـ تنكيتا ـ ان قال لى أهكذا كتابة التاريخ عندكم فى (سوس) غمز ولمز وتسجيل لما ينبغى ان لايسجل ثم ذكر هذا الكتاب (روضة الافنان) وقد كان انتسخه فصرت أدافـع عن الاستاذ وأقول له انه لم يكتب الا ما يعتقده • ثم لا عليه ان لم يصادفـه اعتقاده فـى البعض • فلم يقبل أبـو الاسعاد ذلك وهو الذى نعلم منه أنه فـى

كتاباته نزيه القلم الى الغايــة فانه على عكس ابن حجر العسقلانى الذى يقولون فيه انه نزيه اللسان معتسف القلم وأيا كان فان للايكرارى حسنات كثيرة فى كتابه يمكن للتاريخ ان يشكره غدا عليها شكرا جزيلا وقد قدمت مرارا أنمثلهذا القول منى لايدل علىان كل ماهناك مقبول عندى ولا على أنى أحبذ تلك الطريقة المكشوفة للتاريخ فان لكل زمان بيئة وان لكل مقام مقالا • وان فى استطاعته أن يقول كل ما يريده • بغــير تلك الجراهية الخاصة وانما أريد أن أعلن ان فى الكتاب فوائد كثيرة لم توجد الى الآن فى غيره • يشكر المؤلف عليها كثيرا • وأن كل ما صدر عن المؤلف مما يقول اناس انه اعتسف فيه فاننى أتطلب له فيه عــذرا فلا أنزل بسبب المؤلف عن درجته التى يتمتع بها• وأقول ذلك أيضا لدفع ما يقتضيه مثل هــذا الرد العنيف • علىمثل هذا المؤلف الجليل التأفف من اجراء القلم بالحقائق على رغم الانوف •

كان سيدى على بن الحبيب البوسليمانى زارنى بمراكش• فقال اننى اشتغل بتأليف كتاب فى تاريخ رجالات سوس المتأخرين نقضا لما صنعه الايكرارى من التهجم على الاكابر منهم ذلك ما قال لى ثم لم أر اذذاك ذلك الكتاب لاعرف مقداره وقيمته الاريحية بعدمــا عرفنــا الكتــاب الاخر الذى استثار من مثل المذكور ما استثار • وفى الغد يتبين كل شىء • وعند الممات تظهر التركات •

(نعم اننى رأيت أيضا كتاب على بن الحبيب فوجدته يزخر أيضا بالثناء بلا مقياس فقلت ولا هكذا أيضا • فان الحق فى الوسط • بأن لايقال فــى الانسان الا ما فيه من المحاسن وغيرها • فالكذب واحد • فكما لايقبلتجسيم المساوى كذلك لايقبل تجسيم المحاسن وحدها ان كان ازاءها ما يضادها •

كان المترجم يميل الى اسرته وابناء أعمامه • وقد القى عليه حبهم فلم يكن كغالب حديثى النعمــة • اذ يكرهون كل من اليهم فقــد هذب منهم أناسا • كما أنه كان أدى عن مثل أخيه سيدى اسماعيل دينه الكثير بعد وفاته • ويندر جدا من يصنع مثل ذلك من أقرانه وانها لمنقبة من مناقبه الكثيرة لاتنسى له وقد ذكر لى بعضهم أنه كان أرسله بثلاث بغال مملوءة الى أبناء شيخه ابن العربى الادوزى وقليلون من يتعهدون أصهارهم وأبناء شيوخهم هكذا •

كان قيما على انماء ذات يده حريصا على ان يستغنى عــن الناس فتأتىله بذلك مال حسن كاف• أمكن له به أن يعيشمعيشة هينة لينة • وقد سلك فــى أهله مسلك أستــاذه ابن العربى الادوزى • فيلاطف ويتخذ من يزاول الشؤون من طحن وطبخ وغيرهما • فتبقى سيدة الدار وبناتها مكرمات

ثم كان للاستاذ نحو أزواجه صبابة خارقة للعادة فى تلك البيئة يعلن بها فى منظوماته ويقول انه يخلع الرسن فى حبهن وهـذا لعمرى أدل دليـل عـلى رقتـه وعلى أنه من الكرام الخلص لانهن يملكن الكـرام ويملكهن اللئـام وبيت يشتمل على مثل هـذا مـع اتساع فى العيش ومزاولة للعلم، بيت يضم بين جنبيه جنة الخلد • ومثل هذه البيوتات تقل جدا فى بادية سوس • وهو فى كل ذلك يحاسن أهله • فقد حدثنى ثقة انه رآه مرة وقد دخل من الدرس الى داره • فتطلب ما يأكله • فقدمت له فضلة عبد من عبيده • ثم لم يتأفف من ذلك •

كان للاستاذ الايكرارى اتصال كبير بأهلينا الالغيين فكان يكاتبهم ويساجلهم وقد مر فى ترجمة أبى الحسن ابن عبـد الله وفى ترجمة ابنـه المدنى بعض ذلك • وكان يشيد بأن يدهم فى الادب عليا ثم يكر على ذلك بأنهم قلما يميلون الى سوى الادب • ولما وقع اختلاف حول مسألـة فقهيـة بين شيخنا أبى محمد عبد الله بن محمد الالغى، والشاعر أبىمحمد الافرانى حمل شيخنا الالغى ماكتبه ردا على الآخر الى المترجم • فأيده ضد الافرانى وتجد كل ذلك فى(المجموعة الفقهية) وقد شاعت اخيرا كلمته التى كانكتبها فى (روضة الافنان) من غمز أهلنا الساموكنية • وان ساموكن وحربيل ابنا جالوت • فأثر ذلك فى بعض الناس فى (الـغ) حتى كان عزم الفقيه سيدى المدنى على الكتابة حول ذلك ردا عليه • وكان ينبغى للالغيين ان يتأملوا فى المقال الذى صدر فيه عن الاستاذ ما صدر من دفاع فيعرفون أنه فىمقام يعذر فيه • فقد ضيفه الحاج ابرهيم الايغشانى • فصار يغمز التيمكيدشتيين وينكر شرفهم على حين أنه ينسب مرابطى (الغ) الى الشرف النبوى فحمل ذلك صاحبنا حتى نافح عن التيمكيدشتيين أشياخ أهله والبادى أظلم فناقض مازعمه الحاج ابرهيم من شرف الالغيين بما ذكره (الحضيكى) ثم انه فى أمكنة أخرى يشيد بالالغيين فمثل هذا لاينبغى أن يهتبل به العاقل • ولا أن يتخذ جسرا الى المجاذبة والمشاكسة ولكن الله لطف فلم يكنشىء مـن كـل ذلك • و‍قد دهى الناس من أمور معاشهم وبما رأوه من أمر الاحتلال الجديد حادث عظيم فنسوا سوى ذلك وقد أشبعنا نحن الكلام حول ساموكنية ءال سعيد فى ترجمة جدهم عبد الله بن سعيد فى (القسم الاول) من هذا الكتاب بما فى عصانا من سير •

هذه نظرات قصيرة عن مختلف أنباء الاستاذ • ونقر بأن ما عندنا من ذلك قليل • لاننا لم نكن نعاشره ولا نعاشر من يعاشره وان ما عندنا مـذ يتسرب الينا من أثناء الاخبار أو ماastقيناه من كتابه (روضة الافنان) •

كتب الى ابى الحسن الالغى

(الفقيه الهمام الدراكة المقدام تاج الادباء ورأس النجباء أبـــو الحسن سيدى على بن عبد الله الالغى من ذرية الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد عليكم سلام معنبر كالمسك الاذفر وتحية معطرة كنفحات الروضة المزهرة • وعلى من بكم واليكم من أهل وحاشية • وطلبة وغاشية •

أما بعد فنحمد الله على الاسلام الذى هو لنا جميعـا النسب العـام • فالحامل سيدى محمد البعمرانى يقصد زاوية الاشياخ بتيمكيدشت • فتطلب منى أن أدله على من يعتمد عليه فى تلك الجهة • ليطلب له رفيقا يهديه الطريق فرأيت أن أدله على ثمال اليتامى والارامل • ومن هو خير عالم عامل • وهو أنتم جزاكم الله خيرا ووقاكم ضيرا • والطريق فى (أمانوز) كمانسمع السناءة مخوفة • وأرياش الامن هناك منتوفة فوجب اليوم أن يستعمل الحازم بقول الحديث الرفيق قبل الطريق • وأنت البصيرة فى الامر • ولا يضل مـن استضاء بالبدر • وأسلم على سيدى الحاج أحمد (١) وغيره ممن يسأل عنا من علمـاء تلـك الجهـة • والسلام • الضعيف محمد بن أحمد التومانارتى الايكرارى • ثم التالعينتى غفر الله له)•

وكتب اليه أيضا • بعد البسملة والصلاة والتقديم المعتاد فى الرسائل

(أما بعد فقد رأيت كلامك • وفضضت ختامك وتقبلت سلامك وشربت مدامك • وقبلت انعامك • فليعلم سيدى اننى أكون عند ظنه بـى ولا احتاج الى التأكيد بعد أن مضى تجريبى • فسأوافق على الفتوى بحكمى• لانه لم تشتمل الا على الحق وأبى وأمى

وهبنى قلت هـذا النور ليل ايخفى العالمـون عن الضيـاء

وسأجيء ان شاء الله يوم الخميس الآتى • لان لى بـ (تزنيت) عرضا اكيـدا • وسأصاحب معى ما كتبته والسلام نعم اننى راجعت الرهونى فوجدته زاد شرطا على ما ذكرته عن التسولى • وسنتذاكر عليه انتهى •

والغالب أن هـذه المراسلة كانت فى حدود ١٣٣٠ هـ حين كان عـلى ابن عبد الله فى (تزنيت) نحو رجب وشعبان ورمضان)•

وكتب اليه كما أظن انها له وخطه يشبه خطه وكذلك كلامه :

---

١) هو سيدى الحاج أحمد اليزيدى

(العلامة النحرير • رب التدقيق والتحرير سيدى على بن عبد الله الالغى الذى قام لصاحبه بكل ما يبغى

سلام على عالم عامل تناسل من كامل كامل
أبى حسن خير من رقمت يداه بمرقمه الجائل

أما بعد : فقد اشتقنا اليك • وأن نرى من أخبارك ونحن بخير ولا يجرى بنا ضر والمعصوم من عصمه المولى والالتجاء الى الله دائما من الضعفاء امثالنا أولى • وأما رسولك فقد أرفقته أحد أصحاب القائد الموسم (سيدى بوعبدلى) حتى قضى غرضه • وادى نفله وفرضه • وبيده الامانة فادع لنا بخير • والسلام • محمد بن أحمد لطف الله به) •

من قوافيه ماخاطب به الاستاذ ابن العربى الادوزى • بعدما كتب اليه برسالة

وربا السلام تضوعت وتنسمت لعبيرها الاشباح والارباع
أهلا حللت ومرحبا من كف من دانت له الاقلام والاوضاع
محيي القلوب منيلها فخرت به الا جيال والانداد والاوزاع
شيخ المشايخ من تحن لقربه وحديثه الاقيال والاشياع
شيخ يحفل للعويص خميسه والسر كل قبيله مشياع
شيخ تفجرت العلوم وفاخرت كرة الادوز به وذى الاصقاع (١)
حدث ولا حرج فصيتك سائر جوف الفرا المصيد قل جماع
قسما بكم وبسركم وعلومكم انى بصرف ودادكم نفاع
أنت الذى تهدى السلوك وغيركم بجنونه ومجونه بياع
هدأت بنفحتك القلوب وسركم من قلب كل صحابكم نباع
هذا الذى سكن الفؤاد وغيره من سرهم قلبى له هواع
لبيك قد خولتنى ما تشتهى الا ذواق والابار ـ والاسماع

وله أرجوزة فى أتاى • ساير فيها أرجوزة أستاذه الادوزى • مطلعها

هل لك من مفاكهات فى أتاى ان حديثكم به لمنيتاى
اجر ذيل كسوتى فى الكاس ايه ولا تحد بالقياس
يذاد عن حرمه المزكوم صدقت والهرم والمحموم
أما مناول لشرب (طَبغا) ان مسه وان بعود قد بغى
لكونه من سفلة الاقوام فماله منصة الكرام

---

١) يعنى كوزة (أدوز) ومثل هذا يقع له كثيرا رحمه الله •

فان تجرا ومس الطبلـــة فنقرن لـه بجس طبلــه (١)

يقول فيهـا :

وان مقيم انفـه قـد مسا أو رض قملة بهـا قد حسا

أو حـك فالعزل لـــه محتوم من لم يثب لضربـــه محروم

وغسل كفيـــه أمـام المس محبب مـــــروح للنفس

ويقول

فلا تصغ لطارق ينـــادى اما أردت أن يطيب النادى

ويقول فى ذوق الاتاى

وذق بكاسك تصن من أف فلا تذق بكل كأس تلفى

نجسـه لحـاضر وبـــادى من رد فضل الـذوق للبـراد

يجب أن يغرم ما قد أفسدا ببعـده عنه لمـا قـد اغتدى

ويقول فى بعض ءالة الغناء فى مجلس الشراب

واربأ بنفسك اذا ما بربـــط فى مجلس الشراب جاء يزعط

ويقول فى المقراج المسود من الدخان

وان يكـن مدخنـا مقراج لا باس أن يطفا لـه السراج

ويقول فى الهرم الذى حكم بعدم حضوره

فمجلس الكـرام لا يغشـاه لأنـــه كـل عـلى مـولاه

ويقول فى الساقى

وان يك الساقى صبيح الوجـه مستحضرا للظرف كـل وجـه

لـه رزانـة اذا يفـــوه ، وبخـر سلـم منـه فـوه

فاحمد لمن أولاك منه كأسا واستجمعن لكـل حسن راسا

ويقول فى مفرق الكؤوس

لكن بياض وجهـه استحبوا اذ غيره قالـوا بجهر خب

---

١) الطبلة : الصينية عند السوسيين

أمـا اذا جـاريـة تفـرق	فالشرع اذ ذاك حيـاء يطـرق
فقل لمن اساغـه للجهـل	أو لعنـاد أو فخار «وهلى» (١)
أخذ ذاك عن قواد العسكر	متبـع لهم بـدمـه حر
ولن يجيز أحـد فى الشرع	تخازر الاموان عند الكرع (٢)
لاسيما بارعة فـى الخلـق	ريـا القرنفل بها فى العنـق

ويقول فى مفرق الكؤوس أيضا

مخالف الكـؤوس عنـد الـرد	مقابـل فـى شرعنـا بالصـد

انتهى ما اخترناه من الرجز ، وهو رجز فكاهى ، وكأن الاستاذ كتبه عن عجلة وأريحية ، فلا يبالى بما يقع له منه ، كما يعتاد كلما تعاطى القول فى أمثال هذه المواقف فيرسل الكلام على عواهنه

وبعد فان ما كان الاستاذ الايكرارى يقوله فى مناسبات شتى لعلـه لايخرج عن هذا الوصف الذى ذكرناه، غير أن ذلك وان دل على أنه لاينفتح، يدل على أريحية للقوافى، وعلى أنه ينفعل للادب، ولكل طرق الادباء المطروقة، ولو كان هذا الكتاب مفتوحا للاشعار المزوجـة عربيـة وشلحة لأتينا من أقواله فى ذلك بما يستحسنه من له المام بالشلحة وبالعربية ، فان بين يدى الآن كثيرا من ذلك ، غير أن الكتاب حرصنا على أن يكون كله عربيا مبينا ، لايحس فيه للعجمة بركز(٣) ، ولا تلمح فيه منها بارقة ، وذلك هوشرطنا، والشرط أملك، الا أن نسينا فالله لايواخذ بالنسيان، فان الاديب الايكرارى أريحى أديب ، يغلب عليـه وصف أستاذه ابن العربى الادوزى فينفعـل للادبيات الى حد بعيد ، ما دام فى جو الادبيات حتى اذا جـد الجد ، وجال الحزم، جاء العزم بوقار كأنه رسوخ الجبال الحالقة ، ولهذا نرى له قوافى فى المقامين ، فبين يدى قطع يرد بها على من يراهم من المبتدعة ، كما بين يدى ما يستفزه اليه الحق ان رآه مهضوما وهذا كله يدل على أن الاستاذ كـان حركة دائمة فى (أزاغار) فلم يبق ميدان من ميادين الفنون الا جارى فيـه افتاء وقضاء وتدريسا وأدبا وما الى ذلك وكفاه ذلك حيلة خالدة تدل على حيويته رحمه الله ،

---

١) أصل الكلمة (واها لى) التىيقولها العربى متعجبا فهى بنفسها الكلمة المشلحة بمعناها العربى

٢) الاموان بكسر فسكون جمع أمة وكرع من الماء اذا شرب منـه بفيه بلا اناء وبلا كف

٣) الركز بالكسر فالسكون الصوت الخافت

على أن ازاء قوافيه تلك نثرا مسجعا مفعوعما بالامثال وبنوادر الادبيات (فهاك عبارة في وصفه لبعضهم يقول فيه أثناء تراجم كانت بين دفتي كتيب ونص ذلك

(ان الايكراري من كبار المعتنين بفن الادب من صغره يحفظ مقطعات كثيرة · ويستحضرها عند انشائه · وقد تحدر من أسرة رفعت ألوية المعارف أزيد من أربعة قرون ·

أخذ عن الاستاذين الجليلين محمد بن العربي وعبد العزيز الادوزيين وغيرهما · وله آثار قيمة · أعظمها ما بين دفتي كتابه :(روضة الافنان) فانه كله صاغه صوغ الكاتبين الذين لايريدون أن يخرجوا عن ميدان الاجادة فكله سجع وأمثال· وتتجلى فيه نفسية الاستاذ الايكراري· من اعلانه بكل ما يراه دون مجمجة فكأنه أحد المحدثين من أئمة التعديل والتجريح وقد درس كثيرا وخرج وجاذبه أقرانه فبرز · وكان مع أدبه فقيها نافذا في المسائل · وولادته نحو أواخر ١٢٧٩ هـ

وقد بدا لنا أن نخصص ما نورده لهذا الاديب الاريحي ببعض فقرات نلتقطها من بين ثنايا تراجم كتابه (روضة الافنان) المذكور · فان فيها براعة أحيانا مقبولة ·

يقول في وصف رجل

انذل من ثعلب· وأجبن من أرنب· لاأرى له قيمة · ولاعرض ولاشيمة · أبخل من مادر · وأطيش من طائر · لاتندى صفاته · ولا تمدح صفاته ·

ولست بسائل الاعراب شيئا حمدت الله اذ لم يأكلوني

ويقول في آخر بعد أن ذكر له نظيرا

سميه في الكذب والطمع وسميه في الحمق والهلع على نمط واحد· وزن المثقال بالمثقال· وحذو النعال بالنعال بل هذا أجوع من ذاك وأقل مروءة · وهو رجل أشمط مائل الى القصر ضعيف البصر كأنه تحت الثياب ذئب يتختل أو هر يتمطى ويتحيل منقبض لينباع (١) ومجرمز سيمد الباع (٢) يدور حول الدار وعينه على ما ينهب تجيل الانظار حدأة تدور على المصارين أو غراب أطيش يخطف العراجين ان قلت ألص من شظاظ (٣) وألهب من شواظ قصرت في التشبيه ·

---

١) لينـدفـع ويترامى
٢) متجمع بعضه الى بعض وهي عبارة من المقامات الحريرية
٣) شظاظ ، كسحاب لص مشهور قديما

ولم تكن فيه بالنبيه . بل قل فيه

جمعت وفحشاً غيبــة ونميمة   خصالا ثلاثا لست عنها بمرعو

ويقول فى آخر من القواد

رجل عاقل ينظر فى عاقبــة الامور .فسلم من الخـــلاء فلما رأى الناس قامــوا لتخريب القــواد كان أول من قام وأظهر مــا فى خــاطر العامة فرأس .

اذا ذخلت بلـــدة أهلها   عور فغمض عينك الواحدة

ودام على ذلك . يرجع اليه فى طرق الفساد . ويستصوب رأيهم فى كل ناد حتى أدركه الاجل وقد أصابه المرض فقاده لحفرته التى بها حل فلم ينفعه ايقاظه ولا حماه قبيله اذ نزل به ايفاظه (١) ....

وكان بطلا شجاعا راميا اذا رمى أقصد (٢) واذا ركب أصيد ما سمعنا أنه سقط عن الخيــل . ولا كبا بــه الحال بالويــل . ولكن لا أمان للزمان . ولا سلم فيه أحد من الهوان .

لا تهــاب المنــون شيئا ولا تر   عى على والــد ولا مولود

يقدح الدهر فىشماريخ رضوى   ويحط الصخور من هبّود (٣)

ويقول فى قائد يلقب بلقب قبيح

الاسم يدل على المسمى . بهيمة تمشى على الارض لا صلاة ولا دين ولا خــوف ولا اعتبار . ولا تــذكر ولا تدبر عير وحــده على منــوال (فلان)فى الاحكام . لا يحضر عالما . ولا يرضاه حاكما يجمع العقود ولا يحل أى معقود الا أنه يطعم الطعام . ولا يتحاشى من جمع ذى فضل وطغام . لايذكر الوضوء فى داره . ولا من يذكره حتى عادة خوف عــاره . قصاع معمرة بالكسكسون . ومجــالس مملــوءة بالمجون تسابيــح داره (الضامات) على كراسى مخططات . والبربط (٤) موذنه . والمزمار أنيسه

---

١) موته مؤخوذ من أفاظه الله أى أماته لمكن الفباس افاظة

٢) لم يخطىء

٣) شماريخ الجبل أعاليه ورضوى جبل بــين المدينة وينبع وهَبّود بفتح فتشديد الباء جبل أيضا

٤) البربط كالبربر العود من آلات اللهو

وموسنه (١) واما الطار (٢) فسمير كل أهل الدار يتبعه منهم العياط كعام هياط ومياط (٣) • حديثه كلوا فلانا لعن الله ابن فلانة وفلان لايتوقى من الفحش ولايسلم فيداره على ولا وخش لكل ساقط لاقط • يجمع الملوطين والـلا كحـمـطـين فانا لله من مسكن الشياطين وأفعال الخراطـين • الغنى والزنـا لا يجتمعان • والانفـة والغـيرة هنا يفترقان • وحالـــه ينشد :

خليانـي والمعـــاصي ودعـــا ذكر القصـاص
واسقياني الخمر صرفـــا في أبـاريق الرصـاص
وعـلى وجــه غـزال طائـــع ليس بعـاص
بـين فتيـــان كرام قـــد تواصوا بالمعـاصي
وعـلى اللــه وان أفـــ ـرطت في الذنب خلاصي

ولا يعد هذا غيبة • بل ذكر ما ترشح به الخيبة • وليعلم أن الناس معادن • لمن أراد أن يتخذ منهم الخازن والخادن قال في (معجم البلدان) « من روى ما سمع كما سمع فهو من الصادقين وقال النباتي (من حكى قول الناس • فما عليه من باس) •

ويقول في آخر ــ وهو القائد بوهيا الاخصاصي ــ

رجـل ظريف • حليم أليف • جواد صحيح • وبمروءتـه شحيـح • جاوزنا معه أياما عدت من العمر غرة • ومن الزمان غرة لايناوشنا زيد ولا عمرو • ولا يناوئنا حين ولا دهر • طواجين مملوءة بالفراريج • وقصاع يلمعن ويتبعن بالمقاريج • الى كست (٤) ذكي • وعنبر شهي • مـع أنـواع المراش وزرابي فوق الفراش وموانسة تنسى العقيلة وان كانت مع رقة خصرها أسيلة فوجب عـلى أن أمدحه • وأن أذكر فضله واشرحه • فنبا لهذا الدهر المشت (٥) والزمان المهت (٦) لايصطنع لجواد • ولا يرأف

---

١) موسنه جالب له للوسن أى النوم
٢) (الطار) أى الدف
٣) يقال هـم في هياط ومياط (بكسر أولهما) أى في اضطراب ومجيء وذهاب وشر وجلبـة
٤) الكُست الذى يُتبخر به
٥) المشت المفـرق
٦) بكسر الميم وفتح الهاء الكـاسر

لخراد (١) جرد له سيف العدوان وجر عليه ذيل النسيان بعدما كان للمجلس فانوسه (٢) وللحال به مانوسه · حديثه أحلى من الضرب (٣) يشوق العجم والعرب ·

الى أن قال بعدما ذكر تقلبات المترجم

..... فكان البارود على دار بنى الشين · فأتاه القدر بالحين فجرح جرحا كان فيه أجله· فانقطع أمله · فحمل الى(تانكارفا) بـ(أيت السيمور) فغاب فيه بدرالسرور· وقد انحسمت الشرور· واستحكم (فلان) علىالثغور· فاستعلى وعدم المنازع · واستولى ولم يظهر له مقارع · فقلت

يـا لـك مـن قبـرة بمعمر خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى مـا شئت أن تنقرى

فنفخت أوداجه وامتلأت أدراجه وأجلسه فى منصة الاحكام (الهيبة) فكانت له من ذلك اليوم الهيبة · ففرض المال ووعى · فجمع وأوعى · فكره جميع من الى من (قبله) انتسب ولو ان لـه أصيـل النسب أو العلـم المنتخب · فطرد واغتصب وتكره واحترب فاتبع هواه · الى أن يرديه فى مهواه · وينشد حالـه

نحن بما عندنا وانت بمـا عندك راض والرأى مختلف

فقلت :

انفوا المـؤذن مـن بـلادكم ان كان ينفى كل من صدقـا

ولله در ابن الخياط حين يقـول

أتظننـى لا استطيـع أحيل عنك الدهر ودى
من ظن أن لابـد منـه فان منه ألف بـد

وقـال ايضـا

لاتنكرن رحيلى عن دياركم ليس الكريم على ضيم بصبار

وعمدته (انسان) عنده تشيخ يتكلم فى الغيب · وطيره عنده تفرخ مراء فى الاعمال معدود عند نفسه من الرجال

---

١) ج خريدة البكر التى لم تمس قط ولفظة خراد غير صحيحة وانما الجمع خرائد وخرد

٢) أى مصباحه والفانوس مشعل يحمل فى الليل

٣) العسل الابيض الغليظ يقال فيه ضرب كطرب وضرب كدهر

نعوذ بالله من أناس تشيخوا قبل أن يشيخوا
تقوسوا وانحنوا رياء فاحذرهم انهم فخوخ

الى ان قال

صلى وصام لأمر كان يطلبه ومذ حواه فما صلى ولا صام

وقال اخر

تصوف كى يقال له امين وما معنى التصوف والخيانة
ولم يرد الاله به ولكن أراد به الطريق الى الخيانة

الى ان قال

هذا ما أنجزت اليه الاقلام · وفضول الكلام · وان كان فيه للقلوب الكلام ولكن لايخلو من فائدة · فالكتاب كالمائدة · يجمع الغث والسمين · والسخيف والثمين فكل واحد ينظر بعين هواه · ويرنو لما يهواه وينبو عما لايوافق فحواه· فالله يقيل العثرات· ويعفو عنالسيئات· وهو المستعان وعليه فى الجميع التكلان ·

تكفينا هذه النماذج من بنات يراع مؤرخنا الجليل · الذى أحيا الفتح وتلاعبه بالكلام فى الدفاع عن أودائه · ومهاجمة أعدائه · وبين هذا وذاك ينتثرمن القلم عبارات بارعة· تستسيغها فىغالب الاحيان الاذواقالسليمة· على رغم أنوف غيرها ·

الاخذون عنه

١ ـ ابرهيم ولده
٢ ـ أحمد ولده الثانى
٣ ـ محمد بن عثمان ابن عمه
٤ ـ عبد الله البوكرفاوى · وقد جرى ذكره قريبا فى ترجمة أحمد ابن محمد الايكرارى
٥ ـ اسماعيل أخوه
٦ ـ المدنى أخوه
٧ ـ أبو بكر اخوه
٨ ـ الحسن الاخصاصى هذا الناظر على أحباس سوس من ١٣٧٦ هـ
٩ ـ بلعيد التالعينتى· وهو طالب جيد· اخذ أيضا عن أحمد بن محمد ابن عمرو · ثم شارط فى قرية (اغرم) الى الآن ١٣٧٨ هـ
١٠ ـ أحمد بن مبارك الايدرقى الاكلويى وهو موثق حسن أخذ

أيضا عن أحمد بن مسعود المعدرى وقد انخرط فى سلك العدول بعد موت سيدى الطاهر السماهرى ولا يزال حيا على ذلك الى الآن ١٣٧٨ هـ ويعرف بسيدى أحمد السملالى وانما انتقل أبوه الى قرية (ادرق) وهو الآن فوق الستين بسنوات - وهو كرسيفى -

١١ - محمد بن عبد الرحمن بن بلقاسم من اخوان الايكراريين ٠

١٢ - البشير أخوه ٠

١٣ - محمد بن بلوش التاكانتى القاتل ٠ ويذكر فى (القسم الرابع) لانه من الآخذين من المدرسة (الالغية)

١٤ - الحسين بن ابرهيم بن صالح التالعينتى ٠ ويذكر أيضا فى (القسم الرابع) لانه من أصحاب الشيخ الالغى

١٥ - عبد الكريم الاصبوياءى ٠ المتوفى ١٣٥١ هـ كان يشارط فى مدرسة (اصبويا) كثيرا ٠ وله خزانة حسنة تذكر جمعها بهمته ٠ وكان يفتي ويزاول التدريس ٠ وقد يحكم فى النوازل ٠

١٦ - عبد الرحمن بن موسى اليعقوبى من اخوة الادوزيين

١٧ - محمد بن موسى اليعقوبى أخوه

١٨ - الحسن الركادى المشارط الآن فى (تالعينت) اخذ أولا عن أبيه فى (ايغبولا) ثم عن أولاد سيدى عبد العزيز سيدى عمر واخوانه ثم اختتم عند المترجم كان مشاركا لابأس به ٠ وانما يغلب عليه الحياء ولا يزال حيا ١٣٧٨ هـ

١٩ - الهاشم بن محمد الايكرارى من اخوان الايكراريين

٢٠ - محمد بن الحسين بوكرع البعمرانى ويذكر فى (القسم الرابع) لانه أخذ أيضا عن الالغيين ٠

٢١ - محمد بن الاشكر التالعينتى المتوفى قبل ١٣٣٠ هـ كان ممن أخذوا عن الاستاذ قديما كما أخذ أيضا عن المحفوظ الادوزى وله سمعة علمية وسط وقد قصر عمره ٠

٢٢ - أحمد بن الحسن الايكرارى من اخوان الايكراريين ٠ وسياتى

٢٣ - عبد الرحمن بن عياد يذكر بين أهله فى (القسم الخامس) ان شاء الله ٠

٢٤ - محمد بن على بن أحمد بن ابرهيم ٠ من الايكراريين هؤلاء ٠

وفاتــه

ولد الاستاذ كما تقدم اما فى اخر ١٢٧٩ هـ واما فى أول التى بعدها ٠

فطال عمر الاستاذ الى أن لاقى ربه يوم الاربعاء حادى عشر رمضان ١٣٥٨ هـ وقد بلغنا أنه كان مريضا ثم تعافى فبقى بصحة لابأس بها . وكان يكب على أعماله القلمية . لانه لايزال ممتعا بحواسه رغم قربه من الثمانين . وقد نسخ فى هذا الحين كتاب (سرح العيون) لابن نباتة على رسالة ابن زيدون . وغيره على عادته فى ملازمة النساخة حتى عدت منسوخاته بعشرات. وعند قرب وفاته كان جالسا يزاول عمله . ويوقع على الرسوم التى شهد فيها لاربابها . فاستدعى قرينته لتأتيه بشراب ثم نزل من مجلسه . فسرعان ما قضى عليه فى حالة لم تكن مظنة الوفاة .

كذلك طويت صفحة مؤرخ أزاغار الكبير والذى أثار بقلمه عاطفة هوجاء بين من لاينصفون . فها هو قد ذهب . فليمض على سدرهم من كانوا يتوقعون أن يسبقوه . فيقعون من قلمه على مبضع يتناولهم فوق مشرحة لايظنون فيها رحمة ولا شفقة .

فقل للذى يبقى خلاف الذى مضى تهيأ لاخرى مثلها فكأن قد

انني وايم الحق متأثر غاية التأثر من موته لانه كان طبقة وحده . نشأ ذا فكر . وكجبل علم لايتزعزع لجديد أيا كان . وكأني بأقرانه تتابعوا . فيبقى الميدان خاليا لمن لايغني غناءهم ولا يسد مسدهم وناهيك بمن يكب على النساخة وهو ابن ثمانين

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا

فرحمة الله عليك أيها الاستاذ . فها أنذا أقوم لك بما كنت تقوم به فى عهدك لمن درجوا بين يديك . فانني تناولتك بما أعرفه عنك منصفا لك . غير متحيز ولا مطرق . وأنت قريب العهد فى أسابيعك الاولى فى مرمسك . خوفا أن تفجأ القواطع لاقدر الله . فيحال بيني وبين ما أريده من ذلك . ولا أرتاب فى أنني مقصر نحوك . وواقف بك دون مقامك الذى تستحقه يامن أوتى حماسة علمية فائقة فى قطر خانع لايعرف من ذلك نقيرا ولا قمطيرا . فلست أول من ضيعه قومه . ولكنك بنيت لنفسك فى حياتك . ما يبقى لك خالدا بعد وفاتك . فقد قمت وحدك بما لم يقم به اقرانك وهم كثر . وخلفت وراءك ما لم يخلفه شانئوك . فيكفيك ذلك ذكرا خالدا . وعمرا ثانيا

(والذكر للانسان عمر ثـان)

لا أدعى انني ترجمتك من عندى . فان عمدتى فى كل ما كتبته حولك هو ما سطرته بنفسك لنفسك . ولولاك لما مشيت حولك الا كما أمشى حول أناس جامدين لم يكن قلمهم ليبض بقطرة فحرموا أنفسهم وأهليهم

واصدقائهم ومواطنيهم ما كنت أديته أحسن أداء فى كتابك الحى الادب الخالد فى عالم التاريخ • ما دام للتاريخ المكتوب خلود • فقد سعدت أنت أولا بآثار أعمالك ثم سعدت بك أسرتك التى أعليت شأن أفرادها العلماء وذكرت كل من عرفته من معاصريك أو ما سرى اليك عنهم ما يحفزك الى اعتبـــاره •

نم فى مرسك مطمئنا • فسيطوى هذا الجيل الذى كان أسمعك مـــا اسمعك عن كتابك • كما ستطوى أفكارهم • فينشأ ان شاء الله جيل آخر يكثر فيه من يقدر لعلمك قدره • فالعالم فى انقلاب سريع • وفى تطورعجيب • وأنا ضامن لك أن يكون لكتابك شأن آخر عظيم

اننى أيها الاستاذ مدين لك بما أمددتنى به • فلولاك لما أمكــن لى أن أمشى فى هذا الكتاب كثيرا فى غالب التراجم من الموجودين فى ناحيتك أفلا يحق لى أن أقدم لك من الشكر ماتستروح أريجه فى عليبك • وتستنشقه روحك وهى تسرى فى عالمها الجديد

يمكن أن يقول قائل لو كنت أعلنت ما اعلنته اليــوم • أننى انمـا أخاف من يراعك • فتزلفت اليك • ولكننى اليوم آمن من ذلك • حين فرق بيننا عادى الحمام فويل للخراصين فان ما اعلنته اليوم هو الذى كنت أعلنته منذ رأيت كتابك من أول وهلة • فهذا ما كنت قلته من قصيدة قافية • تقريظا لكتابك الذى أطلعنى عليه تلميذك الاستاذ سيدى محمد بن عثمــان الايكرارى • فقد قلت بعد المطلع

فروضتك النبراس يشرق نورها	فيعلمــك الغرب المجــدد والشرق
وتثنى عليك اللسن فى كل محفل	وتشدو بما قدكنت أهلا له الورق
جهرت بما تدرى بكــل حماســة	كــذا فليكن مجد الاماثل والخلق
كتبت وأرخت الرجال بمــا ترى	وقولك ماتدريه فى الرجل الصدق
ستعرفك الاجيــال عزما وهمــة	ويشكرك التــاريخ والعلم والحق
فأغدق علينا العلم فالنشء ظامىء	وفينــا الى تاريــخ أعياننــا شوق
ودع عنك حسادا يهولهم الذى	تقول فأنت العالم الحر لا الرق
فلو كان منهم من يقول مصرحــا	لما اختلفت سبل ولاانطمست طرق
ولكن دأب بعضهم مدح بعضهم ،	كأن لم يكن نصح • كأن لم يكن صدق
قضيت وأديت الحقــوق جميعهــا	فدع عنق الهماز بعدك تندق
فعش سالما تبدى الفرائد خردا	وتبدى من الافهام ما يحمد الذوق

كنت قلت القصيدة شبه ارتجال ثم لما توصلت ثانيا بالكتاب فطالعته حينئذ كما ينبغي من بعد أن كانت المرة الاولى انما هي القاء نظرات بلا استيعاب • أرسلت اليه هذه القصيدة تقريظا للكتاب

هذى لعمرى روضة أنف	يا سعد من من زهرها اقتطفوا
كم كنت مشتاقا لطلعتها	يهزني تلقاءها الشغف
مذ شمت منها في مباغتة	يوما وقد قادتنى الصدف
نظرت منها نظرة عجبا	يزهى على الماضى بها الخلف
رفت بأنوار تخالفها	يبهر ألباب الالى حصفوا
هذا الذى قد بان لى وأنا	مستعجل وصحبى انصرفوا
فلازمتنى بعدها حرقة	في أضلعى يذكو بها اللهف
حتى أتيحت لى فشاهدتها ؛	في اليوم من فوق الذى أصف
عاينت فيها قلما بارعا	يعرف كيف توكل الكتف
عبارة فتحية سجعها	صفت بها في المنهل النطف
در تنضد بأطواقها	كما أزيل حوله الصدف
لله در فكرة أفلقت	فيها فقالت للانام قفوا
ذاع بها تاريخنا فغدا	لنا بها العلياء والشرف

* * *

يا سيدا بيانه تنجلى	عن النهى بنوره السدف
ظهرت للناس عيانا كما	أنت وما مجمجت اذ تصف
أبرزت ما تعرفه في الورى ؛	ولم تبال بالالى أنفوا
كذلك التاريخ يطلب أن	يقف ربه كما تقف
يقول ما يعرفه قلبه	وينبذ الورى وما عرفوا
مثل الشهادة فيا ويل من	حادوا عن المثلى وقد جنفوا(١)
لله أنت مشرقا فى السما	والغير فى أجحارهم فخفوا
هل يظهر المرء سوى عمل	يعمله وما به جنف ؟
دم للكتابة لتأتينا	ايضا لدنك (روضة أنف)

ذلك ما كنت أعلنه • والاستاذ لايزال حيا • وما أحرره اليوم فى كل ما مضى من هذه الترجمة • هو الذى أعلنه أمس• وهل يرى قارىء بينهما اختلافا ؟

---

١) جنف بالكسر مال عن الحق وعدل عن الطريق السوى

وبعد فاما الاستاذ فقد قضى نحبه بعدما قضى ما أمكن له مما ألقى حمل واجبه عن كاهله نحو السوسيين فسواء مشى فى الجميع مستقيما أو اعتسف فانه ان نظر الى عمله بمثل نظرتى هذه • محمود مشكور ثم ان علينا نحن بعده ما علينا • فقد نهج لنا الطريق• فلنمض قدما • ولنخط فى تاريخ رجالاتنا كل ما أمكن لنا • مصححين ما عسى أن نراه غلطا فى كلامه ومستدركين ما ربمايفوته • كما نرجوا ان شاء الله أن ياتى بعدنا أيضا من يصحح ما لابد أن نغلط فيه • أو يستدرك ما لابد أن يفوتنا • فان الحقائق لاتتضح الا بذلك• معاعلان الشكر لكل ذى عمل • واما تتبععورات العاملين فليس ذلك من شيم المنصفين • بل من شيم المثبطين عن الاعمال •

وقد قلت ارتجالا فى رثاء الاستاذ ساعة سمعت بوفاته

آه قضى النقادة الرفـــاكـى ... ما ذا عسى يجدى بكـاء الباكى ؟

حقا قضى فليطمئن بنو الهـوى ... من نقده المستكشف الهتـــاك

طويت به صحف تحاول جهـدها ... تبيين كيف مناصب الاشراك

من ظل فى الميدان يخطر طرفه ... ما ان يبـالى بالشجـاع الشاكى

ما زال مذ عقد الازار مناغيا ... نقد الرجال بوجهه الضحاك

أعطى اليراع العهد أن لا يفتدى ... فى الفرق بـين النـور والاحلاك

مـا مات من حييت مآثره وان ; ... أمسى ضجيع الهمد الهـلاك

من كان شك بأنه فرد العلا ... فأنا لعمرى لست فى الشكـاك

كم عابه فى نقده من لم يبوء ... منه بشسع فى العلا وشراك

خلوا بنى الاقدام زولوا لا أبـا ... لكم فقد سرتم على الاشواك

من كـان يطمع أن يسد بسعيـه ... ما كان سد العالم الرفاكى

فليبرزن الى الميادن ثم يكــ ... ـفيه علاء أن يرى كالحاكى

هيهات أين الماردون وان أتـوا ... صفـا جميعهم مـن الامـلاك

* * *

قولة المؤرخ علي بن الحبيب فيه

(ومنهم الفقيه العالم العلامـة المشارك الفهامة أبو عبد الله سيدى محمد بن أحمد الايكرارى أصلا • الجرارى سكنى المقرىء بمدرسة (عـين بنى جرارة) فى الحال • كان عالما كبيرا • فصيحا لغويا • عليه أبهة العلم • شمر عن ساق الجد فى بداية أمره • حتى وصل الى أعلى قنن المجد وفخره •

صواما قواما ذا دين متين حيسوبيا منجما فلكيا اليه المرجع اليوم في علم التوقيت، كثير الانتساخ لكتب العلم، قلما تجده الا ناسخا أو مطالعا، له خزانة من الكتب عريضة قرأ على الشيخ الراوية أبى عبد الله سيدى محمد بن العربي الادوزى رحمه الله • وكذلك قرأ على أبى فارس سيدى عبد العزيز الادوزى • وله مراسلات مع الادوزيين كالعلامة سيدى المحفوظ الادوزى وغيره • وقد انتهت اليه رياسة العلم في هذه الديار وجمع بين الخطط الثلاث بين الفتيا والتدريس والقضاء وكان شديد الشكيمة في الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا تاخذه فيه لومة لائم ومن عادته وشدة حزمه ويقينه أنه لا ينتظر الناس لصلاة الجماعة • فبفراغ المؤذن من آذانه • يقيم له الصلاة • فلا يصلى معه الا من وجده الحال قد سبقه للمسجد • الى فضائل أشهر من أن تذكر وغزارة علمه واتساع علمه • وعلو مرتبته غاية في بابه • وقد وقفت له على تأليف سماه (روضة الافنان في وفيات الاعيان) أبدأ فيه وأعاد وحرر المراد

وله (تاليف) أيضا، ذكر فيه فهرسة أشياخه، وما لقى من العلماء، ومن حاوره أو حاضره • وما حصل عليه من فنون العلم واجازاته فيها • ومن وقف عليه • شهد له بالفضل وقضى له بعظيم القدر • وعلو المنصب • وأنه لفريد عصره • ووحيد دهره • وأعجوبة زمانه • وياقوتة أوانه • له أجوبة وقصائد ومقطعات كلها تدل على تأصيل أدبه وله لولا الاطالة – قصائد ونثر فائق مع الفقيه الشاعر نابغة الزمان السيد الطاهر بن محمد التانكرتي الافراني الدار – لقيدت منها ما يكفي ويشفي وفي كل منها بحق صاحبه كما قيل

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابى

ايقظا الوسنان ونبها الكسلان بحلو ضربهما (١) • بعضها موجود • وبعضها مفقود له اليد الطولى في سائر العلوم وخاطب وحاضر ومازح علماء عصره بأدبه • وهو الآن في قيد الحياة • يذيل القصائد. ويكشف عن وجوه معضلات العلوم ولقد بذل مجهوده في تقرير العلم الشريف لاهله الراغبين فيه • وبين اهم ما أشكل على المتقدمين وجمع ما كان متفرقا وله مباسطات الاخوان في الاتاى قوله

(فشرط الاتاى نعنع ما تيسرا) الى آخرها

ثم لما زار مولاى يوسف الملك المرحوم (سوس) كان ممن خاطبه

(١) الضرب محركا العسل الابيض الغليظ •

المترجم • واليك ما قال ابن الحبيب في ذلك

ومما مدحه به الفقيه العلامة الايكراري ما نصه

محمد بن أحمد الجراري	مقره الاسمي لدى الجراري
رحب بالسلطان سيدى يوسف	قطب المغارب وفخره الانوف
شرّف بالاقدام منه السوسا	وأسست جنوده الاسوسا
وأمنت بيمنه الطريقا	وطبقت أفقه البروقا
أراك في سلطانه كل عجب	به يروق ملكه وينتخب
يطير جنده ويسبق البروق	به يطاول الحنين للمروق
بركة أرسلها الاله	فانمحقت لمن بغى مناه
أطال مولانا مدى سلطانه	حتى يرى الهرم من ولدانه
من على العباد بالاقدام	جزى بالغفران والانعام
ما استنت الاقلام والكلام ،	يهدى له الغرام والسلام

لما أطلع أخونا الاريب العلامة النجيب • الشاعر المفلق • الوجيه المتحقق السيد محمد ولد البيضاوى باشا تارودانت • كلاها الله • لما زار عاملنا • وسمع بتخطيط هذا المؤلف • ألح علينا بالاتيان به • فثقل علينا • لانه غير منقح ولاملفق• ولعلمنا أن مثله لايطالع مثل هذا الملفق• فأبىوقال لابد لنا منه • فأتيته به • وهو يومئذ بـ (دار السعادة) بمجلس الخليفة السيد عبد الله الجرارى • فصرت أقرأه عليه • وأنا في شدة الخجل منه • فصار يستحسن كل ما مرت عليه منه ترجمة الى أن وصلنا الى هذه القصيدة المتلوة • فقال لابد أن تكشطها من هذا التقييد فقلت له انه جامع للغث والسمين فقال ان هذا التقييد يعجبنى غاية غاية فـان أبيت أن تنحى منه مثل هذه القصيدة • فسمه بـ (كرش الذئب) فأخذنى خجل عظيم • فاستحييت وتوقفت وقلت • نعوذ بالله من شرور أنفسنا وما جنت به علينا أيدينا • وعلمت أنه عرض بتأليفى هذا • فعزمت على حرقه أو تركه من غير اكمال فاستشرت فيه بعض الاخوان واستأذنت فيه من علقنا بيعة أعناقنا • وقلدناه أمورنا (١) فأشار على ان أتمه واستعمل بقول من قال • فمن حكى قول الناس فما عليه من باس • فكيف ونيتى فيه والحمد لله خالصة وسريرتى من الحسد صافية •

ولا تحسبن أيها القارىء والسامع أن شعر هذا السيد المذكور منحط عن الدرجة الرفيعة • فان له قصائد فى بابها • خاطب بها فحول أهل الوقت

---

١) يعنى القائد عليهم

والعصر . وسترى قصائده عند ذكر ترجمته ان شاء الله . ولا يغرنك قول مثل هذا السيد فى مثل هذا الحبر وحقيق أن القرائح متفاوتة متفاضلة. والاسماع تمج والمعاصرة أكبر منذلك كله. فالله يجبر كسر حال جميع الامة الاسلامية .

(أقول عمدا أتيت بهذه الفذلكة لندرك أن لمعاصرة ابن الحبيب للمترجم دخلا فىالاتيان بكل هذا الكلام الذى أبقاه فىكتابه فوقع فيما كان يعيبه عليه . حتى ادعى أنه انما ألف كتابه ليخلو من ذلك . سامح الله الجميع وجمع الجميع فى الجنة على سرر متقابلين)

الواحد والثلاثون ـ القاضي ابرهيم بن محمد بن أحمد: ولد المذكور قبله

هو سبط الاستاذ ابن العربى الادوزى . ولد فى ٢٢ ـ ٦ ـ ١٣٢٥هـ كما كتب به الىّ والده رحمه الله . وقد نال من صغره عناية كبرى منوالده فصفت قريحته . وذكا لبه . واتسع علمه . وله اجازة من والده . ومن ابن عمه الاستاذ سيدى الحسن بن عبد الرحمن الفلكى . ولم يعد فى أوائله والده فى تحرير الفنون . واستخراج مكنونات المتون . ثم كان عند الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى سنتين . نزع فيهما عنده منزعا ءاخر . وكرع منه فىبحر ءاخر . فكانت له بذلك مشاركة تضاهى أن تؤول الى مشاركة والده أن ثابر . وما أخلاقه. وما علمه. وما كل أحواله الا من والده . حتى تعاليه بالعلم . له من والده منه حظ وافر . ولا خير فيمن لم يتعال بما علم بالعمل به . فيصونه . وهل يوجد خير فيمن لم يصن علمه ؟

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لعظما

كنت لمحته عند والده حين زرته فى (تالعينت) عام ١٣٤٠ هـ ولكنه اذ ذاك كان لايزال فرهدا يناهز البلوغ . واما الآن فقد استوى رجلا عالما جائلا فى الميادين . وقد شارط بعد سنة ١٣٥٤ هـ فى مدرسة (تاغلولو) بـ (مجاط) ثم بعد ذلك ريض فى داره مثافنا لوالده . وله اطلاع حسن . ومساجلات قيمة مع الادباء الجراريين . ومجاذبات فى مسائل علمية . وقد تفضل فكتب الىّ بنتف من ءاثاره وأنا له من الشاكرين شكر المرء لابن خالته .

هـذا ثم انني اتصلت بـه وزرته فى داره فى ربيع النبوى ١٣٦١ هـ فرأيت منه ما كان أعلى مما أسمع . ففاز البصر بأعظم مما سمعته الاذن . وقد وجدته فى طفاوة علمية واسعة . وفى مقام كبير كريم فى قبيلته . وهو رفيق رئيس (تالعينت) الآن الشيخ عبد الله ابن القائد عياد ـ وقد

ذكرت كل ما رأيته منه (في الرحلة الاولى) من كتاب (خلال جزولة) ـ وقد أنشدني اذ ذاك وافادني كثيرا حياه الله وبياه

بعض آثـاره

اطلعت له على ءاثار كثيرة انتقينا منها ما ياتي

قال يخاطب الاديب محمد ابناني كاتب سمو الاميرالشريف المولى الحسن خليفة الملك المحبوب بـ (تزنيت) حين التحق به كاتبا :

كتم الهوى يغشيه فرط هيـام وذبـول اجسام ولـوك كـلام
ومن العجائب كتمه والشانـان يبدو ولا يخفى عن الانـام (١)
قسما بربات الاساور ما الهوى ان البكاء على ربـا الارام
وتـولــه وتحير وتفكــر وتنهـد وتـلازم الاجـام
فعلام تعرض والوصال المشتهى والمبتغى من ذات لين قـــوام
والى م تمطلني وللقلب المتيـــ ـــم لوعة والجسم رهن سقـام

* * *

من لى بليل الوصل اغتبق الرضا ب واحتبى من فـوق ست غرامى
كلا وأنى الوصل وصل مهاة خد ر والرقيب لها شديد لزام

الى ان قال :

واها لذا التهيام كيف يقدر صبـ ـــر الصب من كمد بحد حسام
ما لى وللتهيام والتنضال والتمثـا ل والاهــوال رشق سهـام
هلا اكتفيت بما الخيال فتصبح الا فكار ترتع فى رياض بشام
وتظل تجنى الزهر والريحان والـ ـورد النضير بروض خـير نظام
وتتيه أن هنأت معالى الندب شم س العز فى برج الهنا بمقام
بدر المجادة فى سماء السعد فى أفق المراتب مصطهى الاعظام(٢)
فرع الفخار محمد البنـان ذى الا نظـــار والافكار والافهـــام
نجـل السراة الغر أرباب المفـــا خر والعلا والمجد والافخـــام
يا أيها الحبر المعظم لح هـــلا لا كاملا فى البرج برج سلام

---

١) الانام كالافلام لغة فى الانام كسحاب

٢) اصطهى الفرس استوى على صهوته

واشرب بجام الفوز شرب المجد فو ... ق سرير سعد راعيا للذمام
واهنأ بذاك الانحياش لجانب الـ ... ـعز المؤيد غـرة الايـام
شمس الهدى المولى الخليفة من له ... فى المكرمات أزاهر الاكمام
مولى له فى المجد أى فضيلة ... ولـه دعائم كـل عز سام
نجـل الملوك الصيد تيجان العـلا ... وشموس دين فـى سما الاسلام
منى السلام عليهم ما اهتز غصـ ... ـن الشوق فى روض البها بهيام

وهى طويلة • أطال فيها حول هذا الشريف الاجل مخدوم مخاطبه •

ومن ءاثاره قصائد كثيرة • يلقيها فى كل مناسبة فى حضرات رؤساء (تالعينت) فلنختر منها ما يروق • فمنها لامية قالها فى ختم للبخارى

جـاد الخميلـة وابل هطال ... فغدت زهور غصونها تختال
وارتاح من طرب وماس عرارها ... ميس الحسان كما تشا الامال

يقول فيها

أين الجهابذة الالى هم فـى العـلا ... مـلاك رقتـه وهم أقيـال
أين الاساند والاساتذ والـدرا ... يـة فالنبوغ يزيـد والاقبال
فاتاه منتدبا هلال المجد فى ... فلك السعادة عـالـم مفضال

ويقول فى وصف أحد أولئك الرؤساء

والجهبذ الحـامى الذمـار المصطهى ... ضجن العلا (عياد)ذا المفضال(١)
أرباب تفضال وابناء العـرا ... نين الكرام الغر هم أبطـال

ويقول أيضا فى مثلها وهى قصيدة ميمية مطلعها

ألا يا زهر أكمام الاكـام ... لتنعم غب تهطـال الغمـام
ومس عـن زهر ورد الروض روض الخـدو
د خـدود ءارام الانـام

يقول :

ألا رعيا لذاك العهد لمـا ... تجمـع فيه ءامـال المـرام
واذ ورق المسرة صـادحات ... عـلى أفنـان دوحات الهيام

---

١) ضجن محركا : اسم جبل

الا رعيا لليل الوصل رعيا ... ويا عودا لـه بعد انصرام
ويا عودا لايام تقضت ... بسرد أحادث البدر التمام

ويقول فيها مخاطبا للرئيس

ألا باه الملوك بذى المزايا ... فقد رك شامخ سامى السنام
لتهنأ بالمفاخر والايادى ... وبالاعياد أمنا والصيام
على حين السعادة ساعدتنا ... ووجه السعد طلق ذو ابتسام
واذ تسعى الامانى خاضعات ... الى الافكار سعى المستهام
لقد تاهت على الاقطار (عين) ... بكم تيه الاسانيد بالختام (١)
أسانيد البخارى الحبر قس الـ ... ـفصاحة رب أبحاث فخام
على الهادى وعترته التحايا ... تدوم دوام أكوان السلام

وقال يخاطب الاستاذ ابن عثمان ابن عمه من قصيدة

برضاب ثغر الغيد بالاحداق ... بمهفهف بالردف بالاحقاق
بسوالف بالفرع بالقرط المنيـ ... ـر بوجنة بمدعج الآماق
بتدلل بتغنج الا قبلـ ... ـت من الاخى معاذر الاوراق

ومن اثاره أيضا قوله يقرظ كتابا من قصيدة اختصرنا منها

الشمس لولا سنا لم تعن فى المثل
(فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل (٢)

ما صال سهم لحاظ الغيد فى ملا ... الا وجدلت العشاق بالمقـل
وكيف لا وعيون الغانيات وربا ... ت الخلاخل أرمى من بنى ثعل
ياليت شعرى أيرجى وصلهن و ... ن الساحرات بطرف الاعين النجل
لكن شرع الهوى يسوغ الهجر والسـ ... ـحر وصيد المها بالختل والحيل
فليعذلوا الصب أو فليعذروه فما ... ينفك مستعلنا بالعشق والغزل
ولا يرى تاركا لما يكابده ... وان تفنن أهل اللوم فى العذل
ولا يرنحه سوى الظباء وجـ ... ـس العود والنقر للاوتار فى الكلل
واهـا له كيف يسلو عن جاذره ... بالنعت والعطف والتوكيد والبدل

الى أن يقول يصف المؤلف

فقل لمن يدعى ادراك مدركه ... (ليس التكحل فى العينين كالكحل)

---

١) عين المقصود به العين الذى هو اسم تلك المدينة الصغيرة التى يقطنونها والمعروفة بالشلحة (تالعينت)
٢) شطر من لامية العجم وأوله (خذ ما رأيت ودع شيئا سمعت به)

وقال فى قصيدة أخرى :

رضاب ثغر ذوات الدل والكحل اشهى لصب من الجريال والعسل(١)

من كف غانية كالشمس بهجتها والراح فى راحها كالشمس فى زحل

فانظر اليهـا ترى شمسا تمد بها

أخرى الى الشارب النشوان ذى الخجـل

وقال فى أخرى نبوية ، رفعها الى الخليفة الاجل

يا راصد السعد فى ابراج عزتـه وراقب اليمن فى ءافاق طلعته

أنجحت ان جبـين السعد منبلـج فوق البرية فى أنوار غرتـه

فهز باب الرسول الهاشمى أمـا م الرسل من كلهم يسعى لنصرته

واذكـر مفـاخره العظمى التى انصـدعت

لهـا الشرافات اذ خرت لهيبتـه

الى أن قال

ذاك الرسول الذى تعنو الخواقن والا

مـلاك والرؤساء طـرا لـعـزتـه

كمثل ابنائه الغر الائمة أنـ ـصار الهدى وسياج دون ملته

لاسيما السيد البر أجل بنيـ ـه الحسن الفذ من يسمو بنسبته

أقول : ان للجراريين أدبا خا صا تسابق فى حلبته منهم شيوخ وشباب كشيخ الادباء الجراريين سيدى الحبيب البوسليمانى وابنـاء عمومتـه ، كعبد الرزاق ، والحسن السنطيلى ، وعلى بن الحبيب والاستاذ محمد بـن أحمد الايكرارى ، وابن عثمان ، ومحمد بن سعيد الغرمى ومحمد عبـد الرحمن ابن القائد عياد فكان المترجم يقول من بينهم فقد اطلعت لـه عـلى قواف متعددة فى القائد (عياد) وابنه وءاخرين ومما قاله فى قاضى (تزنيت) قصيدة مطلعها

حظيت نياق العزم بالآمـال ويتم سعد مطـالع الاكمـال

من بعد ما تعبت بقطع مهامه فيها القطاة تحار فى الترحال

من بعد ما امتلأت ربا الاكام بالسـ ـيل الجسيم بهاطل الاهوال

ويـح الشجى من الخلى أليس ذا تهطال وابل ءارض البلبـال

الى أن يقول

يا أيها القاضى السمى جنابه ؛ بسمو قدر شريعـة المتعـالى

١) الجريال بكسر فسكون من أسماء الخمر

دم للقضاء مسربلا ثوب السعـا دة والهنا والسعد والتفضال
زفت اليك خريدة تزرى بعز ة والرباب وكل ذات جمــــال
تبغى القبول لمهرها وهو العنـا يــة دائما وحضورنا بالبـال

* * *

هذه نماذج مما كان يقول هذا الفتى النجيب • فلئن كان هذا فى بدايته وهو اليوم كما افترعت رجلاه قمم الادب • وكما أنشأ يناغى ربة الشعر فكيف اذن يكون غدا ان سار على هذا الدرب • وهـل يصير الهلال الا بدرا كاملا ما رأيته يزداد نموا الى نمو فى أنواره المتلألئة •

وهذه بطاقة كان كتبها الى يوم أرسل الىَّ جملة مما يقوله مع طائفــة مما صدر عن والده • قال

(على العلامة الذى تنير بدرايته حياة المعانى • والغطريف الذى لـه اليد الطولى فى جميع المبانى • أبى عبد الله سيدى محمد المختار • المختــار المقدمتــين وقاه الله من جميع المكاره فى كلتا الدارين • السلام والرحمة والبركة •

هذا فالمرام منكم الدعاء بصلاح الحال والمآل • لنتحلى من رضوان الله هنا وهناك بما هو انفس من حلى اليواقيت واللآل • وأن تأخذ ماتيسر من شعر الوالد والجد الادوزى وشعرى • تستلمه من الحامل • وأما تتبعى لما قاله كله • فعويص • لكثرته جدا • على أن أمر سيدى أمر متبع • وأنا له من ظله أتبع • فان تعلق غرضه بأكثر من هذا منه • فاننى لا أقصر ان شاء الله ان أمرنى به والسلام

كتبه فى ١٥ ـ المحرم ١٣٥٧ هـ أخوكم ابرهيم بن محمد الايكرارى •

أقول ان يد سيدى ابرهيم ابن الخالة هذه • لن أنساها له • حين لبى ندائى • لما أجابنى وأمدنى بما أمكن له • على حــين أن كثيرين اذ ذاك كاتبتهم فامتنعوا من أن يعيروا لمثل هذا النداء أذنا • جهلا منهم بما أنويه • اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون •

(هذا ما كنت كتبته فى هذه الترجمة منــذ سنوات • ثم لـمـا التقيت بالمترجم وعرفته وجالسته وثافنته • رأيته أكبر مما ذكرته به فيما تقدم • فانه تجاوز العقبة • فكان فى كل العلوم مشاركا مشاركة يقبل بها ويرد • فقد ذاكرته فى مسألة بيانية ففرطس فيها بديهة الصواب • ثم أتى بالمطول والاطول فاذا به قد درسهما • كما اننى ذاكرته فى الفقه وفى الادب • فرأيته بازلا من البوازل القناعيس فيهما • وقد خلف والده فى مقامه وفى جلالته وفى كل

شيء فأصبح العالم المشار اليه في (تالعينت) وله مخالقة للناس يثني عليه بها كل من حاذاه • وهذه الحالة وحدها سياج متين لمركزه • وهواليوم رفيق لدته الرئيس ولد عيـاد فاستحالت الرياسة هنـاك والعـلـم الى الشباب • وهل يضيع ما يتولى قيادته الشباب •

كنا نسرد قصيدة لوالده عينية فعرضت فيها لفظة (الكوع) بفتـح الكاف • فسألت عنه • فأفادني أنه المشي على الركب • كما عرضت أيضا لفظة (اصطهى) فما عرفتها • فقال استوى على الصهوة • فهكذا أفادني في تلك الجلسة كثيرا كما انشدنا لوالده

سكرنا المعلوم لم ير انبى كمـا لجسوس بنص اجتبى

وانشدنا اذ ذاك أيضا • والكؤوس تدار :

اسقني بالكبير اني كبير انما يشرب الصغير الصغير

وقد أفادني عن والده أنه كان ينسخ الى أن توفـي الكتب القيمـة فأراني بعضها ككتاب (الانيس المطرب) الذي كـان من أواخر مـا نسخ وناهيك بابن نحو ثمانين لايزال يكب على النساخة للكتب الادبية • فهكذا هكذا الهمم •

وكذلك حكى أن والده لم يفارق القلم يده الا قبل اسلامه لروحه بدقائق فانه كما حرر عقدا لم يغادر فيه شرطا من شروطه • ثم صار يوقع عقودا أخرى فاذا بالاجل وافاه رحمه الله •

كذلك الاستاذ العلامة أبو سالم اليوم ١٣٦١ هـ • وغده سيطلع بما هو أعلى من اليوم • كما أن اليوم جاء بما جر الذيول عما لـه أمس • رأيته كذلك فلم أملك أن قلت فيه بديهة

في كل يوم في العـلا يزداد من كان كل مجادة يرتـاد
رضع المعارف من ثدى غطارف بسوى المعارف كلهم ما سادوا
ما شئت من فهم جديد يستقبـ ـم اذا يمس ثقافه المنـآد
لم أنس ساعات تقضت بيننـا والمونسات تحوط والاسعـاد
والدهر يخدم والاماني مثل جمعاء ما حامت بنـا أنكـاد
تختال في حلل المسرة مستطـا ب بيننا الاصـدار والايـراد
سقيا لها ساعا لطافا انهـا حقـا بمـا نلنـا بها أعياد
شمس لها (تلعنت) هالتها التي في كل يوم في السنا تزداد
حييت يا ابن الخالة الاصفى فمـا لي بعد ودك في الاخا مرتاد

ذلك هو الاديب العلامة الموطأ الاكناف سيـدي ابرهيم الايكراري •

أحد عدول محكمة القاضي بـ(تزنيت)اليوم. وقد قام بكل مايتعلق بالشرعيات في قبيلة الجراريين ثم يقدمها الى المحكمة بعد ان يجيل فيها نظره ويستعمل فيها يراعه . والحمد لله حين بقي السر فيمكانه . والعلم فيداره . فما أفلت شمس العلامة محمد الايكراري. حتى اشرقت شمس ابنه في عليائها. ثم ان مقامه فيازدياد . فقد قام بتدريس مدرسة (تالعينت) الى الآن ١٣٧٤هـ

في خطة القضاء

(ذلك هو الاستاذ ابرهيم سنة ١٣٧٤ هـ ثم جاء الاستقلال . ونظمت المحاكم القضائية في سوس (١٣٧٦ هـ) فتعين قاضيا شرعيا في محكمة (بوزاكارن) حيث تنضوي اليها قبائل (افران) و (مجاط) و (الاخصاص) و (أيت برايم) و (الساحل) فها هو ذا يقوم في ذلك بالواجب . فالله يوفقه ويسدد خطاه وهكذا صار هلال أمس بدرا كاملا اليوم .

قولة ابن الحبيب فيه

قال بعد ما ذكر ترجمة والده

(ومنهم ولده الانجب وشبله المنتخب . الفقيه ذو المكارم . العلامة أبو سالم سيدي ابرهيم بن محمد الايكراري سلمه الله تعلى وعافاه ومن مكاره الدنيا والآخرة حفظه ووقاه . قرأ على والده . وناهيك به حفظا واتقانا . وفهما وعرفانا مع سخاء وأدب . وحياء وعلو همة وبسط موانسة . وحسن العشرة . مشكورة افعاله كلها . وليس هذا بغريب من حسن طلعته . ولطافة شمائله وعلو مرتبته . فان الشيء من معدنه . وها هو اليوم مكب على تأدية واجباته . فرائضه ونفله . وسائر متطوعاته وساهر ليله في ارتقاء مراقي النجاح ومعاليه . ولشعري ان ذلك ليرقيه ويرغم أنف حاسديه وكذلك أخذ عن شيخنا المحقق . سيدي المحفوظ الادوزي علم المعاني والاصول فلازلت أيها النجل تقرع باب كل فضيلة وتتباعد عن كل رذيلة . حتى تكون قرة العين . ومن باكورة شعره وألغازه. قصيدة رمى بها بعض طلبة العلم . كلها ألغاز ومحاجاة وأجله في الجواب عنها شهرين متتابعين فلما وصلت الى يد العالم المذكور . ضاعف الله له الاجور . رماها علي فوجدتها مؤسسة بالادب وفتحت فيجدرانها أبواب الارب بعد أن زعم كل من طالعها أنها لاتستطاع ولا تتعلق ببيانها الاطماع . فرمتها فما امتنعت . وكلفتها وضع القناع فوضعت . وهي هذه :

سلام محب شائق يعتلى على   الخ

وتتضمن القصيدة أسئلة فقهية وتاريخية متعددة كان سأل عنها الفقيه ابن الحسين الايدغى وقد قال فى ءاخرها

أبو سالم راميك عن قوس باعــه   فجاوب اذا مــا العلم عندك مقتنى
ولكن بنظم فى الروى وبحره   لتبنى علىحذو السؤال كما ابتنى

فتصدى للجواب الاديب على بن الحبيب بما مطلعه

سلام غدا فى حسنه يجلب الثنا   ويزرى بروض زاره وافد الهنــا

فتتبع كل المسائل حتى استوفى الجواب عنها واحدة فواحدة

الثاني والثلاثون ـ أحمد بن محمد أخو من قبله

للاستاذ الرفاكى أربعة أولاد من الـذكور أ) ابرهيم العلامة المتقدم ب) العربى ولايجول فى مجالات أهله العلمية رأيته كبيرا يزاول شؤون الدار • ولد قبل غروب الشمس ٢٣ من المحرم ١٣٣٤ هـ وهو فى (تزنيت) يزاول اصلاح الساعات فى دكان • وهى حرفته الخاصة اليوم

ج) عبد الرحمن المولود بين العصر والمغرب مفتتح رجب ١٣٤٦ هـ وبعـد أن أخذ قليلا من المبادىء بين علماء أهله اتصل بنا فـى (الحمراء) فأكب على الادب • حتى كان له فيه ما كــان • فعهدى بــه يقرض الشعر • ويستحلى الاكباب على كتب الادب وحدها ثم فى ١٣٧٠ هـ تعين أستاذا فىاحدى مدارس الحكومة فى (سوس) وهو على ذلك الآن ١٣٧٩ هـ ولم يحضر عنــدى منأبياته شىء • وهو حسن الاخلاق • حاذق فهم لبق تزوج فكان له أولاد د) أحمد صاحبنا هذا • ولد فى الساعــة الثالثة من ليلة الثانى عشر مــن ذى الحجة ١٣٣٠ هـ فهنى به والده بقول الاديب سيدىعبد الله البوكرفاوى:

أمولاى يا من علمه أنقذ الورى   من الجهل لازلت الهلال المنــورا
هنيئا لك النجم الذى نجم سعده   بدا فغدا للدين طودا مقررا
فبارك فيه الله نجــلا قد ارتوى   بمجد وفاز بالعلوم مظفـــرا
وبارك فى اخوانه الشم انهم   خيار الورى من ودهم لــن يدمرا
جياد المدى منى العفاة عرانيــ   ــن المفاخر من عادوه دام مدمرا
على سيدى شمس المكارم والعــلا   تحية عبد رام نصرا مــؤزرا

وهــذا الاديب البوكرفاوى عالم حسن تخرج بالفقيه الايكــرارى• كما سمعت انه أخذ أيضا أخذا قليلا عن غيره • ولعله عن الفقيه سيدىالحسين

ببيس • وقد كان يشارط في مدارس بلده (بعمرانة) فيدرس هناك • ويفتي ويقضي • وكان سؤولا فيما يتوقف فيه • وقد مد سؤالا للاستاذ أبي الحسن الالغي سنة ١٣٣٥ هـ كما أظن يتضمن مسألة فقهية في الحبس وقد كتب اذ ذاك لهذا الاستاذ

الا أيها الحبر الجليل الذي عـلا	على كل ذي قدر عظيم من الملا
ويا من غدا في الناس موئلهم اذا	تخالف صوت من ذوي الخلف واعتلى
ويا من شموس العلم تطلع دائما	على أفقه أضوأ شروقا وأكمـلا
اليك كتبت كي تجيب تفضـــلا	ومثلك أولى أن يجيب تفضــــلا
واني لدار أن نصك دائمـا	عتيد لديك فاستجبب لمن أمـلا
وقد حارت الافكار من كل عالم	هنا فأزح عنا ظلاما قد أسبلا
عليكم سلام الله ما هبت الصبـا	وما البدر في تلك السماوات قد علا

وهذا السؤال قدم للاستاذ الالغي وهو مع الجيش هنـاك • فكتب اليه بما نصه

أتاني نظام كالرحيق مشعشعـا	اذا دارت الكأس الدهاق على الملا
من العالم الارضى الفقيه أبي محمـ	ـد من جميع المكرمات تأثلا
يريد جوابا من أخي غربة له	مجال بنفع ثار يحجب جحفـلا
فراجع اخي شرح (التسولي) عند با	ب حبس ترى النص الجلي مفصلا
فان لم يخب ظنـي فانك واجـد	هناك جوابا فوق ظنـك أكمــلا
واني لمهد زهر خير تحيــة	اليك أيا من فوق كل قد اعتـلى

كنت وقفت على هذا كله بغير خط الاديب والاستاذ • ومن غير نسبه فأرشدني بعض الناس الى الحقيقة في ذلك •

توفي الفقيه البوكرفاوي في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٨ هـ والشرفـاء البوكرفاويون أسرة مشهورة • فيها علماء ووقراء وتجار • ولم نتصل الى الآن بمن يفيدنا عنهم ما يلقي عليهم الضوء

أخذ سيدي احمد ابن الايكراري القرءان عن الاستاذ احمد بن مبارك الاكلويي المشهور بالسملالي من تلاميذ والده ـ كمـا تقـدم ـ من قرية (أفود نتكيضا) بـ (أكلو) ـ وهو كرسيفي ذكر مع أهله في الجزء (السابع عشر) • ثم عن الاستاذ العربي بن مبارك التيزنيتي • وكان الفقيه الرفاكي شارطه لابنائه ثم عن الاستاذ أحمد الاعرابي السباعي ثم عن الاستاذ عمر ابن مبارك البعمراني • ثم عن البشير الجراري • وعن عمر • عن هؤلاء

تخرج وكان والده يشارط له ولاخوته هؤلاء الاساتيذ ليتعلموا تحت نظره في دارهم ٠

في سنة ١٣٥٠ هـ افتتح المبادىء العلمية فلازم والده يتدرج في المتون على العادة الى سنة ١٣٥٨ هـ يوم توفي والده فبوالده تمكن وأمعن في النحو واللغة والفقه ثم لازم ابن خالته الاستاذ محمد بن عثمان في قرية (ايكرار) لانه هو الذى سكن في دارهم الايكرارية ثم تزوج بنت خاله سيدى ابرهيم بن محمد بن العربى الادوزى ولكن الزواج لم يحل بينه وبين متابعة دروسه ٠

كان يأخذ عن ذلك الاستاذ ابن عثمان هذه السنوات البيان والفقه واللغة والحديث والادب فيدرسان في مسجد القرية ـ ايكرار نسيدى عبد الرحمن ـ (١) وحدهما المختصر والتلخيص والالفية والمقامات الحريرية والموطأ ٠

هكذا وجدتهما لما زرت تلك القرية سنة ١٣٦١ هـ وقد جالسته وأعجبني فهمه وتقدمه ٠ وتطاوله الى التحليق في الاوج وكان حسن الاستماع اذا حدث حسن اللهجة اذا حدث ٠ يحرق الارم على ان لم ينل بعد كل ما يتسامى اليه ٠ وقد رأيته يحاول أن يتبصر في هذه العلوم العصرية كالجغرافية وما اليها وكذلك يورد أسئلة تدل على ذكاء وحسن ذوق فقد سألني عن (ياجوج وماجوج) في مجلس هناك فتنكبت الجواب في الحين فوعدته أن أكتب اليه بما عندى حول ذلك ٠ اذا به ذكر تفسير الطنطاوى فقلت له عليك به ٠ فان ما فيه هو الذى أرتضيه ٠ ولئن دام على هذا السير وبقي على هذه الهمة وتيسر له أن يستتم في الحواضر كما أحبه له ليصبحن من أكابر علماء عصره ٠ وقد حببت اليه الكتب العصرية فتكون له فكر ثاقب ٠ في أحوال العالم

وقد وقفت على قطعة لاخيه أبي سالم ٠ يخاطبه بها

عليك مني سلام طيب الارج ... يا بدر هالة أفق العلم والمهج
أخي أحمد فرع من سما ودرى ... بك التعاضد حين الفخر ذو حجج
عليك بالادب المختار ان بـه ... نيل المنى ولحوق المنصب البهج
ثمت عرج الى الخط الرفيع اذن ... لانه اللهجة الفصحى لدى الدرج
وكن لدى الدرس مولعا بزبدته ... تكن سريا ونبراسا من الدلج
وجانب الخبط والزلات ان لها ... تأثير خطية تصمى من الحرج
اليك نصحى أتى منهل صيبه ... فاقبله واكمل به فليس بالسمج
ثم السلام عليك من أخيك ندى ... مر الحوادث والاعصار والحجج

---

١) النون في الشلحة للاضافة كأنما قيل (ايكرار سيدى عبد الرحمن)

وكنت رأيت له قريضا لم يحضرني الآن • وهو أديب حسن وعينه فراره وكيف لايكون الا كذلك

اذا كان فذا في الطعان لدى الوغى فما هو الا من كماة مطاعين

في خطة القضاء

لاحظه السعد كما لاحظ أخاه ابرهيم فصار قاضيا في (أكلميم) بعد الاستقلال على قبائل اتكنة • فظهر منه حسن الادارة • فالله يسدده (ثم انتقل الى (أكادير) لحسن ادارته • وقد حفظه الله من الزلزال ليلة الفاجعة ولايزال في (أكادير) الآن مختتم ١٣٨٠ هـ (وليس عندى من آثاره شيء)

الثالث والثلاثون ـ اسماعيل بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

قال فيه أخوه المؤرخ الايكراري

(ومنهم الاخ الشقيق العالم المشارك سيدى اسماعيل بن أحمد كان رحمه الله جوادا مبذرا أفنى عمره في الشرط فلم يستبق فيه المال ولا نظر اليه في كل حال عكفت عليه نفاليس (أيت بوياسين) كل يوم • فيستدين لهم ويبيع احضاره ـ أى أجرة شرطه ـ بأبخس الثمن • فيوكله لهم قبل ابانه • فاذا أخذه صرفه لمن له • ويوم مات ترك دينا ست عشرة غرارة • فخلصتها عليه • وكذا ما عليه من الثمن • توفى رحمه الله في ٥ صفر عام ١٣٤٧ هـ فورثته زوجته وبنوه فاطمة ومحمد ومحمد ـ فتحا ـ)

أقول كان لسيدى اسماعيل صيت حسن بالعلم • وكان سهل الكنف • يألف ويؤلف • ويثني عليه الاباعد فضلا عن الاقارب • وما ذلك الا لما جبل عليه من الكرم الذى يغطي كل عيب ولم يذكر المؤرخ عمن أخذ وقد أخذ عنه نفسه لانه واخوته كلهم أصغر من المؤرخ كما أخذ أيضا عن سيدى المحفوظ الادوزى قليلا وكان يشارط في مدرسة (أيت بوياسين) بـ (الاخصاص) ثم عرفت أنه أخذ أيضا القرءان عن على بن محمد من أبناء عمومته • قبل أن يلازم صنوه الفقيه الايكراري • ولم يتجاوزهم الا قليلا عند سيدى محمد بن عمرو في (أدوز) وقد ترك ولديه محمدا ومحمد وهما من أصحابنا الاعزاء النجباء ولو كانت عندى ولادتهما وءاثار لهما لافردتهما لانهما يستحقان كل اعتناء ولانهما أيضا من نجباء الابناء فالاول محمد الذى كان نشيطا في الحقل الوطني تولى بعد الاستقلال منصب الحاكم المفوض في (أكلميم) وله سيرة حسنة في منصبه مشكورة •

مذكورة • وفيه اقدام غريب • وجرءة ما مثلها جرءة • وقد تزوج فولد له • وهو الآن فى (أكادير) أحد العمد فى القضاء • له هالة واسعة حول أفكاره الوثابة • والثانى محمد رئيس على (أكلو) أزمانا• ثم مكث فى داره الى الآن • وقد لازمانى فى مراكش ما شاء الله معا فأخذا أخذا حسنا عنى أولا ثم عن غيرى من أساتذة (كلية ابن يوسف) بعد ما أخذا عن عمهما الاستاذ المدنى زوج أمهما المبادىء حتى شديا وهما من خيرة الشباب

الرابع والثلاثون ـ المدني بن احمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

أخو المذكور قبله أخذ القرءان عن صنوه اسماعيل فى (سيدى داود) بـ (أكلو) وعن على بن محمد من (ايكرار) وبهما تخرج • ثم لازم أخاه المؤرخ • ولم يتجاوزه حتى تخرج • وذلك فى المدرسة (الرخاوية) وفى بعض المدارس (الاخصاصية) وكان عالما عاملا حسن الاخلاق وكان دون اسماعيل سنأ وكان مشارطا فى (ايغبولا) وفى (أتبدّان) وفى (أزرو) بـ (هوارة) ثم كان فى المدرسة (التازروالتية) ثم فى مدرسة سيدى محمد بن يعقوب من (تاتلت) ثم (سيدى بيبى) ثم فى مدرسة (المولود) ثم لازم داره الى الآن ١٣٧٨ هـ ولم أحظ بالتعارف معه من قديم وقد كان أناس يبلغوننى السلام منه ورأيت كل من يعرفه يثنى على ديانته وعلى همته العلمية وهو فى كل هذه المدارس مجد فى التدريس قائم خير قيام • كما هو المطلوب من أمثاله •

وحين كان فى (أزرو) يبين جهرا ما يراه مخالفا من بعض الطرقيين هناك للصراط المستقيم ـ بحسب فهمه ـ فأداه ذلك الى أن اصطدم واياهم • حتى طالبه الباشا الحسن بن ابرهيم حين كان فى (هوارة) بالكف والاقلاع• فانف من ذلك فأقلع عن تلك البلاد •

ولد ١٣٠٥ هـ (ثم اننى عرفته ومازجته ، وزارنى بمراكش) كما زرته فى (سيدى بيبى) وأنا الذى أرسلته الى (تاتلت) لما تذاكرت مع الباشا الاكلاوى ، لاقامة تلك المدرسة هناك ولكن أهل تلك الجهة ، لم يرضوا فهومه فذلك هو السبب حتى رجع • وقد أخذ عنه أناس نجبوا وأدركوا كشباب من أسرته ، آواهم اليه ـ كمحمد بن اسماعيل الحاكم الآن فى (أكادير) ، وأخيه محمد الاستاذ والاديب الاستاذ المعلم عبد الرحمن ابن المؤرخ الايكرارى والاديب الاستاذ الحسين وكان أحد عمد جمعية العلماء فى معهد (تارودانت) وغيرهم • ولا يزال حيا الى الآن مختتم ١٣٨٠ هـ ، مجدا فى أموره ، مكبا على المطالعة حريصا على امتلاك الكتب • وقد توسع حتى صار مرموقا بين أهله • وهو الآن فقيه القرية ، وعميد

الديانة فيها والمنظور اليه كفذ في (ايكراز) فيبدئ ويعيد فيها وهو زوج أم محمد بن اسماعيل المتقدم . فكان ابن اسماعيل ربيبه . تزوجها بعد وفاة اسماعيل

الخامس والثلاثون : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

أخو المذكورين قبله ، ولد ١٣١١ هـ أخذ من صنوه الايكرارى ، وقد أخبرني مخبر أنه كان يأخذ عنه في مدرسة بـ (أيت رخا) والغالب أنه لازمه في مدارس مشارطاته التي سنتعرض لها فيما يأتي . ولم يتجاوزه منذ أن افتتح القرآن الى أن تخرج في المعارف . وشارط في مدرسة (أيت علي و'وكنوك) بـ (بعمرانة) وهناك ألقى عصاه أزيد من عشرين سنة من ١٣٣٨ هـ الى ١٣٥٨ هـ وكان ذا ذكاء حسن . وفهم جيد . وليس له خبب في النوازل كأهله . غير أنه منبسط في معيشته . مع ورع وجد في الدين كبير . وورده خمسة أحزاب من القرآن في كل سحر . لازم ذلك في أكثر عمره . وكل الذين يعرفونه يذكرونه بكثرة العبادة ، وأنواع من الاذكار مع عزوف عن العرض الفاني . وفي مبادئه كان يجد في التدريس الى أن أنسته حلاوة العبادة حلاوة التدريس .

ومجمل حاله أنه من أفاضل أهله من هذه الجهة . رأيت كبار أهله وصغارهم يشهدون له بكل خير وكان نساخاً في أول عمره اعتنى بـ (ابن عقيل) على (التسهيل) . توفي ٢٤ رمضان ١٣٥٨ هـ ودفن في (ايكراز) وقد أعقب ولده محمدا . تربى عند عمه المدني وتعلم القرآن. وهو يتابع أخذ العلوم . ولعله يرث من مجد العلم الذي هو وحده ما يورثه العلماء لاولادهم .

السادس والثلاثون احمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

هو أخو الهاشم بن محمد بن محمد المتقدم الذكر المتوفى بـ (مراكش) وصفه المؤرخ بأنه طالب تقي نقي . ولو لم يكن له باع في العلم وسط لما وصفه بذلك . له يد في المبادئ والضروريات في العلم أخذ ذلك عن أبيه ثم تقلبت به الاقدار ، ككل اخوته ، حتى توفي بـ (البيضاء) في المحرم ١٣٥١ وهو المشهور بسيدي أحمد اللحيان وله أولاد موجودون

السابع والثلاثون : احمد بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن

ابن عم المتقدمين ذكره (الايكراري) بنجابة ولم يذكر من أخباره

شيئا لا أين مأخـذه ولا كيف تقلبه في الحياة الا أنـه ذكر وفاتـه بـ (البيضاء) سنة (١٣٥٥ هـ) (ثم عرفت أنه أخذ عن علي بن محمد القرآن ، ثم عن الايكراري نفسه العلوم • (وقد تقدم ذكره بين تلاميذه) ثم صار يزاول التجارة • ثم حصل له خلل في عقله • الى أن توفي • وكان يلهج بالحج حين اختل

الثامن والثلاثون محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم

هو أخو سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي ذكر آنفا وكل أولاده علماء • وهو ثاني ولدي سيدي عبد الرحمن صاحب القبة بـ (ايكرار) وقد تقدم • قال فيه في روضة الافنان

ومنهم ذكي العقل • صحيح النقل • رقيق الحاشية • تتمنى الشمس أن تماشيه • ناهيك من رجل ما تلبس بشبهة ولا طمع أحـــد أن يكون شبهـه • يقـوم لكل الناس بـالانصاف سيدي محمد بـن عبـد الرحمن الايكراري • فقيه جليل يقضي بمشهور خليل من مناقبه أن بعض الناس كمن له في الطريق ليفتك به لحكم أبرمه عليه ، وكان جبارا معدودا لديه ، فستره اللـه (ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء) توفي ـ والله أعلم ـ عام ١٢٢٨ هـ رحمه الله • وترك أماجد من الاولاد ، لهم في العلم الطراف والتلاد » •

أقـول وقفت في كتاب عنـد أستاذنا أبي محمد سيدي عبد الله بن محمد الالغي على أنه توفي أوائل صفر ١٢٢٩ هـ

ثم ان هـذا السيد هـو الذي تولى الزاويـة بعد وفاة صنوه محمد ١٢١٤ كما تقدم فقام بالتدريس والافتاء والقضاء والارشاد وهو الذي آوى اليه الاستاذ سيدي ابرهيم أقراب السملالي الساحلي (ذكرناه بـين أهله السملاليين) ولم ندر الآن عمن أخذ ولعله أخذ عن أخيه محمد • وأولاده خمسة ، وهم محمد وأحمد • وسعيد وعبد اللـه • والحسن وهكذا ولادتهم بالترتيب ، كما ذكرهم لي سيدي عثمان • قائلا ان المكان المكـان الذي كان ذلك المحكوم يرصده فيـه يسمى (نطفيـة ايموسريف) ومحرراته في الاحكام موجودة ذكر لي أن بعضها في (بعمرانة) وقبره في قبة والده

التاسع والثلاثون سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم

ولد المذكور قبله ، قال فيه المؤرخ الايكراري :

ومنهم سيدى سعيد بن محمد كان رحمه الله رجلا دينا وقورا منعزلا عن الناس • حتى بنى خارجا عن المدشر • وهو أول من حفر البير فى (ايكرار) وبنى مسجده وحده يعبد فيه مولاه قال لى مرة هل بدأت الالفية فقلت له نعم فقال ان أردت المراد فعليك بالمرادى أدركه الهرم فاحتاج احتياجا فادحا • فمات بالجوع عام ١٢٩٩ هـ رحمه الله تعلى

ومن مآثره جسر على وادى (ايكرار) لايزال موجودا الى الآن وقد تأثر بمسغبة ١٢٩٩ هـ حتى كان يتمنى الموت • كما أخبرنى به سيدى عثمان

الاربعون : عبد الله بن محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمن بن برهيم

الولد الثانى لسيدى محمد بن عبد الرحمن قال فيه المؤرخ الايكرارى:
ومنهم الفقيه العلامة سيدى عبد الله بن محمد فهو كأخيه سعيد بنى داره وغرس • وله ولد فهم (الى أن قال) وهذا السيد لم يساعده الزمان مع كثرة علمه فلم ينفعه نفعا دنيويا فلما وصل ١٢٩٥ هـ رحل لـ (السويرة) فافتتن فى ماله وتشتتت كتبه • ثم رجع للبلد فمات رحمه الله فى العشرة الاخيرة من المائة الثالثة عشرة • أو الاولى من الرابعة عشرة • بعد أن عطل رحمه الله •

ثم صحح لى أن ولدا له ولد عام ١٣٠١ هـ فعلمنا أنه توفى أوائل الرابعة عشرة • وقد قال سيدى محمد بن عثمان انه كان يقسم التركات • فما أكثر آثار يده فى ذلك • كما أنه كثير الفتاوى • فقد رأى من ذلك الشيء الكثير •

الواحد والاربعون : محمد بن عبد الله بن محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمن

ولد المذكور قبله • ذكره الايكرارى • وقال انه فهم تخرج من (أدوز) توفى ١٢٩٥ هـ وأخبرنى بعضهم أنه كان فى الدرجة العليا فى النجابة • فرع أقرانه فى المدرسة (الادوزية) ويعارضهم عند مطالعة الدروس ثم يكون الحق معه • وقد أخذ عن العربى الادوزى المتوفى ١٢٨٦ هـ وقد حضر عنده قبل ١٢٨٢ هـ يوم يولف (أيسر المسالك)

الثانى والاربعون : محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمن

الولد الثالث لسيدى محمد بن عبد الرحمن ذكره لى سيدى عثمان وقال ان له يدا حسنة فى الفنون • ومشاركة فى كل ما يجول فيه أبناء عمه وانما كان معنيا بمزاولة أمور دنياه الكثيرة فلم تظهر له معهم سمعة

لانهم كانوا يحتاجون الى أن يشارطوا ويتعاطوا النوازل لينتفعوا وراءهـا وله خط جيد وقد مات قبل ١٢٨٠ هـ وهو الـذى كتب اليـه الحسن التيمكيدشتي رسالة توقير وهي مصونة عند أهله .

الثالث والاربعون : علي بن محمد بن محمد - فتحا - بن عبد الرحمن

ولد المذكور قبله . ذكره لى سيدى عثمـان . وقال انه تخرج بالاستاذ سيدى محمد بن عبد الرحمن الاغرابويي التزنيتي . ثم وصفه بحسن السمت والتدريس . وفيه نحو بله . لازم المشارطة في المساجد . يعلم كتاب الله . وبه تخرج كثيرون من أهله وغيرهم . وكان شديدا في التعليم لايعرف كيف يضرب التلاميذ ان احتد . وهو حاد المزاج . تحكى عنه حكايات في ذلك غير أنهم يقولون ان السلامة تقع من ضربه . وكان مشكورا مثنى عليه ولم يزل على حاله حتى مات سنة ١٣٢٧ هـ ولا عقب له .

الرابع والاربعون : الطيب بن محمد بن محمد - فتحا - بن عبد الرحمن

أخو المذكور قبله ذكره لى أيضا سيدى عثمان . وقـال انـه تخرج بالاستاذ سيدى العربى الادوزى وقد صدر بعلم جم . وعلو كعب لـه سمو فهم يذكر به وكن يشارط في (سيدى داود) بـ (أكلو) وكان ثقة ثبتا . ذا حظ جيد . تورع عن معاطاة النوازل . وقـد أثنى عليـه أحمـد أضارضور . توفى ١٢٩٣ هـ

الخامس والاربعون : أحمد بن محمد بن محمد - فتحا - بن عبد الرحمن

أخو المذكورين قبله ذكره سيدى عثمان أيضا وقال انه تلو أخيـه في العلوم . ويظن أنه أخذ عن الايكراريين لان دراستهم كـانت اذ ذاك لاتنقطع وكانت له جولات في النوازل . وباعه فيها حسن . توفى نحو ١٣٠٨هـ وقد شارط حينا في (أيت ابرهيم بن يوسف) بـ (رسموكة) وتوفى مبطونا شهيدا . لانه أسرف من طعام حفلة . أقيمت في قريته .

السادس والاربعون : الحسن بن محمد بن عبـد الرحمن

أصغر أولاد أبيه . كان أخذ عن أخيه أحمد أضارضور (الآتـى) ثم ذهب الى (فـاس) حيث جاور حتى نجب . وكان يملأ أوقاته بالدروس وبالنساخة الى أن مات هناك وهو لايزال يأخذ . وذلك قبل ١٢٩٤ هـ بكثـير لان اخوانه لما فرقوا مال أبيهم فى تلك السنة كان اذ ذاك متوفى هكذا قال لى

ابن عثمان وهو الذى ذكر ان آثار قلم هذا السيد النجيب كثيرة رءاها بين كتبهم .

السابع والاربعون : أحمد بن محمد - فتحا - بن عبد الرحمن

الولد الرابع لسيدى محمد بن عبد الرحمن . قال فيه المؤرخ الايكراري:
(ومنهم الشيخ الكبير . والعلم الشهير من له اليد الطولى . فى تمييز الاقوال والخبرة بمقادير فضلاء الرجال يقول أين فلان من فلان وبينهما بون يدركه من له الجنان وليس ممن كان يعرف الحق بالرجال بل ممن يضرب له فى تلك المسالك الامثال . أبو العباس سيدى أحمد قرأ رحمه الله أولا على أبى سالم الايكرارى ثم على أبى سالم المحجوبى ثم انتقل الى (فاس) وكان يجلس فى أخريات الناس . ولم يعبأ به . حتى عرض فى مجلس السؤال عن مؤلف (العتبية) فقال المدرس لعله ابن عتاب فتكلم السوسى فقال ياسيدى مؤلف العتبية هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبى . فلما رجع الشيخ وجلس على كرسى اقرائه . فقال ادن منى . فنحى الطلبة حتى أجلسه حذاءه . ثم ان الشيخ كلما صور صورة خليل يقول له هل هكذا ؟ فاذا قال له نعم جاز . وان سكت أعاد التقرير . وعلى ذلك دأبه . فلما قضى نهمته . رجع فلزم داره لايخرج لمسجد ولا لموسم ولا لسوق . بل ياتيه رزقه رغدا من كل مكان يقضى بين الناس بالتحكيم ويسأل من الاكابر فيجيب بنحو قال مالك . وقال ابن القاسم وقال فلان يحكى قول الاسمعة . كأنه حضر لها

والحاصل أنه فريد عصره . لاثاني له فىقطره . ولم يرو انه أخذ طريقة أحد منالاشياخ . بل لزم الصلاة علىالنبى التى بقيت وظيفة من شب وشاخ الى أن أتاه الحمام . وآذنه بالختام . فقيض الله اليه من مد يد العدوان . فأجلسه فى منصة الغفران وفاز هو بصفة الخسران ولم يراع فيه حق العلم . وباء بغضب من الله بالظلم . (ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) (انك ميت وانهم ميتون. ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) وذلك فى رجب عام١٢٩٤هـ

جاء رحمه الله من (بونعمان) فقطع عليه الطريق ولد همو على ومن معه فضربه العبد فقتله . فساقوا الفقيه على بغلته . الى أن وصل (العوينة) محل بوحلاس فقتلوه ومثلوا به فانا لله وانا اليه راجعون. وما أشبه هذا بأفعال بنى اسرائيل بأنبيائهم (علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل) وحين قتلوه غارت عينهم أعواما . وقد مسخ الله (مسعود واسيف) فاسود وجهه وجسمه بعدما كان أبيض أمهق (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وقد بان عليه العنوان

قبل أن يدنى للقبران• وحسبان الملكان(١) وقد أكلت داره• وأهين شيطانه• ومقداره • فرحل مشتت الشمل • مهانا حيث حل عادة الله فى المعتدين• فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وكذلك من تسبب فى ذلك وكان زعيم ملا هنالك • على بن برو الفاجر الظالم الخاسر• أهلكه الله على يد من انتصر للحق • من ولاه السلطان الذى دق صلبه غاية الدق • فلم يسلم من تسبب ولا من باشر واحترب (من حارب وليى فقد آذنته بالحرب) والعلماء أولياء الله ان لم يكن العلماء أولياء الله• فليس لله من ولى (الا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) وآخر كلمة قالها على ما قيل (ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) قلت

وما فقد مثل الشيخ الا مصيبـة تكر على جلد الجليد فينضح

علمنا يقينا انـه حل منزلا عليا به الارواح للرسل تسرح

فزال عن الاكباد ما اغتم واشتوى حشاشتها فالقلب من ذاك يفرح

أعاضك يا عثمان ربى مثلـــه فانعم به فاحمد خليقك تربح

انتهى ما قاله المؤرخ • وقد كنت أخذت عن سيدى عثمان ابن المترجم ترجمة واسعة لوائده هذا • فلنذكر ما كنا كتبناه عنه • فانه وان كان فيه نوع تكرار لما ذكر فان كلامه مفصل • على حين أن ما قاله المؤرخ مجمل

قال أخذ القرءان فى قريته • ولم يتجاوزها ثم افتتح العلم عند أبى سالم ابن عمه • ثم انتقل الى مدرسة (دودرار) بـ(رسوكة) عند الاستاذ سيدى ابرهيم المحجوبى الرسموكى• ولازمه ما شاء الله • حتى أدرك وحصل ونال منالا كبيرا • فأقبل على المشارطة والتدريس والافتاء والقضاء فكان من بين ما شارط فيه اذ ذاك • مدرسة (بونعمان) ثم بدا له أن يرتحل لاتمام معارفه فى (فاس) فصمد أولا الى ضريح مولاى عبد السلام بـن مشيش • فزاره قبل أن يلم بـ (فاس) وقد وقعت له فى ذلك السفر غريبة وذلك أن اللصوص وقعوا على القافلة التى كان فيها فانحاز بالبغلة التى ركبها الى جانب • فأوقفها منتظرا ما يصنع به فأعمى عنـه أبصـار اللصوص اذ ذاك • حتى انتهبوا القافلة عن آخرها ثم تفقدوا فلوا كان يتبع أمه • وهى مركب مقدمهم • فوجدوه واقفا ازاء البغلة • فانطق الله المقدم • فقال لهم ان هذه البغلة وصاحبها فى حمى الغلو • فلا يمسهما ماس • فكـان ذلك سبب نجابته وحده من بين كل من فى القافلة •

ثم ذكر الاستاذ الذى وقعت بينـه وبينه قضيـة العتبيـة • وسمـاه المهدى (وهو المهدى بن سودة) فكان مكبا على الاخذ عنه وعن آخرين• فالقيت

---

١) كذا فى هذه المجموع من خط المؤلف

عليه محبة منهم حتى ان أحدهم راوده أن يعلمه سر الحرف فعزف عن ذلك مستنكفا أن ينزل بهمته من الذروة الى الحضيض ثم انه ندم بعد ذلك حين يتوقف بعض التوقف في الخصاصة ويقول ياليتنا تعلمناه• فانه أولى وأفضل من هذا الذى نحن فيه • يعنى القضاء بين الناس•وكان صاحب همة تناطح الجوزاء • وتنتعل العيوق

قال ورجوعه من (فاس) كان نحو ١٢٥٠ هـ ولم يطب – يوم خرج من فاس – نفسها بالرجوع وكانت نهمته العلمية لاتزال محتدمة غير أن وراء خطرا كان هناك • فكان هو السبب حتى أقلع فحل في أهله • ثم انه اقترن بكريمة استاذه الشيخ ابى سالم وقد كان صادفها لاتزال دون ابان الزواج • فصبر عليها حتى أدركت • ثم أقبل على ما كان فيه قبل فكان ما شارط فيه ثانيا المدرسة (البونعمانية) ثم ان الله وسع عليه بما يزاوله من شؤون الكسب وبما يدر عليه من وراء النوازل والافتاء• وقد أكب على ذلك أخيرا• وطلق المشارطة والتدريس وفتاويه جيدة محكمة• جمع منها كثيرا الاستاذ سيدى عبد الرحمن بن ابرهيم وكذلك لـه حواش وطرر نفيسة على الكتب وله ابحاث مع أكابر المؤلفين • وتنبيهاته قيمة • وباعه في الاصول والنحو مثله في الفقه والفروع • وقد خرج أناسا منهم سيدى عبد الرحمن المذكور وأخوه سيدى الحسن وابنه سيدى أبو بكر • سيأتى ذكره • وغيرهم • وكان في خلقه بعض حزونة • وكثيرا ما يثنى عليه سيدى مسعود المعدرى ويقول ان سيدى احمد اضارضور – وبذلك يعرف – هو وامثاله من يليق بهم ان يتعاطوا نشر العلم لاأمثالنا• وقد كان سيدى أحمد يلم أحيانا بـ (أيت برابيم) لفض النوازل • فيزور المدرسة • وقد اشتكى عليه الطلبة هناك يوما • صعوبة (المنهج) للزقاق وكان يدرسونه• فقال لهم لابد لكم من اتقان الفروع • ليمكن لكم تطبيقها فاذن يسهل عليكم غاية • وكان لسيدى أحمد جولان مع تلك الحلبة التى يعاصرها هناك الحسن بن الطيفور ومحمد بن ابرهيم الساموكنيان ومحمد ابن يدير واحمد بن ابرهيم الساحليان • وغيرهم • وقد كان في الشق الذى يضم ابن يدير وابن الطيفور • وكان لابن يدير انقياد كبير له وسبب ذلك أنه لما ارتحل الى (فاس) ليستتم دراسته صار اساتذه الفاسيون الذين كانوا عرفوا سيدى أحمد أضارضور يقولون له أترتحل الى (فاس) وتترك وراءك مثل أحمد اضارضور فحفزه ذلك عند رجوعه الى أن ينزل عليه أولا ويتعرف به قبل أن يمر الى داره

ثم ان سيدى أحمد في آخر عمره كان ينقبع كثيرا في داره حتى انه لا يخرج الى الخصوم وانما يوسط بينه وبينهم ولده سيدى آبا بكر ،

فاقبل على شأنه في خويصة نفسه

أقـول ان هذا الدور هو الذى ألم به المؤرخ الايكرارى فى كلامه ، ثم ذكر الحاكى سبب قتله قال ان له ولدا يسمى ابرهيم· من حفظة كتاب الله المتقنين وكانت فيه شرة الصبا وجنون الشباب · فلم يكـن يمشى فى الصراط السوى فكانت بسالته ترمى بـه مرامى لم تعرف لأهلـه · فكان يتبع القنص ويتقلد السلاح · ويخالط أمثاله مـن قرناء السوء فمات انسان من (أكلو) فى طريق سوق (العوينة) وكانت سوق (العوينة) اذ ذاك لاتزال قائمة فاتهم بقتله فأوعز اليه أن يجتنب المخالطة · وأن ينكف عن الرعونة · فصم عن ذلك وأدل بقوته وأعلن أنـه لايحسب حساب أحد فجاء رؤساء (العوينة) بأربعين فارسا ليتوصلـوا مـن آل ابرهيم المتهم بالقتل فى طريق السوق بما هو العادة من الغرامةالمعروفة على كل من مس مارا الى سوق فنزلوا على الاستاذ · فقالوا له ان ابنك قتل فى طريق سوقنا فأغرم لنا ما يلزم كل من انتهك طريق السوق فأجابهم الاستاذ ان أثبتم على ولدى ذلك فأنا أول من ينصاع للحق وان لم يكن ذلك الا قولا فقط · فان مثل ذلك لايقبل · فقام ولده ابرهيم الىخيل العوينيين فأزال أوتادها من براح الدار فشردها وصاح فىراكبيها مهددا قائلا والله لاتؤوبن بدرهم ثم شرع يطلق عليهم بندقيته فأردىلهم فرسين · فرجع القوم عازمين على أن يقتصوا بما أمكن فتفرق أهل(أكلو) فى هذه القضية فرقتين فريق يناصر الاستاذ وآخر ـ وعلى رياسنهم ابن برو ـ ضده فتراد الناس الكلام مع الاستاذ · فأدلى أولياء القتيـل بأنه صرح وهو محتضر بأن ابن الاستاذ هو الذى قتلـه فذكروا ذلـك للاستاذ · فتطلب شهود غير ذويه فلم يوجدوا فاعتاصت القضيـة كما يقع فى كل قضية من قضايا التدمية ·

ثم ان الاستاذ بعد ذلك كان فى (أيت برايبم) لنازلة زاولها هناك· فرجع على بغلته مع عبده · وابنه ابرهيم فمروا بـ (العوينة) فقام أهلها وتعرضوا لهم يقولون لا تمرون حتى تعطـوا غرامـة سوقنـا فمـال اليهم العبد · فقتل واحدا منهم فجـاش العوينيون فتجـاوروا فلحقوا الاستاذ بين (أبحرى) و (العوينة) فقادوا به البغلة ثم قتلوه فغادروه فحمل بعد ذلك الى (ايكرار) فدفن فى قبة سيدى عبد الرحمن· ثم ان ولده ابرهيم ثاور العوينيين أجمعين · وما زالوا به حتى قتل أيضا كذلكواقعة الاستاذ رحمه الله انجر اليه وبال ولده لاغير ·

أما آثاره فلم نر الى الآن منها شيئا · وقد كنا وعدنا بها · وبكلالآثار الادبية لهؤلاء العلماء الايكراريين غير أن الدهر لم يساعد فـى التوصل

بها الى الآن ووولادة الاستاذ في سنة ١٢١٨ هـ كما ذكره لنا ولده سيدى عثمـان

الثامن والاربعون ـ أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن

ولد المذكور قبله . ذكر لنا أخوه سيدى عثمان انه اكبر اخوته ، وانه تعلم عند والده حتى نجب غاية . فكان دائما يحب الرحلة فـي سبيل العلم فيمنعه والده لاحتياجه اليه أخيرا . ولكن لم يكد يقبر حتى التحق بـ (مراكش) فجاور في المدرسة (اليوسفية) سنة ١٢٩٤ هـ والتى بعدها . فنال ما كان يصبو اليه من الشفوف لكن الحمام لم ينسىء له في الاجل فاعتبط هناك سنة ١٢٩٥ هـ فدفن في قبة سيدى على بن ناصر في (بـاب الدباغ) وولادته سنة ١٢٦٠ هـ

التاسع والاربعون ـ عثمان بن أحمد بن محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمن

الولد الثالث لسيدى أحمد أضارضور هذا الاستاذ هو الذى عنونا به بادىء ذى بدء . ثم من بركته انجر الكـلام الى جميـع علماء اسرتـه الايكراريين ونحمد الله حين أمكن لنا بفضله أن نستقى ترجمته من فيه منذ سنتين كما استقينا منه كثيرا مما يتعلق ببعض علماء أهله . وقـد كنت أتمنى لو اتممنا عليه ما كنا نكتبه عليه . غير أن الدهر الخؤون أبى لنا من ذلك غاية الاباء . فأحدث له عجلة شديدة في يويمات اختلسناها من الدهر فأدركنا فيها بسرعة بعض الشىء ثم لم نزل نتمنى لقياه ثانيا . فيسد القدر الباب . ومن ذا الذى يقدر أن يغالب القدر (نعم اتصلنا به بعد . ولكن لم يتيسر من المقصود الا قليل) .

منشـأه

ولد في صفر ١٢٨١ هـ ثم تأخر تعلمه للحروف الهجائية الى ان كان ابن ثمانى سنوات من أجل الحب الزائد الذى دلله به والـده ثـم تلقـى القرآن عن آخره عن سيدى المدني البوكرفاوى الذى ذكر في ترجمة الايكرارى ولم يزل عنده الى ان أتقن حفظ القرءان سنة ١٢٩٥ هـ ثم نشأ له اهتبال بأمور الشباب . فسدر في غلوائه نحو أربع سنوات حتى كبح أخوه عبد الله جماحه وقلم شرته فأقبل على ارتشاف المعارف

في المدرسة (البونعمانية)

افتتح الدراسة العلمية عند الاستاذ سيدى مسعود المعدرى . قال :

فاندغمت فى جمع هائل مائج من طلبة المدرسة وكلهم فى جد واكباب على تفهم الدروس حتى انهم بين العشائين ليتفرقون عشر حلق فى المصلى • ليتأتى لهم أن يستعدوا جماعة بمطالعة الانصبة للغد ـ كما هــى العادة ـ قال فوفقنى الله فاجتهدت غاية الاجتهاد وأمعنت فى الاخذ • فتدرجت فى الفنون والمتون على ما هو مألوف وكان الاستاذ يخصنى بمزيد الاعتناء محافظة على ما بينه وبين والدى فكنت عند ظنه وقد كـان أيضا للاستاذ فى نظرى اجلال عظيم واحترام زائد

وقد وقعت لى معه مرة لطيفة تدل على مكاشفته وذلك اننا أخذنا عنه أثناء الدروس فى (الرسالة) أن المسلم أعظم أجرا مـن الراد للسلام فقلت لمن معى ألهذا كان الاستاذ دائما سباقا الى السلام كلما صادفنا فى مكان فأنا من هذا اليوم لاأتركه يسبقنى فأفوز بخصلة السبق كان ذلك منا حيث لايسمعنا الاستاذ • ثم لايمكن أن يخبره بجريان هذا بيننا • لاحترامه ولانزوائه عن محادثة الطلبة وفى سحر يوم فى الظلام فى المتوضأ واناوحدى وأنا أريد أن أسكب ماء الوضوء من أنبوب الماء السخين • فأحسست بداخل ثم وقف على • فبادرنى بالسلام • ثم قال مبتسما ها أنذا سبقتك هذه المرة • ثم اننى قلما صنعت له شيئا من الخدمة الا والى لى دعوات صالحة وكان كثيرا ما يقول لى أعطاك الله ولاية جدك ابى سالم • وعلم والدك سيدى أحمد أضارضور ثم اننا هناك مع اجتهادنا نشتغل فــى شببة متقاربين بما يشتغل به أمثالنا فنعلن الجلبة • فكان يصبر لنا كثيرا ثم لم أزل رابضا عنده أرتشف من مراشفه حتى دخلت سنة ١٣٠٥ هـ

في المدرسة (الادوزية)

قال كنـا كثيرا مـا نسمع ونحن فى (بونعمان) عن دروس الاستاذ سيدى محمد بن العربى الادوزى وكانت الاخبار المنقولة عنها تستفزنا دائما • الى أن نكون منها من الواردين فحين بلغت من الدراسة (البونعمانية) ما بلغت • تطلعت نفسى الى أن اقتبس من هناك ما قدر لى ثانيا فألقيت هناك المرساة فوجدت حقيقة هنالك دروسا أخرى متفننة • وأبحاثا علية قيمة نفيسة فكنا نأخذ مع الفقه والعربية الاصول من (جمع الجوامع) والبيان من (التلخيص) والتفسير والحديث وكان الاستاذ يمعن دائما بالبحوث فى هذه الفنون • ويدرس جميع ما يدرس بتان وتؤدة • موردا كل ما وجده • فكان ذلك لنا خير صيقل للافكار واعظم مفجر للقرائح فلم نزل على ذلك الى سنة ١٣١١ هـ • فاذ ذاك انقضى زمن الاخذ

هكذا كانت معارفه وكلها ماخوذة عن هذين الاستاذين فقط : سيدى

مسعود وسيدى محمد بن العربى وناهيك بفردين يقومان مقام الجموع الجمة ٠

مشارطاته

١ ـ مدرسة (أداى) بـ (رسموكة) سنة ١٣١٢ ه
٢ ـ مدرسة (تاغلولو) بـ (مجاط) سنة ١٣١٣ ه ثم لازم داره ما شاء الله
٣ ـ مدرسة (ايدغازال) الاخصاصية سنة ١٣٢١ ه
٤ ـ مدرسة (الكريمة) بـ (الساحل) ١٣٢٢ ه
٥ ـ مدرسة (تاغلولو) ثانيا ١٣٢٣ ه
٦ ـ مدرسة (الكريمة) ثانيا سنة ١٣٢٨ ه
٧ ـ مدرسة (ايدغازال) ثانيا سنة ١٣٣٢ه

هذه مشارطاته فكان كلما كان فى مدرسة يتعاطى التدريس والكنه على كل حال ليس بفنه ٠ ويوجد اليوم من لهم سمعة علمية وقد كانوا مروا بين يديه فى بداياتهم كالفقيه سيدى الحسن بن عبد الرحمن الايكرارى ٠ وسيدى محمد كدرار المافامانى السملالى وغيرهما كسيدى بريك بن عمر المجاطى ٠

بعض ما يتعلق به :

اقترن أولا سنة ١٣١٢ ه اثر تخرجه من مدارس الاخذ ثم حرم من زوجته هذه الاولاد ٠ وهى بنت سيدى عبد الرحمن بن المدنى الجرارى الفقيه ٠ فبقى كذلك ما شاء الله الى أن اتصل بشيخه الالغى فذاكره أنه يحب ان يقترن ثانيا لعله يرزق ذرية فأذن له أن يخطب من عند أستاذه الادوزى قائلا له انى سأقدمك بالايعاز الى النساء أن يفتحن الباب وذلك لما كان للشيخ من مكانة عندهن لكونه اقترن ببنت الاستاذ ٠ ثم أمره أن يرسل المؤرخ الايكرارى خاطبا عند الاستاذ الادوزى فتم الامر سنة ١٣٢٦ ه وكان المترجم يقول اننى وجدت بركة اذن الشيخ ٠ حين تآخت الزوجتان على ما هو خلاف المعتاد بين الضرات ٠ ثم يسر الله أن ولدت الثانية الفقيه الجهبذ سيدى محمد بن عثمان ٠ فكان خير ذرية ٠

كان المترجم يزاول فى كل عمره النوازل ٠ وله شهرة بذلك فى بلده وكان يقصد لذلك كثيرا اقلة ما يأخذه ٠ وليس بذى شره كغالب أقرانه٠ وكذلك يتولى كثيرا قسم التركات فتقل جدا نازلة أو تركة فى بلده ليس هو قطبها ٠ وكان نوازليا جيدا ٠ وذا بصر فى كيفية القضاء بين الخصوم

ومحرراته فى ذلك طافحة فى (أكلو) وما اليه ٠

ثم ان له مع هذه اليد نفسية يحوطها من التورع اطار متين٠ فقد نشأ كذلك من اول يوم ثم تطاولت نفسه الى ان يتصوف ليتهذب وليتذوق مما رأى كتب الفن تدندن حوله ٠ قال وكنت اميل الى اتباع الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى لان تربيته يؤتى لى انها أسهل من تربية الشيخ الالغى ٠ وكانا معا ممن تطايرت بهما الاخبار وأنهما من أعاظم الاشياخ الذين يوصلون المريدين الى ربهم على طريق السيروالسلوك٠ ولما كان بينهما من افتراق المشربين حين كان التاموديزتى هينا لينا واضح المسلك وحين كان الشيخ الالغى مكرا مفرا مقبلا مدبرا معا يهذب تهذيبات يتراءى منها بادىء ذى بدء أن لاشفقة فيها ٠ فكانت النفوس تفر منها نفورها من الحق الصراح الذى يصدم صاحبه ٠ ويصارحه بالحقائق وجهة لوجه لهذا الافتراق بين مشربيهما كنت الى طريقة التاموديزتى أميل والى اعتناقها أسرع قبولا ٠ غير ان الله يأبى الا ما أراد ٠ قال ان هذه الفكرة خامرتنى من سنة ١٣١٢ هـ حين كنت مشارطا فى مدرسة (أداى) الرسموكية من أجل أننى كنت أخالط هناك سيدى أحمد بن عبد الملك من أحفاد سيدى صالح الفقيه الرسموكى الشهير الذى هو من تلاميذ أحمد العباسى فكان التاموديزتى يتردد عليه لانه من أصحابه فاتصلت بالشيخ التاموديزتى فتلقنت منه أذكارا ثم صار يتردد على فى قريتنا ايكرار ٠ فكنت أخفى نسبتى الطريقة الدرقاوية حياء من أستاذى سيدى محمد بن العربى الادوزى المشهور بمقاومة هذه الطريقة ٠ وبشن الغارة عليها فى كل موطن٠ وفى سنة ١٣٢٣هـ حين كنت فى(تاغلولو) ثانيا مر بى الشيخ الالغى فلم أنشب أن أصطادنى بهمته الصيادة ٠ فغرقت فى بحره ثم صرحت بنسبتى غير آبه لاحد

فصرح بما تهوى ودعنى من الكنى فلا خير فى اللذات من دونها ستر

ثم لما اندمجت فى تربية الشيخ بدا لى مقدار غلطى فى أن تربيته شاقة كان يربى كل واحد بطريقة غير ما يربى به سواه ينزل الناس منازلهم حسا ومعنى ويجعل لكل واحد مقاما محدودا ثم يمد الكل من عطاء ربه عطاء غير مجذوذ بخلاف التاموديزتى ٠ فان تربيته على أتو سديد ٠ وعلى طريقة واحدة ٠ يسلك بها جميع الطبقات ٠ فرضى الله عن الجميع٠ فالازهار شتى والماء واحد

خذن جنب هرشى أو قفاه فانه كلا جانبى هرشى اليها طريق

كان سيدى عثمان هينا لينا كريما باسط الكف مضيافا وقورا

منبسطا فليس من الصوفية المتجهمين فكانه ليس بذلك العالم الكبير اذا جالس الناس أو كأنه ليس بذلك الصوفى العالى القدم اذا ثافن في محادثاته التى يرسلها على عواهنها فقد كنت جالسته مرارا حين كنت أزور الخالة عنده • ثم صاحبته مرة الى (الغ) فى موسم الفقراء • ثم جالسته ثانيا فى جمادى الثانية ١٣٥٦ هـ وفى كل ذلك كان خلقه رصيناً ثابتاً يجاذبنى فى المعارف ان فاتحته بها فأرى منه ما أعهده من كبار العلماء السوسيين وان فاتحته فى عالم التصوف فقد فاتحته فى الميادين التى أوتى فيها ما أوتى وقد برأه الله من كل دعوى لاعلمية ولا صوفية فلا يتظاهر بأى شيء • فكأنه ليس بذى مقامات سنية• بأدناها يتبجح المتبجحون• فسبحان من هذب أخلاقه وكساه وداعة ولطفا والبسه من الخشوع ومبادرة الدمع شارة تأخذ بالقلوب

أصابته كوارث شتى فى حياته لكنها كما تطوف الاعاصير بالجبل الراسى فلم تنل منه الا ازديادا فى الرسوخ • ففى آخر رمضان ١٣٣٢ هـ أصيبت قريته مع قرى (أكلو) بنهب الاعراب الصحراويين والبعمرانيين فى الكفاح تحت راية المنضوين الى الهيبة فنهبت داره • وتمزق متاعه • فخرج أهله ولم ينجوا الا بأنفسهم • وحين رجع لم يجد ما يستقبل به حياة أخرى الا ما كان أتى به من مدرسة (ايدغازال) تلك السنة ثم صابر ورابط حتى رجع اليه ما كان يألفه • وهو ابن اسرة شبت فى الرخاء • وسعة العيش أبا عن جد فلم يحمله هذا الذى أصابه على أن يظهر جشعا وراء النوازل• ولا أن يبيع من دينه ومروءته • وما المحفوظ الا من حفظه الله فقد عرفت بعض علماء أهله ما تركوا بلدا الا ظهروا فيه بدعواهم العلمية وما غادروا وراء نازلة استشفاف ما أمكن • وما ذلك الا من جراء ما دهمهم من نهب متاعهم اذ ذاك هذا والمترجم قنوع مستعف مستغن ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف • لايسألون الناس الحافا • ومن استعف يعفه الله ومن استغنى يغنه الله

يحس الانسان متى كان جليسا لسيدى عثمان أنه جليس انسان ساكن الطائر حتى ليحسبه ذا بله • وليس بأبله وانما فيه صفة المومن• فكان غرا كريما وناهيك بعالم كبير وصوفى مخبت منيب حال الله بينه وبين الدعوى والتحذلق فانه اذن لرجل عظيم مبارك أغر

ذلك هو سيدى عثمان كأنك تراه ولعلك ان رأيته تراه فى الذروة العليا من هذه الاوصاف كلها •

مكانته العلمية

قد يكون حكمنا المتقدم على تضلع المترجم من المعارف حكما مجردا من البرهان • وقد يظن بنا ونحن لم نخالطه كثيرا أننا ممن يعسفون فلكي يدرك القارىء مكانة سيدى عثمان العلمية الحقيقية أورد بين يديه رسالة من قرينه العلامة ابن مسعود الذى لايمكن أن يرتاب فيه أحد فلم يكن من البلادة ـ وحاشاه ـ في مقام من يوجه الاسئلة لمن لايعرف أنه يقوم بأجوبتها خير قيام • ولو كنا وقفنا على نفس الاجوبة لطلع النهار ولاتضح كل شيء • ولكننا لم نجد بين ايدينا الا ما في الرسالة من الاسئلة • وربما يكون في ذلك ما يكفي لما يتضمنه السؤال مما ذكرناه •

الرسالة

(الاخ في الله تعلى • والاحب من أجله الفقيه الذكى النجيب الصفى اللوذعي اللبيب مولانا أبو سعيد سيدى عثمان بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الايكرارى • أمنكم الله تعلى ورعاكم وسلام على سيادتكم البهية ونسألكم صالح الدعاء •

هذا ، وقد عرض لمحبكم اشكال في فرع من فروع الربويات هو ما ذكروه في ضبط طعام الربا من أنه ما وجد فيه الاقتيات والادخار وقالوا في الادخار انه في كل شيء بحسبه • وذلك انه اذا كان المقصود بهذا ضبط طعام الربا كما هو الظاهر من تفسيرهم العلة في قول الشيخ خليل: (علة الربا اقتيات وادخار) بالعلامة تبعا لما تقرر في‌الاصول في‌باب‌القياس من أن العلة بمعنى المعرف لا الباعث • عاد حاصل الكلام الى أن ما وجد فيه الاقتيات وادخار زمنا ما فهو ربوى • وهذا الادخار يمكن ادعاء وجوده في كل طعام • فقد قالوا انه في كل شيء بحسب الامد المبتغى منه عادة • ولا يمكن أن يبتغى منه الادخار أزيد مما جرت به العادة • فان ابتغاء ما علم أن العادة بخلاف غير معتبر فاذن كل ما ينتفع به زمنا ما يمكن ادعاء أن ذلك القدر فيه ادخار • لانه المبتغى منه عادة فلم يخرج شيء من الاطعمة عن الادخار •

وكذلك قول البيانين في (الكناية) انها متضمنة للمبالغة لانها كادعاء بينة مشكل على محبكم • فانه ان كان معناه أنها كذلك فيما اذا أقر المخاطب بالملزوم كما في قولك زيد مهزول الفصيل أى زيد جواد ألا ترى أنه مهزول الفصيل وقس عليه وزد على ذلك أنه غير مطرد في سائر المواد منها ما يتعلق انكار المخاطب فيه باللازم والملزوم فلم يكن

فيه سوق الكناية التى هى التعبير بالملزوم كالادعاء بالبينة وهى البرهان وذلك كما فى قوله تعلى (ليس كمثله شىء) على أحد الوجوه فان نفى المثل مساو لنفى مثل المثل فى أن أحدهما ليس يتوصل به الى الآخر فان منكر انتفاء المثل منكر لانتفاء مثل المثل كما لايخفى فتأمله وايضا قد يدعى أن الاستعمال ليس المقصود فيه من الكناية الا زيادة التصرف. وقد لايخطر فى نفس السامع بل ولا المتكلم سوقها مساق الاحتجاج . اللهم الا أن يكون ذلك كله بحسب الاصل فيها ثم توسع فيها . وكذلك اثباتهم للقسم الاول من أقسامها . وهو ماليس مقصودا منه ولانسبة كقوله

(والطاعنين مجامع الاضغان)

غير ظاهر وقد قرره الدسوقى بعد أن استشكله بان مَجامع الاضغان مصدوقه هو القلوب فهو حقيقة لاكناية ان المراد من المجامع الصفة وحدها . أى الجمع ثم ينتقل منها الى القلوب . ولابن يعقوب فى شرح (الجوهر) فيه كلام لم يشف الغليل ووجه اشكاله أن المشتق موضوع للذات والحدث حسبما تقرر فى فن الوضع وغيره . فأى فائدة فى تجريده من الذات ليتوصل الى الكناية وأى دليل على قصد هذا على تسليم أنه ليس تكلفا مع أنه يمكن حينئذ ادعاء الكناية فى جميع المشتقات . ولا خفاء فى بعده أو بطلانه . فان قيل يخص بنحو مجامع الاضغان فى البيت المستشهد به . فيما كان الغرض فيه الاشارة الى أن القلوب لكونها محلا للاضغان جديرة بالطعن لها ولكون الوصف هو المفيد لذلك جعل اللفظ دالا عليه . متنقلا منه الى الذات قلنا هذا وحده لايوجب القول بدلالة اللفظ على خصوص الصفة فان المشتق مع دلالته على الذات يفيد بالصفة التى هى جزء منه الاشارة الى العلية كما تقرر فى الاصول ان تعليق الحكم بالمشتق يوذن بعلية مأمنه الاشتقاق ولم يشترطوا تجريده من الذات بل لو جرد عنها لخرج من كونه مشتقا . ولزم تعميم الحكم فى المشتقات . والمصادر المحضة . ولم يقولوا به فيما علمنا وقد اسقط الشيخ الدردير فى (رسالة البيان) ذلك القسم فى الكناية ولايبعد أنه لمثل هذا فعل ذلك واعرض السؤال على شيخنا الفقيه الاكبر سيدى أحمد وادعوا معنا واقرأ منى السلام على الاخ السيد ابرهيم بن محمد وأخيه سيدى محمد وكذا على أولاد شيخنا سيدى أحمد وأحمد لهم السلامة على اطلاق السيد ادريس وعلى أخيكم سيدى عبد الله والله تعلى يحفظ حرمة الجميع ويجمعنا واياهم والاحبة فى المقام الرفيع بمنه وكرمه آمين والسلام .

وكتب محبكم لله تعلى الى لقاء الله والكمال على الله الضعيف محمد ابن مسعود الطالبى كان الله له وليا وبه حفيا آمين مستمطرا من صالح دعائكم فانه لاعذر فيه ٠

نعم واذا بعثت جوابا عن هذا السؤال ان تحرر لكم ما يحسن كتبه عنه فابعثوا الينا نسخة من هذا السؤال وهذا القرطاس بعينه وقد وقفت فى تأليف (١) اللامام أبى العباس العزفى رحمه الله ٠ فى مناقب ولى الله المشهور سيدى أبى يعزى المغربى ٠ رضى الله تعلى عنه ٠ ونفعنا به آمين على ما يفيد جواب ما كنت ذكرته لكم من الاشكال فيما يفعله بعض الشيوخ المسلكين فى العصر من الانكار على بعض الفقهاء بحضرة الناس مع كون ما ينكره مختلفا فيه أو مندوبا ٠ وذلك أنه قال ما نصه

وصل الى الشيخ الصالح أبى يعزى كتاب من الشيخ الصالح الفقيه أبى شعيب أيوب نزيل (أزمور) المعروف بالسارية يلومه على كشف أسرار المسلمين ٠ وينهاه عن هتك أستارهم ويتقدم اليه بمثل قوله عليه السلام من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة وقال له ياتيك الزوار والوفود فتقول لهذا فعلت كذا ولهذا فعلت كذا ولهذا كان منك كذا ٠ ولهذا أنت الذى تفعل كذا وكذا ٠ اتق الله فى أمة محمد عليه الصلاة والسلام أو نحو هذا من القول قال فأخذ كتابه لما قرىء عليه ٠ وقال للحاضرين عنده من الزوار والوافدين (مازيغ دا مغار أبو شعيب) ومعنى هذا بالمسان العربى مولاى الشيخ أبو شعيب يلومنى على اخراج أسرار الناس ٠ وفضيحتهم لقبح أعمالهم ٠ وهل هذا فى قدرة بشر ؟ أو فى وسع أحد أن يعرف أعمال الناس وأفعالهم فى الغيب ٠ حتى يفضحهم بها بين الاشهاد دائما انما هو شىء يلقى الى ٠ وأوخذ بقوله ويقال انما أنت آية من ءايات الله تعلى ٠ والمراد منك أن يتوب الخلق على يدك ٠

وقال لى ابنه أبو محمد وقد حدث بنحو من هذا عن الشيخ أبى شعيب ٠ وقال فى آخر الحديث انى لاأقدر على الكف عن هذا ٠ وأنا مغلوب عليه أنخس وأغمز ويقال لى قل فأقول ٠ وهذا عذر واضح ٠ وحق لائح ٠ اه الح ما يشير اليه من أول الكلام ٠ ولفظ ما يشير اليه منه نصه :

ومن أعجب الاعاجيب وأوضح الشواهد على أنه عن الحقيقة ناطق ٠ وبلسان العلم مجيب ما حدثنى به الفقيه الفاضل أبو الصبر رحمه الله

---

١) قف على هذا المؤلف فانه غريب عزيز

تعالى • قال وصل الى الشيخ الصالح أبى يعزى الـخ انتهى قـال كاتبه محمد بن مسعود الطالبى كان الله له وليا آمين أن مـا كان منه من ذلـك كان عن اذن خاص وان خالف ظاهر الشرع • وهـذا مثل ما ذكـروه فى الفرق بين معصية الولى ومعصية الفاسق من أن الاول يفعل عن الاذن دون الثانى • لكونه محجوبا • وبه يعلم أن معاصى الانبياء كآدم عليهم السلام ليست معاصى حقيقية بل بحسب الصورة لحكمة يعلمها الله تعالى كما نبه عليه بعض العارفـين فيما أظنه وأظنـه للكرمانى وغـيره كالقاضى عياض فى (الشفاء) راجع حاشية (الصاوى) على (خريدة) الدردير فى التوحيد والله تعالى أعلم وبه التوفيق قيده مذاكرة معكم لا ليزيد بـه ما لم يكن عندكم أخوكم الضعيف محمد ، كان الله له آمين)

انتهت الرسالة التى اخترنا سوقها ، لامور ، منها أن نعلم مكانة المرسل اليه حين تصدى الاستاذ ابن مسعود بمثل هذه الاسئلة لـــه وقد ذكرنا ذلك • ومنها أننا لم نكن ذكرنـا نماذج من أبحاث ابن مسعود فى ترجمته • فأردنا أن نستدرك ذلك هنا وفى غير هذا المحل كلما سنحت فرصة ومنها أن يعلم الباحث كيف مراسلة علماء سوس الاخـيرين فى أمثال هذه البحوث وهذه الامور كلها دعتنا حتى ادخلنا بين يدى القارىء الذى لا نأمن ثورته علينا فى مثل هذه المراسلة العلمية التى تكون فى كتب التاريخ التى تروج اليوم بعيـدة ولكننا نعلم أنـه ان نظر بمثل نظرتنا سيخفف من لومه والغاية تبرر الواسطـة وربما يجـد بعض القراء ممن كانوا على مذهب المحدثين الحق شيئا لا يرضاه فى آخـر الرسالة • فنقدم له الاعذار ثم نقول له يجب على الانسان أن تتسع حوصلته ثم ذلك لا يبطل حقا • ولا يحق باطلا • والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

وظيفة المترجم اليوم

انتظمت العدلية فى (تزنيت) سنة ١٣٤٤ هـ فانتخب العدول من كل قبيلة • فكان هذا الاستاذ وآخران هم المنتخبين عن قبيلة (أكلو) ولا يزال على ذلك الى الآن • وقد لفحته لفحة مـن سنوات فتثقف فى (المركز الحكومى) أسابيع قليلة ثم أطلق سراحه وذلك قلما يفلت منه أى عالـم سوسى اليوم ما دام التثقيف يقدم قبل جريان التحقيق أطال الله عمر الاستاذ وختم علينا وعليه بالايمان والاسلام فانه اليوم يناهز الثمانين • غير أن قوته لا تزال متماسكة رغم العقود الثمانية

(ثم انه أسلم روحه رضى اللـه عنه ضحى الاثنين متم ربيع الثانى ١٣٦٨ هـ فصلى عليه الفقيه والـده سيدى محمد الآتى بعده فـدفن ازاء

زوجيه فـي مقبرة القريـة قرب قبة سيدى عبد الرحمن وكـان يجلس دائما عند صلاة العصر هناك وقد كان ينشد حين يقابل قبرهما

لله أيـام تقضت بكـــم ما كان أحـلاها وأهناهـا

وقد خلف ولده محمدا وبنتيه ربيعة قرينة الفقيه سيدى عبد الله العوينى وخديجة قرينة القاضي سيدى ابرهيم بن محمد الايكرارى ٠

اعتناقه للطريقة الالغية

رأى القراء فيما تقدم كيف اتصل المترجم بالشيخ الالغي بعد ما ذاق الشربة الاولى على يد التاموديزتى رفيق الشيخ وقرنه ٠ ثم رأى كيف فنى فى التصوف فطلق كل عنجهية الفقهاء وفخفختهم وتعاليهم بمعلوماتهم فكان خير مريد للشيخ اسلاس قياد ٠ وحسن ظن حتى انه لا يقدم على أى شيء الا باستشارته وقد رأى القارىء بعض ذلك وقد تحلى بحلية الفقراء وتزيى بزيهم ولازم اخباتهم وانابتهـم فيغلب عليه الخشوع والبكاء فى المجالس وعند لقاء اخوانه وعند فراقهم وقد اجتمعت معـه مرارا بعد انطلاقى من النفى فرأيت بعينى كيف الرجل ، حتىأنى لأحس بأن تلك الترجمة المتقدمة التى كنت كتبتها وقت النفي يظهر لى أنها دون قدره ٠ فما أنس لا انس بياتى معه فى دار الشيخ الرئيس فى (العوينة) ولا كيف ظل معنا يوما آخر فى داره بـ (ايكرار) ولم يكن يفارقنى رحمـه الله ٠ كلما خطرت هناك الى أن فرق بيننا الحمام وما كان يراعى منى الا جانب شيخه ، فتصلنى عنه محبة نبعت من محبته واكباره لشيخه ٠ وكم بكى يوما وقد ودعنى حتى تعجب ولده سيدى محمد من بكائه ٠ وقـد كان له أيضا عند الشيخ نظرة خاصة وقد وقفت على قطعة خاطبه بها وهى

أعثمان حزت زى حلية عثمان خليفـة خـير المرسلين ابن عفان
بانجاز وعـد للاحبة باللقـــا من الواجب الذى على كل ربـانى
ومطل الغنى الظلم قد جاء مسندا فلا تـك موسوما بوعـد وبهتان
اذا جاءك المرقـوم فلتات واتكـن خطاك خفافا تطف أشواق نـيران

وقد ذيلها ابن مسعود بقوله

برؤية أوجه حسان يزينهـا من النور ما أفاضه بحـر عرفان
تزيح أبا عمرو عن اللب ما انطوى عليـه من أكـدار وأغشية الران
فيغدو لاصلـه من الحسن والبهـا ويرقى الى أوج الكمال بايقـان

وقد كان مرة ابن مسعود مع الفقراء سائحا فـى (أزاغـار) فاستدعاه

بهذه القطعة التى فزت بها أخيرا

هذى الجنان مفتحات البـاب ... زخـرت بحـور خرد أتراب
وقلوب أهل الله تسكر بينهـا ... بمروق المشروب فى الاكواب
كل لـه حظ فهـل لك أن ترى ... حظا لقلبك بين ما الاحباب ؟
فاقدم على عجل أبا عمرو تحز ... من بينهم نفحات خير شراب
فعليك خير تحية تهمى على ... ذاك المقام كهاميات سحـاب

ثم ان سيدى عثمان لازم زيارة زاوية شيخه بـ (الغ) فى حياته • ثم لاينقطع أحيانا عنها حتى أعيا وأسن • رحمه الله ورضى عنه •

قولة ابن الحبيب فيه

ومنهم الفاضل الفقيه الكامل سيدى عثمان بن أحمد بن محمد الايكرارى نفذت الاحكام برأيه وكان لايداهن • ولا يدع قول الحق • وكـان احفظ الناس لمذهب مالك • أخذ عن علماء وقته • وكان على هدى • وسيفا فى الحق مجردا على أهل الاهواء والبدع • غيورا على السنة • شديدا فى ذات الله •

الخمسون ـ محمد بن عثمان ابن المذكور قبله

أحد علماء (أزاغار) اليوم المشار اليهم بالاصابع • وقبلة العيون ان التفت عليهم المجامع تناول راية المجد الخفاقة باليمين • واستوى على منصة العرفان استواء بشر بن مروان على العراق • وسيزداد مكانة بهمته وتعالبه الى الشفوف حتى يكون له ما يكون ان استتم معلوماته • وهذب من تعاليه• واستنار باطنه كما استنار ظاهره • ومن يعش يره •

ولد فى منتصف شعبان ١٣٢٧ هـ وهو سبط الاستاذ محمد بن العربى الادوزى • وهو من الذكور وحيد والديه ولكنه قرة العين يكفى مثلـه الوالدين ولو لم يكن الا وحيدا • فأم الصقر تقر عينا بوحيدها وان لم تكن الا مقلاتا نزورا حدثنى والده حفظه الله أنه تركه فى الدار حملا • وأمـه مقرب • فسافر الى (الغ) ليحضر موسم شيخه الالغى • قال فحدثنى ونحن هناك الاستاذ محمد ابن مسعود : أن الشيخ ذكر له أن فلانا قد ازداد عنده اليوم ولد ذكر • فحين رجعت وجدته ولد فى ذلك اليوم الذى بشر به الشيخ عن ظهر غيب •

متعلمه للقرآن

أخذ القرءان فى مسجد القرية عن الاستـاذ الحسين البعمرانى • وبـه

تخرج كما حكى لى والده فاه الى أذنى

مآخذه العلمية

كان انقطع الى الفقيه الاستاذ سيدى محمد بن أحمد الايكرارى فى المدرسة (التالعينتية) فكان يتلقى هو وابن الاستاذ ابرهيم المتقدم الذى هو لدته فانهما كفآن يعادل كل واحد منهما صاحبه وتربأن تراضعا أفواق الاستاذ الايكرارى • ولذلك نجد بين معارفهما ومتجهاتهما وأخلاقهما وتفكيرهما تشابها كبيرا كما أسمعه عن الاستاذ ابرهيم • فأقيسه على ما رأيته من المترجم – وشبه الشيء منجذب اليه –

لازم الاستاذ الايكرارى الى أن أجازه بعدما استجازه بقوله

انى استجزت شيخنا المرتضى	من كل ما يرويه عمن مضى
من كل مقرو حديثا ومـا	لـه التشبث بفصل القضـا
والنحو والتوقيت أو غيرهـا	لازلت سيفا فى العدا منتضى
وعمـم القـول وبـين لنـا	سلسلة تزرى بزهر الفضا

فأجازه بما نصه :

(حمدا لمن بغرر محامده تتجمل جباه المبادى • وبدرر ممادحه تتحلى نحور المطالع فى صدور النوادى • والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادى وعلى آله الحاضر منهم والبادى •

وبعد : فان أكمل الكمال فى الاقوال والافعال التحلى بحقائق العلوم • والتحقق بفرائد المعارف والفهوم • فلذلك أرسلت جياد الجد والاجتهاد فى تحصيل عجائبها وامتطى غارب الاغتراب فى تأثيل غرائبها فكان ممن سقى برحيق سر غصنها الرطيب • ووشى ببديع طرازها القشيب • واسطة قلادة الاذكياء • ونتيجة دوحة أسلافه الاسرياء • العلامة الالمعى والفهامة اللوذعى • أبو عبد الله سيدى محمد بن عثمان بن أحمد الايكرارى • وقد رام منى – دام أنسه • وزكا غرسه – أمرا خفيت رموزه من قضاياه واستترت كنوزه من خباياه • وهو أن أجيز له ما صحت لى روايته • وتأيدت بسنده المتين درايته فأحجمت عن هذا المطلب العزيز واستعظمت أن أجاز فضلا عن أن أجيز فأبى الا اسعافه فى مسألته • والاجابة الى تحصيل قضيته فأسعفته اسعاف المكره لا البطل واعملت أقلامى فى الاعراب لو كان لها عمل • فقلت مستعينا بالله • وعليه التكلان • بعد أعوذ بالله من الشيطان :

بعد حمد الاله حمدا كثيرا	وثنائي مكبرا تكبيرا
انني قائل لمن رام مني	راغبا يأخذ الرواية عني
قد أجزت به لأى فقيه	عالم عامل بلا تمويه
فاشهدوا كل من بمجلس درسي	أنني قد اجزت من غير لبس
للتقى النقى نجل كريم	سيد نابه عليم حليم
نجل عثمان نجل أحمد يسمى	بمحمد للاماجد ينمى
بالمقر (ايكرار) فى وسط سوس	منبع للعلوم والتدريس

ثم أقول وعلى الله الاعتماد • ومن فيض كرمه الاستمداد • قد أجزت المعلامة المذكور جميع ما تجوز لى وعنى روايته • من مقرو ومسموع • ومجاز وفروع واصول اجازة تامة مطلقة • عامة بشرطها المألوف • وسننها المعروف بين أرباب الفن وقد أخذت عن أعلام شيوخ وجهابذة تمكن ورسوخ • منهم الامام الشهير والصدر الكبير خاتمة الحفاظ الاعلام وواسطة قلادة أئمة الاسلام سيدى محمد بن العربى الادوزى وحفيده أبو فارس سيدى عبد العزيز بن محمد المرابطى الادوزى • فهما العمدة فى الاملاء وسرهما معى فى كل الاناء رحمهما الله تعلى • وأفاض علينا من بركتهما فى ءاخرين • كسيدى مسعود الطالبى • وسيدى محمد الهرواشى• وسيدى ابرهيم أبى الجمال وخالى سيدى أحمد بن ابرهيم وسيدى البشير التادارتى • (ثم ساق منظومة ضادية تتضمن هذا المعنى بعينه ثم قال بعدها) كتبه فى ليلة الثامن من شوال عام ١٣٥١ هـ محمد بن أحمد ابن محمد بن محمد الايكرارى •)

ثم انتقل المترجم من عند استاذه هذا الى المدرسة (الادوزية) عند الاستاذ سيدى المحفوظ ءاخر علماء (أدوز) الكبار فعليه تلقى الدراسة العليا وبه تثقف فى البيان والاصول والافتاء والنوازل • وكيفية البحث وءاداب المناظرة فاقتبس منه الصلابة فى الرأى والوقوف مع مايعرفه ثم لايتزلزل عنه حتى يرى الحق عيانا فى غيره•وقد اعتنى به الاستاذ الادوزى هو وطبقته اعتناء خاصا فلم يدع فنا من الفنون التى يدرسها الا مر بها معهم •

ذكر لى سيدى عثمان أن الاستاذ من كثرة اعتناءه بالمترجم لما يراه من حرصه على المعارف • ربما يفرده ببعض أنصبة فى فن من الفنون

من الاستاذين الايكرارى والادوزى المذكورين استقى المترجم الا أنه استجاز بعد ذلك ابن عمه الفقيه الفلكى سيدى الحسن بن عبد الرحمن فأجازه بما نصه :

الحمد لله الذى يجازى بالخيرات الوافرات على الحسنات المجيب لكل سائل والمعطى جميع المسائل والصلاة والسلام على منبع العرفان . وذروة سنام المجد وتاج الدهر . وسر الاكوان . سيدنا محمد صلاة وسلاما دائمين متلازمين فى كل أوان وعلى ءاله وأصحابه البررة النجباء الائمة الاعلام .

هذا فقد اشهدنى الفقيه الشريف الاجل العالم الموقت وقتا بـ (البيضاء) الامثل أبو على سيدى الحسن ابن العلامة سيدى عبد الرحمن الايكرارى انه أجاز أخانا العلامة الهمام . الحلاحل الفهامة الذى فاق أقرانه من الانام أبا عبد الله سيدى محمد بن عثمان الايكرارى . اجازة مطلقة تامة عامة فى كل ما تصح له فيه روايته . وتجوز له درايته . من أصول ومعقول . وفروع ونحو وصرف وبيان وتوقيت ومنطق ومعان لم يستثن له فى ذلك فصلا ما . بحق رؤيته اياه أهلا لذلك . وبحق أخذه بالاجازة المطلقة من أشياخه كسيدى محمد بن عبد الرحمن الايكرارى . وشيخه الفقيه سيدى عثمان . وخاتمة المحققين الولى الصالح سيدى محمد بن مسعود . عن والده . وهو عن شيخ الجماعة سيدى العربى الادوزى كما أخذ أيضا بالاجازة عن سيدى محمد بن العربى الادوزى وعن الولى الصالح سيدى أحمد بن عبد الرحمن عن والده سيدى عبد الرحمن الجشتيمى وهو عن والده سيدى عبد الله شارح (الشفاء) وأخذ سيدى محمد بن مسعود أيضا عن سيدى محمد أباراغ كما أخذ سيدى محمد ابن مسعود أيضا عن سيدى أحمد بن ابرهيم الايكرارى عن أبيه عن سيدى الطيب بن كيران الفاسى اجازة تامة بشرطها المألوف . وسننها المعروف . كتبه من أذن له المجيز فى الكتابة . لسبب اقتضاه . فى ٢٥ ذى القعدة ١٣٥٦ هـ عبد ربه ابرهيم بن محمد بن أحمد الايكرارى . ثم يليه بخط المجيز ما نصه :

(قاله وأذن فى كتبه الحسن بن عبد الرحمن الايكرارى أمنه الله)

مشارطاته

تخرج المترجم بعد ١٣٥٠ هـ فوجد والده يدب اليه الهرم فوجب عليه أن يتحمل اعباء الاسرة . واذ لم يكن له الا المشارطة والجولان فى النوازل أقبل عليهما اقبال الجلد الذى لاتنوءه أعمالهما . فشارط فى مدرسة (سيدى محمد بن داود) من قبيلة (انمستيتن) بـ (بعمرانة) سنة . وذلك ١٣٥١ هـ ثم عرض له عارض ءاخر حوله الى وجهة أخرى لتبدل الاحوال بعد احتلال (بعمرانة) وجبال (جزولة) ءاخر ١٣٥٢ هـ فلم يكن بعد حرا فى المزاولة الا بالوظيفة الرسمية فلذلك مد عنقه للنير .

وظيفته الرسمية

كان والده حفظه الله من العدول الرسميين منذ انتظمت العدلية ثم لما تقدمت به السن وقارب الشيخوخة التى تعقل صاحبها عن الاقبال والادبار ـ وهذا محور تلك الوظيفة ـ دفع بولده هذا فرشحه القاضي بـ (تزنيت) الى (الرباط) فأدى هناك فى الوزارة العدلية الامتحان فنجح غاية النجاح • فتسلم العدالة عن جدارة • فها هو ذا فى قبيلة (أكلو) مع الاديب الطاهر السماهرى يصدران ويوردان والعدل فى البادية يكاد يكون نائب القاضي فى جهته •

بيني وبينه

كان من أبناء الخالات كما يرى القارىء فكانت أسباب التعارف متوفرة • وان لم نكن متجاورين سكنى ولكننى من حين طلقت (سوس) ابتعدت عن كل أهلنا الاقارب والاجانب فشرقت وهم مغربون ورحلت وهم مقيمون • وشتان ما بين مشرق ومغرب • وراحل ومقيم • فلذلك تأخر التعارف بيننا كثيرا • اذ كنا معا ناشئين • حتى اذا بلغ كل واحد منا أشده واستغنى عن المسح شاربه وجدنا الحال فى بلدين بعيدين لاتزاور بين من فيهما الا لماما •

ثم زارنى فى (مراكش) بسبب رحلة له الى (فاس) يقصد بها أن يتجول ويرى العالم خارج مسقط رأسه فثوى عندى ما ثوى أياما قلائل فأتذكر أننا كنا أمضيناها كلها فى مذاكرات حول فنون شتى خصوصا فى أدبيات متنوعة فرأيت منه فهما صيادا المعالى • وفكرا غواصا فى الاعماق يستخرج الدرر وعقلا مرنا فى الفقهيات يقل نظيره فى طبقته • كما رأيت منه قبولا كثيرا للازدياد فى الرقى فى مدارج المعارف • كما كان يحبه هو بنفسه • لو لم يكن مقيدا بما قيدته به الاسرة الملقى عبئها على كاهله • على أننى مع كل هذه الاعذار الواضحة أحثه على أن يتناسى كل شىء ليستتم ما لابد منه • الا أن الدهر لايساعف فى كل وقت

ثم لاقيته ثانيا فى (تزنيت) واذكر أن (روضة الافنان) الاستاذ الايكرارى رأيتها يومئذ فى يده • وهى أول مرة رأيتها فيه • فكتبت عليها كتقريظ القافية المتقدمة فى ترجمة المؤرخ الايكرارى وقد تداولنا أيضا اذ ذاك أبحاثا طلية استفيد بها منه كثيرا لولوعه بالتثبت وبالمجاذبة للحبال شنشنة جبل عليها فيوتى ذلك لمثلى فوائد عظمى من مثله • فأزددت

سرورا بنبوغ ابن الخالة ، ويعجبنى منه وراء ذلك ما عرف به من تعال زائد على الادنياء والبلداء وما أكثرهم • فلم يتماوت ولا أذل مكانته بالتواضع الزائف الا اننى لا أزال أحبذ له زيادة فى الحواضر غير أن العذر لا يزال قائما

كذلك ابن الخالة ابن عثمان ذو الابهة العلمية فى كل أحواله فى لبسته ، وفى مشيته وفى كل هيئته • وهل ذاق حلاوة العلم من لا يحجم عن مواقف المهانة !

ثم فى هذه السنة ١٣٦١ هـ زرته فى داره ـ كما بينت كل ما جرى بيننا فى (الرحلة الاولى) من كتاب (خلال جزولة) فبعد ما تجارينا اطلاقا • رأيته يتحسر على عدم تيسر الاستزادة من الحواضر • فقلت له أما الآن ، والعالم مكفهر بهذه الحرب • فلا • فأبدى النهم الشديد الى الحديث • فدللته الى الاقبال على (الموطأ) بشرح الزرقانى • فانه سداد من عوز • والكتاب فى فقه مالك • وهو عارفه • فيكون ذلك أكبر معين على ما يريد • فأنشدنه فى معرض تقويم نفسه بنفسه

وكنت كذى عر تطلب جهده طبيبا فلما لم يجده تطببا

قلت له تبلغ بهذا الى أن يواتى الدهر اصبره بذلك • لانه ربما يقول اننى أعزم على طلاق كل شىء فى سبيل ترويق عقارى كما أريد

هكذا أعرف الاستاذ الذى لم يقف بعد • فدل ذلك على همة بين جانبيه عجيبة • وأقدر أن أقول اننى ما رأيت مثله بين شبيبة ناشئين الآن رأيتهم فى تلك الجهة يقنعون بما كانوا حصلوه • ويكتفى أحدهم بما كان أخذه من مدارس (سوس) فيلوى رأسه تحت طى جناحه بل لا يزال كلما رأى علياء يتوقل اليها وكلما آنس فنا يتفوق به عليه متفوق • يتطاول الى أن يحصله • وهكذا هكذا والا فلا لا •

أما ما جرى به القلم بيننا • فانه ليس هناك • ولكن لابد من سوقه على علاته • لان كل واحد منا انما كتب ذلك لوقته لا ليبقى للتاريخ ولكن التاريخ مصاص لكل ما كان كيفما كان •

كتب الى والى الاستاذ الحسن البونعمانى من (سوس) الى (الحمراء) أثناء رسالة

يـاكتابى اذا وصلت لحمـرا	ء فسل عن امامنا المختار
وادن منه وقبل الرأس والكـ	ف ، ونب عن خديمه الا كرارى
وتـأدب ان جئتـه ثـم لا تنـ	س مديـرا لخمرة الاشعار

ذاك الحسن الفعال امام الـ ـحائزين العلياء في المضمار
فهما للجليس والله أشهى من لطيف الشذا من الازهار
وهما للجليس أشهى من الغيـ ـد الحسان العقائل الابكار
فبذكراهما الفؤاد تسلى عن حديثي بثينة ونوار
بهما كنت دائما أتفصى من حزازات هذه الاغيار
نلتما اليوم في السيادة شأوا لم يكن في سوالف الاعصار
ومقاما من المجادة فذا لم ينله أفاضل الاعصار

ثم أفرد الاديب البونعماني بقوله

ما على هكذا افترقنا بحمرا ولا هكذا أخا الاحرار
لا ولا هكذا سجايا (بني مسـ ـعود) أصل الاماجد الابرار
لم أشم من جنابه من كتاب باح فيه بسره والجهار
ليت شعري أودهم مثل ودي أم ودادي قد فات حد اعتبار
ليتني الدهر لا افارق أرضا ضمكم يا سلالة الاخيار

بهذا كتب الينا ١٣٥٣ هـ ثم لم أجبه الا بعد حين بقولي

ما نسيم مصافح الازهار نديات محلولة الازرار
في صباح الربيع واليوم طلق تتناغى صوادح الاطيار
ليس هذا النسيم في اللطف أذكى من قريض العلامة الا كراري
من قواف كما تسوى عقاص مرسلات على رشا خطار
ومعان كأنما تمزج الخمـ ـرة من ظلم شادن خمار
تتلألأ الالفاظ من بينها مثـ ـل سماء تلألأت بدراري
أتملى منه نشيدا كأني أتملى بمبسم وعذار
يضح الود ناصعا من ثنايا ه كمثل الحباب بين العقار

* * *

أيها الشاعر الكبير المجلي أن تجارى الاقران في المضمار
قد تناهيت رقة وصفاء ووادا على ابتعاد الدار
كيف تبغي وانت أنت فريد رافع الشان نخبة الاخيار
ان ترانا في مستواك فأين الـ ـجذر في أرضه من الاقمار

زهرات الدفلى وان أعجبت لي ـست تضاهي نوافح الازهار
انجلى يومنا الغبار لذى الاعـ ـين عن ذى طرف ورب حمار
فرأى الناس كلهم نجل عثما ن على المعدرى والمختـار
كيف يخفى الابدار في الجومن نو ر هـلال ممحق بالسرار
فاعذرنا فقد بدا لك ما كـا ن خفيا من واضح الاعذار
وسلاما كالمسك ينفح أو كالـ ـورد بين الرياض فى الابكار

هكذا كنت قلت هـذا الجواب فى شبه مداعبة ، فى هذا الاسلوب وهل يليق للاخوانيات الا مثل هذا الاسلوب ؟ واكل مقام مقال

فللفصاحـة أقوام لها خلقوا وللفهاهـة أقوامٌ وميـدان

ومما كتب به الىَّ المترجم اثر فرقة وصيته قبلهـا بالاعتناء بالحديث وما اليه فى مكتوب منى اليه هذه الرسالة

(أدام الله مجادة قطب زمانه وغوث أوانه • ياقوتة العصر ونخبة الدهر الفقيه العلامة المحافظ الحجة الفهامة • امام المحدثين• وشيخ الاسلام والدين• انسان عين الكمال ودوحة المجد والافضال المؤرخ الكبير• والبدر الواضح المنير جامع الفنون الغريبة المتوغل فى معارف العلوم العجيبة • الكريم النجار مولانا وسيدنا محمد المختار نجل الشيخ الاكبر • ذاك الولى الاشهر لازالت اعلام مجدكم ظاهرة ومحاسن فخركم بـاهرة • والسلام التام على مقامكم الرفيع وجاهكم المنيع

وبعد فقد ورد علينا من سيادتكم كتاب كريم لم يال لنا فيه سيدى نصحا وارشادا جزاكم الله عن الامة خيرا فثملنا من سلافـة محاسنـه اللفظيه ومحاسنه البديعية عليه من جواهر المعانى تاج مكلل يحبى رميم الهمم بألفاظه اللطيفة وفواصله المستعذبة الشريفة • كل فاصلة منه درة ثمينة • وجوهرة لها فى سوق الادب أغلى قيمة • فقطع عزم فكرى عن أن يشرئب فى الجواب الى محاذاته • أو يطمح الى محاكاته • فهرع الى قطعة من قصيدة الاديب عبد ابن أحمد أبى تمام الطالحى الحنبلى • فقدمها بين يدى نجواه فقال

يـا واحـدا أعربت عنـه فضـائلـه
وسار فى الكـون سير الكـوكب السامى
فى نعت فضلك حار الفكر من دهش
وكل ظام روى من بحرك الطـامى

لا يرتقي نحوك السارى على فلـــك
فكيف من رام أن يسعى بـأقـدام
منك استفاد بنو الآداب ما نظموا
وعنك ما حفظـوا من رقـم أقلام
لمـا رأيت كتـابـــا أنت كـــاتبـه
وأضرم الشـوق عنـــدى اى اضرام
أنشـــدت قلبى هـــذا منتهى أربى
أعـاد عهـد حياتى بعـــد أعـــوام
من ذا يوافيه فى رد الجـواب له
عـذرا اليـه ولـو كنت ابن بسام
لا زال شأنك فى أمن وفى دعة
ودام عـزك فى سعـد وانعـــام

هذا فلازلت استعذب ما أفادنيه سيدى من علومه الجمة • العزيزة المهمة• وفوائده الكثيرة • ومنافعه الاثيرة • الى أمثال شعرية • قلما نجد لها مثالا• لايأنس بها الجاهلون • ولا يعقلها الا العالمون •

أغير المجد يطلبه الهمـام ؟ أبعد العلم مرتبة تـــرام ؟
على لكل ذى علم ذمـــام ولى بمدارك العلـم اهتمـام
وأحسن ما لدى لقـــاء حر وصحبة معشر بالعلم هامـوا

أحلف بالله سيدى ـ وأنا صادق ـ أنالفتح حليف مذاكرتكم• ورهين محاورتكم • ولقد نفعنى الله بكم فى هذه البرهة القليلة بمـا لا أظـن أنى أستفيده مع الغير فى أعوام عديدة وطربت لذلك ـ كما طرب النشـوان مالت به الخمر ـ وعرتنى حين كتبى هذا هزة الشوق • الى الاستزادة من ذلك (كما انتفض العصفور بلله القطر) وامتزجت تلك الاستفاداتالعزيزة بخلدى (كما التقت الصهباء والبارد العذب) لاسيما ما الى علم الحديثالذى مات بسوسنا فى القديم والحديث فقد سهلت لنا سيدى طريق الدخول اليه كتابة ومذاكرة • وبالية يتيسر اتمام الموضوع فيه معسيادتكم• لكن (ضيعت حزمى فى ابعادى الامـــلا)

وقد بادرت الى ارشادكم ياسيدى فثابرت على نصاب فى (الموطـأ) مع شرح العلامة سيدى محمد الزرقانى اكـن (ليس التكحل فـى العينين كالكحل) وما أجدرنى بقول القائل (لقـد حكيت ولكن فاتك الشنب) •

ولا أقل من التمسكن • حتى يحصل التمكن • واين أنا من قوله

اذا المشكلات تصدين لى كشفت حقائقها بالنظـــر
ولست بإمّعـــة فى الرجا ل أسائل ذاك وذا ما الخبر

نعم عن لى أثناء المطالعة اشكال فيما يتعلق بالحديث • وهو

(هل جاز لدى أئمة الحديث لمن يعمد الى نسخة صحيحة فىظنه وحصل بها الثقة منعدم التبديل والتغيير• مع الضبط والاتقان متنا وسندا بالشكل ومعونة الشرح كالنسخة المعلومـة من البخـارى المضبوطة أن يتخذها ويرويها من غير سند يوصله اليها أم لابد من سند يوصله اليها علىطريق المحدثين • ولا أراه الا أنه يجوز قياسا على المرسل ونحوه مما لم يتصل نحب سيدى أن يتفضل ببيان مـا للمحدثين فى هـذه العقبة التى تقابلنـا أمام المراد

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد

وبطى الرسالة الورقة التى فيها نسب سيدى أحمـد بـن ابرهيم السملالى بخطه المعهود ونرجو ان لا ينسانا سيدى فى دعواته الصالحة بسعادة الدارين كما نرجو أن يسلم منا على السادة الاخوان وبالاخص سيدى محمد الخليفة • والولد البار سيدى عبد الله زاد الله فى معناكم بجاه النبى وءاله • والبخارى ورجاله)

٨ جمادى الاخيرة ١٣٦١ هـ

من آثــاره

ومن ءاثاره يقرظ كتاب (روضة الافنان) باختصار

(نحمدك اللهم يا من أبرز فى كل برهة جهابذة الاعلام • وافاض على ايديهم منمخبآت المعارف بالافهام• وأيد كل جيل بتنافس الحذاق فىنيل مراتب السباق ليظفروا برتبة الاستحقاق اذ قاموا بالجد على ساق والصلاة والسلام على نبينا القائل يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله لايضرهم من خالفهم ولا يعتريهم مع طول الزمان أفوله وكان من أعلم علماء هذا العصر شمس هذا المصر • فخر الادب والكياسة • وحامل التهذيب بالسياسة الفقيه النبيل الشريف الاصيل • شيخنا وقدوتنا • ومأملنا وملاذنا سيدى محمد ابن أحمد الايكرارى فكم له وقاه الله مـن منافع للاسلام يقصر عن وصفها اللسان ويعجز عدها عن البيان وكان مـن

افخم ذلك وأكمله وأعذبه واجمله الذى اجاد فيه كل اجادة واتى بما لا مزيد عليه من الحسنى وزيادة تاريخه الذى تشرئب الى مدارسته كل الاندية • وتتطلع الى السمر به كل البرية الموسوم بـ (روضة الافنان فى وفيات الاعيان) فانه لعمرى مما ساعدته فيه الاقدار حتى أظهره للانام كأنه من بعض الالهام • وقد أطلعنى عليه فشددت عليه يد الضنين• وأحللته محل الدر الثمين وتصفحته بأكمله فألفيته - لله دره - قد وضع الهناء مواضع النقب (١) وجعل كل مطلب حيث يرتاده من عنه نقب وحصل ما غيره عنه غفل • وقدما قيل كادت الهمم أن تفعل

عشق المكارم فهو مشتغل بها والمكرمات قليلة العشاق
وأقام سوقا للثناء ولم تكن سوق الثناء تعد فى الاسواق

فيا له من مجموع حلى به العاطل من جيد الزمان واحيا به ما أماته الخمول والهجران

كتاب بديع يفوق الدرر أعار سناه الضيا للقمر
فلا زال منشيه يبدى لنا عرائس ابكار تلك الفكر
تحن النفوس اليه كما يحن الى الحى قاصى السفر

نتف أخرى من أخباره

رأيت فيما كنت كتبته من سنين كثيرة من أخبار المترجم ومن آثاره ما تفهم منه مكانته فى الادب • وفى همته المتعالية الى المجد العالى وقد واتته السنون التى تلت ١٣٦١ هـ .بمراتب له عالية فقد علا شأنه فى محكمة الشرع بـ (تزنيت) وتصدر للافتاء وكان قطب العلميات • بـ(تزنيت) والايام المتوالية لاتزيده الا ظهورا وقد تزوج امرأة أخرى من احدى الاسر المثرية فى هذه المدينة فتكونت له هالة حضرية • ثم داخل الرؤساء هناك فيقبل ويدبر • ولا هم له الا الشفوف على الاقران بكل امكان ثم طمع ان يلتحق بدار المخزن بـ (الرباط) فصار يفتل لذلك من الذروة والغارب وهو ما بين (الرباط) و (تزنيت) لا يغب ذهابا وايابا • وهو من أهل العزائم والعزائم اذا صمدت فيما قصدت • أدركت

١) مأخوذ من قول الشاعر

(يضع الهناء مواضع النقب)

والهناء بالكسر القطران والنقب كضرب وقفل وكطرب الجرب

أهدافها واقصدت •

وقد كنت تكلمت مع الرئيس فى الاستيناف اذ ذاك شيخنا سيدى المدنى ابن الحسنى • فوعد أن يبذل جهده • وكذلك كان يعين غيرى المترجم فى منتهى أربه هذا ولسان حاله ينشد

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب اليك آل التقصى وانتهى الطلب

وكنت أقول له انك ستنال مرامك بحول الله لانك أهل لكل منصب فيه شفوف• ولكل مقام عال ثم ان ذلك تيسر له بفضل الله الكريم فالتحق بمجلس الاستيناف فلم ينشب لتمكنه فى الفقهيات أن تعين من المبرزين هناك يذكره كل أهل المجلس بتفوق واستحضار والرجل حقيقة جدير بالثناء على الفقهيات التى له فيها باع طويل • وقد كنت قبل هذا العهد وصيته أن يجمع كل ماأمكن من فتاوى الفقهاء السوسيين كمعيار سوسى فقطع فى ذلك اشواطا • فقد أمكن أن يجمع ثلاثة مجلدات كبار فى وقت قصير • ثم شغل عن ذلك بهذه الوظيفة الجديدة التى اندفع اليها اندفاعا ملك عليه كل اوقاته لانه يراها المصدر الوحيد لمجده ولأقواته •

ها هو ذا المترجم الآن فى (الرباط) وها هو ذا أيضا يتشرب من أخلاق الحضارة هذه فيظهر ذلك فى همته وفى فهمه وفى محادثته بل حتى فى هيأته وفى مشيته وفى أخلاقه وأطلب الله أن لايبطىء به هناك ليرجع الى قطره • لينفع فيه حيث لانظير له •

وفى هذا الحين حين توفى قاضى (تزنيت) سيدى أحمد بن المصلوت يرجو ان يتيسر له ان يعين هناك خلفا له • ولا ندرى ما يفعل الله فى ذلك •

ثم أختار الله له فبقى فى الحواضر بعد الاستقلال • ثم عين رئيسا على مجلس الاستيناف الجهوى فى ناحية (تافيلالت) ثم الى (الناظور) حيث لايزال الى الآن فى مختتم سنة ١٣٨٠ هـ

قولة ابن الحبيب فيه

الفقيه العلامة سيدى محمد بن عثمان •صدر من صدور عدول الحضرة التزنيتية • نبيل مدرك • جيد النظر • شديد الفهم له مشاركة حسنة فى فنون الفقه والعربية والادب وحفظ الشعر وقرضه قرأ على الفقيه سيدى محمد بن أحمد الايكرارى ثم على علامة المصر سيدى المحفوظ

الادوزى • وقرأ على غيرهما من معاصرى ابيه وام يحضرنى من شعره فى الوقت وان كان اكثر من الحصى الا قوله يمدح (روضة الافنان) لشيخه الايكراوى

أعيدى سليمى الوصل فالوصل لى فخر وتجديد وصلك الشهى هو النصر

الى ءاخرها •

الحادى و الخمسون : محمد بن محمد العيني الخياطي

من هذه الاسرة المسكدادية ومن أكابر العلماء فى أواخر القرن الماضى ومن مشاهير من كانوا يلازمون حضرة الرئيس سيدى الحسين بن هاشم الايليغى وله شهرة طنانة فائقة فى الميدان العلمى •

أساتذته

أخذ عن أبى العباس الجشتيمى ولعله أخذ أيضا عن أخيه الاستاذ عبد الله بل عن والدهما شيخ الاسلام أبى زيد فقد رأيت من مخطوطاته تفخيما كبيرا لشأن هؤلاء الجشتيميين • ثم رأيت له من حب الادب • ومن الاعتناء بالتقاييد مايكاد يحقق لى أنه ثافن من المشايخ من كان معروفا بذلك الشأن • وهو ابو زيد الذى نعرف منه ما نعرف فىهذا الباب • ثم ذكر لى أنه اخذ أيضا عن أبى حامد سيدى العربى الادوزى مع اننى رأيت له أنقالا عنه كثيرة ولا استحضر أنه يصفه بالشيخوخة واتوقف فى هذه الساعة فى أنه يصفه بالشيخوخة أولا يصفه • فهؤلاء منأعرفهم من أساتذته لا غير ثم وجدته أيضا يصف الحاج ياسين الوسخينى بالشيخوخة فعلمنا أنه ممن أخذ عنه أيضا •

رحلته إلى الحج

وقفت بين مقيداته على ما يدل على أنه حج فى صحبة أبى العباس الجشتيمى سنة ١٢٨٠ هـ فكثيرا ما يقول: أخبرنا فى طريق الحج• وأنشدنا فى طريق الحج والغالب أنه صاحبه معه فلئن صح أنه حج • فانه بلا ريب سيعتنى بالاخذ عن كل منيصادفهم فىالحرمين• فيصنععلىالاقلماصنعه أبو العباس الجشتيمى حين استجار علماء الحرمين • لان من له مثل حرصه الذى رأيناه له لا يفلت مثل تلك الفرص

آثار قلمه

سقطت الى كناشة كبيرة هى الآن تحت يدى كانت فى ملكه فيها فوائد كثيرة متنوعة مما يدل على اهتمام كبير ، لم نعهده من غالب أقرانه ، فهناك رسائل نفيسة لن نقع عليها فى غيرها كما أن هناك فوائد شتى ثم اننى رأيت له أيضا مجموعة أخرى نبوية جمع فيها قصائد نبوية كالهمزية والبردة وبانت سعاد، وموازنتها للبوصيرى، والوتريات، ثم ضم اليها قصائد نبوية المجشتيميين وأخرى للعباسيين ظفرنا من بينها بقصائد نفيسة لهم منها نونية لسيدى سعيد بن محمد العباسى الموازنة لنونية الفشتالى كان قالها فى احدى الليالى النبوية فى عهد بودميعة ، اذ (ايليغ) عاصمة (سوس) كلها ، ومنها قصائد نبوية لوالده العلامة قاضى الجماعة سيدى محمد بن سعيد العباسى

وهذه المجموعة وقعنا عليها عند انسان مر بنا فى (الغ) ثم لم يتيسر أن نحوزها منه فكتبنا ما قدر لنا أن نكتبه على عجل والاسف شديد حين لم أنسخ كل القصائد العباسية لسيدى محمد بن سعيد لاننى انتقيت منها ، ولاننى اذ ذاك لم تختمر فكرة جمع هذا الكتاب عندى بعد ، وكم للتأخير من آفات ، ثم لم يكن هذا كل ما رأيته له من المقيدات ، فقد رأيت فى طرر لبعض كتبه بيعت متفرقة من تركة أولاده ، أشياء نفيسة ، منهارسالة لابىزيد الجشتيمى الى سيدى الحسين ابن هاشم سقناها فىكتابنا ايليغ قديما وحديثا كما رأينا له مقيدات أخرى كلها ذوات فوائد ، وهذا السيد أحد الذين استفدت كثيرا من بنات أقلامهم بل أكاد أنادى بأننى ما استفدت كثيرا فى أمثال هذه المقيدات ، ما استفدته منه ، ان استثنيت الاستاذ أبا زيد الجشتيمى الذى توصلت بجملة وافية وافرة من بنات تقييداته ، بواسطة أحد أحفاده ،

أبيات مستحسنة مما يولع بنسخه

عز البياض بأرضكم	أم قد بخلتم بالمداد
أم طال عهدكم بنا	فنسيتم حفظ الوداد

* * *

ان يوم الفراق أحرق قلبى	وكوانى الفراق بالنار كيا
ان قضى الله بيننا باجتماع	ما ذكرت الفراق ما دمت حيا

* * *

أقول وقول الصدق فى النفس أوقع
وفى الحق ما يصغى اليه ويسمع
رأيت فنون العلم ترفع أهلها
ولولا طلاب العلم ما كان يرفع

* * *

اذا ساعدتك الحال فارقب زوالها
فما هى الا مثل حلبة أشطر
وان قصدتك الحادثات بؤسها
فوسع لها صدر التجلد واصبر

* * *

مر الجراد على زرعى فقلت له — لا تأكلن ولا تشغل بافساد
فقال منها خطيب فوق سنبلة — انا على سفر لا بد من زاد

* * *

ورزمة كاغد فى البيت عندى — أحب الى من عدل الدقيق
ولطمة عالم فى الخد منى — أحب الى من شرب الرحيق
ومحبرة تجالسنى نهارا — أحب الى من أنس الصديق

* * *

ضدان ما اجتمعا للمرء فى قرن — نيل المنى ولزوم الاهل والوطن
ان كنت تبغى المعالى فادرع نعلا — أو أرض بالذل واربح راحة البدن

* * *

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنة — فلن يسود فتى أعط النسا رسنه

* * *

فمن أمثال هذه الابيات يكلف يراع المترجم بخطها ولا ريب أن اختيار المرء قطعة من عقله فهذه كلها نقلتها من مقطعات كثيرة من الكناش الذى عندى • وعلى هذا يقاس ما يلهج باختياره • وأما النوادر من الرسائل لاى كانت فلا تسل عن لهجه بنسخها • وخطه وان كان بينا يقرأ ليس بحسن ـ وما ذلك بضائره نقيرا (فاجن الثمار وخل العود للنار) فالعبرة

باللب لا بالقشرة ، وقد عاش هذا الاستاذ الى أواخر القرن الماضي • ولا نستحضر الآن وقت وفاته •

من بنات فكره

وجدت بخط بعض علماء (سملالة) أحسبه الاستاذ سيدى محمد المافاماني على ظهر هذه الرسالة الآتية • انه للفقيه سيدى محمد التومانارى ونص الرسالة

الفقيه المفتي العلامة النصوص سيدى محمد بن الحسن العداني المجاطي السلام عليك ورحمة الله وبركاته •

أما بعد ، فيعظم الله أجركم في الفقيه الذى لبى نداء ربه وجعله في ظل النبى وحزبه • وقد تكلفت أبياتا في رثائه • وان لم أكن من أهل الفن الشعرى ولكننى اتشبه والتشبه بالكرام رباح •

مضى لطيته الفقيه سيدنا	خير الاماثل من أمثاله العلما
مضى فخلف حزنا دائما أبدا	في صدر كل تقى قلبه اضطرما
من ذا سينصح بعد المسلمين كما	قد كان ينصح اما حادث دهما
صلى وصام وحج البيت مفترضا	فكل حق عليه كان قد غرما
لم ير قط بنهج شائن خطل	وكيف ينهج نهج الشر من علما
فالله يرحمه رحمى يكون بها	مع كل خيرة أشياخ له رحما
بجاه سيدنا خير الورى وبجا	ه الصحب والآل والاشياخ والقدما

هذا ما نفثت به الفكرة العليلة الكليلة • وأطلب الله أن يرحمنا جميعا • وأنهى الى سيدى أننا بخير • وقد تمت القضية التى نزلت عليها• وانا على نية الرجوع الى الدار ولا أدرى أيتيسر لى أن أزوركم معزيا • ولذلك بادرت بهذه الرسالة خوف أن تقطعنى العوائق فتقوم مقامى • والسلام •

انتهت الرسالة وهذا هو الاثر الوحيد الذى وجدته لهذا الاستاذ • ولا يعجبن القارىء من اسفاف هذا النظم فان الرجل حقا كما قال ليس من أرباب الفن • ولكنه فقيه يمازج الادباء فيتعالى الى الجولان في ميادينهم • ثم انني وقفت له أثناء كلام له في محلات ان كان يحرر شيئا على لحن كثير في النثر • فكيف اذن يكون النظم من مثله على أن مثل هذا النظم هو الذى يتعاطاه سيدى العربى الادوزى وهو ما هو • أفلم يكفنا منه أنه

موزون على حين أننا نرى أحيانا من منظومات آخرين من معاصريه سقوطا لا يرضاه الخليل بن أحمد

ان نواحي غير قليلة من أخبار هذا الاستاذ لا تزال خافية عنا • ولكننا نقنع بما تيسر الآن • ولعل فيه كفاية حين لم يكن عندنا سواه •

وممن أخذوا عنه سيدى محمد بن الحسين الايليغى يعسوب (ايليغ) المشهور •

وأما ابن الحسن العدانى المذكور ، فسيرد مع أهله فى (القسم الخامس) ان شاء الله • ولا أدرى الآن من هو الفقيه المعزى فيه • وما ذلك الا من عدم وضع التاريخ على الرسالة • وهذا سبيل كثير من السوسيين الماضيين • ويا ما أسوأها من خلة •

الثاني والخمسون : أحمد بن محمد بن محمد العيني الخياطي

ابن المذكور قبله • قال فيه الايكرارى

(ومنهم الفقيه أبو العباس سيدى أحمد بن محمد الخياطى بـ (عين الطلبة) كان رحمه الله فقيه سيدى محمد بن الحسين بن هاشم • وامامه بعد أبيه • لايفارقه حضرا ولاسفرا • فهو كاتبه ووزيره أكثر من خمسين عاما • وهو نجي سره ومشاوره قرأ فى (بونعمان) وتبرك فى (أدوز) ثم لازم الشريف المذكور • وهو ناصرى الطريقة • كما ان مخدومه قادرى الطريقة • فلم تخدش المخالفة فى المشرب بحسن النية خلاف ما يقال الناس على دين الملك • فلما مات مخدومه • وفاته منه ملزومه • صاوله الا ملاق • وقام له على ساق وفارقه انقماش • ولم يدخر ما يحصل له به انتعاش فجرى من جفونه الدم وعجز عن نقله القدم فأنشد حاله الشعر المستغرب • الذى املاه من له معرفة بالادب

أنا الخياط لى رزق ولكن أرى حالى من الافلاس عبرة
ذراعى فيه من فقرى مقص ورزقى خارج من عين ابرة

توفى رحمه الله فى الساعة الثامنة من ليلة السبت الذى هو الثالث من رمضان ١٣٤٣ هـ غفر الله له •

وقال فيه على بن الحبيب :

(ومنهم الفقيه ذو الشمائل المرضية المحببة السنية أبو العباس

سيدى أحمد بن محمد الخياطي من (عين الطلبة) التازاروالتى هذا السيد رحمه الله • أفنى عمره في خدمة ءال هاشم • وهو كاتب سرهم وجهرهم • والمعول عليه عندهم • منظور اليه بعين التعظيم والتوقير الى ان بردت نارهم • فسيم الخسف من العامة • ووصل به الحال الى ان اكلت داره • وتشتت أوراقه • وتفرقت اولاده ولم يرعوا له ذمام • فهذه عادة الدنيا مع أهلها• توفى رحمه الله فى ثلاثة أيام من رمضان • عام ثلاثة واربعين وثلاثمائة وألف •

جملة اخرى من اخباره

كان سيدى أحمد الخياطى بعدما تخرج من (بونعمان) عند سيدى مسعود ومن (أدوز) عند سيدى محمد بن العربى الادوزى رابضا فى (ايليغ) وذلك من أواخر القرن الماضى بعد وفاة والده الذى كان يلازم تلك الحضرة • فهو قاضيها ومفتيها • وامامها ومستشارها • فخلفه فى كل ذلك وقد صادف قرنه سيدى محمد بن الحسين كما برز أمره من تحت جناح والده سيدى الحسين الذى كان لايزال حيا متمتعا بصولته المعروفة • ففى هذا الظل الوريف ترعرع سيدى احمد الخياطى فنال مقاما شامخا وسمعة كبيرة • وسطوة ينالها من سطوة • وهو كما كان يتولى قارّها يتولى حارّها (١) • فيثنى عليه من يثنى على أرباب مثواه ويجرعليه ثوب الزراية من كان ينظراليهم شزرا • فقد حكى لى بعضهم أنه رأى بعض من نالته صدمة عنيفة من(ايليغ) يقول اتمنى على الله أن اشوى كبد الخياطى فآلوكها• فظلم الرجل بهذه الكلمة النابية •وقد كان نال وفرة العيش ورغده حين كان سيدى محمد لايزال موفور الغنى • رغد العيش • ثم لما شالت كفة الميزان • وزالت النعمة • طاف به طائف مما نال أرباب مثواه • حتى انه فى ءاخر عمره يستوكف الاكف • ويعرض لمن يظن منهم السماح تلويحا وتصريحا فكم مرة جاء الى (الـغ) فنزل بأبى الحسن الاستاذ وبالرئيس الحاج ابرهيم الايغشانى • وربما أرسل رسائل يستمطر منهما بها • فتاتى أحيانا بملئها ماء • وتارة بحمأة وقليل ماء (٢) • وهاك نص رسالة له الى ابن الحسن

١) هناك مثل ول حارّها من تولى قارّها ـ بتشديد الراء منهما ـ أى ول بؤسها من كان تولى التمتع بنعمتها

٢) قـال

وليس الرزق عن طلب حثيث ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجىء بملءها طورا وطورا تجىء بحمأة وقليل مـاء

في الموضوع

(الفقيه الارضى. والعلامة المرتضى. والسميذع الاجود والفياض بالمدد.

سيدى أبو الحسن على بن عبد الله الالغى السلام على سيدى ورحمة الله وبركته . ما رجا راج من كريم فامتلأت راحته .

أما بعد فاننا يا سيدى بخير وكذلك كل شرفاء (ايليغ) وقد توقفت جدا في هذه الايام على شعير فلم أطق أن أصب ماء وجهى عند غيركم. فان الماء لم يتوفر الا فى بحركم فان تيسرت منه غرارة فذلك هو المأمول والحامل تكفل أن يكون على يده لذلك الوصول فان لم يمكن الا أن يكون ذلك سلفا مردودا لاجل يكون محدودا فلا باس . وعلى كل حال فاننا في أوحال فلينظر الينا سيدنا بما كان ليرتد ناب الزمان . والسلام)

الجواب على ظهر الرسالة

(الفقيه البركة سيدى أحمد بن محمد العينى. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . ما امتلأت من بحر كريم راحاته .

أما بعد فقد وصلنى كلامك وترأت لى جراحاتك و كلامك (١) فعلمت أن الدهر لايزال على عاداته في الفضلاء وانه لايفضل ولا يرغد العيش الا للوءماء البخلاء . فقد أجبت على يد الحامل بما تيسر . وان كان دون المنتظر . غير أنه ليس سلفا . وان كنت أعلم أن مثلك من قضى ووفى. وانما اقتسمنا الصبر وان كان عند الجانبين أمر من الصبر . فالسنة كما ترى شهباء . وعلى عاتق العبد منها أعباء . فقد قلت شيء أحسن من لا شيء ــ وبذيل ردائه يستظل من لايجد الفيء

فخذ القليل وكن لخلك عاذرا فالعذر يقبله الكريم الطيب
فالطل أولى أن تشح سحابه ما انهل منها المستفيض الصيب)

انتهت الرسالتان من خطيهما رحمهما الله وسترى في ترجمة سيدى محمد ابن المترجم ما يزداد به القارىء بصرا بأحوال هذه الاسرة التى نكبها الدهر بعدما أسعدها . وأرجلها بعد ما أركبها . والدهر حوّل قلّب . قلما يثبت على حال ومن عرف الدهر . لايبيت منه على أمان .

وكان للمترجم صلة كبرى بأبى الحسن الالغى حتى كان مفزعه الوحيد في قضيته التى بينه وبين صهره على ابنته سيدى البشير الناصرى . فهاك رسالتين من المترجم الى الاستاذ فى الموضوع :

---

١) بكسر الكاف جمع كلم بمعنى الجرح كما يجمع أيضاً بـ كلوم

الاولى

(الحب البركة الافضل العالم الخير الامثل سيدى على بن عبد الله ابن صالح الالغى • أصلح الله لنا ولكم جميع الاحوال • ورزقنا واياكم المدد فى الاقوال والافعال • والرحمة والبركة عليكم وعلى من لاذ بكم •

أما بعد فاعلم أن السيد البشير بن المدنى الناصرى بت طلاق ابنتى لله الحمد وله المنة وتخاصمت معه فى الجهاز والصداق • وبقى بينى وبينه حظها فى المستفاد وفى أجرة أمتى • واستضمننى فى ذلك أخاه السيد القرشى مع القائد مبارك البنيرانى • بعد أن امتنع من ذلك زاعما أن نساءهم لاسعاية لهن وتواعدنا على سؤالك فى ذلك • وأحببنا من كمال فضلك أن تشد الحزم بأن لاتضيعها فى ذلك • وعن قريب ان شاء الله نرد عليك بقصد فصل ذلك والسلام) •

الثانية

(بقية السلف • الذى لانظير له فى الخلف • زعيم الفضلاء • وتاج النبلاء • سيدى على بن عبد الله بن صالح الالغى • لازلت محفوفا بأذيال وقاية البارى والسلام والرحمة والبركة عليكم وعلى من لاذ بكم •

أما بعد فقد أحببنا من وافر علمك وعميم حلمك • أن تنظر فى دعواى على السيد البشير بن المدنى ما حكم الله فيها • فقد أدعيت عليه بسعاية ابنتى منذ كانت امتهم الى ان فارقها • فانه يسافر فى البلاد شهورا على جمع الزيارات • ويتركها فى الدار قائمة بشؤون نوبتها بين العيال وتخدم لاضيافه وأجرائه • وأردت حظها فى أشريتهم وأرهنتهم وحبوبهم وادامهم وبهائمهم وءالات دارهم• وادعى ان ذلك ليس فيه سعاية لغيره • بل هو يخص به • من حيث كان بعضه من الزيارة • ثم ادعيت عليه بأجرة أمتى التى تخدمهم ستة عشر عاما وأمر الامة جعلته أولا من جملة الجهاز وهى مشتراة وقتئذ بثمانين ريالا فلما وصلتهم حالوا بينها وبين أمتى • ولم يتركوها تخدمها • وطلبتهم مرارا أن يخلوا بينها وبين سيدتها فابوا • فلما حققت معهم من ذلك اسقطتها عنه فى الجهاز • وتركتها تخدم ابنتى الى الآن • وقمت عليهم بطلب أجرتها تلك المدة • وقد علمت حكم من أوصل نفعا للغير أذن أو لم يأذن حسبما قاله الشيخ الاجهورى • ثم ادعيت عليه أيضا بما انفقت على ابنتى عاما وشهرين • حين اهملوها بدارى • وهى حامل غير ناشز • وقمت بواجبها أربعة عشر شهرا•

فوضعت عندى وقمت لها بالعقيقة والاسبوعى (أى حفلة الاسبوع اثر الولادة) وسكت عن هذا كله • رجاء رجوعه الى حسن المعاشرة ولم يجد نفعا • وهذا كله لم أتجاوز له بشىء عنه الا ما منع عنه الشرع وأردت أن تتأمل فى ذلك وتزنه بميزان الشريعة وما لزمه فى ذلك أعلمه بـه ليعطيه على يدك الكريمة قبل أن نكون معه أضحوكة العوام• وما لم يلزمه بالشريعة • فبينه لى ونقنع منه • حفظك الله مما الى حاله معنا وحالنا معه • والسلام) •

من هاتين الرسالتين يعرف القارىء كيف عبارة المترجم وكيف مهاجمته فى التداعى ومدافعته فنفسية كثيرين لاتدرى الا من مثل هذا على أنه عند الايليغيين محترم غاية بل مالوا به الى الصلاح • وقد ظهرت عليه أخيرا ـ بعدما انطوى الجاه وتقلصت الرياسة وأفل رغد العيش ـ انحياشات الى التأله والادمان على (المصحف) وعلى (دلائل الخيرات) • وقد سمعت أنه عمى فى ءاخر عمره • فلازم التلاوة الى ان توفى رحمه الله • والحقنا به مسلمين ءامين غير مفتونين •

ثم وقفت بعدما كتبت ما تقدم على قافيتين خوطب بهما المترجم احداهما من بعضهم • لاأدرى من هو الآن • والثانية للاديب سيدى محمد بن الحاج الافرانى ونص الاولى

ما بين تفريط مسعاه وافراط	نال المعالى من نادوا بخياط
غاص البحور بحور العلم منفردا	فحازه وسواه كان فى الشاطى
كم بين تحليق نسر فى سماوته	وبين اسفاف عصفور ووطواط
فذاك بين النجوم الزهر فى قمم	شما وذا غيره فى أرضه واطى
أدامه الله للعلياء هامتها	وللندى منعشا أشتات أرهاط

والثانية

هى المكارم لاتعنو لمحتال	ولا المفاخر تعزوها لمختال
ولا العلا يمتطى صهو تها برم	كلا ولا ساومتها كف بطال
لاينبغى الحمد أن تبنى معالمه	وأن يجدد من أركانه البالى
الا لمن يحتمى العز الرفيع بنا	ؤه المنيع على ممر أحوال
من ما اعتراه فتور فى مكابدة الا	خطار دون مرام السؤدد العالى
محط أبصار أرباب البصائر من	عهد القرون الالى مرضية الحال
مثل الفقيه أبى العباس أحمد من	توج تيجان اعزاز وافضال

فتى له فوق السما قدم الـ | ـرسوخ في عز مقدار واجلال
طراز حلة دولات الفضائل ، لـ | ـكن طلعة الفخرمنه أفضل الفال
رب العوارف بلكنز اللطائف بل | فخر الخلائف في ماض وفي حال
من لايقدم في غير العلا قدم التـ | ـوفيق والسعد روادا لآمال
ولايمد لغير المكرمات يد الا | فضال منه كدأب الطيب الحالي
عذرا فديتك ان كلت نجائب طبـ | ـعي فاستوى فيك ايجازي وايغالي
فالفكرأعيا عنأعمال الدبيب بمضـ | ـمار الثنا عنكم فضلاعنارقال(١)
دونك مني بنت الفكر رافلـة | تؤم علياك في أطيب سربال
تنهاك ماقد حباك الدهر من نعم | تجل حسا ومعنى ريك الغالي
بقيت للدين والدنيا ترمهمـا | ومجدك البحت(٢) فيءمن واقبال

الثالث والخمسون : محمد بن احمد بن محمد العيني

وإنه من قبله وقد مضى في (الفصل الاول) من هذا القسم بترجمة مستقلة لانه على شرطنا لاخذه من المدرسة (الالغية)

الرابع والخمسون عبد الله التوماناري

رأيت فيما مر بي أن عالما من (تومانار) ذهب الى الحج فتوفى في مصر وقد تولى دفنه هناك بعض تلاميذه الذين صاحبوه ٠ وهذا هو عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محـمد الذي سيأتي ذكره قريبا في كلمة آتية ٠ والآن لا نعرف عنه غير هذا ٠

الخامس والخمسون : محمد بن الحسن بن علي

هو محمد بن الحسن بن علي بن عبد الله بن عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى التوماناري ٠ ذكره العيني في (رحلته) وذكر أنـه كان نشأ في (درعة) وأنه لازم آل (تامكروت) وأنه حـج ثم شارط في (ماسة) وقد وصفه بالاستاذ ٠ وذكر عنه ما يفيد أنه من كبار صلحاء ذلك

---

١) الارقـــال الجرى
٢) البحت : الخالص

العصر . ولا نعرف عنه غير ذلك ووفاته على كل حال بعد (١١٩٤) هـ وسترى ذكرا له أيضا في آخر هذه التراجم

* * *

هؤلاء من أمكن ذكرهم من علماء أسرة الايكراريين والتوماناريين وسيرى القارىء آخرين من الاسرة قريبا . وقد داولت علماء الاسرة الفقيه سيدى عثمان والاستاذ سيدى الحسن بن عبد الرحمن والاديبين ابن عثمان وأبا سالم ابن المؤرخ الايكرارى . فازددت من عندهم ما ليس عندى . فنحمد الله على أن تمكنا من جمع رجالات هذه الاسرة العظيمة الشان . التى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها فكانت كما وصف به المطر في أثر يذكر لا يدرى أوله خير أم آخره .

ذيل مذهب لهذه الاسرة

بعد ما حررت كل ما تقدم من نسب هذه الاسرة ورجالاتها . وقفت في كناش العلامة المؤرخ الايكرارى على أمور لا تزال تتعلق بها . فأحببت أن أوفى المقام بسوق كل ذلك فكان الفضل للمؤرخ المذكور في كل هذا أولا وآخرا . رحمه الله وفى أثناء ما سيأتى بعض رجالات آخرين لهذه الاسرة . سوى من ذكرناهم .

قال بعد أن ذكر النسب المتقدم

ونسب لسيدى ابرهيم بن محمد أيضا شارع (المبنيات) ما نصه (عبد الرحمن بن موسى بن تللت بن على بن داود بن عبد الواسع بن محمد بن ياسين بن لمعزء بن وافلاً بن تخمد بن مزال بن وتدير بن سليمان ابن أسمر بن يحيا بن مسكداد اهـ نقله من خطه سيدى عبد الله بن أحمد العينى وهو ثقة ثم مسكداد رفع نسبه الى جعفر بن أبى طالب على ما نسب لسيدى أحمد بن عبد الرحمن بـ (تيزركين) ونصه :

« مسكداد بن مرتنى بن زيمة بن هلال بن اعراب بن ايلال بن غفير ابن حسان بن ثابت بن حبان ـ وفى نسخة فوقه بن حابس ـ بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم اهـ كما وجدته عند بعض اخواننا بـ (العين) والله أعلم ». والاقرب الطريقة الاولى على ما عند شيخنا الادوزى رحمة الله عليه ونقلته فى ٢٠ محرم الحرام عام ١٣٣١ هـ قيده محمد بن أحمد الايكرارى اهـ مقابلة لفظا بلفظ . فما ضبطه ضبطته من هذه الاسماء العجمية . وما لا فلا ثم قال بعد ذكره هذا بصفحتين من

ذلك الكناش ما يلي

وجدت في عقد مؤرخ بانتصاف ذي الحجة عام ١٢٠٨ هـ منسوب لسيدي محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى ما نصه

هذا تقييد لبعض أولاد سيدي عبد الرحمن بن موسى المدفون بـ (وجان) وعقبه بـ (تومانار) و (أكلو) و (درعة) و هشتوكة بالاستيطان أولهم أولاد سيدي عبد الرحمن بن ابرهيم الايكراري وأولاد أخيه الفقيه سيدي علي بن ابرهيم وأولاد أخيهما الفقيه سيدي محمد الساكنون بـ (أكلو) ثم أبناء عمهم أولاد الفقيه القاضي سيدي عبد الله بن محمد بن سعيد المذكور • وهم سيدي محمد بن علي بن أحمد ابن عبد الله بن محمد بن سعيد المذكور وابن عمه الطالب محمد بن محمد بن بلقاسم بن عبد الله بن محمد المذكور ثم ان ابن عمهم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد هو الساكن بـ (حصن المنكب) - يعني أكادير المرسى الشهير - ثم سعيد بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد المذكور أعني جد سيدي عبد الرحمن بن ابرهيم الساكن في ساحل (بني عمران) وابن أخيه سيدي أحمد بن عبد الله بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد المذكور الساكن بـ (تومانار) وابناء عمهم أولاد سيدي محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن سعيد المذكور وأولاد أحمد ابن يحيا بن سعيد بن محمد بن سعيد المذكور فهؤلاء معروفون عندنا بـ (ادْ مْحمْدْ) ثم أولاد الطالب وهم أولاد سعيد بن سعيد بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى • وابناء عمهم المعروفون بـ (بني المستخلف) وهم أولاد سيدي عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد المذكور • وأولاد أخيه أولاد سيدي ابرهيم بن محمد ابن محمد وأولاد أخيهما سيدي أحمد بن محمد بن محمد وأبناء عمهم أولاد سيدي أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد المذكور وابن عمهم عبد الله بن عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد المذكور • وهؤلاء معروفون عندنا بـ (أولاد الطالب) ثم (بنو اللحيان) وهم سعيد بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى • وأبناء عمه سيدي عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد الله بن سعيد المذكور واخواه سيدي أحمد• وسيدي عبد الرحمن الساكن ببلدة (اِنْتْكَّا) وأبناء عمهم سيدي محمد بن الحسن بن ابرهيم

ابن يحيا بن عبد الله بن سعيد المذكور واخـوه سيدى على بن الحسن فهؤلاء معروفون عندنـا بـ (بنى اللحيان) ثـم أبناء ابرهيم وهـم سيدى محمد بن موسى والسيد ابرهيم بن موسى وهـو سيدى محمد بن موسى ابن محمد بن ابرهيم بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى ثـم أولاد سيدى أحمد الساكنون بـ (هشتوكة) منهم سيدى ابرهيم بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى٠ وأبناء سيدى أحمد بن سعيد بن عبد بن أحمد بن سعيد المذكور فهؤلاء معروفون بـ (بنى الطالب) سعيد ٠ وهم الباقون منهم ٠ و (أبناء الحسن بن سعيد) لم يبق منهم وارث ٠ ثم (أبناء بـلاً) وهم الفقهاء الكائنون بـ (درعة) وهم سيدى محمد بن الحسن بن على بن عبد الله بن عبد المنعم (كذا) بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى وأبناء اخوانـه سيدى المقـداد وسيدى محمد وسيدى أحمد ثم سيدى محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (كذا) المذكور ٠ وأخواه ابرهيم وسعيد المعروف بالذئاب (كذا) ثم سيدى ابرهيم بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم (كذا) المذكور ٠ وأخوه الطالب على بن محمد ٠ ثم أبناء عمهم سيدى أحمد ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن ابرهيم بن عبد الله بن عبد المنعم (كذا) المذكور وأخو محمد بن محمد ٠ فهؤلاء معروفون عندنـا بـ (بنى بـلا) ثم الفقير عبد الله بن مبارك بن محمد بن ابرهيم بن بحمان بن على بن عبد الرحمن بن موسى فهو الباقى هو وأولاده من ذرية على بن عبد الرحمن فهم المعروفون عندنا بأبناء بحمان ٠

كتب بيانا وضياء لمن سيقف عليه محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بـن عبد الرحمن بن مـوسى فى انتصاف ذى الحجة عام ١٢٠٨ هـ انتهى ونقله عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد التومانارى ثـم المستخلفى فى أوائـل ربيع الثانى عام ١٣٨٢ هـ انتهى ما بالاصل المذكور ٠ ونقله فى ٢٠ المحرم الحـرام عام

١٣٣١ هـ محمد بن أحمد بن محمد الايكرارى أمنه الله ٠

انتهى ذلك بالمقابلة التامة حرفا بحرف وفىذلك فوائد جليلة تبين كيف تشعب أولاد الشيخ عبد الرحمن بن موسى الوجانى اصل جرثومـة هذه الاسرة المباركة ٠

هذا آخر ما نكتبه حول المسكداديين الكرام والفضل لرجالهم فى كل ما سطرناه هنا ٠ ويرحم الله أهل الاعتناء أيا ما كانوا ٠

محمد بن عبد الرحمن الايكراري

١٢٨٠ هـ - ٢٠ = ٢ - ١٣٥٩ هـ

نسبـــه :

محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم بن محمد بن عبد الرحمن الى آخر ما تقدم فى نسب أهله •

أحد علماء الايكراريين الكرام • وفذ من أفذاذ الصوفية الذين شربوا الكاس الى ثمالتها • بل الرجل العظيم المنفرد همة ومعرفة بربـه فى تلك الجهة وان كانت شمسه قد التحفت بضباب الخمول والخمول لامثاله مثل الصدف للدرة المكنونة •

متلقاه للقرآن

لازم فى قريته أستاذ كل أقرانه هناك السيد المدنى اوترسئيم - به عرف من (آل بوكرفا) وبه تخرج • ولم يذكر لنا أنه تجاوزه •

في تلقى العلوم

ولى به والده وجهته للمعارف ليحوز من تراث أهله • فحظى بـأن يأخـذ عن أعاظم المدرسين اذ ذاك ومـا هما الا الشيخ مسعود المعدرى • والاستاذ الكبير ابن العربى الادوزى لازم الاول ما شاء الله فى المدرسة (البونعمانية) من سنة ١٢٩٧ هـ الى ١٣٠٣ هـ فبـه تدرج فى متون الابتداء حتى شدا • وظهرت له نجابة ثم أراد أن يجرى فى مضمار يراه هو ووالده أوسع وأبعد مـدى فالتحق بالثانى فى المدرسة (الادوزية) وذلك ١٣٠٣ هـ فأكب عنده حتى تفوق وجال فى مجالات النجباء الكبار • وقد حضر عنده فى العربية والفقه والحديث والتفسير • وقد حكى لى من كان عرفه اذ ذاك بأنه كان يعتنى كثيرا بمراجعة الاستاذ فى كل ما يعن له فيه

اشكال أو كل فهمه دون ادراكه كما أن الاستاذ أيضا ينتحيه أحيانا بأمور يسالـه عنها تدريبا واخذا بجناحه ليحلق فى الاوج • ومن ذلـك فقهية منظومة رأيتها بينهما وليس هذا الكتاب بصدد عرض الفقهيات • ثم أجازه الاستاذ عند صدوره بما يلى

(حامله اللدوعى الفقيه المتواضع على رفعته سيدى أبو عبد اللـه ابن الفقيه سيدى عبد الرحمن ابن الفقيه سيدى ابرهيم التوماناري أصلا الايكراري وطنا اجزناه لحسن نيته وصفاء طويته ـ لا لأنا من أهل هذا الشأن ـ بكل ما لنا من أشياخنا المرحومين اجازة من الاصول والفروع والمقاصد والوسائل ولا نخص علما من علم حسبما شاركناه فى ادراكه أو أدركه بنفسه فله نشره وتعاطيه لذويه قاصدا بذلك وجه الله • والتقرب اليه تعالى ثم عليه العمل بما علم • والتثبت ومباحثة من له فى ذلك المام وتحرى الصواب والقول بلا أدرى عند عـدم العلم فانـه الجنة الواقية والدرجة العالية والتحلم وايصال الخـير الى عباد الله • فانه عهد الله الى العلماء كما فى الحديث • ونسأل الله تعالى أن يحيى به ما اندثر من الدرس فى بلده • وأن يقوم به الله من أوده • فانه أمر متروك فيه مـع تيسيره فعليه أن يخصه بمزيـد الاعتناء فالله يلهمه ويصلح به • واستودعه الله الذى لا تضيع ودائعه فليذكرنا بدعائه فى خلواته وجلواته• قاله فى المحرم • فاتح عام ١٣٠٨ هـ محمد بن العربى الادوزى)

بعد تخرجه

اول ما بـدأ بـه اثر مغادرته للمدرسة (الادوزية) أن حصن نصف دينه فتزوج تلك السنة ١٣٠٨ هـ فأسس مركزه بـين أهلـه • ثم أقبل على المشارطة فى المدارس يؤدى بذلك ما عليه من حقوق العلم نحو نشره•

١ — مدرسة (وجان)

هى باكورة مشارطاتـه وذلك اثر تزوجـه • فبقى فيها الى سنة ١٣١٠ هـ ثم لازم داره الى ١٣١٢ هـ

٢ — مدرسة (الكريمـة) سنة ١٣١٢ هـ

٣ — مدرسة (بوكشرفا)

انتقل اليها بعد أن كان فى تلك الوجانيـة المتقدمة سنة واحـدة •

فاقبل على التدريس بكليته وعنده نحو (١٥) طالبا . فبقى فيها ما بقى .
ثم لازم داره الى أن شارط أيضا فى

٤ -- المدرسة (الوكاكية)

لازمها نحو ثمانى سنوات . وكان التحاقه بهذه المدرسة فى العقد الرابع من هذا القرن . بعد ما شغر من المدارسة كثيرا .

٥ — مدرسة (إفَرْضْ أوطاها) بحاحة ، سنة ١٣٤٢ ه

٦ — مدرسة (الخميس) بأَيت بوبكر بـ (بعمرانة) ما شاء الله

هذه هى المدارس التى جالس فيهـا حياته . ثم شغله ما سنذكره .
فلازم داره الى أن لحق بربـه .

لقاؤه بالتاموديزتي

كان فى سنوات ١٣١٢ ه مكبا على مطالعة كتب التصوف . خصوصا منها كتب الشعرانى ككتاب اليواقيت والجواهر فيرى هناك ما لايراه فى العلوم التى درسها عند اساتذته ويدرسها لتلامذته . فملكت عليه مشاعره وأسرت له ابه . فكان ذلك هو السبب حتى تطلب ممازجة أرباب هذا الفن فهذا هو السبب حتى التحق بصحبة الشيخ التاموديزتى . فكان يصله فينة بعد فينة . وهو فى مشارطة . فاذ ذاك جرت بينهما المكاتبة الآتية ثم لم يزل يعد من أصحابه الى سنة وفاة هذا الشيخ ١٣١٦ ه .

التحاقه بالشيخ الالغى

ثم لما غمرت موجة الطريقة الالغية (أزاغار) فى سنوات ١٣٢٠ ه واعتنقها كل ذى شأن انتظم أيضا فـى سلكها لاسيمـا و (الالغيـة) و (التاموديزتية) شىء واحد من جرثومة واحدة . فاذ ذاك فقط وجد مـا كان يتطلبه . كما صرح بذلك فيما اخبرنى به عنه سيدى أبو بكر بن عمر المتجرد . ففرق بين الفقراء . حتى نصلت عنه صبغة الفقهاء فيتردد الى (الغ) ويسيح بعض الاحيان مع الفقراء . وكان ذا ذوق عال . وهمة متناهية فى مجالاتها . حتى انه ليصيبه ما يسميه الفقراء بالجذب فتعتريه احوال

ربانية وكان ذا لسان قؤول في معارف القلوب وصاحب مجاهدة لا يفتر عنها مع عدم الدعوى بهذا يصفه عارفوه من الفقراء

نبذ أخرى من حياته

حدثني الفقير سيدي أبو بكر بن عمر رحمه الله أن المترجم كان معهم مرة في سياحة بعد وفاة الشيخ الالغي فذكر أنه قال له عجبا منكم انتم الذين صاحبتم الشيخ طوال حياته لماذا لا تخرجون جميعا شموسا مشرقة في كل العلوم فاننا وان لم نصاحبه الا قليلا وفي بعض الاوقات. لنزعم أن لنا منه من الانوار والاسرار ما لو كشف عنه الحجاب لطبق ما بين السماء والارض قال فقلت له انه كان يربينا على الاقبال على الله فقط . وأن لا نبالي لا بسر ولا بنور مما يعرض في القلوب . ثم لم يزل بنا حتى نسينا ما تسميه أنت الانوار والاسرار وانما هي العبودية المحضة لا غير ثم قلت له أوليس أن الله يقول (اذكر ربك حتى ياتيك اليقين) وهل قال اذكر ربك حتى ترى الانوار والاسرار ثم زدت له من هذا حتى قال اذن ان هذا المقام الذى رقاكم اليه الشيخ أسنى وأعلى مما نحن فيه . فأستغفر الله . ثم تلى قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) أفهكذا أنتم فمن يراكم يستنقص حالكم. ولكن اذا تكشف الستار يرى ما يرى

كان سيدي أبوبكر يحدثني عنه بمثل هذا في أحاديث أخرى . ويذكر أنه بعد موت الشيخ حضر في مجلس السماع معهم. فأنشد المنشدون ألحانا عجيبة جديدة عنهم فتحرك من الحاضرين ما سكن فقال سيدي محمد لا أتمنى الا أن يحضر الشيخ هذا المجلس فانه وحده من يعرف كيف يطير في أمثال هذه المجالس بالاشواق الى الخلاق

ومن أخباره انه كان ركب مرة سيارة . فانقلبت به ومن معه فوقع له اختلال في دماغه فتناقص ادراكه . فيفارق شعوره التام أحيانا . حتى أنه ربما صلى الى غير القبلة . فان نبهته زوجه يجيبها بأنه أدرى بقبلته حتى ان معارفه ذهبت عنه في تلك الحال واذا حضر مجلس الفقراء . تعتريه أحوال أعظم مما كان يعتريه قبل . وقد ذهل عن معاريفه . فلا يكاد يعرف أحدا وقد لج بانشاد الاشعار الصوفية في الغناء فحكى لي انه ينشدها لكل من لقيه حتى للعوام مثل قول الحراق

أتطلب ليلى وهي فيك تجلت وتحسبها غيرا وغيرك ليست

كان صالحا معتقدا يراه الناس بعين لا يرون بها الا الصالحين الكبار يرونه منبع الاسرار ومطلع الانوار ـ كما كان صرح به عن نفسه قبل ـ وقد سكن في أخريات أيامه (تزنيت) فيحضر في زاوية الفقراء هناك الى أن تأثر أخيرا • فبقي بلا أكل ولا شرب ما شاء الله الى أن لحق بربه في (تزنيت) فأقيمت له جنازة دون قدره • وقد تأسف الناظر سيدي أحمد (أوعمو) على ذلك فقال ان العادة في أمثاله أن يدعى الناس الجفلى الى تشييع جنازته • فقلت له في نفسي : أو ما تعرف ما قيل في أمثاله

مساكين أهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر

ولم يعقب الا بنتا واحدة لم تطل حياتها بعده •

من آثاره

كتب الى شيخه التاموديزتي بعد ما كتب اليه رسالة كما يظهر فيما يلي لم نقف عليها

الى شيخنا الهمام وقدوتنا الامام أبي علي سيدي الحسن بن مبارك التاموديزتي سلام الله تعلى ورحمته وبركاته عليكم وعلى من ناط بأذيالكم من جميع الاهل والاخوان •

وبعد فقد وصلنا كتابك الاعز الوافي المشحون بنفيس المعارف الشافي فتلقيناه بالقبول والسرور والترحيب والحبور وفهمنا مضمنه بقدر الامكان وأزال من قلوبنا غياهب التردد والشكوك • وأمعنت فيه النظر فاذا هو جامع لكلام الصوفية رضي الله عنهم اذ مدار كلامهم على أصول ثلاثة معرفة الله تعلى ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم • ومعرفة النفس •

نعم ، ورد على وارد اشكال وجوابه • وأحب أن أذكره لكم على طريق قياس الشكل الاول وهو ان نفوس أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونفوس العارفين رضي الله عنهم ميتة • وكل ميت لا تصح محاربته• ينتج : نفوس الاصحاب والعارفين لا تصح محاربتها ومجاهدتها فما معنى المجاهدة في حديث رجعتم من الجهاد الاصغر • الى الجهاد الاكبر ثم بعد هذا ورد على جوابه • وهو أن مراد الصوفية رضي الله عنهم بموت النفس فطمها عن مألوفاتها وشهواتها • ومعنى المجاهدة في حقهم خوف رجوعها اليها بمكرها ودسائسها من غير شعورهم وأيضا النفس جاءت من عالم الارواح• وما كان منه لا يموت ولا يشبع لان الارواح من مواد البقاء • بل النفس والروح والعقل أسماء لمسمى واحد سميت نفسا باعتبار

ميلها الى الشهوات • وروحا باعتبار تعلقها بالجسد وعقلا باعتبار ادراكها الاشياء وانما تعددت الاسماء بتعدد المتعلق والله أعلم ثم ورد على وارد اشكال أيضا • وهو لا يزال عندى مشكلا وهو قول الصوفية رضى الله عنهم ان شمس القلوب لا تغيب كما قيل

ان شمس النهار تغرب ليلا وشموس القلوب ليست تغيب

وظهر لى والله أعلم أنها تغيب وقت نومهم • والنوم سبات ولاسيما من ضعيف المشاهدة وعدم نوم القلب هل هو مخصوص للنبى صلى الله عليه وسلم ـ كما قيل فى خصائصه ـ أو عام لجميع العارفين • الظاهر الاول لان له قلبا اذا نامت العينان لم ينم • وقولنا (١) مجيبين عن الابيات الثلاثة • (تطهر بماء الغيب) الخ

غسلت بماء الغيب حقا ولم أكن أشاهد الا الله فى الكون مطلقا
وتقديمنا الامام سلب ارادة نصلى على الفانى فناء محققا
نضحنا شريعة بماء حقيقة فصرنا بذاك جامعين تحققا

وقوله فى تلك الابيات وصل صلاة الفجر فى أول العصر • دليل على اتصال نهاره لان من صلى الفجر فى أول العصر • قد اتصل نهاره ولا ليل عنده كما قيل فى البيت المتقدم ان شمس النهار الخ • ونسألكم صالح الدعاء وأن تعذرنى سيدى غاية من التطفل على ميدان أهل العرفان اذ التعلق بأذيالهم تعلقا ما أولى من تركهم بالكلية ولاسيما ياسيدى أن نبهتنى فيما أخطأت الادب والصواب لانك طبيبى وما كتبت اليكم نحو هذا الا استجلابا لجواهر نفثاتكم وتلذذا بنفائس مقالاتكم • كما قيل

كتاب فى سرائره سرور مناجيه من الاحزان ناج
كراح فى زجاج بل كروح سرت فى جسم معتدل المزاج

على أنى نحيف الجسم لا أقدر على الاسفار البعيدة • الا أن يقوينى ربى • ونسأله تعالى أن يقوينا حسا ومعنى • وأن يجمعنا مع الاحبة ظاهرا وباطنا دنيا وأخرى • انه على ذلك قدير • وبالاجابة جدير •

نعم ، فاذا ظهرت النتائج فى عرصات المدارج فليس هناك الا نفائس المنن ولو فى طى المحن والسلام •

نعم ، وقولكم سيدى وتارة بلون السباع والبهائم والكلاب الخ

---

١) عرفنا الآن أن هذه الابيات من انشائه

هـذا هو الكثير منها قبل زوال الحجاب وقولكم سيدى وتارة تطمح الى الربوبية هذا بعد زوال الحجاب وظهر لى أن كل من حصل مقام الفناء لابد أن يحصل له هـذا الطموح ثم يجاوزه وقولكم سيدى : بل التى هى عـين كل شيء فـآل الامر الى أن جميع الفرق جمع والحـاصل ليس هناك الا هى وقد فهمناه والحمد لله والشكر له والسلام) .

الجواب

(وعليكم السلام ورحمة اللـه وبركاتـه وبعد فمدار الاربـاح على التقوى وهى الادب كله ولا يتقى من لا يعرف ولا يعرف المشغول عنه فرغ قلبك من الاغيار . ولا يفرغ قلبه الا الشجاع. الكريم يجـود بحظه لا لحظ . وينعش بذوب حاله وينتعش اللئيم ببقاء ماله . هذا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمـان . فكل ذى نعمة محسود والكتمان قسمان الظاهر يعرفـه كل الناس والباطن يكون بأثواب الذل فما أمره وما أحلاه ولا ثبات فى الطريقة الا بهما معا . واهمال الاصول يقطـع عن الوصول وللآدمى ميز تظهـر به وجهته وثمرته فى سفره . تبكيه أحبته الغافلون كبكاء الممات . وترحمه أعداؤه رحمة الامهات فهذا من علامة سفره الى الحق واذا وادعه أحبته فى سفره فاعلم أنه ما زال مقيما عندهم والكل بحول الله وقوتـه من استبعد أن ينقذه الله من شهوته فقد استعجز القدرة الالهية كما قال ابن عطاء الله رضى الله عنه

واعلم أن للآدمى فى هذه الدار وجهتين وجهـــة الى الحـق فمـا أصعبها قبل السلوك . كما قال عليه السـلام طريق الجنـة حزن بربوة . وهى بعد أحلى من متعة الملوك (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنـا) ووجهة الى الوهم . وما أسهلها كما قال عليه السلام طريق النار بسهوة حفت الجنة والنار كل بضدها سنة الله . ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا فمثال المتوجه الى الحق كرجل طريقه نهر جار وحاجته من أعلاه يسهل عليه سلوكه ايمانه بما فى غايته من علو المرام . وما يلتقطه الآن فى حافتيه منجواهر العلوم . وان صبر فى بعض الاوقات. وحبس النفس وغاص فى بحر الطريق عاد بيواقيت الانوار حتىأنسته شدة جرية الماء الى أسفل فيغلب ريحه ريح الهوى حتى كأن لا ماء فى طريقه كسفينة فى بحر لجـى تمخر المـاء وهو مواج ولا تحس به فيتعجب الناس من توجه أهل الصدق وسلوكهم لعدم فهمهم أذواقهم

دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

ومثل التوجه الى الوهم كذلك • الا ان عزم السالك الى أسفل • تساعده النفس والهوى والشيطان والدنيا فكأنه ماش مع الماء حتى كأنه ماء بنفسه • فيكون أصم أبكم أعمى أى من جهة الحق مع أنه سماع منطيق بصير أى من جهة هواه • فلذا لايعذر بغفلته (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون • واذا استيقظ الانسان من نوم الغفلة تكلف الوقوف بالنهر فيتحرى احدى ناحيتيه • وهو معنى التجريد ظاهرا وباطنا فى البدايات حتى يقلب وجهه الى أعلى الوادى • فيحس بشدة مناقضة الماء له من نفسه وقرينه • فيعرف حينئذ عدوه من صديقه • فان صدق فلا يجد أعدى من نفسه التى بين جنبيه كما قال عليه السلام فان استجاب لله حقا • صدق فى محاربة عدوه • ونصب له المجانيق والرعادات • وعض بالناب • وخدش بالظفر وكل ما أمكن وأقام نفسه عالما كليا تغيب عنه العوالم كلها بشغله • عملا بقوله تعالى (فخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) وقال (فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) وقال (فشدوا الوثاق) وقال (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) أى حتى تنقاد نفسه الى سلوك الطريق مع مناقضة الهوى • فحينئذ يدب ثم يمشى ثم يهرول ثم يطير (وما ذلك على الله بعزيز) •

واعلم أن محل الفجر الكاذب هو محل الفجر الصادق ومحل الصادق• هو محل الشمس لامحالة • فمن ولد ـ أعنى ولادة معنوية ـ على فراش الصنعة • فلابد أن يلعب بها فى أوله • وهو من علامة النسبة ثم يتعشقها حتى يجد فيها • وحتى يكون فيها ماهرا كآبائه أو أمهر منهم ثم لايترفع: (لاترفعونى فوق ابن متى) الحديث ؛ فشر الناس من يرضى أن ينبت نبت خضراء الدمن (فلاتعجبك أموالهم ولا أولادهم) (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم؛ وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة)

فخيار الناس هداتهم وسواهم من همج الهمج

آيتان فى كتاب الله تعلى أصمتا وأفنتا كل واحد وحققتا النسب لمن انتسب (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى) ولكن يفرح العبيد بقرع الباب وان اقفله البواب ويجعل تذلله عليه غاية الوصول • حتى اذا طلعت شمس الحبيب • وجد الباب عين البواب

كنت قبل اليوم حائر فى زوايا الكون دائر
والذى كان مرادى لم يزل فى القلب حاضر

ثم يتماوت من الحياء من توهم البعد مع أنه لابعد ثم يدعه الحبيب يسقط في يده مليا • متجاذبا مجذوبا • متململا مولها • حتى لايشعر بما ياتي وما يذر ثم يسقيه كأسا سنية سماوية أبردت حشاه من حرارة افكار الطريق • فلم يملك أن غرد بملء فيه :

لى سكرتان وللندمان واحدة أطربه الخمر حتى قام عن ساق
فهام عن وجهه وطاب من طرب وسكرتاى بها ولحظة الساقى

وقد أذعنا • ولكن في سوق أهلها صموت • حتى كأنهم المكتب تابوت وقلنا

لله خمرتنا تخفى وقد ظهرت اذا أعاندها لاحت بلا مهل
قالوا ألم تر من تهوى فقلت لهم انسان عينى بخلى زينة الكحل

غيره :

كيف أراه بعينى اليوم راعية أنعامهم في حضيض الحب والقلق
هذا فمن رأى الملاح فلم يعشقها فهو الخسيس • تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الزوجة • ثم انتكس (بيس للظالمين بدلا) وقد قلنا

ما أرخص السعر والارواح نقرته فكيف ان قيل لى شيء من الوحل
قالوا ادعيت فما تحقيق نسبتنا والغدر لاح وقد احجمت من ملل
فقلت قول الوشاة ضل سعيهم والله لا أنجلى ولو دنا أجلى
ديدنتى حججى والفضل معتمدى فكيف يعوز فضل أنتم أملى

فلا تستسمنوا ذا ورم • وشر الناس البرم • كل على مولاه • ان استودع فغربال • وان استمهل ظنه من نوع الاهمال • بيست البضاعة العجلة • واختها افراط المهلة فكل شيء له حد • اذا جاوزه فسد فنعم الوزير العلم • أعنى به توقد الهمة • من مشاهدة الحسن المطلق • لاعلم الطروس• فعنه تنشأ المحبة الجامحة • وطيران الارواح بالاشباح • ونسيان المحنة • فعنه تنشأ المحبة الجامحة • وطيران الارواح بالاشباح ونسيان المحنة • واعلموا أن أهل كل حرفة يغلبون في دارهم ويغلبون فى دار ضدهم كبرى سقط فى بحر يغلبه أدنى حيوان البحر كعكسه فلا يلومن الفقير الا نفسه فيمخالطة ضده • الا لضرورة • فيتحفظ منمسارقة الطباع وقولكم نعم ورد على اشكال وجوابه • الى قولكم والله أعلم أعلم أولا

أن هذه الدار دار تجلى الصفات الجلالية والجمالية أى في عالم الملك والملكوت فبحسبهما يكون الجهاد. فالملكوت فرق لسكانه من الملك والجن جمع للملك وأهله . والملك فرق لاهله . جمع للملكوت وأهله أى فكل جمع لضده فكل حالة مألوفة لنا تفرقنا. اى تحيى نفوسنا وغير مألوفة تجمعنا فلذا قال شيخ شيوخنا رضى الله عنهم . مولاى العربى رضى الله عنه جوع النفس كثيرا . واشبعها كثيرا أى واعرها كثيرا . وحلها كثيرا . وايقظها كثيرا . ونومها كثيرا . اى حتى تكون سلسلة سهلة قابلة للتلون بلاعنف. فتكون كالجمل الانف ان استنيخ على صخرة اناخ فيبقى لها ادراكها عند التلوين الالهى اى تجلى الجلال والجمال وهو سر قوله تعلى (ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا) الآية ..ففى نحو هذا يكون الجهاد ولو من نبى . لان العبد عبد . والرب رب (واعبد ربك حتى ياتيك اليقين) ولا عبودية الا مع الجهاد . شيبتني هود وصالح . وقال عليه الصلاة والسلام رأيت جبريل عليه السلام تحت العرش كالحلس البالى من خوف الله أليس هذا هو الجهاد الاكبر وهم معصومون فكل مقام له أدب يخصه . والادب جهاد . وله باطن . وهو أكبر محله . ولايعرفه الا أهله. وهو المعتنى به عند الاخوان وأما من لاتسكن نفسه الا بحسن الظواهر المتلاشية . من كسيوات ولين الثياب . وكثرة الاتباع ولطخ كفه بالتقبيل من الاوباش . فلا يطمع فى معرفته . وله ظاهر يسمعه كل الناس ـ وأهله يعرفه كل الناس ـ وهو نقطة من أثر أدب الباطن . بشرط ظهوره على طريق الحكمة . ويعنون بموت النفس تذليلها لهذين الادبين . ولاتزال الدابة تستوحش من الحمل مدة عمرها . ولولا علمها بقهر ربها لما قبلته يوما . ولو أهملت زمنا لما ألفته الا بشدة . فبقدر العلم يكون القرب . وبحسب القرب يزيد الادب . ثم بالادب يتزايد القرب. وعنه عليه السلام: انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى كل يوم سبعين مرة وأشد الناس بلاء الانبياء . ثم الامثل فالامثل . أتظن ان بلاءهم منحصر فى المصائب فقط. لا . لا. وأكبر البلاء نعوذ بالله الخذلان وكل يخافه . وربما يقال لا أنس مع الجهاد والمومن يأنس ويطمئن أقول على الهمة أنسه جهاده أفلا أكون عبدا شكورا .

لا تدعنى الا بيا عبدها فانه أجل اسمائى

الحاصل أن الدنيا دار تلوين مع ظلمة خالصة . أو مشوبة بنور تام أو ناقص بحسب ما يعرض للفطرة (كل يعمل على شاكلته وربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا) والآخرة دار تلوين لكن مع نور تام . (اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا) فآل ما ذكرنا الى ما ذكرت . نعم مجاهدة الخواص فى

بساط الهيبة والانس وغيرهم في بساط الخوف والرجاء هذا فانظر الى قوله تعلى (واصطبر لعبادته) تأمل تاء الافتعال فلها معنى بليغ. وقدقيل:

وما في الارض أشقى من محب وان وجد الهوى عذب المذاق

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا) ولو قامت المجاهدة بحقها لما كان فضل فلله الحجة البالغة على الاطلاق آه • آه آه • فالخير كله في تهمة النفوس !• والسلام فما زالت النفس لم تجاوز الصراط ففيها بقية • فيها يكون الجهاد • والناس في السير أبدا • ومحل القاء العصا الجنة أو النار • نسأل الله الغفور الرحمة • ونعوذ به من حال أهل النار (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) الآية • والاشكال الثاني الباقي على حاله • مضمنه ثمرة المجاهدة • وفي ادعائه قيل للبطالين

هي الشمس مسكنها في السما فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعو د ولن تستطيع اليك النزولا

ولكن لما كانت النعم منحا الهية • وفضل الله يوتيه من يشاء • طمع في ذلك الجمال كل ناظر • وقد يفوز المتأخر • ويعثر الجواد

كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد يرمى فيرزقه من ليس بالرامي

وكقوله

حتي رأيتك تجتبي وتخص من تختاره بلطائف الامناح
فعلمت أنك لاتنال بحيلة فلويت رأسي تحت طي جناحي

وأكثر من ينعت هذا المقام • مدع بلا بينة فلذا قال مولاى العربى رضي الله عنه من وادى(تونس) الى (وادى نون) (تجَبْر فيه واحد أوجوج) ـ أي تجد فيه واحدا أو اثنين ـ والمدعون كثيرون • ولكن العبد يقول

وان لم أفز اليك حقا بنسبة لعزتها حسبي افتخارا بتهمة

ولا يرضى بغير الوصول الا الجهول • فهذا المقام يشم ويذاق فلما يزيده الكلام الا غموضا • والكشف عنه علامات جهله •وتكون من أهله اشارات اليه • والبصير من الناس في هذا المعنى • كناظر من الماء الصافي الى نجوم السماء يريد الاحاطة • قال تعلى (فارجع البصر هل ترى من فطور • ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) وضعيف البصر كناظر في ماء متغير ومن غلب عليه الرين كناظر من

حما مسنون. بحسب تعلق الهمة بعالم الاحساس وفراغها هذا وما ذكرت من أن النوم سبات فالموت اسبت منه فبالموت يظهر هذا المعنى لا أنه ينعدم به . فلذا يحبه المحب (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أمواتا بل أحياء . ولكن لا تشعرون)

وانى لاستغشى وما بى غشية اعـل خيالا منك يلقى خياليا

وكقولـــه

واخرج من بين الديـار لعلنى أحدث عنك النفس بالليل خاليا

ويقظتنا كسماء مغيمة وموتنا ـ والنوم أشبه به ـ كسماء مصحية دليل الاولى الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا . وفى الموت اللقاء والقبر روضة من رياض الجنة . أو حفرة من حفر النار .

واعلم أن الحقائق لاتتبدل بنقلها فى المقامات . بل تنمو بها . فالمحبوب محب يقظان أو نائما . والسلطان هو هو يقظان أو نائماً والعارف أثبت مطلوبيته . وفنيت طالبيته . وقد قالوا متى نسيته فاذكره

(يا قوم من هو روحى كيف أنساه)

(وهو الذى أمات وأحيا) (وهو معكم اينما كنتم) فلله مجنون بنى عامر اذ قال

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت على ودونى جندل وصفائـح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقـا اليها صدى من جانب القبر صائح

وكقـولـــه

ولو تلتقى أصداؤنا بعد موتنا ومن دون رمسينا من الارض سبسب
لظل صدى صوتى وان كنت رمة لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

فلا تظنن عين القلب نائمة . ولو فى لمحة . الا أن يقظة قلوب الانبياء عليهم السلام ليست كيقظة أحد فبتوجه عين الغافلين الى الفانى يقظة ومناما سموا موتى لموت معتمدهم . ومحل نظرهم (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) وبتوجـه عين الاحبة الى الباقى سموا أحياء والعز يتلألأ منهم وهم موتى. فضلا عن أهل النوم . فها آثارهم وقبورهم تحج. الحاصل لا ليل ولا نوم ولا موت فى الجنة . بل أهلها فى روضة يحبرون . فللعارف وجهتان وجهة بشرية (ان نحن الا بشر مثلكم) ووجهة ربانية (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده يختص برحمته من يشاء) فالناس الحياة نفوسهم فى سوق الظلام والاحبة لموتها فى ضوء النهار غر أهل الغفلة اعارة الصفات

اى اشراقها على ايلهم فظنوا أنهم موصوفون بها • فماتوا بادبارهم عنها واعرض أهل اليقظة عن الآفلين فدبوا الى الحى الدائم فرأى صدقهم • فاخذهم عنهم فأنجز لهم ما وعدهم فصارت الحضرة معشش قلوبهم وان نزلوا الى الحظوظ فبالاذن واحاطة العناية فكيف تغيب شمسهم • وأشد الاوقات اظلاما على القلب • وقت قضاء حاجة النفوس ولاسيما المنكح • واكثرها اشراقا وقت الضرورات (امن يجيب المضطر اذا دعاه) الآية • ولكن أكثر الناس لايعقلون فيفرون منها • ولهم نزوع الى نار شهواتهم كفراش يطلب لهب المصباح • وان فاته وقع فى الزيت • فياليته فر منها ويقضى حاجته فى ساحل ضوئها والاستبصار فى هذا الباب بالادبار عنه وباقامة الادب بالذكر وشروطه حتى تضمحل غيوم آفاق القلب فتظهر شمس الصفات على بقاع النفس فتنشفها • وتصير أفانين الظلام مضمحلة كأن لم تغن بالامس (بياض مما انتسخنا منه) ان شمس القلوب والله ماغابت قط • ولكن العين هى التى تعمى كيف تغيب نوما والموت أشد منه وقد قال عليه السلام يموت المرء على ما عاش عليه • ويبعث على ما مات عليه (فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) اى ترى دائما مظهر الصفات • ومحال ان تفارق • ولكن القلوب لها ميل الى غير ما ظهر لها فعميت بلا عمى (قل انظروا ماذا فى السماوات والارض)الآية وقد قالوا

كل شىء عقد جوهر حليــة الحسن المهيب

والنوم شىء (هو الاول والآخر والظاهر والباطن • وهو بكل شىء عليم) وقالوا ظهر المحبوب فى الحياة وفى الممات • وفى النصارى وفى اليهود وفى القرود • وفى الذوات والصفات •

لاترى فى شمسها ظل السوى فهى شمس وهى ظل وهى فى

هذا فكيف يظهر من احتجب بظهوره • وقهر كل شىء بسطوع نوره • أم كيف يخفى من قام بكل شىء • وكان على كل شىء رقيبا • وغاية الكشف فى هذا الباب قول الصديق رضى الله عنه العجز عن الادراك ادراك

ما وحد الواحد من وحدا توحيـده ايـاه توحيـده

وقول من ينعته لاحد الى آخر كلام أهل الفن رضى الله عنهم • وسقانا من مشربهم • وقولكم على قولنا وتارة بلون السباع الخ هذا قبل زوال

الحجاب. أقول ان للنفس غرائب قبل الحجاب وبعده لكن قبله لاشعور بما في الدار . وبعده يكون قال شيخ شيوخنا رضى الله عنهم سيدى عز الجمل . رضى الله عنه فتارة أنا ولى . وتارة نصرانى . وتارة يهودى . وتارة يونانى . وتارة وتارة الخ . وقد خلق الآدمى من بين العوالم كلها فهو كعبتها تحجه كل حين . فكل عالم نزل به تلون به . فلكونه جامعا تحمل الامانة ولو شاهد حسنه لشغله عن كل حسن خلقه مولاه . فقال له ته يا مركز نورى ونظرى . جعلنا الله واياكم ممن فهم عن الله . بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولكم يحصل له الطموح بعد الفلاح بل قبله لثبوت انانيته . وحينه تمحقه الهيبة . لكل داخل دهشة . وبعده يثبته الانس نعم بعض يطيش فيقع له الشطح . فيقول أنا هو . فيقع له ما ذكرت . لكن هذا فى عين النور . لا لوم باطنا . وان ليم ظاهرا . وذلك فى عين الظلمة يلام ظاهرا وباطنا . وقولكم فآل الامر الى قولكم ان ليس هناك الا هى . وقد تفهمناه . ولو فهم لما ورد الاشكال الثانى . اذ الذات عين الصفات عند أهل الحق .

الحاصل الذل الذل الناس الناس . فالاستيناس بهم من علامة الافلاس والتؤدة التؤدة . فان العجلة من العدو . وشبر من العمل ، خير من ألف ذراع من العلم وذكر والمذكرات أساس الطريقة والصدق سيف لاينبو . (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) وادامة السبب يثمر المسبب

* * *

انتهى الجواب العجيب الذى هو وحده ترجمة للشيخ التاموديزتى . والحق أقول ما كنت أظنه ممن يولعون بأمثال هذه العبارات التى تكون شائكة عند أرباب الفن حتى رأيت له اليوم هذا فوقع لى فيه مثل ما وقع لى فى الاستاذ محمد بن العربى الادوزى . الذى كنت أظنه على مذهب الفقهاء والمحدثين حين رأيته ينكر على بعض الصوفية ثم لما رأيت له فى شرح (رحلته) المراكشية مارأيت تعجبت منه كثيرا لاننى رأيت له قبل فى الطريقة الناصرية وفى الشيوخ التيمكيدشتيين رحمهم الله ما ينكر مثله أو أدون منه على سواهم فكذلك الشيخ التاموديزتى فما كنت احسبه ممن لهم الخوض فى مثل هذه المخاضات التى ان سقط فيها مريد أو ألم بها.

فلا يزال يلهج بها حتى ربما تنسيه المقصود • ولذلك قلت ان ترجمة كبيرة له • تعرف من هذا الجواب الذى يدل على ذوقه وعلى أنه من أرباب مثل هذا الفن فأين هذا مما نعهده من الشيخ الالغى الذى يألف أن يسد هذا الباب دائما أمام المريدين • فلم أقع له على لمحة منه فـي كـل رسائله التى مرت بى • وهى ماءت فان كان سبقه لسانه أثناء مذاكرة فى مجلس المذاكرة فسرعان ما يستدرك فيجيف الباب فكل أصحابه لايعرفون الفرق والجمع ولاأمثال هذه العبارات • ان هى الا أعمال واخلاص فى العبودية • فمن ذاق فانه ينبذه وراءه • ثم الى ربك المنتهى •

انتهت ترجمة الفقيه سيدى محمد بن عبد الرحمن الذى يظهر منـه أنه لم يتورط فى هذا كل التورط • أم ان الشيخ الالغى أنقذه أخيرا من هذا، وبأمثال هذا يدرك الفرق بين تربية الشيخين رحمهما الله ورضى عنهما •



الحسن بن عبد الرحمن الايكراي

١٢٩٨ هـ = ربيع الاولى ١٣٦٦ هـ

نسبه

الحسن بن عبد الرحمن بن ابرهيم الى ءاخر النسب المقدم عند أهله

متعلمه للقرآن والعلوم

أخذ القرءان عن علي بن محمد من بني عمومته في قريته . وعن ابرهيم العمرى البونعماني في مسجد (دير بني همتو) في (بونعمان) ثم عن عبد الله من بني رمضان الكريمي . من الكريمة بمدرستها . فعلى هؤلاء جود .

ثم افتتح عند صنوه المذكور قبله الاستاذ محمد ١٣١٢ هـ في مدرسة (الكريمة) ثم صاحبه الى مدرسة (بوكرفة) فبه تقدم وختم الفنون في المتون . وقد ذكر أن أخاه المذكور كان يلزمه اذ ذاك لزا . وقد حكى المترجم ذلك قائلا وكثيرا ما يتوقف بعض أقراني في مسألة . فيضربني أنا (كالثور يضرب لما عافت البقر)

غيرى جنى وانا المعذب فيكم فكأنني سبابة المتندم

هذا هو الاستاذ الاول الذى خاض بواسطته الفنون . وفتحت له به أبواب المتون .

والاستاذ الثاني مبارك بن همو التمجاضي البرايبمي . الاستاذ المشهور. وقد كان اذذاك مشارطا في مدرسة (تزنيت) وهذا الاستاذ ذكر في محل آخر والسنة التي كان عنده فيها ١٣١٤ هـ وهو من الآخذين عن سيدى مسعود المعدرى. ومن أكابر أصحاب النوازل في عصره.

والثالث الاستاذ محمد بن مسعود التحق به نحو أواخر ١٣١٤ هـ فاكب هناك على التحصيل التام مجتهدا على أن يكون دائما مجليا بين اقرانه . فثافن وحفظ وحصل .

والرابع الاستاذ الحسين بن عمر بيبيس اتصل به ١٣١٩ هـ وقد ذهب من المدرسة (البونعمانية) اليه فى احدى مدالس الاخصاص التى يكون فيها هذا الاستاذ فلازمه نحو عام ٠

والخامس الفقيه عثمان ابن‌عمه فى‌مدرسة (ايدغازال)هناك‌فى(الاخصاص) ثم فى سنة ١٣٢١ هـ راجع المدرسة (البونعمانية) فأقبل على تحصيل‌المنطق والبيان والاصول عند الاستاذ ابن مسعود حتى حصل منها جملة وافرة ٠ خصوصا فى‌الاولين ٠ فكان الاستاذ يسرب اليه الطلبة ليعلمها لهم٠فينتدون حواليه كما أنه شرح اذ ذاك بعض المؤلفات البيانية للاستاذ كما ستراه فى ذكر ءاثاره ٠

ومما حصله هناك أيضا علم الادب ٠ فان له فيه يدا قد اكتسب ما عنده منه من الاستاذ٠ فتأخذه أريحية الادب٠ويجول فى‌القريض بمناسبات كما سترى ذلك ٠ وقد أجازه الاستاذ باجازة ٠

مشارطاته

١ ــ مسجد (ايغبولا) ١٣٢٧ هـ سنة واحدة

٢ ــ مدرسة (ادشعود) بـ (الاخصاص) عامين من أواخر ١٣٢٩ هـ وقد راجعها أيضا بعد سنوات قليلة ٠

٣ ــ مدرسة (ايدغازال) الاخصاصية عامين فى حدود ١٣٣٨ هـ ثم راجع أيضا المدرسة المذكورة قبلها سنة ونصفا ٠ عام ١٣٤٤ هـ كما راجع أيضا هذه مرة أخرى سنتين ٠

٤ ــ مدرسة (أورير) ازاء (أكادير) سنة ١٤٤٣ هـ

هذه هى المدارس التى شارط فيها ٠ فساهم فى التدريس وان‌كان جل عمله فيها مزاولة النوازل خصوصا فى (الاخصاص) فان ما بينه وبين القائد المدنى ملتحم حينا ٠ فرفع له ذلك راية الشفوف على أقرانه ٠

نبذ من أحواله وتقلباته

كان فقيها جريئا متعاليا بعلمه رأيناه وهو شيخ مكفوف فرأينا ذلاقة الشباب ونشاطهم وهمتهم وحبهم للتقدم فى كل شىء مع فكاهة لاتغادر التجهم فى مجلس هو فيه يستحضر من العلوم التى درسها ٠ فتراه يورد النصوص ويأتى بالفوائد فى كل مناسبة ٠ متشبثا مصرحا بالحق الذى يراه فى هذا الباب وأما فى غيره فانه عاقل يدارى غاية المداراة ٠ ما ولج بيئة الا اكتسى حلتها ٠ واصطبغ بلونها ٠ فلو كانت الدنيا

والجاه والشهرة الكبرى تنال بالنشاط وبالعلموالعزوف والهمة والمخالفة التامة لكان له اليوم من كل ذلك ولكن ذلك كله انما هو قسم وحظوظ

كان والده سيدى عبد الرحمن ولاه المولى الحسن القضاء فى جهته بظهير يوجد عند أهله، لم نتوصل به فقدمه المترجمالى الاميرالهيبة ١٣٣٠هـ بـ (تزنيت) فتولى اذ ذاك اقتداء بما فى ذلك الظهير ، قضاء (أكلو) و (أيت برايبم) و (الساحل) وقد كان من بين الفقهاء الجزوليين الذين يجولون اذ ذاك فى تزنيت ولكن كل ذلك لم يتم ، لتقلص امارة ذلك الامير بسرعة ، لكنه كان يكب على النوازل فى كل مكان أمكن له فيه ذلك فجال فى بلده وما اليه قبل أن تتمكن الحكومة ، وتنظم أمور القضاء كما كان له ذلك أيضا فى بعض مشارطاته كـ (الاخصاص) ـ كما ذكرناه قبل ـ وقد كانت (الاخصاص) اخر الميادين التى جال فيها بذلك حتى قلب له القائد المدنى ظهر المجن فذهب الى (البيضاء) ١٣٤٩ هـ

كان جوالا هنا وهناك فيكون كثيرا فى (حاحة) وفى (رأس الوادى) وقد حدثنى من رآه فى مجلس القائد محمد بن ابرهيم التيييوتى ، يذكر مع من فيه وردهم ، ثم رآه وحده منتبذا فى قبة سيدى أحمد بن عبد الرحمن يذكر ورده الخاص قال فقلت له ما تصنع فقال أذكر وردى الحقيقى، وأما ذلك ، فانما هو للمماشاة مع أرباب المثوى ، أقول قد أوصى ابن عطاء الله فى كتاب (التدبير) ـ كما أحسب ـ على أنه ينبغى للفقير أن يذكر مع كل من يصادفهم من الذاكرين على أى حال كانوا ولعمرى ان هذا هو المتعين فى عدم التفرقة بين المسلمين ولكن قبح الله الجهل وأهله ، فقد جعلوا الاسلام طرائق قددا والقرءان ودينه عضين وبهذا تعرف أن ما ذكره به المؤرخ الايكرارى لايعيبه ، بل يكسوه حلة مذهبة ،

كان بحاثة مع كل من لاقاه ، وقد وقع له مع شيخنا أبى محمدالالغى مثل ذلك حين كانا معا مشارطين فى مدارس (الاخصاص) نحو الاربعين، فقد رآه شيخنا يباحثه كثيرا فأراد أن يوقفه عند حده ، فناوله كتاب (نزهة الالباء) فقال له اتل علينا منه واهل الـغ يدلون بأنهم يحسنون التلاوة من أى كتاب صادفوه بلا تلعثم ولا لحن فقال له المترجم انك وامثالك مازلتم مكبين على أمثال هذا الكتاب حتى حفظتموها فلا تلحنون فيها ، أفتريد أن أمضى فيه أنا قدما بغير تصحيف لاول وهلة ، فخذه أنت الذى حفظته فاتل علينا منه ،

بيني وبينه

صدرت مرة من (الغ) حين كنت أتلقى بالحمراء • وذلك فى حدود ١٣٤١هـ فمررت من هشتوكة الى قرية (المزار) بقبيلة (كسيمة) فلاقيته مقبلا من (حاحة) الى بلدته فرجع معى الى (المزار) لانه لم يبعد بعد من هناك ففي ذلك اليوم افتتح تعرفى معه • فرأيت منه كل ما وصفته به من محاسن الاخلاق والحذق والعلم الكثير • ثم ضرب الدهر بيننا الى أن انطلقت من (الغ) اثر ما كنت منفيا اليه • فكنت بـ (تزنيت) فى دار القاضى فى اليوم الثانى من ربيع الثانى ١٣٦١ فولج علينا • وولده يقوده ـ لانه عمى من سنة ١٣٥٦ هـ فانبعث من ذاكرتى ما كان فيها ذلك اليوم فى (المزار) فمر لنا مجلس حافل معه وهوحفظه الله يفيض بالفوائد النادرة • ومما سمعته منه فى ذلك المجلس أنه ذكر أن المروءة ضبطت بفتح الميم وضمها فى كتاب (درة الغواص) للحريرى • فدل ذلك على أنه طالع كثيرا • وكان يحاول أن يبحث اثر كل كلمة قيلت حتى باسطته قائلا البحث فى الالفاظ يعلو عنه مثلك • وانما هو من إشيم المتفهمين المبتدئين أو كما قلت له ثم بعد أيام جالسته أيضا فى قريته بـ(ايكرار) فلا تسل عما مضى لنا هناك فإنه كان ممتع المجالسة • حلو الحديث لطيف المفاكهة حاضر النادرة • وقد تشذب بأخلاق الحواضر التى التحق بها منذ ١٣٤٩ هـ فأداه اتصاله بالناس هناك • وكثرة مخالطته ومخالقته الى أن تعين فى المسجد الكبير فى (البيضاء) للتوقيت وقد لاقاه استاذ الفن سيدى محمد العلمى الفاسى • فأثنى على ادراكاته فى هذا الفن •

وقد حدثنى القاضى الهاشم بن خضراء السلوى أن المترجم هو الذى وقف مع العلمى على تحرير قبلة المسجد المحمدى يوم تأسيسه فترك له العلمى تحرير القبلة • فلما أتم العمل وافقه العلمى على ما فعل فصار يشهد له بالتمكن فى الفن ثم لم يزل هناك حتى فقد كريمتيه وممن أخذ عنه هناك القاضى سيدى الرشيد ابن المصلوت الهوارى •

ثم لما عمى بقى ولده عبد الله يعلمه بالاوقات وقد حذق أيضا فى التوقيت• فدام على وظيفته الى الآن ١٣٦١ هـ وانما ورد الى بلدته ليشارف أملاكه فلذلك ساقه لنا الحظ فجالسناه ومما حكى ذلك اليوم ونحن نأكل كسكسا باللحم أن بعض الفاسيين آكل صاحبا له بدويا فى قصعة من كسكسو فتهدم اللحم الى جهة صاحبه بعدما أمعن تحته كأنما يحفر هناك خندقا فقال صاحبه البدوى

فرح الطعام بأهله فتبسما

فقال الفاسي   بل جا البلا من تحته فتهدما

وقد أنشدنا اذ ذاك لنفسه ما سنورده بعـد

أدبيات منه و اليه

ومما كتبته اليه بديهة اثر مفارقتي له

باللّه يا ريـح الصبـا هبـي   نحو الحمى بهوى مـن القلب
وانحى بـه شمس المعارف من   ملكت بشاشـة خلقـه لبـي
شمس لها الانوار قد سطعت   تكسو جميع الشرق والغرب
بحر خضم في العلوم غـدا   لفنـون كـل العلـم كالقطب
يحوى علوم الارض ثم علا   هممًا لعلم الانجم الشهب
دامت لـه العليا ودام لهـا   متفردا فـى العجم والعرب

الشيخ الصالح العلامة الفهامة جماع الفنون • والبحـاث بـذهن كصارم مسنون• سيدى الحسن بن عبد الرحمن السلام على مقامكم السعيد• وعلى وصلتكم التى هى فى عيوننا على عهدها موسم وعيد • أما بعد فقـد وصلنا البلد بحمد الله وشكره • وما أنس لاأنس تلك الفوائد التى تمتعت بها منك حينا من الدهر • صار عندى كأنه غرة وتحجيل فى العمر فمتى استأنس ثانية بك ياسيدنا ومفيدنا بل يا شيخنا الذى بمثلـه نفاخر • وأحب من سيدى أن لاينسى ما وصيته عليه من ارسال الاجازات التى أجازه بها اساتذته • مع كتابته لى مثل ذلك • أدامكم الله للمعالى وللعلوم والمكارم• والسلام •

١١ جمادى الاولى ١٣٦١ هـ

وقد وجدت عندى منه ما ياتى اثر مكاتبة ـ ولعلها المتقدمة ـ

هو الحبر وابن الحبر خير ممجـد   وهل ينجب السادات غير مسود
تحوز أيا ابن الشيخ ارثك من أب   عظيـم فتغدو أمجدا نجل أمجـد
فلله ما أرسلته من ألوكـة   فصاحـة سحبان وانشاء أحمـد
فشيخ الشيوخ قد تقر عيونه   بما حزته فى يومنا بله فى غـد
فوالله لم أبصر سواك بسوسنـا   نظيرا لما أوليت من خير محتد
فقد فقت فى العليا لداتك كلهم   ومشيخة أيضا لدى كل مشهـد
علـوم وآداب وخير سجيـة   تفوق بها رغم العدا كل سيد

فـان تكـن النعماء أعطتك لبهـا ... فأنت الذى بالهصر تجنى وباليد
فقد كلت للتحصيل بالقدم الثرى ... وثافنت للعرفان فى كل معهد
أدامك للمجد المؤثل والعلا ... الهك عن جاه الرسول محمد
عليك سلام الله ما هبت الصبـــا ... وما قام هاد فاقتدى به مقتد

وقد كنت كتبت اليه قبل وفاته بقليل ٠ ثم لم يتيسر أن يصله لوفاته

دم لاكرار بالعلوم ذكـــا ... فيضى أفقها سنـــا وسناء
ان (ا كرار) منبع العلم والد ... ين فتحوى الافاضل العلماء
هى بحر كانت تجاور بحرا ... من ترى منهما ترى الدأماء
أسرة لاترى سوى العلم مجدا ... فبه قد يطاولون السمـاء
كل صعب سهل لمن أصلهم من ... أسرة فذة العـلا شمـاء
لم تكن غير سلسلسلات عظام ... كل عصر تتابعوا أسريـاء
أى قرن لم يبد منها عليـم ... يجعـل الناس كلهـم علمـاء
عرفتهم (ايسى) فـ (وجان) سحبا ... هامات بغيثهـا سحـــاء
فاذا (تومَنـار) تصبـح منها ... كرياض قد فوفت زهراء
واخيرا (ا كرار) حازت من الاجـ ... ـداد ما توجوا به الابنـاء

وكتب الى استاذه ابن مسعود ـ ولعل ذلك حين كان لايزال يأخذ عنه مانصه

سلام ربى على نجل أبى الفرج ... كـذا تحيته تصحب بالفرج
لله دره من عدل أقام على ... محبـة الله لا تراه ذا عوج
وكيف لا وهو قد حوى العلوم فلا ... تركن الى غيره تركن الى الهمـج
أنخ مطية عزم شطر مربعه ... ثم ائتمنه بلا ضير ولا حرج
يا منصفا يبتغى الهدى بسيرته ... عرج به عله يلقاك بالبهـــج
لما رأى ظلمات الجهل قد بسطت ... جعل فى قلعها بالوعظ كالهزج
بالله يا منية للقلب أعط رضا ... لمن أراد النجا بكم من الهرج

الجـــواب

زادكم الله من فضل ومعرفة ... ما فوق آلكم ياقطعة الكبد
ان اللسان جمال للفتى اتسقت ... له المعالى بتقوى الواحد الصمد

فتــق اللسان تراه بالتدرب مــن حفظ القصائــد والانشاء فاجتهد
وارع الالاه وكن بالذكر محتفــلا وراع قلبك دابا تحظ بالمدد
أصل الصفاء تخلص القلوب من الا كدار فالذكر فيه اوفق العدد
لالت بحرا بسيط الفضل وافره مسدد الفكر بالتحقيق والرشــد

ومنها قوله يخاطب الاستاذ المحفوظ الادوزى

فلست ترى بحرا تلاطم موجــه بمجلس علم حله الفخر والمجــد
سوى فطن من للمعارف متقن واعنى به المحفوظ من جوده الجود
وام لا وقد سما على الشمس رفعة تضىء به الارجاء فالشكر والحمد
فرائد قد زهت فطابت ورونقت بعلمكم الفضفاض يامن هوالسعد
غرائب علــم تنجــلى بذكائه وتختال للرواد منه ولا تعدو
أدامكــم المولى لحل عويصــة بذهن مصيب ليس يطرقه الرد
سلام شذاه يملأ الكون كله على بذرنا اللذ فضله ما له حد

الجواب

أريا الخوالى جاء وهنا بها الورد أم المسك من دارين ضاع له الند
نعم غادة تهدى بفكرة ماجد بليغ ، فما قس لديه وما سعد(١)
وام لا وقد أبدى فريدة نوعها يذوب اذا أمليتها الحجر الصلــد
يسوم بهــا الاقران أى مشقــة ويعنو له فيها المسالم والند
وبالجملة العلوم حاز قيادهــا وتعنو اليه العاليات ولا تعــدو
أدام به المولى حياطة حالها وارضاه افضالا ولازمه السعــد

ثم بعد هذا كله • أطلعت له على قصيدة خاطب بها القاضى العدل الجليل سيدى الهاشمى بن خضراء السلوى • ولم تحضر عندى الآن •

آداب مجلس الاتاى

كان للآداب العربية فى جميع نواحى المغرب سجل طافح حول مجالس تعاطى الاتاى شارك فيها السوسيون فقد قرأنا للفقهاء الجشتيميين •

١) سعد الدين التفتازانى لانه هو الذى يتكلم فى البلاغة كما أن قسا يتكلم بالبلاغة •

والعلماء الادوزيين والادباء الالغيين قوافي متعددة سيراها المطالع منبثة في تراجمهم في هذا الكتاب • وكان ممن لهم في هذا الميدان مسابقة وطراد السادة الجراريون فبين أيدينا الآن أرجاز بخط الاستاذ سيدي محمد بن احمد الايكراري حول (تشحير) الاتاي أينبغي أم لاينبغي والمقصود بالتشحير تسخين البراد من فوق مجمرة صغيرة كثيرا ما تكون ازاء المجمرالكبير الذي يكون فوق المقراج• ولاسيما فيأوقات البرودة وكثيرا ما يسخن البراد من فوق مجمر المقراج نفسه • فقد تجاذب القوافي حول ذلك هؤلاء السادة الاستاذ سيدي محمد بن أحمد الايكراري وسيدي عثمان بن أحمد الايكراري وسيدي الحسن بن عبد الرحمن صاحب الترجمة والاستاذ سيدي المحفوظ الادوزي والاديب سيدي الطاهر الافراني • فحينكان الكل موجودا الآن أمامي• فانني أعزم علي عرض بعض تلكالاراجيز باختصار

قال الاستاذ الايكراري

الحمد لله العظيم الشأن	ثم صلاته على العدناني
والآل والاصحاب والاتباع	والتال بالاوتار والاشفاع
وبعد فالغرض في المنظوم	نسبة بعض الناس للوهوم
أعني به مجمر البراد ،	فما له فضل بكل ناد

الى أن قال

قلنا لهم زهومة القزدير	تغير الطعم بلا نكير
لو كان تجمير لوندريزي	ذكره في نظمه الادوزي (١)
كذلك العلامة الجشتيمي	والسيد العرب فيالمنظوم (٢)
عدوا له نظافة وأدبا	وجانبوا التجمير والتعشبا (٣)
مداوموه في النوادي بله	وبالطنافس يحق الكره

---

١) علي (لندن) عاصمة الانكليز يطلق وندريز وينسب اليها الاتاي الجيد عند الشلحيين

٢) هؤلاء الثلاثة محمد بن العربي الادوزي ووالده العربي واحمد الجشتيمي لهم كلهم قصائد في آداب مجالس الاتاي

٣) أي وضع العشب يعني نباتات غير النعنع والمردقوش والشيبة

الى أن قال

أرنى ذا مروءة هذا فعل — والشح يبدو نجمه متى انفعل
فعيلة ابدعها المزالط — واستحسنتها فئة مغالط (١)

الى أن قال :

وكل ما الحياء منه مانع — فانه للذم حقا جامع
كشرب طابغ ولهو وهذر — من كل ما استقبحه حسن النظر
هذا الجلى مالك ما تقول — ولا تخف جاوزك الفضول
وحجة قوية لا تبخسوا — والحق بالباطل لايلتبس (٢)
تعمدا قد كتم الشهادة — مجمر واستحوذ البلادة
اذ كل من له أقل 'مسكة — 'يحسن الاخذ بذا ومسكه
يحق الموعاظ فى المحافل — تنبيه ماجد بها وسافل

الى ءاخرها .

ثم اجابه ابنا عمه سيدى الحسن بن عبد الرحمن وسيدى عثمان بما لم نقف عليه . ولعله نثر . ثم كتب الايكرارى المذكور الى سيدى الحسن ابن عبد الرحمن أيضا .

أول ما يبدأ به السلام — على الذى تحفته الكلام
هذا وان الحسن النظام — خاطبنى لكن بلا سلام
فنظمه فى الحلى كالجمان — مستعذب فى الحلق للنشدان
زخرفه بحجج ضعيفة — قيمها لدى اللبيب ليفة
كابر فيها الحس فى (لاتبخسوا) — ملقنا لحزبه لا تيأسوا
أما الذى أدعيت من جزاف — دعواك فاستحضر لها التلافى
والامتهان حق فى التجمير — مكابر يقول ذو التجبير
وذائق يثبت روح النار — مشافها صانعه بالعار
ونهم للورق ذو ارتشاف — ثم يمجه لبطن جاف (٣)

١) مزاليط ج مزلوط هو الفقير المدقع بالشلحة ويعنى بالمغالط المغالطين

٢) فى القرءان ولا تبخسوا الناس أشياءهم

٣) كانت العادة أن يعمد الى أوراق الاتاى بعد الكفاية منها فيأكلها من شاء يمتص منها ولاحمد الجشتيمى قصيدة فى الحض على أكلها وفى النهى عن طرحها .

اغاب عنك طابخ المحمان ... لـه ثلاثـة مـن الولدان
قال له الكبير هاته فلا ... أترك فيه للكلاب مفصلا
قال له لست له بأهـل ... فهو للوسيط قل يا نجلى
قـال لـه أدقـه بضرسى ... حتى يرد كتراب الرمس
تحسبـه النمل اذا تراه ... كثيب الرمل ولا تشاه (١)
قال له مثل الكبير ثم قـال ... لـذا الصغير كيفما كان المثال
قال له ألوكه بالصـدق ... حتى يعود كبصاق الشدق
قال له أنت بنى حقـا ... فجودن لذا العظيم دقـا
وانمـا اتيت بالتمثيـل ... ليعلـم الرشوف بالتثقيل
والاختراع دائمـا يعـاب ... يشوبه فى شرعنا ارتياب
مبتدع أوصاله فى النـار ... والنص فى الصحيح للبخارى
تصويبـك التجمير للاتـاى ... عليـك أن تثبتـه بـالآى
أما الذى أدعيت بالبنـات ، ... لشفـة بغـير بينـات
كذا ادعـاء جريان العمل ... به لمن يعد مثل الجمـل
لابد من تعيين حبر يعمل ... به يليق متبعا لا يجهـل
اصبعـه يشير للهـداوة ... فلا محالة كـذا الهراوة

الى أن قال :

ارن عالما بهذا يعمـل ... معتبرا لا كمداج يفعـل
أحوجـه الافـلاس والامـلاق ... والشح والحكم لـه يساق
وللضرورة لنـا أحكـام ... واستعذرن جاوزك الملام
فان زيدا عاذر من اعتذر ... وجانبن فى النهج كل منحذر
وراجعـن المنهج القويـم ... مجافيا تجمير ذا العـديم
تشبه الكرام حقا يتبع ... وقـارع بابهـم لا يمنـع
واجشع علمت فيه القيلا ... قناعة تكثر القليـلا (٢)

الجواب من سيدى الحسن بن عبد الرحمن

الحمد للـه على الـدوام ... صلى على من أفضل الانـام

---

١) تصغير كثيب
٢) يلوح الى قول صاحب لامية العرب
وان مدت الايدى الى الزاد لم أكن ... بأعجلهم اذ أجشع القـوم أعجل

هـذا وان العالم الايكراري سلمه الله من الاكدار
لا زال بحرا وافر الافضال مسدد النظر في المقال
قد بذ كل سابق ولاحق مغبرا بوجه كل حاذق
مبتكر بفكره خرائدا أسانه يسفر عن فرائدا
ونظمه يميس بالدلال قد شيب بالكحل واكتحال
لكنه أغرب حيث مثلا بما خلا عن نسبة للمجتلى
اذ بين ذا الرشف وذاك العظم مسافة لا تنطوى بالرسم
يدركها الخبير والبليد لاسيما من علمه يزيد
والحق قد حقق بالتمحق لثقله على ذوى التمشدق

الى أن قال :

افزعنى لكن بلا سلام لكن ناس واعذرن ملام
ونحن في مذهبنا كساج لا نلتوى بقول كل هاج
قولك واستحضر لها التلاف يكفيك ما ظهر من اتلاف
كذاك ما نسب للجشتيمى من نظمه المسطر المرقوم
معظم للورق ذو ارتشاف ثم يمجه لارض شاف
على الذى تحفته الكلام موجه مثله لا يرام
وقصدنا بجريان العمل العرف لا ما قلته من همل
ان قلت لا موافقا في الشرع بذا فيحسبونه من بدع
قلنا ولا ضرر في الجرى على ما اتخذوه من مباح عملا
ومن هنا يعلم أن لا حكما يحتاج فيه للوقوف حتما
أحوج هذا كيسنا المنصوب لا الشح والاقلال والمغلوب
والكيس ذو مرتبة بين السرف والشح لا نعيب طرقا للخلف

الى اخرها .

ثم كتب الايكراري الى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى يرفع اليه القضية .

ثم السلام العطر الافنان أمده لانجب الخلان
أعنى به سيدنا المحفوظا لا زال في شؤونه محفوظا
وها أنا أرفع للمقام شكية من لدة لوءام
يجمر البراد فوق النار مشافها ناقمه بالعار
يقول لا يعطى اكمين منه الا بذاك لا غناء عنه

محرضا بـه الانـام طـرا — وان تمطى مـد واكفهـرا
يبرق فى نظم لـه ويرعـد — وأمره لـذا مقيم مقعـد
اشكن منه بصريح القول — جـزاك مولانا كثير الطول
وقـد أتى بحجـج ضعيفـة — مسودا بها على الصحيفة
والشحيح غايـة الترياق — وللكريـم ريشة الأوقواق
مضيفه قال له (لاتبخسوا) — برادنـا وقـال انـى أكيس
كذا الطنافس بحرقه تضاع — والخرق دائما به لـه اتساع
لغـير ذلـك مـن الاضرار — أريتك المبنى الذى الاشرار
قلنا لـه زهومة القزديـر — تغـير الطعم لـذوق عـار
قال وكيف هذه المراجـل — قلنا وبـين ذا وذا مراحـل
قـال وكيف لقليل الـورق — فعلتنا هـذى لحـل المغلق
قلنا فهـذى حيلـة المفالس — ضرورة تروج المتدالس (١)
قـال بهذا جريـان العمـل — قلنا تَراكِ هفوات الهمـل
أرن عالمـا بهذا يعمـل — معتبـرا لا كمـداج يفعـل
أحوجـه الافـلاس والاملاق — والشح والحكم لـه ينساق
قال فهذا الجشتمى قد أمر — بالارتشاف من ضياعه حذر
قلنا له دع ارتشاف الورق — لخنفس يجى له من ذرق
فان فى اطعامـه لاجرا — يمحو به المولى علينا اصرا
مخالف فيما ذكرت(عثمان) — ونجل خالنا (عبيد الرحمن)
وكلنا أدلى بمـا لديـه — وعينن معـولا عليـه
بشرط أن تشاور المجربين — لاكحبيب عدفى المجمرين(٢)
أعنى به القاطن بـ(الانزاض) — مقرض النعناع بالمقراض
أبدع تجميرا بذلك الجبـل — منوها بقدر تيك الحيـل
لذاك لا تلق اليـه بالا — فانه لذاك حقـا مـالا
هنا انتهى المد لهذى العجرفة — وخل عن طريق خالى المعرفة
الى آخرها

ثم أجاب سيدى المحفوظ فقال

ثم عـلى العـلامة الا كرارى — سلالـة للعلمـا الاخيـار
محمد بن أحمـد الجرارى — أفضل مـا حيا به ديارى
هـذا وقد ورد منه نظم — حرت لحسنه وناء الفهـم

---

١) يقصد جمع تـدليس
٢) الفقيه سيدى الحبيب الانزاضى

وكيف لا وانه لرجز ... رؤبة والاضراب عنه عجزوا
مضمونه السؤال هل تجمير ... أليق بالبراد أو توفير
وان أجيب بنظام يحكى ... نظامه فورا بلا تلكى
ولست من فرسان هذا الملعب ... ولا انتمت نفسى لهذا النسب
وانما السعى على العيال ... اعلق بالقلب من المعالى
بعد وجودهم وقبله أديم ... بطالة فى موج بحرها أعوم
كما استقر الكل فى علمكم ... وان ارد اخفاء شيء عنكم
لكن يضل بحقوق السوء ... اهمال ما عندى وان لم يجد
مع ان رسوى ضاربا بالطوب ... أبقى على العرض من الهروب
ويوثر الموت على الدنايا ... كل ضعيف ما له مزايا
وزاحمن بالعود أو دع فى اختيار ... للبدء ظالما وليس فى اضطرار
وانما يطلب كل علم ... من علمائه فشا من قدم
ولست للاتاى من أرباب ... فأعرف القشر من اللباب
وربه المثرى من الرجال ... ووطنى بأشهق الجبال
وما فشا تعبيرهم بالجبلى ... الا لقل موجب للبخل
ان قيل ذا يلزمكم عنه العدول ... قلت أجل وان يقع فمن فضول
فاختر اذا علمت هذا للجواب ... من يعرف الخطأ منه والصواب
فاننى بمعزل عن أن أجيب ... هبنى أشاور نجيا أو حبيب
اذ لايحل الحكم للمشاور ... دون ظهور الحق كالمشاور
وذاك مختص به من يجتهد ... عن قاصر وعن مقصر يعد
أتى به فى (البهجة) التسولى ... عن (ابن عبد البر) من منقول
وقر فى الخلد أنه سبق ... به من (الرهونى) ذى البحث الانيق
والامر فى الفتاو والاحكام ... متحد يدريه غير العام
ثم الحبيب فى الاتاى أقدم ... منى فمن آدابه لا يعدم
وهو أولى بالسؤال منى ... عنه لخبرة لديه تغنى
وفطنة تظهر منه للمخليط ... أول ما خلطته به ينيط
فلو سألته وعن شوارى ... نهيته أصبت منا الدارى
واطلب لذا الضعيف ستر العرض ... بهذه الدنيا ويوم العرض
ورفق مولاه به فى الحال ... وسكرة الموت وفى الترحال
وزد عليه الوالدين والولد ... ومن يرى للمسلمين فى عدد
مستشفعا بأفضل الانام ... عليه منا أفضل السلام
أولاك مولانا من الافضال ... والعلم ما يرضى ومن اقبال

ممتعا بطول عمرك لأن تحيي ماندرس فينا من سنن

ثم اجاب سيدى الطاهر الافرانى التانكرتى بقوله

الحمد لله وصلى الله على نبيه ومن تلاه
هذا وانى قد رأيت رجزا موشحا محبرا مطرزا
قد دار بين سيدين أحرزا خصل المدى في الفضل لما برزا
كلاهما لدى الصيال بازل اذا سطا عنا له المنازل
هما هلالا هالة الاكرار سلالتا الخيرة الابرار
سيدنا محمد بن أحمدا من صار فى قلب الحسودكمدا
وكفوءه سيدنا عثمانا من قد حكى نظامه الجمانا
تجاريا فى حكم أمر حدثا من صنع تشحير الاتاى عبثا
فعابه الاول عيبا قادحا فيه ورده الاخير مادحا
فبان لى أن أجرى الفكرة فى فصل القضية بقول منصف

الى ءاخرها وهى فى مقدمة هذا الكتاب فى (الجزء الاول)

انتهت المحاورة اللطيفة فرحم الله هؤلاء الادباء الكبار الايكراري والادوزى وعثمان والحسن والطاهر فقد صار الجميع الى عفو الله •

مؤلفاته

جالسته عشية فى قريته (ايكرار) فذكر لى أنه ألف

١ ـ شرح منظومة رسالة البيان • لاستاذه ابن مسعود • والاصل للدردير
٢ ـ شرح منظومة عبد الرحمن بن عمرو الجرادى لرسالة المطلب للماردينى
٣ ـ حاشية مقولات البليدى •

هذه المؤلفات الثلاثة هى التى ذكرها وأحسبه ذكر أن بعضها تلف فى حاجة • عند انسان هناك خانه فى كتب له •

اعتناقه للطريقة الالغية

كان فى المدرسة (البونعمانية) حين كان أستاذه ابن مسعود اعتنقها فاقتدى به كل تلاميذه ومن بينهم المترجم ولكنه ليس فى هذا الميدان مثل صنوه سيدى محمد ولا مثل ابن عمه عثمان فان خلال الفقهاء واريحية الادباء لاتزال تغلب عليه فقد كان يداخل الشيخ واتباعه • ووفد

الى (الغ) مع الوفد الازاغارى مرات ـ كما حدثنى به ـ ثم لايزال وفيا لعهد شيخه الى اليوم كما يعلنه الى الآن • وقد رأيته فى هذه السنة • فتحققت منه ذلك أفلا يستحق بذلك أن يتخذ مكانته العليا بين اتباع الطريقة والصوفية يقولون كل منسوب محسوب •

قولة الايكراري فيه

قال فى (روضة الافنان) بين الايكراريين عنه ـ نحكى قولته على ما هى عليه • وقد بينا الحق قبل ـ (مال الى اكتساب الدنيا • فتفر منه • لانه لايستقر بمكان

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

يتلون فى الطريق تلون الحرباء فكان أولا ناصريا ثم درقاويا • ثم تيجانيا

ولست بأمعة فى الرجا ل أسائل ذاك وذا ما الخبر

فها هو الآن موقت بـ (الدارالبيضاء) ولا أخاله يقيم على السراء والضراء مع أنه نزل للدراهم بالمرسى ان قدر له أن يرسى • والمؤرخ لايعد قوله غيبة بل يبين أحوال الناس • فما عليه فى ذلك من بأس • كتب لى مرة ما نصه

لابى عبيد الله عج بالمنبع ورد الغزير العذب منه واكرع
تظفر بما أملت منه فانه من ينتمى لجنابه لم يقمع
بدر الدجا الف المكارم والندى حمال راية كل علم أنجع
أبدى الجواهر واليواقت نظمه بعد النكوص به لنفر أقرع
لله دره من همام فاضل من بذ فى الميدان غير مضعضع
يا منصفا يبغى العلوم بطولها هاتيك أوعية العلوم فأترع
يسدى ويلحم فى الامور ولن ترى عدلا له ما مثله من مفزع
أحيا رسوم الفضل بعد ان اغتدت درست به لا تلتوى بالمفزع
أبقى به المولى نظام علائه ووقاه من كر الزمان الاقمع
صلى الاله على النبى محمد والآل أرباب المجاز الانفع

فاجبته بقولى

علقا نفيسا أم علائق جوهر اهدت قريحة عبقرى ألمعى
بل قينة ماست وفاحت بالثنا وشدت بمفصلها بأحسن منزع

واها لبكرها وناسج بردهـا | بفصاحة ومتين فهم أشجـع
حسن الخلائق والفعال اذا رنـا | للمعضـلات تيقنت بتـزعزع
أكرم به من حاذق متبزل | متقرح بحداثـة المتـرعـرع
يختال في ميدان أمر مشكـل | لا يلتوى لشنانه المتقعقع (١)
فات الورى أهل اليراع وراءه | واليعملات حسيرة فى المهيـع
لم لا وعلم أصوله متكامـل | بجنابـه المتكـامل المتضلـع
ان قلت لا فاسبر يوافك هاطل | من علمه تعجب لموج متبـع
فخذ الحذار اذا تسيل فهومه | يكفيك وبل من جناه الامرع
ألف السلام يشوقه ويسوقـه | حادى الثناء لمجده المتخشع)

انتهت قولة ذلك المؤرخ . وقد تركنا كل ما ذكره كما هو مع ما فيه كما لايخفى .

قولة ابن الحبيب فيه

(ومنهم الفقيه الفلكي الحيسوبي العلامة سيدى الحسن بن عبد الرحمن له فطنة حادة كشعلة النار فى المضاء . وكالسراج فى الاتقاد لاتقرع له العصا كثير الجولان . مشاركا في العلوم كلها حتى أدته خاتمةالمطاف الى السكنى بـ(الدار البيضاء) حرس الله مجادته . وأرقى سعادته فيشفيها بعلومه . واطلع فيها نجومه . حتى ذهب بصره بها . رحم الله ضعفه)

أقول لحقه أجله في مسقط رأسه فدفن بين مقابر أهله رحمه الله وبه انقضى ذكر العلماء الايكراريين احدى الاسر العلمية الماجدة التى تسلسل فيها العلم منذ زهاء خمسمائة سنة ثم لايزال فيها مطردا

١) الشنان جمع شن والمتقعقع مفرد

سيـدي

الطاهر السماهري ثم الاكلويـي

١٣٠٧ هـ = ١٣٦٩ هـ

نسبـــه :

الطاهر بن محمد بن عبد الله

والسماهرة فخذ من قبيلة من (بعمرانة) وأهلها من (شتوكـة) مـن قبيلة (ايزركين) من الصحراء. وقد ذكر لي الفقيه سيدى محمد السماهري ثم التزنيتي ـ الماضي آنفا ـ أنه قال يوما لاستاذه ابن مسعود ان أهلنـا يتوارثون بينهم أنهم مـن أولاد أبي يزيـد البسطامي فلم يجبه بكلمـة والسكوت ان دل على شيء في بعض المواطن . فانه لايدل هنا عـلى أي شيء . لا ايجابا ولا نفيا . وان كان الى النفي أقرب (ولا تقف ما ليس لك به علم)

هذا الاستاذ الكبير سيدى الطاهر أحد الادباء العلمـاء الذين رفعـوا اليوم في (أزاغ'ر) راية المعارف والآداب وبهم بقيت هناك صبابة من العلوم والآداب لاتزال تدرس وتتداول ولولاهم لاقفرت تلـك البلاد مـن قبس يسترشد به الحيران ومن شربة يتبلغ بها الصديان

مآخذه للقرآن

أخذ في قريته التي نشأ منها بـ (السماهرة) من (بعمرانـة) عـن الاستاذ عبد الله التملي ـ منسوب الى قرية هناك ينتسب أهلها للتمليين ـ وبه تخرج وكان المترجم رزق الحفظ من صغره فكان يحفظ ربـع الحزب في الختمة الاولى. وهذا نادر في هذه الجهات . وان لم يكن نادرا في غيرها. وفي الختمة الثانية ختمها بالنصف فسرعـان مـا استظهر القرآن عـلى حرف ورش ثم حرف قالون ثم التحق بالاستاذ الحسن بـن محمـد في قرية (أوخريب) من قبيلة (أيتعبلا) بـ(بعمرانة) وهو من القراء الحمزيين ثم بدا له أن يمضي زهرة عمره في العلم لا في القراءات .

١) الحسين بن عمر بيبيس أخذ عنه في مدارس (الاخصاص) وقد التحق به ١٣١٩ هـ وبه افتح وتدرج في الابتدائيات ثم لم يفارقه هذه المرة حتى استبصر ٠

٢) الحاج احمد أقاريض الصوابي

أخذ عنه في مدرسة (توملیلین) قال سافرت اليه مع رفيقي الحاج محمد ابن مبارك أوشن الاخصاصي الحافظ النابغة ٠ فلازمناه عاماً ونصفاً وهو مجتهد معنا في الدراسة آخذ بأيدينا في الـزاد يريش أجنحتنا بكل ما في طاقته ٠ وكان يجمع كل ما بقي له من كسر الخبز فيمر ببيوت الضعفة في وسط النهار فيناول كل واحد كسرة كسرة من الخبز القفار(١) قال وقد تبلغنا بذلك ٠ بل انتفعنا به كثيرا فاستطعنا أن نزاحم الاثرياء من الطلبة في الدروس بل فقناهم بالتفرغ لما نحن بصدده وقد أخذنا هناك كثيرا من النحو والفقه واللغة (وأما الحاج محمد المذكور فانه بعد أن أخذ كثيرا من (سوس) حتى نجب التحق بمدرسة (تيزكين) برسموكة مشارطاً ثم غادر المغرب فالتحق بـ (الازهر) فبلغنا أنه تفوق بالمشاركة التامة خصوصاً في الفقه والحديث٠ وقد صنف شرحا على(الرسالة)القيروانية قارن فيه الفقه بالحديث ثم نعي الينا حوالي ١٣٦٠ هـ وربما يذكر مع أبيه مبارك أوشن بمناسبة أخرى)

قال المترجم ثم خرجنا من هناك لسبب مع الاستاذ الذي كان معنا مجتهدا من تلك المدرسة كما أن صنوه أبا عبد الله يجتهد أيضا في مدرسة (دوتكاديرت) فمررنا في رجوعنا بشيخ الاسلام أبي العباس الجشتيمي فتبركنا من عنده وان لم نأخذ عنه ما له بال ولكن نعده من مشيختنا الذين تبركنا بهم فان لم ننتفع بعلمه فقد انتفعنا بدعائه ثم رجعنا أيضاً الى الاستاذ الحسين بيبيس ٠ العديم النظير في الاكباب على الانصبة لا يخرمها ٠ ولا يعرف بطالة ٠ وكم مرة هطلت الامطار وتدفقت السيول واكفهر وجه السماء ٠ ويكاد الجماد يرتعد صرا وصبارة برد ونخاله يتخلف في داره ٠ فاذا به على بغلته يخوض بها الاوحال ٠ وسيولا كالجبال٠ ولا خيط من ثيابه الا ويقطر ماء فينفتل عن بغلته فلايكاد يدخل المجلس وهو ينفض عن لحيته الكبيرة الماء بيديه حتى نسمعه يعلن صوته ـ على العادة ـ برجز ما يقرأ من دروس الالفية علامة على افتتاح الدرس وبه نفعنا الله

---

١) كسحاب لا أدام معه

كثيرا والحمد لله فاننا لم نفارقه هذه المرة الثانية حتى كانت لى ملكة أطالع بها الانصبة وأقبل وأرد

٣) الاستاذ ابن مسعود المعدرى

رأيت أن الاستاذ المترجم كان تمكن عند سيدى الحسين بيبيس فكانت له يوم التحاقه بمدرسة (بونعمان) قدرة تامة قال نزلت هنا وأنا منفض لا ريش لى فلازمت دروس الاستاذ المتوالية وكان كلما أتى الى المجلس أو التفت رآنى هناك ثم أمرنى أن أكون معيد الدروس للطلبة • ومهيئا لها قبل أن يدرسها لهم – على العادة – مع القيام بطبقة من المبتدئين أوالى لهم التدريس فى المتون الصغيرة فيلاحظنى الاستاذ ويهتبل بى • ويفضلنى فى الاعانات التى يعين بها الطلبة الضعفة ممن كانوا خفيفى الحاذ (١)
قال وممن انتفعت به هناك من نجباء الطلبة سيدى الحسن بن عبد الرحمن الايكرارى • أخذت عنه السلم • قال فبقيت كذلك مكبا الى سنة ١٣٢٦ هـ فاقتضى نظر الاستاذ أن يرسلنى الى المشارطة • فودعنى خير وداع ثم انه أجازنى بعد هذا الحين بما ياتى

(يقول كاتبه الضعيف محمد بن مسعود السملالى الطالبى ثم المعدرى كان الله له فى الدارين وليا وبه حفيا امين ان الاخ فى الله تعلى الفقيه النجيب اللوذعى الاريب أبا عبد الله سيدى الطاهر بن محمد الباعمرانى ثم السماهرى حفظه الله تعلى وتولاه قد استجازنى بحسن ظنه وصفاء طويته • يحسب أنه صادف منزلا اهلا • ومطرا وابلا • على ما جرت به العادة ومن الخير احياء عادة السادة • وكان لزمنا فى مذاكرة فنون من العلم الشريف كالفقه والنحو والاصول والبيان والحديث والتفسير فظهرت نجابته ورجى نفعه وانتفاعه فاسعفناه بمراده لا لكونى من فرسان هذا الميدان والله ولكن محبة فى احياء آثار هذا العلم وتكثير السواد • فأقول

أجزت الاخ المذكور بما صح لى وعنى روايته اجازة عامة مطلقة بحق ما أجازنى جماعة من المشايخ الكرام أحقهم بالتقديم وأولاهم منى بمزيد التعظيم شيخنا الوالد رضى الله عنه • وهو عمدتى فى الاستفادة • وقد أجازه جماعة منهم شيخه وعمدته شيخ الاسلام العلامة النحوى الدراكة الخشوع المحبوب لعباد الله الذى ظهرت آثار الاخلاص على عمله بقبول ما ألفه • أبو المعالى سيدى العربى بن ابرهيم الادوزى • شارح الخلاصة وغيرها

---

١) خفيف الحاذ بتخفيف الذال قليل المال والعيال •

لايجهلها الا أجنبى عن المعارف وأجاز شيخنا الوالد أيضا رحمه الله تعلى الفقيه الحافظ المشارك الصالح المؤلف الشهير أبو على سيدى الحسن بن الطيفور البكرى ثم الساموكنى نزيل (تزنيت) وسنده فى البخارى مقيد لنا فى غير مـا هنـا وأجازه أيضاً الفقيه الصالح البركة الواضحة ذو الاعمال الصالحة الرابحة أبو العباس سيدى أحمد بن محمد التيمكيدشتى رضى الله عنه ونفع به المسلمين كمـا أجازنى أيضـا شيخنا المشارك أبو العباس سيدى أحمد بن ابرهيم بن محمد التوماناری ثم الایکراری وهو عن والده الشيخ الشهير المتبرك به العلامة المشارك ابى سالم ابرهيم بـن محمد المذكور • وهو عن الشيخ الامام الحافظ المحقق الكبير سيدى محمـد الطيب بن كيران الفاسى وغيره من معاصريه من أهل فاس وأجازنى أيضا شيخنا الفقيه الصالح التقى البركة الشهير سيدى محمد بن ابرهيمأباراغ البعمرانى عن شيخه الدراكة الفهامـة المفسر الصالـح المتبرك به ذى ذى المعارف الوهيبة أبى على سيدى الحسن بن احمد التيمكيدشتى وسنده مقيد عنه فى غير ما هنا • وأجازنى أيضا الفقيه الصالـح العلامـة الاديب الاكبر البركة الاشهر أبو العباس سيدى أحمد ابن الامام الاديب الفقيـه الشهير الحسيب سيدى عبد الرحمن بن عبد الله بـن محمد الجشتيمى أدام اللهأنفع به • واسانيده تطلب من غيرها هنا وأجازنى أيضا غيرهم كشيخنا العلامة الصالح العارف بالله سيدىالشيخ ماء العينين بن محمد بن فاضل الصحراوى والفقيه عبد المعطى السباعى كان الله لنا ولهم بكل خير آمين • وأجازنى بالطريقة الشاذلية غير واحد منهم شيخنا الفقيه الدراكة الفهامة الامام العارف بالله الدال على الله ذو الكرامات الواضحة والانوار الساطعة اللائحة مربى المريدين وحامل لواء العرفانالمهتدين• القطب الربانى والغوث الذاتى الصمدانى سيدنا أبوالحسنسيدىالحاج على بن أحمد الجعفرى ثم الالغى • رضى الله عنه وأمدنا بمدده الحقانى ظاهرا وباطنا آمين• وقد شاركنى الاخ الحامل فى التلقى منه• وانما ذكرته تبركا ليكون مسكا للختام وأوصى الاخ بتقوى الله وان لاينسانى من صالـح دعائه قال ذلك وكتبه عن عجل وشغل بال محمد بن مسعود المذكـور أعلاه بتاريخ أواخر جمادى الثانية سنة ١٣٢٧ هـ عرفنا الله ببركتها آمين آمين بالنبى وآله وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه ءامين)

أخذه عن الشيخ الالغـي

كان أستاذه ابن مسعود متصلا بالشيخ الالغى من سنة ١٣٢١ هـ فتتابع تلاميذه فى الاخذ عنه تبعا له حتى كـاد كـل اتباع المسعوديين يعدونمن التلاميذ الالغيين طريقة ومن بينهم هذا المترجم وقد ذكر انه

أخذ عنه بنية صادقة فكان ذلك سبب أن لاحظه الشيخ له ملاحظة خاصة وسترى فيما ياتى براهين هذا .

مشارطاته

١ ـ مدرسة (سيدي وكاك) الاكلوئية

قال جاء أهل هذه المدرسة سنة ١٣٢٦ هـ الى الاستاذ ابن مسعود فتطلبوا من عنده أستاذا لمدرستهم ـ وهذه عادة القبائل السوسية أن لايفرطوا فى مدارسهم فيقصدون كبار المدرسين ليتطلبوا منهم أن يختاروا لهم من يعمرون مدارسهم ـ قال فصادف ذلك وجود الشيخ الالغى فى (بونعمان) فأمر الاستاذ أن يرسلنى اليهم. فكان ذلك أول مشارطاتى باذنه . فوجدت بركة ذلك . فأمضيت هنا سنة تامة .

٢ ـ المدرسة (الميلكسية)

قال كان الشيخ هو الذى أرسلنى اليها أيضا اثر مغادرتى لتلك المدرسة فأمرنى أن أدرس فيها الفنون على أن يبقى أستاذها سيدى مبارك الميلكى القارىء المشهور هو صاحب المدرسة يقوم بتعليم القراءات على عادته وبعد شهور مر بنا الشيخ هناك فقال لم آت الا لانظر كيف أنت مع سيدى مبارك . فانه فى أعيننا لفى مكانة سامية لانحب من يكسر خاطره ولوبقليل فقلت له أنا يا سيدى لم أعد الخطة التى أمرتنى باتباعها قال فبقيت هناك سنة والمدرسة عامرة ثم رجعت بعدها الى الزاوية بـ (أكلو) فى جوار تلك المدرسة الاولى فتزوجت

٣ ـ مدرسة (الكُريمات) الساحلية

قال شارطت فيها سنة ١٣٣٠ هـ فبقيت فيها سنة أزاول التدريس بقدر انطاقة ثم راجعت مدرسة (أكلو) الاولى فبقيت فيها ثلاث سنوات

٤ ـ مسجد (تاسيلا) بماسة

وهو مسجد كبير ولكنه مؤهل للعلوم لم يتجاوز فيه سنة وفى ١٣٤٢ هـ راجع أيضا (الوكاكية) ثم فارقها بعد حين واشتغل بخطة العدالة التى انخرط فى نظامها سنة ١٣٤٥ هـ . وفى سنة ١٣٥٨ هـ راجع أيضا المدرسة (الوكاكية) حيث لايزال الى هذه السنة : ١٣٦١ هـ

أشياء حولــه

هذا الاستاذ الكبير كنت اسمع به من صغري لانه كان يطرق(الغ) منذ ابتداء عقلي من سنوات ١٣٤٢ هـ فتأثرت بذلك • فكانت له مني محبة انبتت بعدها ما انبتت • والارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف• وما تناكر منها اختلف

ان للاستــاذ أخلاقــا رصينة ووقــارا في مجلسه وهو يجتهد أن لايفارق لبسة الجيل القديم من لباس أبيض نقــي ومــن لزوم الرداء والسلهام والعمامة كما كان يعرف بلبسه العلماء • فتحمد كل عين شارته كما تشكر كل أذن عبارته مع تأن يغلب عليه في كلامه وفي ذوقه فــي كل أحواله فقد تأثر بالتصوف الى حد بعيد • فيملأ مجالسه ومحادثاتــه بأقوال الصوفية وبأبياتهم وهذا ما رأيته منه وما كان يذكر لي عنه • ومما أنشده لي يوما في ذلك

اذا ما رأيت الله في الكون فاعــلا رأيت جميع الكائنات ملاحــا
وان لم تر الا مظاهر صنعه رأيت جميع الكائنات قباحا

وقد رأيت له ما يظهر منه أن له وقتاً خاصاً مع ربه • وأنه لايجد قلبه الا في الاقبال على الله • وقد انتفع بملاقاة الشيخ الالغي الذي لايزال يلهج به لهج من ذاق على يده ما ذاق ثم لايرى لــه مثيلا في ترقيــة المريدين الى المراد •

ومما أنشده لي لمتساجلين قال أولهما

ماذا تقول فدتك النفس في حالي يفني زماني في حل وترحال
دعها تسر في الفيافي والقفار الى أن تبلغ السؤل أو موتا بتجوال

فقال الآخر

كذا النفوس اللواتي العز يصحبها لاترتضي بمقــام دون آمــال

وقد كان نشأ فقيرا ثم منّ الله عليه فتزوج بأيم غنية فــي زاويــة (أكلو) انتفع بمالها فكان ذلك هو السبب حتى ألقى مراسيه فــي ذلك المكان• فكان عالم (زاوية سيدي وكاك) والمشار اليه فيها وقدعمر المدرسة اليوم ١٣٦١ هـ بكل ما في امكانه اماما في الصلوات • وخطيباً في الجمع وربما يتعهد من هناك من المصلين بالموعظة الحسنة بعد الصلاة • على أنه ان أخل بالتدريس فانه معذور أو على الاقل ربما يعذر بأنه منتشب في خطة العدالة التي تتطلب منه أن يكون هنا وهناك في نواحي القبيلة • لعقد

نكاح أو تلقى شهادة • وبان همم التلاميذ عراها اليوم فتور عام • وماذا عسى أن يفعل لو جمع كل همته الى التدريس ان فقد التلاميذ •

لاحظت من أحواله أنه مع توسطه في المالية ليس بذلك الهلوع الجماع المناع الذي يخبط بكلتا يديه في كل ناحية • فـان أراضيـه فـي سقى الزاوية انما يزاولها الناس بالشركة • فلم يفعل كالذين يريدون أن يكونوا قيومين على كل أموالهم بأنفسهم حتى لايذهب منها قطمير لغيرهم• ولعل هذا أدل دليل على ما وصفته به من علو الهمة • كما لاحظت أيضا أنه جمع في تلك القرية التى لم يكن الا طارئا فيهـا الاوصاف التى تنفـع الغريب وتزينـه

يزين الغريب اذا مـا اغترب	ثلاث فمنهن حسن الادب
وثانية حسن أخـلاقـه	وثالثهن اجتنـاب الريب

وأما باعه في المعلومات فواسع حسن المشاركة رأيته يجول فـى الفنون التى درسها كاللغة والنحو والادب • والفقه حتى التاريخ ولكنه ذو مقدرة زائدة وذو عناية كبرى في الادبيات يحب أن يجول فيها بكل مناسبة • وهذه المحبة وحدها لهذا الفن هي التى حدته الى الادب ولانه أيضا أخذه عن أربابه كما يظهر من ءاثاره الآتية• وهو مكر مفر مقبل مدبر في الابحاث مع الباحثين لاحظت منه ذلك في مجالس فحمدته وقد لاز الاستاذ محمد بن عثمان الايكرارى يوما أمامى وأنا مشغول عنهما بكتابة فلم استوعب ما يتجاذبانه • ولاكيف يتباحثان وله مع هذا الاستاذ منازعات دائمة لانهما مقرونان في خطة العدالة فربما يكـون الاستاذ الجديد لايسلم للاستاذ القديم أفهامه ويراها صدئة • فيكشف له الآخرعن براثينه فيريه أن في بنى عمه رماحا وأن في البزل القناعيس من لاتطيقه أبنـاء اللبون • مع أن العلم لايكون بالسن بل بالتحصيل فهكذا يكونان دائما ديدن المتعاصرين الذين لايتناصرون • سنة الله في خلقه • ولله خلقه شؤون•

نفحة من أدبياته

المترجم ـ كما قلنا ـ لهج بالاقوال الادبية في كل مناسبة تخطرأمامه فلا يكاد يراها • أو يرى كتابا جديدا أو قادما الى تلك الجهة أويسمع بموت عظيم حتى يقول جهد طاقته وقد رأيت عنده كثيرا مـن ذلك ولم يحضر عندى الا القليل منه فلنختر مما عندنا

قال من قصيـدة طويلـة تنيف عـلى الستين يقرظ رحلـة الهوادى الحجازية • المطبوعة في مجلد ضخم •

وخريدة تنسى الدمى متغزلا ... تبدى سوالف عن خدود نضار

قد حببت عين الظبا متنسكا ... بأن المشيب بفوده وعذار

ترنو بألحاظ فواتر مثلما ... يعنو ويعطو الظبى للاشجار

وشذا الكبا قد فاح من أردانها ... قصبا لذاك الطيب كل ممار (١)

سلبت قلوب العاشقين بغنجها ... والدل في ورد وفى اصدار

فكأنها المشكاة في ليل سجت ... أحلاك ظلمته أمام السارى

أو انها روض زها نسرينه ... أو ورده بتساجل الاطيار

تترنم الاطيار في الخيطان عن ... حلوحلو الندى من مبسم الازهار (٢)

أو انها أهدت سلافة صرخد ... مالت بها الندما على الاكوار

أذكت أوارا من صبابة شيق ... للوصل في الآصال والابكار

يصبو اليها المستهام مبادرا ... كيما يمتع من شميم عرار

ويقول في وصف الرحلة

شاقت الى مغنى الحبيب وأذكرت ... دار الاحبة يا لها من دار

ضاع الرجاء بضوعها لمتيم ... يهوى عظيم الانبياء الاخيار

بل انها وشى ولا كمطارف ... تزهو به في محفل الانظار

هى رحلة هامت بها العشاق من ... ذكر العهود لروضة الانوار

هى رحلة أبدت براعة ماجد ... قد بذ بالاوصاف في المضمار

الى أن قال فيها

يا نازلا روض الحبيب بطيبة ... طابت حياتك فاحتفل بجوار

حيث المهابة والسنا حيث البها ... حيث الكمال وبغية الابرار

حيث المطالب للورى حيث الجدا ... يهمى بمغفرة من الغفار

فيه التوسل للاله وانه الا ... كسير والترياق في الاكدار

وقال

لله ما أحلى الزيارة واللقا ... بعد النوى وتطاول الاسفار

فلتهنهم تلك الزيارة ان قضوا ... منها المرام بحطة الاوزار

يا سعدهم مما أتيح لديهم ... يا فوزهم بالبيت ذى الاستار

---

١) الكبا بالكسر العود الذى يتبخر به

٢) الخوط : الغصن

وقال في وصف جامع الرحلة

وهو الفقيه أخو النباهة والنهى	حلف اليراع منور الافكار
ان يعدد النجباء والفطنا الورى	فأجلهم نجل الفتى الهوادى

وقال في السيد عبد السلام الناصرى حين نزل عندهم في زاوية (سيدى وكاك) يوم جال في سوس سنة ١٣٥٥ هـ

أهلا بمن نارت قلوب احبة	بقدومه فتنعمت بأمان
هامت به قبل الوصال وربما	تشفى بقربه غلة الصديان
سعدت بوصلك أرضنا طربا بمن	يسلو له ذو اللب عن ولدان

ويقول فيها

عبد السلام سلالة الاخيار والا	برار وارث سرها الربانى
نجل الاماجد من علته مهابة الا	سلام آل الدين بالايقان
من آل ناصر العلى محبة	للمصطفى المختار من عدنان
وذوى الولاية والسيادة والهدى	نور الظلام وبغية اللهفان

ويقول في وصفه

رب المفاخر والمحاسن والجدا	والرشد والايثار والعرفان
ورث المكارم والسعادة والهنا	عن مفرد غيث عظيم الشان
من قد تقلد بالتقى وحبا بها الاتب	ـاع في سر وفي اعلان

وقال يرثي شيخ الاسلام شعيبا الدكالى من قصيدة طويلة

فاض الاسى لما قضى شيخ الورى الـ	ـمولى شعيب سيد الاقران
شمس المفاخر عالم الدنيا الذى	نال العلا بمهابة الرحمان
ان سنت الخنساء لبس صدارها	عن صخرها اذ مات يوم طعان
فقلوبنا لبست أسى متراكما	اذ مات نور العلم والايمان

الى آخرها

وبعد: فهذه نماذج مما يقول بل هذه نماذج من مختارات قوافيه فانه لاينقح كثيرا بل يلقى الكلام على عواهنه ثم لايرجع البصر ليلقى الزبد جفاء ويبقى ما ينفع الناس .

بيني وبينه

كان اسم المترجم يطرق أذني وأنا صغير . فعرفته من قبل أن أعرف

فصادفت مودته من قلبي الفارغ مكانا خاليا فتمكنت. وقد كان يتردد اذذاك كثيرا الى المواسم (الالغية) ثم زرت داره سنة ١٣٣٢ هـ وأنا اذ ذاك في (بونعمان) فقد كنا ذهبنا من (المعدر) الى (بونعمان) فلم يمكن لنا أن نسلك الصراط المستقيم اليها لحرب قامت اذ ذاك بين المعدريين وبين اتزنيتيين في أول عهد القائد ابن دحان . فدرنا من (أكلو) ومعنا أناس استحضر منهم الآن الواعظ المرحوم بالله سيدى الحاج محمد بن عدى ثم لما كنت في (مراكش) في السنوات الاخيرة ألحق بي ولده يوسف الآتي فزارني هناك مرة . فازددت به اتصالا ثم تواردت علي رسائله وليس عندي الآن منها الا واحدة أو اثنتان ولايخلى كل ذلك من قصائده ثم لم ألقه ولاكاتبه الى أن زرته هذه السنة ١٣٦١ هـ فأريته كل ما سطرته في رحلتي الاولى من كتاب (خلال جزولة) واذ ذاك أخذت عنه ترجمته هذه وهذا بعض ما كان خاطبني به تحت يدي . ولكن لم أذكره اختصارا واكتفاء من أقواله بما تقدم ذكره . لان ما يقوله كان على أتو واحد ثم انني تدبجت معه تبركا بأمثاله فأجازني وأجزته كما فعلته مع القاضي سيدى عبد الحفيظ الفاسي .

ومما يجدر ذكره أنني اقترحت عليه أن يؤلف ما يعرفه عن الشيخ الوالد لانه ممن عاصروه أخيرا فجمع من ذلك مؤلفا في جزء وسط . أفاد فيه وأجاد .وهو عندي بخطه وقد ملأه باستطرادات تدل على سعة حوضه في المحفوظات وكثرة حفظه من حكايات الصالحين

وقد وافاه الاجل في الوقت الذى استتم فيه مجده في هذه الحياة فانتقل الى الحياة الدائمة التي يرجى له فيها بفضل الله ما يرجى لامثاله المومنين من ذيول فضل الله التي ننتظرها نحن أيضا دنيا وأخرى .

ولدا يوسف

للمترجم ولدان من الذكور يوسف المولود ٢٧ شعبان ١٣٣٢ هـ وصنوه عبد الله المولود ١٣ ـ ٣ ـ ١٣٣٧ هـ وربما كان له اخران صغيران ولدتهما له الزوجة الاخيرة التي اقترن بها بعد ما ماتت أم هذين

أخذ سيدى يوسف القرءان عن والده وعن الاستاذ العربي بن الحسن في زاوية (أكلو) مسقط رأسه وبهذا تخرج ثم افتتح العلم على والده حتى شدا عليه ثم انتقل الينا أواسط ١٣٥٤ هـ فلم يلبث ان نفض عنه شظف البادية وتجهمها . وألقى عنه غلظتها وجفاءها وقد أعجبني منه ذكاء وحفظ ظهرا منه بسرعة ولكن لم يكد يتجاوز حد الاستعداد الى

التفوق حتى نادى فينا منادى الفراق فتفرقنا شذر مذر فألحقت أنا بـ (الغ) منفيا • والتحق هو ببلده بعدى بنحو شهر حين أيس من عودتي فمنذ ذلك العهد بقي مع والده وتأسف كثيرا حين تضع شبيبته وشبيبة مثله في ذكائه وحدة نظره وسرعة حفظه غالية لاتقوم وقد كانت قريحته تميل الى الادب فيحاول أن يصوغ ءايات باهرة وقلائد بارعة • وطبعه حقيقة ادبي فغالب من أخذوا عنا هناك كالشاعر الحسن التناني والمفوه عرفة الفاسي • والنابغة عبد الحي البزيوى والمنطيق الجرىء محمد بن العربي الاسفي وشوقي أحمد بن محمد بن العربي الدكالي ومحمد الروداني النابغة • وابرهيم الاخ الالفي وابن العم ابرهيم بن احمد • وءاخرين أشربوا حب الادب من بين تلك الدروس الادبية التي كانت تلفت أنظارهم أكثر من غيرها من الحديثية والفقهية والاصولية مع حرصي على أن يهتبلوا بالادب وحده • اهتبالا ينسيه غيره من الفنون ولكن لم يكادوا يفلتون من قبضتي حتى ولى كل وجهته الى الادب • فنبغ منهم امثال المتقدمين ومن خلق لشيء فانه لابد واصله •

وهكذا كان يوسف السماهري هذا• فانه قد اعرض من بعدى عن جميع الفنون وعن تعاطيها الا لماما غير أن الادب لايزال له من جانبه نصيب كبير • وقد جلس الى حين بت في دارهم هذه السنة ١٣٦١ هـ فجعل يفيض علي من أدبيات من محاضرة النابغة التناني حول شاعر الحمراء فالقى علي مسمعي مما ذكره المحاضر هناك أبياتا مرقصة وقد اقترن يوسف• وولد له ولكنه لايزال يزعم أنه يقدر أن يتملص حتى يستوفي غرضه من الدراسة • متى هدأت هذه الحرب الحاضرة ـ الحرب الثانية ـ وقد ألقى علي قصائد يقولها منها رائية كان قالها قبل الايأم التي نفيت فيها من (الحمراء) وقد كان في بلدة يتشوق الى (الحمراء) ثم بعد مجيئه بيومين • فرق الدهر بيننا قبل أن يرينيها • وهي

يادهر هيجت وجدا بالنوى استعرا	صار بحرقته الفؤاد منفطرا
فارقت (مراكش) الحمرا وجئت الى	(أكلو) فجفني يفيض الدمع منهمرا
فارقتها وزفير الشوق مشتعل	والقلب في ذكريات ورده كدرا
والجسم مذ غبت عنها مكتس سقما	والطرف عانق في أجفانه السهرا
استعر الشوق في الاضلاع ملتهبا	شوقا الى من غدا بالعلم مفتخرا
فياصبا قد سرت من نحوهم سحرا	بالله قصى علينا عنهم خبرا
فانني بعد ان فارقت حضرتهم	ما راق طرفي شيء بعدهم نظرا
لله أيامنا معهم فما خلقت	الا من الروض كانت كلها زهرا

تمر ساعاتنا فتنقضى معهم بكل معجبة تحير الفكرا
نجنى ثمار علوم لم تكن لترى منها جنيا سوى أن قمت مهتصرا
فى مجلس مستنير بالذى رغبت فيه التلاميذ أنيستكشفوا الدررا
تيهى به أرض هاتيك المدينة من فرد ولكنه يحيى بها زمرا
نفسى الفداء له من كل ما ترح يستتبع البغى فىالاسراء والنكرا
وهو الفقيه السرى (المختار) من سعدت
به المنى فغدونا نقطف الزهرا
شمسالعلوم ومفخر الكرام ومن تشدو به ألسن الطلاب والفقرا
قد ورث الفخر والمجد المؤثلعن قوم بدور سماء بل ليوث شرى
ربالقوافى ورب النثرمنسجدت لسحره ألسن الافلاق حيثجرى
منخلقه كنسيم الروض هب على من حبه فى مجال كاسه حضرا
وغالبا كل من ناواك منتصرا وغالبا كل من ناواك منتصرا

تلك قصيدة القاها الى فاطنبت فى اجادته فيها تنشيطا له على عادتى مع كل من الى دائما من أصحابى .

وقال أيضا من قصيدة يرثى الشيخ شعيبا مقتديا بأبيه

لم أنل ما أريد ان ذبت حزنا وسكبت الدموع صوب العهاد
عظم الرزء والمصاب وجل الـ ـخطب فى المغربين فى كل ناد
ألهذا المصاب نوع تسل تشتفى منه غلة فى فؤاد

هذا ما حضر لى الآن من أقوال هذا الاديب الجديد الذى أخاف كل الخوف أن ينقطع فى وسط الطريق فلا يستتم معلوماته . ولا يستوفى تهذبه فى الاستاذية . وقد تولى التعليم فى مركز (انزكان) ناحية (أكادير) ما شاء الله فى مدرسة حكومية . ثم بعد سنين انتقل الى أخرى فى (تزنيت) سنة : ١٣٧٤ هـ ثم تعين أخيرا مديرا لمدرسة فى (أيت جرار) وقد ترقى فكره وحسنت اثار قلمه ثم كان اليوم ١٣٨٠ هـ فى مدرسة بـ (تيزنيت) مديرا . ومقامه محمود خلقا وسيرا وتسييرا وهو قرة العين وثمرة الفؤاد

اما صنوه عبد الله فانه أيضا استاذ معلم ولعله يتقدم الى الميدان فيسلك طريق اسرته العلمية بعدما تقدم أشواطا وولادته فى سنة ١٣٣٨ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذ العربى بن محمد الزاوى الاكلوبى

وكان يدرس فى مدرسة الزاوية من (أكلو) حتى خرج بهمته كثيرين وقد توفى نحو ١٣٤٥ هـ وعن الاستاذ محمد بن الحسن ابن همو بـن موسى من الزاوية أيضا كان أيضا يدرس القرءان هناك ولا يزال حيا ١٣٧٩هـ فعلى هذين تخرج سيدى عبد الله فى القرءان

واما فى الفنون العلمية فقد أخذ كثيرا عن والده فى مدرسة الزاوية بـ(أكلو) ولما شدا التحق بالاستاذ سيدى الحاج مسعود الوفقاوى فى مدرسة (ايغيلالن) وعلى يد هذين سار حتى أخذ ما تيسر له ٠ ثم التحق مع صنوه بنا فى مراكش ولكن سرعان ماجاء النفى ففرق الدهر بيننا ٠ وقد لازم والده يخدمه وينتفع منه الى أن تعين أستاذا فى سنة ١٩٥٠ م فى مدرسة (انزكان) حيث بقى خمس سنين ٠ ثم فى (تارودانت) عامين ٠ ثم فى مدرسة بالزاوية مسقط رأسه فى (أكلو) حيث هو الآن ١٣٧٩ هـ

هذا وقد علمت أخيرا أن هناك أيضا من أولاد سيدى الطـاهر ثلاثة ءاخرين الحسن ومحمدا والحسين ولا يزال الاولان يتبعان اليوم فى المعهد الردانى ٠ والآخر فى القسم الابتدائى فى بلاده ٠ وفق الله الجميع ٠

نجز الجزء الثالث عشر من كتاب (المعسول)

ويليه إن شاء الله الجزء الرابع عشر

الفهارس سبعة

الاول في اسماء الذين تاسست عليهم تراجم الجزء

الثاني الفهرس العام فيما احتوى عليه الجزء معنونا وغير معنون

الثالث في القوافـــي

الرابع فى المنثورات من رسائل وظهائر وأمثالها

الخامس في الاسر المذكورة في الجزء

السادس في الخطإ والصواب

السابع في الكلمات الشلحية التي فيها حرف مشدد

(الفهرس الاول)

(في اسماء الذين تأسست عليهم تراجم الجزء)

الفهرس العام فيما احتوى عليه الجزء معنونا وغير معنون

الفهرس الثـالث فى القـوافى

وسنكتفى بالشطر الاول من القصيدة٠ ان صرع المطلع٠ والا فسنزيد الكلمة الاخيرة فى الشطر الاخير ولانذكر الا ءاثار المترجمين وما فى معناها

الهمزة

البـــاء

التـــاء

الجيم :

الحاء

الدال

الــراء

الــزاى

الضاد

الصاد

الطاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

الهـــاء

الـــواو

اليـــاء

أراجيز

الفهرس الرابع في المنثورات

وتشتمل على الرسائل والاجازات والظهائر والتحريرات والمحاضرات :

الاجازات

التحريرات والظهائر والتقاريظ والمحاضرات

الفهرس الخامس في الاسر المذكورة في الجزء

الفهرس السادس في الخطإ والصواب

صفحة	سطر	خطـــأ	صواب
٤	٩	السمــاهر	السماهرى
١٢	٧	استـــاذ	الاستاذ
١٣	٧	مصر	مصرا
١٦	٢٥	لدروس	دروس
١٨	١٦	حتى فيها	فيها حتى
١٨	٢٧	متقبلـــة	مقابلـــة
٢٠	١ (فى الحاشية)	ـ عندنا ابن خلدون	عند ابن خلدون
٣٢	٢٦	ولا بتر	ولا بطر
٣٢	٢٨	غية الامل	غاية الامل
٤٢	٢٩	الاكلولى	الاكلويى
٥٤	١	يعتورانهمـا	يعتورانها
٦٠	٢	متجهدا	متهجدا
٦٢	٧	كالدرقاوين	كالدرقاويين
٧٧	١٨	فى ءاخر فى ميبضة	فى ءاخر مبيضة
٧٧	٢٩	والسؤال	والسؤل
٨٥	٢٣	التراجيم	التحريم
٨٦	٨	الذكر	الذاكر
٨٩	١٠	فلــك	فذلك
٩٣	٢٨	تصفة	تصفية
٩٥	٢٢	كان	كـــانت
٩٦	١٩	اللـه	اليـــه
٩٧	١٥	صحبة	صحـــة
٩٨	١٨	وياسانيده	وبأسانيده
٩٩	٢	عمدة رجال	عدة رجال
٩٩	١٥	كنا كل	عنا كل
١٠٤	١ (فى الحاشية)	ـ علامة هوارة	علامة أولاد يحيا
١١٠	١٠ (فى الحاشية)	ـ العطـــاب	العطـــاء
١١٠	١٣ (فى الحاشية)	ـ السن الذى	السن التى
١١٢	١٠	انثى	انـــى
١١٢	١٨	وبـــه	ولـــه
١١٧	٧	ذكرهم لهم	ذكرهم لنـا

صفحة	سطر	خطــأ	صواب
١١٨	١٣	سنيـة	سينية
١٢٠	١٤	لا أستطيـع	لا أسطيـع
١٣٥	٢	ذكرناها	ذكرناه
١٣٨	٣٠	والده محمد	ولده محمد
١٤٧	١٢	فترهم	فتراهم
١٥٥	٢٨	وعترف	واعترف
١٦٤	٣	(فى الحاشية) ـ المنجـود ...	المنجود المغموم
١٧٩	٩	فى وجوه	فى جوه
١٨٠	٧	لساني حالـى	لسان حالى
١٩١	١٠	كل أمة	كان أمـة
١٩٤	٦	هو متداول	ما هو متداول
١٩٤	٢١	أولو أقدرهم	أو لم أقدرهم
١٩٥	٢١	عن نشريعا قبه عليه	عن شر يعاقب عليه
١٩٧	١٣	جعك الله	جعلك الله
١٩٧	٢٧	وزيادة	وزيارة
١٩٨	٢٩	شرط	شارط
٢٠٥	٢٠	وكان كما يواخذهم	وكان يواخذهم
٢٠٦	٢٩	المقام	المـام
٢١٥	٣٣	ومن من برز	ومنهم من برز
٢١٦	٣١	فلى أنسى	فلا أنسى
٢١٨	٣١	الاحكام	الارحـام
٢١٩	٦	أفـق	أوفق
٢١٩	٢٨	عبد ربـه	صدربـه
٢٢٠	٣٠	(حملق الى شاخصا ببصره)	مكرر
٢٢١	٢	شيخنا	شيخا
٢٢١	٣١	أكما قال	أو كما قال
٢٢٢	٢١	هذا البلاد	هذه البلاد
٢٢٤	٣٠	النغماء	النعمـاء
٢٢٥	٢٠	العاصمية	العاصمة
٢٢٦	١٢	أولهمـا	أولاهما
٢٣٠	٢٦	جائر	جائرا
٢٣٣	٨	الثامن عشر	الثانى عشر
٢٣٣	١	بنيـة	بينتـه

صفحة	سطر	خطــأ	صواب
٢٣٤	٤	ذوى المجد	ذرى المجد
٢٣٤	١١	التاسع عشر	الثالث عشر
٢٣٥	١٩	مشيخـــه	مشيختــه
٢٣٥	٢٠	ب (تزنيت)	(تزنيت)
٢٣٨	٥	الرضا	الراضى
٢٤٣	١	عن الكســل	فى الكسل
٢٤٣	٢٨	لن يعـــل	لم يعـــل
٢٥٤	١٦	بسبيــط	بسيط
٢٥٧	٤	صارد	صادر
٢٥٩	٢٦	العدالية	العدليـــة
٢٦٣		هكذا الآية (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)	
٢٦٥	١٨	جعفر	فى جعفر
٢٦٦	٩	بن الرحمن	بن عبد الرحمن
٢٦٧	٢١	طلبها منها	طلبها منه
٢٦٩	٢٢	دررة الحجال	درة الحجال
٢٧٤	٢٧	علمنــا	عملنا
٢٧٨	٢٩	ما نقل منــه	ما ننقل
٢٨٣	٧	كان قبل	كانت قبل
٢٨٣	١٧	من بينهمــا	من بينها
٢٨٨	٥	تعلى وعنا	تعلى عنه وعنا
٢٩١	١٤	ان (سوسة)	ان لـ (سوسة)
٢٩١	٢٠	مسوب	منسوب
٣٠٣	٣٢	المجيــد	المجيب
٣٠٨	٢٠	بوصف الحسن	(بوصف الحسن والحسن قد بدا)
٣٠٩	١٧	لابن سالم	لابى سالم
٣١٧	٢٥	من يحيا عن بينة	من حى عن بينة
٣١٨	٢٨	القعصاء	القعساء
٣٢٥	١٨	خاطبها	خطبهــا
٣٣١	١١	التــأفف	من التأفف
٣٤١	٩	أنجزت	انجرت
٣٥٠	١٦	يقدر	يقـــد
٣٥٨	٩	فاستجبب	فاستجب
٣٦٨	٧	نفسها	نفساً

صفحة	سطر	خطـــا	صواب
٣٨٢	٢٨	اعتنـــاءه	اعتنائه
٣٩٢	٢٦	استجار	استجاز
٣٩٣	١٨	الحسين ابن	الحسين بن هاشم
٣٩٤	١٦	اعـــط	أعطى
٣٩٥	٤	محمد	محمدا
٤٠٢	١٧	شارع	شارح
٤٠٤	٢٥	١٣٨٢	١٢٨٢
٤٢١	٢	مدالس	مدارس
٤٢٥	١١	سلسلسلات	سلسلات
٤٢٥	١٣	هامات	هاميات
٤٦٢	٤	لالت	لازلت
٤٦٢	١٤	الخـــوالى	الغوالى
٤٢٧	٥	بالشحير	بالتشحير
٤٢٧	٦	فوق	فوقـــه
٤٢٧	٣ (فى الحاشية)	ـ وولده العربى	ووالده العربى
٤٢٨	٢٠	الحسن	الحِـــس
٤٣١	٢٤	بقدرتيك	بقدر هاتيك
٤٣٢	٨	يضل	يضر
٤٣٧	٣	افتـــح	افتتح
٤٣٢	٢٤	ولله خلقـه	ولله فى خلقـه
٤٤٣	٨	حلو حلو الندى	حلو الندى
٤٤٦	١٢	ينسيـــه	ينسيهم
٤٢٧	١٢	أصلاح البيت	

بقيت جانى أثمـار العلا أبـــدا   وغالبـا كـل من نـاواك منتصرا

الفهرس السابع في الالفاظ الشلحية التي فيها حرف مشدد

أَتـبّان   تَـامُو دِ يزْت

أمْجُّوض   خـمِيدوش

أُوعَامو   كِـتّزُور

بوشـتّي   كّـافقّا

تنبيه

نلفت أنظار المطالع الى أن الاولى لمن سيقرأ أى جزء من اجزاء الكتاب ان يعمد الى نسخته فيصلح منها أولا ما بينا الخطأ فيه في اخر كل جزء ثم أنه لابد أن يجد أخطاء أخرى لم نتنبه لها • اما لنسياننا بسبب الاشغال التى نحن فيها أواما لجهلنا الكثيف • وقد بذلنا جهدنا فى التصحيح ماستطعنا ثم كان ما كان • حتى فـى بعض الآيات ممـا ناسف لـه • فمعذرة للقراء •

المؤلف

طبع بمطبعة النجاح الدار البيضاء

المغرب الاقصى

عـام ١٣٨٠ هـ = الموافق سنة ١٩٦١